

دَائِمَتَا فِي الْأَحْيَاتِ

تأليف

أ.د. ناصِر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية



ح دار العقيدة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري . ناصر بن عبدالله

دراسات في الأدب / ناصر عبدالله علي القفاري - ط ٢ - الرياض ، ١٤٤٣ هـ

٣٠٥ ص : ٢٤٠١٧ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩١٦٧٣-٧-٢

١- الديانات المقارنة ٢- اليهودية ٣- النصرانية أ. العنوان

١٤٤٣/٧١٢

ديوي ٢٩١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٧١٢

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩١٦٧٣-٧-٢

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م



٠٥٠٣٣١٠٠٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فهذا كتاب (دراسات في الأديان)، وضع بحسب المنهج المعتمد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، وفق معايير الاعتماد الأكاديمي.

وقد شاع في الدراسات الأكاديمية إطلاق اسم (الأديان) على هذا العلم، بينما يرى بعض العلماء عدم جواز هذه التسمية؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فدين جميع الأنبياء واحد، وهو الإسلام، ولا يستعمل لفظ (الدين) إلا مضافاً، فيقال: دين اليهود، ودين النصارى، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، كما سيأتي.

لكن يشهد لصحة إطلاق هذا الاسم (الأديان) حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة»^(١)، ثم إن تسميتها بذلك باعتبار اعتقاد أهلها، فهي تسمى ديناً وإن كانت باطلة، وقد سَمَّى اللهُ تعالى معبودات المشركين آلهة، وهي باطلة، كما في قوله جل وعلا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ١٧٤].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧). والبخاري في الأدب المفرد (ح ٢٨٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧). وقال الهيثمي: «فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع» (مجمع الزوائد ١/ ٦٠)، وله شواهد ذكرها الحافظ ابن حجر في (تغليق التعليق ٢/ ٤١-٤٣)، وحسنه في (فتح الباري ١/ ٢١)، وصححه الألباني بشواهد في (السلسلة الصحيحة ح ٨٨١).

وقد اعتمدت في دراسة الأديان على المصادر الأصلية لكل ديانة - ما أمكن-، وهذا ما يقتضيه المنهج العلمي، حرصاً على العدل معهم، وعدم التجني عليهم، عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النساء: ١٨).

وقد أفدت أيضاً من الدراسات المعاصرة، لا سيما تلك الدراسات التي كتبها باحثون مختصون، عارفون بلغة أهل هذه الديانات، فخالطوهم عن قرب، وشاهدوا طقوسهم وشعائرهم، واطلعوا على كتبهم ومصادرهم، وحاووا علماءهم، وليس المخبر كالمعائن.

كما حاولت أيضاً إبراز جهود علماء المسلمين في نقد هذه الديانات نقداً موضوعياً منصفاً، ليتبين كيف أنهم سبقوا المدراس الغربية الحديثة في الدراسات النقدية لهذه المصادر والديانات.

وقد كنا نسمع من مشايخنا الذين تلقينا عنهم العلم في المرحلة الجامعية أنه لا يوجد في الجامعة مقرر دراسي كالحال في المراحل التعليمية السابقة، وإنما يوجد منهج يذكر معه مراجعه، ويتم رجوع الطالب إلى هذه المراجع، ولا يجوز أن يضع الأستاذ للطالب مذكرة إلا إذا كانت تمثل إضافة للمنهج وتكون ضمن المراجع، ولكن هذا المستوى من الدراسات الجامعية غير متحقق الآن، وآل الأمر في الغالب إلى مذكرات ضعيفة يكتبها الطالب تفتقد التحرير والتحقيق.

وحين قمت بتدريس هذه المادة لمست حاجة الطلاب إلى كتاب يجمع ما تفرق في هذه المصادر مع الترتيب والتحرير، حتى كأن هذه المراجع جميعاً بين يدي الطالب في كتاب واحد، ولأجل ذلك التزمت في كثير من الأحيان النقل الحرفي للنصوص، وعمدت أحياناً إلى تكرار النقول في المعنى الواحد ليصل الطالب إلى فهم المراد، وليكون أعون على الضبط وأرسخ في الفهم.

وقد جرى تحكيم هذا الكتاب على يد عدد من المتخصصين في دراسة الأديان في العالم الإسلامي كل حسب تخصصه.

فحكّم بحث اليهودية كل من: الأستاذ الدكتور صابر طه (أستاذ الأديان بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر والمتخصص في الديانة اليهودية)، والأستاذ الدكتور سامي الإمام

(أستاذ الديانة اليهودية واللغة العبرية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر).

وحكّم بحث النصرانية: الأستاذ الدكتور عادل درويش (أستاذ الأديان بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، والمتخصص في الديانة النصرانية).

كما حكّم بحثي اليهودية والنصرانية: الدكتور منقذ السقار (المتخصص في مقارنة الأديان).

وحكّم بحث البوذية: الدكتور عبد الله نومسوك (الباحث المتخصص في دراسة البوذية والمقيم حالياً بتايلاند).

كما حكّم الكتاب كاملاً^(١): الأستاذ الدكتور محمد الشرقاوي (الأستاذ بكلية دار العلوم).

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً، ولسنة نبيه موافقاً، ولعباده نافعاً، إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الأستاذ بكلية الشريعة

جامعة القصيم

(١) باستثناء ما تم زيادته في هذه الطبعة، وهي الدهانات الثلاث: المحوسية، والطاوية، والكونفوشيوسية.

الفصل الأول: المقدمات

المبحث الأول:

تعريف الدين والملة والنحلة

أولاً: تعريف الدين:

الدين لغة: الطاعة والانقياد، قال ابن فارس: «الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد، والذل»^(١).

وجاء في كتاب (العين): «الدِّينُ جمعة الأديان ... والدين: الطاعة، ودانوا لفلان، أي: أطاعوه»^(٢).

وقال الجوهري: «الدِّين: الطاعة، ودان له، أي: أطاعه ... والجمع الأديان، يقال: دان بكذا ديانة، وتدين به، فهو دِينٌ ومُتَدِينٌ، ودَيَّنْتُ الرجلَ تديناً، إذا وكلته إلى دينه»^(٣).

وقال ابن منظور: «الدِّين: الطاعة، وقد دِنْتَهُ، ودنت له: أطعته، ... والجمع: الأديان ... والدين: الإسلام»^(٤)، فالدين في اللغة مداره على الطاعة.

وأما الدِّين اصطلاحاً فهو الإسلام، يقول الرازي: «الدين المطلق في اصطلاح أهل الإسلام والقرآن هو الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، أما سائر المذاهب فلا تسمى ديناً إلا بضرب من التقييد، كدين النصارى واليهود»^(٥).

والدين الذي هو الإسلام يطلق بإطلاقين: عام، وخاص.

أما العام فهو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد ﷺ.

وأما الخاص فهو الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ^(٦).

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣١٩).

(٢) كتاب العين (٨/ ٧٣).

(٣) الصحاح (٥/ ٢١١٨-٢١١٩).

(٤) لسان العرب (٢/ ١٤٦٨-١٤٦٩).

(٥) تفسير الرازي (٣٢/ ٣٠٢).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٤)، (٧/ ٦٣٥-٦٣٦)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٤٧-٤٨).

ثانياً: المِلَّة:

المِلَّة - بكسر الميم وتشديد اللام- في اللغة: هي السنة والطريقة^(١).
 واصطلاحاً: هي الدين، قال الطبري: «وأما المِلَّة فإِنَّمَا الدِّين»^(٢).
 وقال القرطبي: «المِلَّة: اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه وعلى السنة رسله»^(٣).
 وقال أبو يعلى: «المِلَّة يعبر بها عن الدين»^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾
 (البقرة: ١٢٠)، أي: دينهم، وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحج: ١٧٨).
 وقال البعلبي: «المِلَّة: جمع ملة - بكسر الميم جمعاً وإفراداً- وهي الدين والشريعة»^(٥).
 وقال السيوطي: «المِلَّة: ما يَبْتَنِيه الله تعالى على لسان رسوله لعباده»^(٦).

ثالثاً: الفرق بين المِلَّة والدين:

قال الراغب الأصفهاني: «المِلَّة كالدين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين: أن المِلَّة لا تضاف إلا إلى النبي - عليه الصلاة والسلام- الذي تسند إليه، نحو: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (ال عمران: ٩٥)، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ (سج: ٣٨)، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله^(٧)، ولا إلى آحاد أمة النبي - صلى الله عليه وسلم-^(٨)، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع^(٩) دون آحادها^(١٠)»^(١١)، وكذا قال المناوي^(١٢)، والكفوي^(١٣).

وما ذكره الراغب من أن المِلَّة لا تكاد تضاف إلا إلى الأنبياء، فيه نظر، فقد جاء إضافة المِلَّة

(١) انظر: كتاب العين (٨ / ٣٢٤)، تحذيب اللغة (١٥ / ٣٥٠-٣٥٣)، لسان العرب (١١ / ٦٣١)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٥ / ٧٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٢ / ٤٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (٢ / ٩٣).

(٤) مسائل الإيمان. لأبي يعلى (ص: ٤٣٥).

(٥) المطلع على ألفاظ الملتنع (ص: ٣٧٧).

(٦) مقاليد العلوم (ص: ٧٤).

(٧) يعني لا يقال: ملة الله. بخلاف الدين. فيقال: دين الله.

(٨) يعني لا يقال: ملتي. أو ملة زيد.

(٩) أي: تستعمل في جملة الشرائع، فيقال: ملة الإسلام.

(١٠) يعني لا يستعمل في آحاد الشرائع وأفرادها، فلا يقال: الصلاة ملة الله. قلت: لكن ربما يرد على ذلك أنه يقال: الصلاة ملة الإسلام.

(١١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٧٣-٧٧٤).

(١٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٦٧٤).

(١٣) انظر: الكليات (ص: ٤٤٣-٤٤٤).

إلى غير الأنبياء في القرآن كما في قوله سبحانه: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقوله: ﴿إِنِّي تَزَكُّتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وقال الجرجاني: «الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينًا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة»^(١).

رابعاً: النحلة:

النحلة لغة: الدعوى، «من قولهم: هو ينتحل قول فلان»^(٢)، أي: يدعيه. قال الجوهري: «نخلته القول أنخله نخلًا - بالفتح -: إذا أضفت إليه قولًا قاله غيره، وادعيت عليه، وانتحل فلان شعر غيره، أو قول غيره: إذا ادعاه لنفسه ... وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا: إذا انتسب إليه»^(٣).

وقال ابن منظور: «النحلة: الدعوى، وانتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان، إذا ادعاه أنه قائله، وتنحله: ادعاه وهو لغيره ... ونخله القول ينحله نخلًا: نسبه إليه. ونخلته القول أنخله نخلًا، بالفتح: إذا أضفت إليه قولًا قاله غيره وادعيت عليه. وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه ... ويقال: ما نخلتك؟ أي: ما دينك؟ ... يقال: نخل فلان فلانًا، إذا سابه، فهو ينحله يسابته»^(٤).

وأما النحلة اصطلاحًا: فهي ما ابتدعه البشر من عقائد وأديان.

فكل معتقد وضعه البشر، وليس له أصل شرعي، بل بني على مجرد الادعاء والانتحال يقال له: نحلة، ويشهد لهذا ما ذكره أهل اللغة في معنى النحلة، وصلة ذلك بالمعنى اللغوي أن النحل مبنية على الانتحال والادعاء، وليس لها أصل.

وقد جاء هذا المعنى للنحلة في السنة من قول أبي قلابة: «إن أهل الأهواء وأهل الضلال - ولا أرى مصيرهم إلا النار - فجرهم، فليس أحد منهم ينتحل قولًا، أو قال حديثًا فيتناهى به الأمر دون السيف»^(٥)، كأنه يشير إلى أن أصحاب النحل ينتهي أمرهم إلى السيف، وهو استعمال السلاح ضد المخالفين لهم، أو الخروج على ولاة أمور المسلمين.

(١) التعريفات (ص: ١٤١).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٥٤).

(٣) الصحاح (٥/ ١٨٢٦-١٨٢٧).

(٤) لسان العرب (١١/ ٦٥٠-٦٥١).

(٥) سنن الدارمي، المقدمة (ص: ٤٥).

خامساً: الفرق بين الملة والنحلة:

الملة هي ما له أصل من وحي إلهي فهي بمعنى الدين الإلهي الذي جاء به الأنبياء. والنحلة ما ليس له أصل، بل هي دين منتحل وضعه البشر، وليس لها أصل يستند إليه من وحي إلهي، وقد يستوحى هذا الفرق من قول الشهرستاني: «إن أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى: أهل الديانات، وإلى أهل الأهواء؛ فإن الإنسان إذا اعتقد عقداً، أو قال قولاً، فإما أن يكون فيه مستفيداً من غيره، وإما مستبداً برأيه، فالمستفيد من غيره مسلم مطيع، والدين هو الطاعة، والمسلم المطيع هو المتدين، والمستبد برأيه محدث مبتدع... فالمستبدون بالرأي مطلقاً هم المنكرون للنبوات مثل: الفلاسفة، والصابئة، والبراهمة، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية، بل يضعون حدوداً عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها، والمستفيدون هم القائلون بالنبوات»^(١).

فهو يقسم الناس بحسب أديانهم إلى مستفيد ومستبد، فالمستفيدون هم بحسب اصطلاحه المتبعون للأنبياء، والمستبدون برأيهم هم أصحاب النحل الذين انتحلوا مقالات ليس لها أصل.

قلت: وبالتأمل فيما جاء في معاجم اللغة وأقوال أهل العلم في معنى الملة والنحلة يتبين أن الملة إذا دخلت عليها (أل) فالمراد بها الدين الذي شرعه الله وأنزله على أنبيائه، وإن تجردت من (أل) فهي بحسب ما تضاف إليه، فقد تطلق بمعنى الملة، وقد تطلق بمعنى النحلة، قال تعالى عن نبيه يوسف -عليه السلام-: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿

(١) الملل والنحل (١/ ٣٨٣٧).

(٢) انظر: مقدمة في الملل والنحل (ص: ٥-٩).

المبحث الثاني: حكم دراسة الأديان

أولاً: حكم دراسة الأديان:

الأصل في مشروعية دراسة الأديان الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقد جاء في القرآن ذكر اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركين والدهرية^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [المع: ١٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤].

كما ذكر سبحانه ما يقوله اليهود في النصارى وما يقوله النصارى في اليهود، قال جلا وعلا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

وذكر الله تعالى بعض ادعاءاتهم الكاذبة، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَمُهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَفِّكُوكَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

وذكر سبحانه تحريفهم لكتابتهم (التوراة)، فقال سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

(١) وقد صنفت مصنفات عن الأديان من خلال القرآن، مثل: الأديان في القرآن، د. محمود بن الشريف. موجز الأديان في القرآن، د. عبد الكريم زيدان، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، د. سعدون محمود الساموك، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، د. صلاح الخالدي، العقائد النصرانية في القرآن الكريم، أحمد إبراهيم سلامة، واليهود في القرآن، محمد عزة دروزة، الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعاً ودراسة، يوسف بن حمود الحوشان ... إلخ.

﴿مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

بل ذكر الله جل وعلا مقالاتهم الشنيعة، قال تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [النساء: ٦٤]، و﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [ال عمران: ١٨١]، ولهذا قال ابن حزم: «وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [النساء: ٦٤]، وبقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [ال عمران: ١٨١] لما نطقنا ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكننا نحكيه منكرين كما نتلوه فيما نصه عز وجل لنا تحذيرًا من إفكهم»^(١).

ويقول ابن القيم بعد حكايته بعض مقالات المجوس: «ولولا أن الله سبحانه يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف من هذا وأبطل لاستحيا العاقل من حكاية مثل هذا، ولكن الله سبحانه سنَّ لنا حكاية أقوال أعدائه»^(٢).

ويقول الفخر الرازي: «الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين»^(٣).

كما جاءت السنة أيضًا بمثل ذلك^(٤): «ومن ذلك الحديث المشهور في افتراق أهل الأديان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أممي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٥).

وكان بعض صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد خص الشر وأهله بأسئلته، قال حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»^(٦)، قال الإسفرائيني: «وإنما كان يفعل له لتصح له مجانبته؛ لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه»^(٧)، وقد أخبره الرسول ﷺ بمعالم الفتن ومراحلها^(٨)، ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يقول: «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة»^(٩).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٠).

(٢) إغائة للهفان (٢/ ١٠٠٦).

(٣) تفسير الرازي (٢/ ٣٢٤).

(٤) ومن الكتب المصنفة في ذلك: اليهود في السنة المطهرة، عبد الله بن ناصر الشقاري.

(٥) أخرجه أبو داود (ج٦، ٤٥٩٦)، والترمذي (ج٢، ٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ج٨٣٩٦).

والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، والأجري في الشريعة (ص: ١٨).

(٦) جزء من حديث رواه البخاري (ج٣٦٠٦)، ومسلم (ج١٨٤٧).

(٧) التبصير في الدين، الإسفرائيني (ص: ١٤).

(٨) انظر ذلك في البخاري ومسلم من الموضوعين السابقين.

(٩) أخرجه مسلم (ج٢٨٩١).

فهذا توجيه سلفي لمعرفة الشر من المقالات والديانات والنحل والملل والأهواء؛ لثلا يقع فيها المسلم، وليزداد بصيرة بتمييز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر. وقد قيل:

عرفت الشر لا للشر
ومن لا يعرف الشرَّ
لكن لتوقيه
من الناس يقع فيه^(١)

ولا ريب أن بيان النَّحْلِ الباطلة والأهواء المضلة والمذاهب الفاسدة هو تبيين لسبيل المجرمين، وإذا اتبع في بيانه المنهج الشرعي فهو من تحقيق قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. قال القرطبي: «وإذا بان سبيل المجرمين، فقد بان سبيل المؤمنين»^(٢)، فبضدها تمييز الأشياء، وقد لا يعرف قدر الحق وعظمته، من لم يعرف حقيقة الباطل وفساده، ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»^(٣)، قال ابن القيم معلقاً على هذا الأثر: «وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوّبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان»^(٤).

وبهذه الأدلة يتبين مشروعية دراسة الملل والنحل، بل إن تعلمها وتعليمها واجب كفايي؛ لأن ذلك داخل في «تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم»^(٥).

وقد يكون فرض عين في حق من تعينت عليه معرفته بما دون غيره؛ ذلك أن ما يجب على

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (٣/ ٤٣١)، تحقيق: سامي الدهان.

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٤٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، (١٥/ ٥٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٩٨)، (٤/ ٥٩٠).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٥٢-٣٥١).

(٥) شرح الطحاوية (١/ ٨).

الأعيان يتنوع بتنوع قدراتهم وحاجاتهم وأحوالهم، وما أمر به أعيانهم^(١).

ثانياً: حكم الاطلاع على كتب أهل الأديان:

من القواعد العلمية المقررة لدى الباحثين لزوم الرجوع إلى المصادر الأصلية عند دراسة أي دين أو نخلة أو طائفة؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا هو مقتضى العدل الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الله: ١٨].

ومما يدل على مشروعية الاطلاع على مصادرهم لإقامة الحجة عليهم من هو أهل لذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ جِلا لِي نِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأمرنا أن نطلب منهم إحضار التوراة وتلاوتها إن كانوا صادقين في نقل ما يخالف ذلك»^(٢).

ومما يدل على ذلك أيضاً احتكام النبي ﷺ إلى التوراة عندما أنكر اليهود الرجم لإقامة الحجة عليهم من كتابهم، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، أن اليهود جاءوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم». فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتهم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بحما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرجما، قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة^(٣).

أما ما جاء في حديث جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني»^(٤).

وما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء

(١) انظر: شرح الطحاوية (٨/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١١١-١١٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٣٦٣٥)، ومسلم (ح ١٦٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٨/ ٢٢)، وقال محققوه: «إسناده ضعيف»، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٣/

وكتابكم الذي أنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحدث، تقرؤونه محضًا لم يُسَبِّ (١)، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم» (٢).

فالمراد به النهي عن سؤالهم لمعرفة شرعهم المخالف لشرعنا للعمل به، أو للتصديق بخبرهم الذي ورد في شرعنا ما يكذبه، ولهذا قال ابن بطال: «المعنى: لا تسألوهم عن شرعهم فيما لا نعرفه من شرعنا لنعمل به؛ لأن شرعنا مكتفٍ، وما لا نص فيه عندنا ففي النظر والاستدلال ما يقوم الشرع منه، وأما سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، وما جاء به نبينا -صلى الله عليه وسلم- من الأخبار عن الأمم السالفة فلم تُنَّ عنه» (٣).

أما من اطلع عليها ونظر فيها لبيان الحق لهم، وإقامة الحجة عليهم، والاستعانة بذلك على دعوتهم إلى الإسلام، والرد على شبهاتهم، وبيان تحريفاتهم ممن له الأهلية فلم ينة عنه. وهذا ما قرره أهل العلم في هذه المسألة، قال الحافظ ابن حجر: «والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويَصِرُ من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه» (٤).

وقال الإمام الهيثمي: «ويحرم على غير عالم متبحر مطالعة نحو توراة علم تبديلها، أو شك فيه» (٥).

وجاء في (مطالب أولي النهي): «(ولا يجوز نظرٌ في كتب أهل الكتاب نصًّا)؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- غضب حين رأى مع عمر صحيفة من التوراة. وقال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب ..» الحديث (ولا) النظر في (كتب أهل بدع، و) لا النظر في (كتب مشتملة على حق وباطل، ولا روايتها)؛ لما في ذلك من ضرر إفساد العقائد. (ويتجه جواز نظر) في كتب أهل البدع لمن كان متضلعا من الكتاب والسنة مع شدة تثبت،

(١) أي: لم يخلط بغيره، كما خلط أهل الكتاب التوراة والإنجيل بغيرها من كلام البشر.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٧٣٦٣).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٣٩١) بتصرف يسير.

(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٢٥-٥٢٦).

(٥) ثغفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ١٧٨).

وصلاية دين، وجودة فطنة، وقوة ذكاء، واقتدار على استخراج الأدلة، (لردِّ عليهم) وكشف أسرارهم، وهتك أستارهم؛ لتلا يغتر أهل الجهالة بتمويهاتهم الفاسدة، فتختل عقائدهم الجامدة، وقد فعله أئمة من خيار المسلمين، وألزموا أهلها بما لم يفصحوا عنه جوابًا، وكذلك نظروا في التوراة، واستخرجوا منها ذكر نبينا ﷺ من محلات، وهو متجه»^(١).

وجاء في فتاوى (اللجنة الدائمة): «الكتب السماوية السابقة وقع فيها كثير من التحريف والزيادة والنقص كما ذكر الله ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يقدم على قراءة تمام الاطلاع عليها إلا إذا كان من الراسخين في العلم، ويريد بيان ما ورد فيها من التحريفات والتضارب بينها»^(٢).

وقال الإمام ابن باز: «وقد يجوز للعالم البصير أن ينظر فيها للرد على خصوم الإسلام من اليهود والنصارى، كما دعا النبي ﷺ بالتوراة لما أنكر الرجم اليهود حتى اطلع عليها - عليه الصلاة والسلام-، واعترفوا بعد ذلك»^(٣).

وذكر شيخنا الإمام ابن عثيمين أن الأصل عدم جواز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن لتحريفها، وأن ما فيها من نفع يعني عنه ما جاء في القرآن، ثم قال: «أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل، فلا مانع من معرفته لها؛ لرد ما فيها من الباطل، وإقامة الحجة على معتنقيها»^(٤).

ومجمل القول: أنه لا يجوز النظر في كتب أهل الملل والنحل والبدع إلا لمن كان قادرًا على معرفة ضلالهم؛ للرد عليهم، وبيان الحق لهم.

(١) مطالب أولي النهى (١/٦٠٧-٦٠٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٤٣٣-٤٣٤).

(٣) فتاوى نور على الدرب، عناية الطيار (ص: ١١).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/٣٢-٣٣).

المبحث الثالث: أهمية دراسة الأديان

لأهميتها وجوه كثيرة، لعل من أبرزها ما يلي:

أولاً: السلامة مما وقعوا فيه. فقد أمرنا أن نسأل الله الهداية للصراط المستقيم والسلامة من طريق ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى^(١)، ويدخل في المغضوب عليهم والضالين من سلك مسلكهم وتشبه بهم من أهل البدع من هذه الأمة، فإن من فسد من عبادنا فقد شابه النصارى الضالين، ومن فسد من علمائنا فقد شابه اليهود المغضوب عليهم، كما ذكر ذلك طائفة من السلف^(٢)، ولذلك كان في الفاتحة الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل، والرد على أهل البدع والضلال^(٣).

ثانياً: دعوتهم إلى دين الإسلام. لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [ص: ١٧٤].

فمعرفة عقائد أهل الملل والنحل ليس مقصوداً لذاته، بل طريق لدعوة أتباعها إلى الحق، والدعوة إلى الله واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويمكن أن يستدل على ذلك بما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جثتهم

(١) ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم والناصري ضالون». [أخرجه الترمذي (ح/١١٣٥)، والطبري في الكبير (١٧/٩٨) وإسناده صحيح]، وانظر الروايات في ذلك في: تفسير الطبري (١/١٨٥)، وما بعدها، وانظر تحريج أحمد شاکر لها في الموضوع نفسه، والترمذي (ح/٢٩٥٤)، وأحمد في مسنده (٤/٣٧٨ - ٣٧٩)، قال ابن أبي حاتم: «لا أعلم فيه خلافاً للمفسرين». (روح المعاني ١/٩٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (ص: ٦٢٧-٦٢٨).

(٣) وقد بين وجه ذلك الإمام ابن القيم على سبيل الإجمال والتفصيل. انظر: مدارج السالكين (١/٨٥)، التفسير القيم، لابن القيم (ص: ٤٩).

فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»^(١)، فأخبره بدينهم ليسلك السبيل المناسب في دعوتهم، والتدرج الحكيم في بيان الحق لهم. واختصاص طائفة من علماء المسلمين بدراسة الملل والنحل أمر لازم لتوقف تحقيق ذلك الواجب الدعوي العظيم - وهو دعوتهم إلى الإسلام - على معرفتها، فكف نحن بحاجة إلى دعاة متخصصين في كل طائفة ينتشر مذهبها ويعم ضلالها؛ لتعريف باطلهم وإبلاغ الحق لهم بالوسائل المناسبة المشروعة، ولهذا ذكر البيروني أن من الأسباب الداعية له إلى تأليف كتابه عن أديان الهند أن «يكون نصرته لمن أراد مناقضتهم، وذخيرة لمن رام مخالطتهم»^(٢). فإن معرفة الملل سبيل لدعوة أهلها إلى الحق؛ لأن الحق إذا بُيّن بأدلتها الظاهرة فلن تخفى صحته على أحد، وإذا أزيل اللبس عن الباطل فلن يخفى بطلانه على أحد.

ثالثاً: معرفتهم وسيلة لاتقاء ضررهم، وذلك لأن من مبادئ طوائف منهم التعبد بأذى مخالفهم.

بل ذهب بعض الباحثين الأوربيين وهو وليم كار^(٣) إلى أن طائفة واحدة من هذه الطوائف وراء معظم الحروب والفتن التي تجري في حياة البشر، بل يبالغ في وصف عدوانهم على البشرية، فيجزم بأنهم وراء كل جريمة، ويحكم بذلك بعد دراسة استمرت تسعة وثلاثين سنة، بدأها سنة ١٩١١م، مستهدفاً من خلالها - كما يقول - «الوصول إلى كنه السر الخفي الذي يمنح الجنس البشري من أن يعيش بسلام وينعم راغداً بالخيرات الوثيرة التي منحها الله لنا»، ثم يقول: «ولم أستطع النفاذ إلى قلب هذا السر أخيراً حتى عام ١٩٥٠م، فعرفت أن الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا والفوضى التي تسيطر على عالمنا ليست جميعاً - دونما أي سبب آخر - سوى نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (ح٤٣٤٧)، ومسلم (ح١٩).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص: ١٥).

(٣) وهو باحث كندي وأستاذ جامعي اخص بالعلوم التوراتية وبالآثار القديمة، وقد قضى فترة بفسلطين ودرس بالجامعة العبرية في القدس، وزار مختلف مناطق الشرق الأوسط. وعمل في وزارة الإعلام والاستخبارات والمكتب الإعلامي الصهيوني، ويجيد اللغة العربية واللغة العبرية. انظر: <https://ar.wikipedia.org>

(٤) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاري كار (ص: ٧).

ويرى بعض الباحثين أن في هذا القول مبالغة، ويذهب إلى أن اليهود ليسوا وراء كل جريمة. بل هم يستغلون الأحداث ويوظفونها لصالحهم، ويبدو أن هذا الرأي من الأستاذ محمد ردة فعل لرأي وليم كار، وإلا فكيف ينفي دورهم في صنع بعض الأحداث والتاريخ والواقع يشهدان بذلك وكتاب الله سبحانه قبل ذلك كله يؤكد هذه الحقيقة وأنهم يوقدون أتون الحروب والفتن والمؤمرات، ولذلك أقول: إن اليهود قد ينشئون الأحداث ويستغلونها لتحقيق أهدافهم كما أنهم قد ينشئونها ولا ينجحون في تحقيق مآربهم منها ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [النساء: ٦٤]. كما أنهم قد

ويشهد لذلك ما جاء في توراتهم المحرفة: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما»^(١)، وما جاء في تلمودهم: «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر»^(٢)، لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانا لله»^(٣)، وسيأتي مزيد من الشواهد على ذلك في مبحث (اليهودية)، وقد أخرج الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

هذا وثمة آفاق كبرى وثمرات أخرى لدراسة الملل والنحل من معرفة قدر نعمة الإسلام، وإدراك عظمة هذا الدين ومحاسنه؛ إذ بضدها تتميز الأشياء، إلى الرد على شبهاتهم، والجواب الصحيح على تبديلهم^(٤)، وإظهار الحق لهم^(٥)، وإفحامهم^(٦)، وإقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

يستفيدون من أحداث صنعها آخرون. ويشهد لذلك كله مبادئ تلمودهم وبروتوكولات شياطينهم، والتاريخ والواقع.

(١) سفر التثنية (٢٠: ١٦).

(٢) والكافر في اصطلاح التلمود هو غير اليهودي.

(٣) الكنز المرصود (ص: ٢٠٥).

(٤) إشارة إلى كتاب: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية.

(٥) إشارة إلى كتاب: إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

(٦) إشارة إلى كتاب: إفحام اليهود للسؤال، الذي كان يهوديًا فأسلم.

المبحث الرابع:

الأصل في البشرية التوحيد

خلق الله الناس حنفاء موحدين، مخلصين له الدين، قال تعالى: ﴿فَأَوْمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال الحافظ ابن كثير: «كانوا على ملة آدم -عليه السلام- حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا -عليه السلام-، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»^(١).

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال فيما يرويه عن ربه تعالى: «... إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»^(٣)، وفي رواية: «يولد على الفطرة»^(٤)، وفي رواية: «على هذه الملة»^(٥).

فكان الناس منذ خلق الله آدم أباً البشر إلى زمن نوح -عليهما السلام- على ملة التوحيد، فكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام^(٦)، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، مكلم»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»^(٧).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح ١٣٨٥)، ومسلم (ح ٢٦٥٨).

(٤) أخرجه مسلم في اللوغة السابق.

(٥) أخرجه مسلم في اللوغة السابق.

(٦) انظر: تفسير قوله سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، في كتب التفسير، وانظر أيضاً: منهاج السنة، لابن

تيمية (٥/ ٢٥٧).

(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ح ٦١٩٠) بإسناد صحيح.

يدعون إلى التوحيد، ويحذرون من الشرك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [احمل: ٣٦].

ثانياً: أصل الشرك في العالم:

أصل الشرك في العالم - كما يقول ابن تيمية - كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم^(١)، فبعث الله إليهم أول رسوله نوحاً - عليه السلام -، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ثم كان الشرك في زمن إبراهيم - عليه السلام - بعبادة الكواكب، فبعث الله إليهم نبيه إبراهيم، وبين لهم أن تلك الكواكب لا تستحق أن تعبد؛ لأنها مربوبة مخلوقة مدبرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُونًا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

ومن هنا يتبين أن المشركين «الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم، وقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر»^(٢).

ثالثاً: تاريخ الشرك في حياة البشرية:

ولقد رصد شيخ الإسلام ابن تيمية تاريخ الشرك في حياة البشرية، فقال: «الناس كانوا بعد آدم - عليه السلام - وقبل نوح - عليه السلام - على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٦٠).

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص: ٢٢).

أبوهم آدم أبو البشر - عليه السلام - حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم، لم ينزل الله بها كتاباً، ولا أرسل بها رسولاً؛ بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة، والفلسفة الحائدة ... فابتعث الله نبيه نوحاً - عليه السلام - يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه، وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا عليهم، فأغرق الله تعالى أهل الأرض بدعوته، وجاءت الرسل بعده تترى إلى أن عم الأرض دين الصابئة والمشركين، لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقاً وغرباً، فبعث الله تعالى إمام الخفاء وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية إبراهيم خليل الرحمن، فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص، ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام، وقال: ﴿وَجَهَّتْ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩)، وقال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَيِّنُ لِي لَمَّا بَخِسْتِنِي بِمَتْنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (النمر: ٧٥ - ٨٢)، وقال إبراهيم - عليه السلام - ومن معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ (النسحة: ١)، فجعل الله الأنبياء والمرسلين من أهل بيته، وجعل لكل منهم خصائص، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وآتى كلا منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر»^(١).

ثم إن الله تعالى بعث خاتم النبيين وسيد المرسلين إلى الناس أجمعين، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فهدم الشرك ورفع راية التوحيد، حتى أحدث الرافضة الشرك في هذه الأمة وتبعهم على ذلك غلاة الصوفية القبورية، لكن الله عصم هذه الأمة من الضلال الشامل العام، فلا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بأمر الله حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠٣-٦٠٥).

رابعاً: نظرية التطور:

أصل هذه النظرية ما كتبه داروين في كتابه (أصل الأنواع)^(١)، الذي نشر في سنة (١٨٥٩م)، وذهب فيه إلى «أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة، وحسب قانون (الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب) نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي في حين هلكت الأنواع التي لم يحالفها الحظ في ذلك، وعلّة ذلك أن الطبيعة -حسب تعبير داروين- وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة، وقد أدّى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية، كالقردة، ونوع أرقى وهو الإنسان، أما البعض الآخر؛ فقد حرّمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط، والطبيعة إذ تهب هذا وتحرم ذاك لا تنتهج خطة مرسومة، بل تحبب خبط عشواء -على حد قوله- كما أن خط التطور ذاته متعرج ومضطرب، لا يسير على قاعدة منطقية مطردة، ذلك بإيجاز شديد هو لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب، وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنّها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة»^(٢).

يقول داروين في تلخيص نظريته: «ليس لدي أي شك -بعد قيامي بكل ما في استطاعتي من دراسة متأنية واجتهاد هادئ ونزيه- في أن وجهة النظر التي دأب معظم علماء التاريخ الطبيعي على اتباعها إلى وقت قريب، والتي سبق لي اتباعها في الماضي ألا وهي: أن كل نوع حي قد تم خلقه بشكل مستقل، ما هي إلا وجهة نظر خاطئة، وأنا مقتنع تماماً بأن الأنواع الحية ليست ثابتة، وليست قابلة للتغيير، ولكن هذه الأنواع التابعة لما يسمى بنفس الطبقات ما هي إلا سلائل منحدرّة مباشرة من بعض الأنواع الحية الأخرى المندثرة تماماً، وب نفس الصورة التي نجد فيها أن الضروب المعروفة التابعة لأي نوع معين ما هي إلا سلائل لهذا النوع»^(٣).

وقد قام داروين بتطبيق هذه النظرية على الإنسان في كتابه الآخر (نشأة الإنسان)، وتوصل

(١) ورغم أن هذه النظرية انتشرت واشتهرت على يد داروين ونسبت إليه، إلا أنه لم يكن أول من قال بها، فقد سبقه إليها عدد من الباحثين الغربيين من أشهرهم: لارماك في كتابه (فلسفة الحيوان) الذي نشر سنة ١٨٠٩م. انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان العميري (١/ ٥١٥).

(٢) العلمانية وموقف الإسلام منها (ص: ١٧٨-١٧٩).

(٣) أصل الأنواع، تشارلز داروين (ص: ٦٠)، ترجمة: مجدي عمود المليجي.

من خلال نظريته في (أصل الأنواع) إلى أن الإنسان وغيره من الحيوانات وخاصة القروء تشترك في جنس حيواني واحد^(١).

خامساً: نقد فرضية التطور:

هذه الفرضية باطلة شرعاً لمخالفتها لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها، فالقرآن بين أن أصل الإنسان مخلوق من تراب، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ (١٤) فَرَأَى نُفُوسًا كَالْفُجَارِ تَلْعَلَعَةً فَنَخَعَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَلَاقَةً فَنُطْقًا فَعَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٥) ﴿ انيسون: ١٢ - ١٤، وجميع الحيوانات الأخرى مخلوقات مستقلة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّثَلُكُمْ﴾ (النمل: ٢٨)، فالقردة أمة من الأمم، والكلاب أمة من الأمم، والخنازير أمة من الأمم، والققط أمة من الأمم، وهكذا الأسود والنمور والفهود وغيرها^(٢).

كما أن هذه الفرضية باطلة في كل الديانات والشرائع السماوية، ولذا قامت الكنيسة بحملة عنيفة ضدها؛ لأنها تعارض ما جاء في سفر التكوين من كتابهم المقدس في قصة خلق آدم، وقاد هذه الحملة أسقف ولبرفورس فأعلن أن دارون قد أجرم بنزوعه إلى تحديد مجد الله في فعل الخلق وأن مبدأ الانتخاب الطبيعي يتعارض مع كلمة الله كل التعارض؛ لأنه يناقض العلاقة بين الخليفة وخالقها كما قررها الوحي، وألقى الكردينال ماننج خطاباً أمام أعضاء الأكاديمية التي نشأت لمحاربة ما يسمونه (العلم)، فأعلن مقته للمذهب الجديد في الطبيعة ووصفه بأنه فلسفة وحشية تقرر عدم وجود إله، وتصرح بأن القرد أبونا آدم، وسار في هذا الركب معهد بروستانتني كان قد نشأ لمحاربة العلوم الضارة، فأعلن نائب رئيسه أن مذهب دارون محاولة يراد بها إنزال الله عن عرشه، وصرح ناقد آخر بأن هذا المذهب يوعز إلى الناس أن الله قد مات، وقال أحد رجال اللاهوت: إذا صح مذهب دارون كذب سفر التكوين وتحطم كيان الحياة، وكان وحي الله إلى الإنسان هدياناً^(٣).

وقد صارت فرضية التطور من أهم الشبه التي يستند إليها الملاحدة لتفسير تنوع الكائنات

(١) انظر: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، داروين (١/ ٨٣)، ترجمة: مجدي المليجي.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٢٧٤).

(٣) انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل (ص: ٢٣٩) وما بعدها.

الحياة دون الحاجة إلى وجود إله خالق^(١).

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة بطلان هذه الفرضية، وأنها لا تستند إلى دليل علمي يمكن الوثوق به والاعتماد عليه، ومن أهم الحجج على بطلان خرافة التطور ما يلي:

- ١- في الوقت الذي نشر فيه داروين هذه الفرضية كان العلم لا يزال في بداياته، فلم يكن هناك حواسيب ولا مختبرات ولا مجاهر، بل إن فروع العلم التي هي قوام علوم الطب والأحياء اليوم لم تكن قد ظهرت، كعلم الأجنة والوراثة والكيمياء الحيوية، وكان اعتماد دارون على مجرد ملاحظات ومشاهدات أثبت العلم الحديث بطلانها وزيفها^(٢).
- ٢- انعجز عن إثباتها، فالتطور المدعى وانتقال الأنواع الحيوانية من طور إلى طور أمر لا يمكن ملاحظته ولا تجربته في المختبرات، ولا يمكن لأتباع هذه الفرضية تقديم نموذج واحد من النماذج التي خضعت لهذا التطور المدعى.
- ٣- وجود فجوات وثغرات كثيرة لم يستطع أتباع هذه الفرضية التخلص منها وحلها، وقد أقر داروين نفسه بهذه الحقيقة^(٣)، ومن هذه الصعوبات الأعضاء التي في منتهى الكمال والتعقيد، فمن المستحيل أن تكون هذه العين مثلاً بكل ما فيها من أجهزة دقيقة وفذة قد تكونت عن طريق الانتقاء الطبيعي، وهو أمر - كما يعترف داروين - منافي للعقل إلى أعلى درجة.
- ٤- الشواهد الواقعية الحية تدل دلالة ظاهرة بأنها نتيجة خلق محكم ومتقن، وليس نتيجة صدفة وعشوائية، وقد أقر العديد من منظري التطور في السنين الأربعين الأخيرة بوجود صعوبات أصيلة تواجه التفسير الدارويني لظواهر التصميم الكوني^(٤).

يقول سير آرثر كيت: «إن نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا أمر غير وارد على الإطلاق»، ويقول واتسون البروفيسور في جامعة لندن: «إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقي ولكن لأن

(١) انظر: رحلة عقل، د. عمرو شريف (ص: ٦٦).

(٢) مقدمة كتاب خرافة التطور، روبرت جيمس (ص: ٥)، ترجمة: فداء ياسر الجندي.

(٣) انظر: أصل الأنواع (ص: ٢٧٦).

(٤) انظر تفصيل ذلك في: ظاهرة نقد الدين (١/ ٥٢٤) وما بعدها.

فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور»، ويقول البروفيسور بيتسون: «إننا بالرغم من إيماننا بالنشوء فإننا لا نعلم كيف حدث»^(١).

ومن آخر ما صدر من الدراسات العلمية في نقد فرضية التطور ما كتبه الباحث البريطاني روبرت جيمس بعنوان (خرافة التطور)، وقال فيه: «ما يجله الكثيرون عن كتاب دارون هذا، أن ما يحتويه هو مجرد نظرية وضعها من خلال مشاهداته، وضمَّنها هو نفسه عددًا كبيرًا من الشكوك في كثير من مواضعها، حتى إن الكاتب كريستوفر بوكر كتب في صحيفة (لندن تايمز) عن نظرية دارون: (إنها نظرية سهلة الفهم وتجذب دارسها بسهولة، غير أن عيبها الكبير هو أنها مليئة بثغرات كبيرة وكثيرة، وهذا أمر لم يكن خافيًا على دارون نفسه)»^(٢).

(١) انظر هذه النصوص وغيرها في: ظاهرة نقد الدين (١/ ٥٢٧) وما بعدها.

(٢) خرافة التطور. روبرت جيمس (ص: ١٣). ترجمة: فداء ياسر الجندي.

المبحث الخامس :

تاريخ التأليف في علم الأديان

أولاً : سبق علماء المسلمين في التدوين فيه وإفراده علماً مستقلاً :

كان للمسلمين فضل السبق في التصنيف في علم الأديان، فأفردوه علماً مستقلاً، وكان قبل ذلك مختلطاً بغيره، يقول د. محمد دراز: «إن الحديث عن الأديان بعد أن كان في العصور السابقة إما مغموراً في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة وإما مدفوعاً في تيار البحوث النفسية أو الفلسفية أو الجدلية، أو على الأقل محدوداً بحدود العقائد الموضوعية وما يشارفها، أصبح في كتب العرب دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم، فكان لهم بذلك فضل السبق في تدوينه علماً مستقلاً قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشرة قرون»^(١).

ويرى بعضهم أن من الأسباب التي دفعت علماء المسلمين إلى إفراد علم الأديان بالتصنيف مبدأ التسامح والتعايش الذي دعا إليه الإسلام مع الديانات الأخرى، وهو أمر لم يكن معهوداً في القرون الوسطى، يقول آدم متز: «كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح التي ينادي بها المصلحون المحدثون، ولكن الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق أوجدت من أول الأمر نوعاً من التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي: دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم»^(٢). وهذا وإن كان من الأسباب فلا ريب أن هناك أسباباً أخرى^(٣).

ثانياً : أول من ألف في علم الأديان :

ذهب بعض الباحثين إلى أن كتاب (الآراء والديانات) للنوختي المتوفى سنة (٣١٠هـ) هو أول كتاب دون في علم الأديان والملل^(٤). لكن تذكر المصادر العربية - كما ينقل الأستاذ الأعظمي - أن البداية قبل هذه الفترة بزمن

(١) الدين (ص: ٢١).

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (١ / ٥٥).

(٣) وقد سبق الإشارة إلى ذلك في البحث الثالث.

(٤) انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع. آدم متز (١ / ٣٤٤)، اليهودية، أحمد شلي (ص: ٢٧).

طويل، قال ابن النديم: «حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم»، ويذكر ابن النديم أن هذا الكتاب فيه ملل الهند وأديانها، وذكر أحوال المعابد وأسماء الأصنام وطريقة عبادة الهندوس لآلهتهم^(١).

ويحيى بن خالد البرمكي توفي سنة (١٩٠هـ)، وهذا يعني أن البداية المبكرة للعناية بهذا العلم ودراسته كانت في أواخر القرن الثاني.

كما ذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام مولى الخليفة هارون الرشيد المتوفى سنة (١٩٣هـ) ترجم التوراة والإنجيل^(٢).

ومن أهم المؤلفات في هذا الفن:

- ١- الرد على النصارى، للجاحظ (ت ٢٥٥هـ).
- ٢- الأوسط في المقالات، للناسخ الأكبر (ت ٢٩٣هـ).
- ٣- الآراء والديانات، للتونخي (ت ٣١٠هـ)^(٣).
- ٤- جمل المقالات والفصول، لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)^(٤).
- ٥- المقالات في أصول الديانات، للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)^(٥).
- ٦- الإعلام بمناقب الإسلام، لأبي الحسن العامري (ت ٣٨١هـ).
- ٧- درك البغية في وصف الأديان والعبادات، لمحمد بن عبد الله المسبحي الرافضي (ت ٤٢٠هـ)^(٦).
- ٨- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ).
- ٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ).
- ١٠- رسالة في الرد على راهب فرنسا، لأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ).

(١) انظر: الفهرست (ص: ٤٢١).

(٢) انظر: الفهرست (ص: ٣٧).

(٣) انظر: الفهرست، لابن النديم (ص: ٢٢٠)، وذكر أنه لم يتمه، وقد رآه ووقف عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول: «وكنت قد علفت الكلام على أهل المنطق في مجلس واحد بسرعة لسبب اقتضى ذلك، ثم بعد مدة نظرت في كتاب (الآراء والديانات) لأبي محمد الحسن بن موسى التونخي، فرأيت أنه قد ذكر نحو هذا المعنى عن تقدم من متكلمي المسلمين، فإنه ذكر كلام أرسطو مختصراً» (الرد على المنطقيين ص: ٣٣١).

(٤) انظر: تبين كذب المفتري، لابن عساكر (ص: ١٣١).

(٥) انظر: مروج الذهب (١/ ١٩).

(٦) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٥٢).

- ١١- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ).
- ١٢- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ).
- ١٣- الملل والنحل، للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ).
- ١٤- بذل المجهود في إفحام اليهود، وغاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، للسموأل بن يحيى المغربي (ت ٥٧٠هـ تقريباً).
- ١٥- مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان، لأحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت ٥٨٢هـ).
- ١٦- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، لأحد علماء النصارى المهتدين، قيل اسمه: نصر بن عيسى المتطبب (ت ٥٨٩هـ).
- ١٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ت ٦٠٦هـ).
- ١٨- تحجيل من حرف الإنجيل، لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري (ت بعد ٦٣٢هـ).
- ١٩- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل السكسكي (ت ٦٨٣هـ).
- ٢٠- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للقراقي (ت ٦٨٤هـ).
- ٢١- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للطوفي (ت ٧١٦هـ).
- ٢٢- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي، ألفه سنة (٧٢٦هـ)، وقد اختلف في تحديد اسمه^(١).
- ٢٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
- ٢٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (ت ٧٥١هـ).
- ٢٥- الحسام الممدود في الرد على اليهود، لأبي محمد عبد الحق المغربي السبتي، المتوفى في القرن الثامن الهجري.
- ٢٦- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان، كان قسيساً وأسلم (ت بعد ٨٢٣هـ).

ومن الدراسات المعاصرة:

- ١- إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (ت ١٣٠٨هـ).

(١) انظر: علم الملل ومناهج العلماء، فيه (ص: ١٨٤، هامش: ٣).

- ٢- الفارق بين المخلوق والخالق، لعبد الرحمن بن سليم، المعروف بابن الباجه جي زاده (ت. ١٣٣٠هـ).
- ٣- محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة (ت. ١٣٩٤هـ).
- ٤- الديانات القديمة، للشيخ محمد أبو زهرة.
- ٥- الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (ت. ١٤١١هـ).
- ٦- اليهودية، النصرانية، أديان الهند الكبرى، د. أحمد شليبي (ت. ١٤٢١هـ).
- ٧- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
- ٨- تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن.
- ٩- الإسلام والأديان دراسة مقارنة، د. مصطفى حلمي.
- ١٠- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، د. محمد الشرقاوي.

المبحث السادس:

مناهج دراسة الأديان عند علماء المسلمين

تنوعت مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، من المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على وصف عقائد الأديان وتاريخها، والمنهج التحليلي المقارن الذي يوازن بين ديانة وأخرى مظهرًا فضل الإسلام على غيره من الأديان، والمنهج الجدلي النقدي الذي يبين ما فيها من انحراف عن الحق وتحريف للوحي.

وقد يقتصر بعض العلماء في دراسة الأديان على أحد هذه المناهج الثلاثة، وقد يجمع بعضهم بين أكثر من منهج، وفيما يلي بيان شواهد استعمال علماء المسلمين لهذه المناهج الثلاثة.

أولاً: المنهج التاريخي الوصفي:

اعتمد علماء المسلمين في دراساتهم للأديان على عرض عقائدها من مصادرهم المعتمدة لديهم، وذلك امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٨]، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

يقول د. دراز: «إنهم [بعض علماء المسلمين] في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على العوائد والخزعبلات الشائعة في الطبقات الجاهلة، والتي قد تنحرف قليلاً أو كثيراً عن حقيقة أديانها، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقون من منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطوه علماً مستقلاً وضعوا له منهجاً علمياً سليماً»^(١).

ومن شواهد ذلك الدقة في ترجمة الكتب المقدسة لدى أهل الأديان، ومراعاة الأمانة بلا زيادة أو نقصان، ينقل لنا ابن النديم عن أحمد بن عبد الله بن سلام الذي ترجم بعض الكتب المقدسة لدى الأديان الأخرى في عهد هارون الرشيد، قوله: «ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصائية، وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفاً حرفاً، ولم أتبع في ذلك تحسين لفظ ولا تزيين مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص، إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب، فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية

(١) الدين (ص: ٢١-٢٢).

إلا أن يؤخر، ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم إلا أن يقدم ليستقيم ذلك بالعربية، وهو مثل قول من يقول: (آمايم تان)، ترجمته بالعربية: (ماء هات)، فأخرت الماء وقدمت هات، وكذلك اللغات فيما يستقيم إذا نقل إلى العربية، وأعوذ بالله أن أزيد في ذلك أو أنقص منه، إلا على هذا الوجه الذي ذكرته وبينته في هذا الكتاب»^(١).

ويصف ابن حزم منهجه في النقل من مصادر أهل الأديان وكيف أنه يتجاوز نقل النصوص المحتملة وإن كان الاحتمال بعيداً، وكذا يترك النصوص التي لا يفهم معناها؛ لئلا يقال: لها معنى لا يفهمه إلا الله، وأنه لا يذكر عند الاحتجاج عليهم سوى نصوصهم الصريحة، فيقول في بيان ذلك: «وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخرَج على وجهٍ ما وإن دقَّ وبُعد، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له، وكذلك أيضاً لم نُخرج منه كلاماً لا يفهم معناه، وإن كان ذلك موجوداً فيها؛ لأن للقائل أن يقول: قد أصاب الله به ما أراد، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً إلا الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً، لا محتملاً ولا خفياً»^(٢).

ويتحدث أبو الريحان البيروني عن منهجه في توثيق مقالات وديانات أهل الهند والصعوبات التي واجهته في ذلك قائلاً: «يجب أن نتصور أمام مقصودنا الأحوال التي لها يتعذر استشفاف أمور الهند، فإما أن يسهل بمعرفتها الأمر، وإما أن يتمهد له العذر، وهو أن القطيعة تخفي ما تبديه الوصلة، ولها فيما بيننا أسباب، منها: أن القوم يباينونا بجميع ما يشترك فيه الأمم، وأولها اللغة وإن تباينت الأمم بمثلها، ومتى رامها أحد لإزالة المباينة لم يسهل ذلك؛ لأنها في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية يتسمى الشيء الواحد فيها بعدة أسماء مقتضبة ومشتقة، وبوقوع الاسم الواحد على عدة مسميات محوجة في المقاصد إلى زيادة صفات؛ إذ لا يفرق بينها إلا ذو فطنة لموضع الكلام وقياس المعنى إلى الوراثة والأمم، ويفتخرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقة عيب في اللغة؛ ثم هي منقسمة إلى مبتدل لا ينتفع به إلا السوقة، وإلى مصون فصيح يتعلق بالتصارييف والاشتقاق ودقائق النحو والبلاغة لا يرجع إليه غير الفضلاء المهرة، ثم هي مركبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربية والفارسية ولا تشابهها، بل لا تكاد ألسنتنا وهواتنا تنقاد لإخراجها على حقيقة مخارجها، ولا أذاننا تسمع بتمييزها من نظائرها وأشباهها، ولا أيدينا في الكتابة لحكايتها، فيتعذر بذلك إثبات شيء من لغتهم بخطنا لما نضطر إليه من الاحتيال لضبطها بتغيير النقط

(١) الفهرست (ص: ٣٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩٤).

والعلامات وتقييدها بإعراب إما مشهور وإما معمول؛ هذا مع عدم اهتمام الناسخين لها وقلة أكثراتهم بالتصحيح والمعارضة حتى يضيع الاجتهاد ويفسد الكتاب في نقل له أو نقلين، ويصير ما فيه لغة جديدة لا يهتدي لها داخل أو خارج من كلتي الأمتين، ويكفيك معرفاً أنا ربما تلقفنا من أفواههم اسماً واجتهدنا في التوثقة منه، فإذا أعدناه عليهم لم يكادوا يعرفونه إلا بجهد»^(١)، ثم يقول: «ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفردت به في أيامي، وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظان، واستحضر من يهتدي لها من المكامن»^(٢).

ويذكر الشهرستاني رجوعه لمصادر مقالات الديانات قبل تصنيفه لكتابه، فيقول: «فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدنّ به المتدينون، وانتحله المنتحلون؛ عبرة لمن استبصر، واستبصاراً لمن اعتبر»^(٣).

ثم يذكر منهجه فيه بقوله: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل»^(٤).

ويقول أيضاً: «نقل مأخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة، على موجب اصطلاحاتها بعد الوقوف على مناهجها، والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها»^(٥).

ويقول في نهاية الكتاب: «هذا ما وجدته من مقالات أهل العالم، ونقلته على ما وجدته، فمن صادف فيه خللاً في النقل فأصلحه، أصلح الله عز وجل بفضله حاله، وسدد أقواله وأفعاله، وهو حسبنا ونعم الوكيل»^(٦).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يتتبع نسخ الزبور ويثبت بكل أمانة الفروق بين نسخه، فيقول: «وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوذة محمد -صلى الله عليه وسلم- باسمه،

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص: ١٧-١٨).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص: ٢١).

(٣) الملل والنحل (١/ ١١).

(٤) الملل والنحل (١/ ١٦).

(٥) الملل والنحل (١/ ٣٧).

(٦) الملل والنحل (٣/ ١١٠).

ورأيت نسخة أخرى بالزبور، فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ليس في أخرى»^(١). ويقول أيضاً: «وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم [بمعنى نصارى] مختلفاً، وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها، والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه»^(٢).

ويذكر الشيخ محمد أبو زهرة كيف أنه في دراسته للنصرانية وضع نفسه بمنزلة القاضي العادل الذي يسير في أحكامه وفق البيانات التي وجدها في مصادر النصارى لا في مصادر خصومهم. فيقول: «لقد كتبنا تلك المحاضرات بروح المحقق الذي يجمع الحقائق، ويعرضها، وقد تماسك بعضها ببعض، ليتكون من ذلك مجموعة علمية تهدي ولا تضل، وما كنا نجهد التاريخ لنسيره، ولكننا خضعنا له، وهو الذي كان يسيرنا، وكنا في ذلك كالقاضي العادل خضع للبيانات التي تكون بين يديه، وهي التي تحكم في الحكم الذي نسجله، لا نغير ولا نبدل، ولا ننحرف بها عن النتائج التي تؤدي إليها مقدماتنا، فسير حيث يسير بنا الدليل من غير انحراف ولا تحريف. وما كانت البيانات التي بين أيدينا من مصادر إسلامية، أو من أعداء المسيحية، بل كانت من كتاب المسيحيين أنفسهم التي سجلوها في تاريخها، كتبها المتقدمون، ورددها المتأخرون، فهي شهادات من أهلها استنطقناها، فنطقت، واستهدينها، فهدت، واسترشدنا بما فأرشدت، وما ضنت»^(٣).

ويبين الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) المنهج الذي اعتمده في التوثيق، وبينه القارئ كيف أنهم يغيرون في طبعات كتبهم بالزيادة والنقصان والتبديل والتقديم والتأخير، فيقول: «الأول: أي إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع فهو منقول عن كتب علماء (البروتستنت) بطريق الإلزام والجدل، فإن رآه الناظر مخالفاً لمذهب أهل الإسلام، فلا يقع في الشك، وإذا نقلت عن الكتب الإسلامية أشرت إليه غالباً إلا أن يكون مشهوراً.

الثاني: أن النقل غالباً في هذا الكتاب من كتب فرقة البروتستنت سواء كانت تراجم أو تفاسير أو تواريخ، لأن هذه الفرقة هي المتسلطة على مملكة الهند، ومن علمائها وقعت المناظرة والمباحثة، ووصلت إلي كتبها، وقليلاً ما يكون عن كتب فرقة الكاثوليك أيضاً.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٥٠-٥١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٧٧).

(٣) محاضرات في النصرانية (ص: ٣-٤).

الثالث: أن التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعي لفرقة البروتستنت، ولذلك ترى أنه إذا طبع كتاب من كتبهم مرة أخرى يقع غالبًا فيه تغيير كثير بالنسبة إلى المرة الأولى، إما بتبديل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها، أو تقديم المباحث وتأخيرها، فإذا قوبل المنقول عن كتبهم بالكتب المنقول عنها، فإن كانت تلك الكتب مطبوعة من جنس الكتب التي نقل عنها الناقل، فيخرج النقل مطابقًا، وإلا فخرج غير مطابق غالبًا، فمن لم يكن واقفًا على عاداتهم يظن أن الناقل أخطأ، والحال أنه مصيب، وحصل هذا الأمر من عادات هؤلاء القسيسين، ووقعت أنا أيضًا في المغالطة مرتين قبل العلم بعادتهم، فلا بد أن يكون الناظر في هذا الأمر على تنبه تام؛ لئلا يقع في الغلط أو يوقعه أحد فيه، ولئلا يتهم الناقل»، ثم ذكر مصادرهم التي اعتمد عليها في نقل عقائدهم^(١).

ومجمل القول: إن علماء الملل والنحل من المسلمين تحروا العدل في الحكم، والأمانة في النقل، والتزموا الرجوع إلى مصادر الديانات ليصفوا لنا ما وجدوه بكل أمانة وعدل وإنصاف.

ثانياً: المنهج التحليلي المقارن:

يقول أبو الريحان البيروني في وصف منهجه في حكاية مقالات أهل الهند واليونان: «وليس الكتابُ كتابٌ ججاجٍ وجدلٍ حتى أستعمل فيه بإيراد حجج الخصوم، ومناقضة الزائغ منهم عن الحق، وإنما هو كتاب حكاية، فأورد كلام الهند على وجهه، وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم، فإن فلاسفتهم وإن تحروا التحقيق، فإنهم لم يخرجوا فيما اتصل بعوامهم عن رموز نخلتهم وموضعات ناموسهم، ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم، إلا أن يكون للصوفية، أو لأحد أصناف النصارى لتقارب الأمر بين جميعهم في الحلول والاتحاد»^(٢).

ويبين أبو الحسن العامري منهجه في الدراسة المقارنة بين الديانات، فيقول: «وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن ركن مما يترتب تحت الملة الحنيفية بنظيره من المرتب تحت الأديان الأخر يجب أن نقدم مقدمة فنقول: إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ، وصورة الصواب معلقة بشيئين:

أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا، فيقابله بفرع من فروع ذلك.

(١) إظهار الحق (١/٩-١٠).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص: ١٥-١٦).

والآخر: ألا يعتمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق، غير مستفيضة في كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها.

ومتى حافظ العقل في المقابلة بين الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المآخذ في توفية حظوظ المتقابلات، وكان ملازماً للصواب في أمره^(١)، فتأمل دقة منهجه وأمانته في المقارنة بين الديانات، فتراه لا يقارن أصلاً بفرع، ولا يعمم صفة انفردت بها فرقة على جميع فرقهم، ولا يعتمد إلى مقارنة أشرف ما في هذا ويقيسه بأرذل ما في صاحبه.

وقد ذكر المحقق أن موضوع الكتاب هو المقارنة بين الأديان الستة (الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والصابئة، والمجوس، والشرك)، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [نجم: ١٧]، فقارن بين العقائد والعبادات في كل دين من هذه الأديان بهدف إظهار فضل الإسلام عليها^(٢).

ثالثاً: المنهج الجدلي النقدي:

من أبرز العلماء الذين استعملوا المنهج النقدي في دراسة الأديان الإمام ابن حزم، الذي تجاوز منهج الوصف والتحليل إلى مستوى أعمق، وهو مستوى النقد التحليلي، حتى إنه كان أسبق من الكثير من علماء الأديان ورجالات النقد التاريخي إلى دراسة التوراة والإنجيل بروح العالم المتعمق والمؤرخ الفاحص المدقق^(٣)، يقول المستشرق مرجليوث: «إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة في العهد القديم أدت به إلى السبق في إيراد بعض الاعتراضات التي أدلى بها النقاد الحديثون»^(٤)، يقول ابن حزم في بيان اعتماده على البراهين الظاهرة المؤدية إلى النتائج اليقينية: «جمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية، أو الراجعة إلى الحس من قُرْبٍ أو من بُعْدٍ، على حسب قيام البراهين التي لا تحون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له، وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط؛ إذ ليس الحق إلا ذلك، وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد، راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل، وهو تعالى ولي من تولاها، ومعطي من استعطاها،

(١) الإعلام بمناب الإسلام (ص: ١٢٥).

(٢) انظر: مقدمة المحقق لكتاب الإعلام بمناب أهل الإسلام (ص: ٢٢) وما بعدها.

(٣) انظر: ابن حزم الأندلسي، د. زكريا إبراهيم (ص: ١٥٣).

(٤) مقدمة الفصل، د. عبد الرحمن عميرة (١/ ٢٢).

لا إله إلا هو، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(١)، وسيأتي نماذج من نقده عند الحديث عن مصادر اليهودية والنصرانية.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء حديثه عن سبب تأليفه كتاب (الجواب الصحيح) منهجه في ذلك، فيقول: «وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم، قديماً، وحديثاً من الحجج السمعية، والعقلية، فافتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان، والكتاب، وأنا أذكر ما ذكره بالفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقدًا وحلاً، وما ذكره في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماءهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال»^(٢)، فتأمل كيف أنه التزم ذكر ألفاظهم، ولم ينقل عنهم بالمعنى، بل ذكرها حرفاً حرفاً وفصلاً فصلاً، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٩).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٩٨-٩٩).

المبحث السابع:

منهج العلماء في تقسيم الأديان

أولاً: اختلاف العلماء في حصر الأديان:

في هذه المسألة قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنها غير محصورة، بل هي ملل مختلفة.

قال ابن قدامة: «لم يسمع عن أحمد تصريح بذكر أقسام الملل، بل يحتمل كلام الإمام أن الكفر ملل كثيرة لا حصر لها، فتكون المجوسية ملة، وعبادة الأوثان ملة، وعباد الشمس ملة، فلا يرث بعضهم بعضاً، روي ذلك عن علي، وبه قال الزهري، وربيعة، وبعض فقهاء المدينة، وأهل البصرة وإسحاق»، قال ابن قدامة: «وهو أصح الأقوال إن شاء الله تعالى، لقول النبي ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»^(١)؛ لأن كل فريقين منهم لا موالاة بينهم ولا اتفاق في دين فلم يرث بعضهم بعضاً كالمسلمين والكفار، ولأنه روى عن علي ولم يعرف له مخالف من الصحابة فيكون إجماعاً^(٢).

القول الثاني: أن ملل الكفر محصورة بثلاثة أقسام.

١ - اليهودية.

٢ - النصرانية.

٣ - دين من عداهم؛ لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم.

وهذا قول شريح وعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والحكم والثوري، والليث، وشريك، ومغيرة الضبي، وابن أبي ليلى، وغيرهم.

هذا، والمسألة مبسطة في كتب الفقه، وتبين ثمرة الخلاف في مسألة التوارث، فإذا اعتبر من عدا اليهود والنصارى من الكفرة ملة واحدة فيرث بعضهم بعضاً، وإذا اعتبروا مللاً، عباد البقر ملة، وعباد الشمس ملة، فلا توارث بين أهل ملتين^(٣).

ثانياً: منهج العلماء في تقسيم الأديان:

قسم بعض السلف الديانات إلى ستة أقسام اعتماداً على ما جاء في القرآن، جاء عن قتادة،

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٤٥). وحسنه محققوه، وصححه الشيخ أحمد شاکر في تحقيقه للمسند (٦/ ٢١٩).

وأبو داود (ح ٢٩١١)، والترمذي (ح ٢١٠٨)، وابن ماجه (ح ٢٧٣١).

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٥٦-١٥٧)، أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٢/ ٤٤٦).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ١٥٤-١٥٨).

في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المع: ١٧)، قال: «الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرؤون الزبور، والمجوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران، والذين أشركوا: يعبدون الأوثان، والأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن»^(١).

ومن العلماء من قسم الأديان عند مجيء الإسلام إلى قسمين: أهل الكتاب، والكفار، قال الإمام الشافعي: «بعثه إي: بعث الله نبيه ﷺ والناس صنفان: أحدهما: أهل كتاب بدلوا من أحكامه، وكفروا بالله، فافتعلوا كذبًا صاغوه بألسنتهم، فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم...»

وصنف كفروا بالله، فابتدعوا ما لم يأذن به الله، ونصبوا بأيديهم حجارة وخشبًا... ودعوها آلهة عبدوها، فإذا استحسنا غير ما عبدوا منها، ألقوه ونصبوا بأيديهم غيره، فعبدوه، فأولئك العرب، وسلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا، وفي عبادة ما استحسنا من حوت، ودابة، ونجم، ونار، وغيره»^(٢).

أما الشهرستاني فيقسم الأديان مطلقًا إلى قسمين: أصحاب ملة، وأصحاب نخلة، ولذلك سمى كتابه (الملل والنحل)، يقول: «وهم [يعني: أهل العالم] منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل.

فأرباب الديانات مطلقًا، مثل المجوس، واليهود، والنصارى، والمسلمين. وأهل الأهواء والآراء، مثل: الفلاسفة، والدهرية، والصابئة، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة»^(٣).

ويقسمهم تقسيمًا آخر باعتبار من له كتاب منزل، أو ليس له كتاب منزل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من له كتاب محقق.

الثاني: من له شبهة كتاب.

الثالث: من ليس له كتاب، فيقول: «مذاهب أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل من الفرق الإسلامية وغيرهم، ممن له كتاب منزل محقق، مثل: اليهود، والنصارى، وممن له شبهة كتاب مثل: المجوس والمانوية، وممن له حدود وأحكام دون كتاب، مثل: الفلاسفة الأولى، والدهرية، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة»^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٤٨٥).

(٢) الرسالة للشافعي (ص: ٨-١٠).

(٣) الملل والنحل (١ / ١٢-١٣).

(٤) الملل والنحل (١ / ٣٧).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أن «الأمم نوعان: نوع لهم كتاب منزل من عند الله، كاليهود والنصارى، ونوع لا كتاب لهم كالهند، واليونان، والترك، وكالعرب قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم-»^(١).

ويتابعه على هذا التقسيم الإمام ابن القيم، فيقول: «ما بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- كان أهل الأرض صنفين: أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم، وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهم نوعان: مغضوب عليهم، وضالون»^(٢).

وفي موضع آخر يأخذ بتقسيم القرآن، فيصنفهم خمسة أقسام، ثم يبين مواطنهم والبلاد التي انتشروا فيها زمن بعثة النبي ﷺ، فيقول: «إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً -صلى الله عليه وسلم- رسولاً إلى أهل الأرض وهم خمسة أصناف قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئون، ومشركون، وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها إلى مغاربها.

فأما اليهود فأكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مستذلين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس مستذلة مع المجوس، وكان منهم بأرض المغرب فرقة، وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر وما حولها، وكان الله سبحانه وتعالى قد قطعهم في الأرض أما وسلبهم الملك والعز.

وأما النصارى فكانوا طبق الأرض، فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى، وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد.

وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها.

وأما الصابئة فأهل حران وكثير من بلاد الروم.

وأما المشركون فجزيرة العرب جميعها، وبلاد الهند، وبلاد الترك وما جاورها.

وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودين الخنفاء لا يعرف فيهم البتة»^(٣).
ويجمل د. محمد الأعظمي طريقة العلماء في تقسيم الأديان إلى طريقتين، فيقول: «للعلماء طريقتان في التصنيف في الأديان:

الأول: التصنيف في الأديان من حيث الوضع، فقالوا: الأديان على قسمين: قسم سماوي،

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٦/ ٥).

(٢) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٢٧).

(٣) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٣٥-٢٣٧).

دراسات في الأديان

كالإسلام واليهودية والنصرانية، وقسم غير سماوي؛ كالهندوسية، والبوذية، والزرادشتية، والصينية.

الثاني: التصنيف من حيث الجغرافيا، فجعلوا الإسلام والنصرانية والبوذية أدياناً عالمية، بينما جعلوا اليهودية والهندوسية وبعض الأديان الشرقية أدياناً قومية أو أدياناً شعبية^(١). ويرى ماكس مولر أن الديانات الكبرى ست ديانات، ويقسمها من حيث دعوة كل طائفة لدينها إلى قسمين:

الأول: ثلاث ديانات لها رسالة تبشيرية تدعو الناس للدخول فيها، وهي: الزرادشتية، والمسيحية، والإسلام.

والثاني: ثلاث ديانات ليس لها رسالة، ولا يعنىها أن يدخل فيها أحد، وهي البرهية، والبوذية، واليهودية^(٢).

هذه اتجاهات الباحثين في تقسيم الأديان، والأمر في ذلك واسع ولا مشاحة في التقسيم ما لم يتضمن مخالفة شرعية، وتقسيم القرآن هو الأسمى؛ لأنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك جاء شاملاً وبيّناً.

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. الأعظمي (ص: ٢٠-٢١).

(٢) انظر: الإنسان والأديان، د. محمد كمال جعفر (ص: ٩٨).

المبحث الثامن:

وسطية الإسلام بين الملل

لقد أكمل الله سبحانه برسالة محمد ﷺ الرسالات، وختم به النبوات، وأنزل عليه القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم، وحفظه سبحانه من التبديل والتغيير.

وعصم الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة، ولهذا كان إجماعهم حجة.

وجعلهم الأمة الوسط، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [النفر: ١٤٣]، أي: عدولاً خياراً^(١)، ولذلك جعلهم شهداء على الناس، وهداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه، ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم بالعقيدة والشرعة والمنهاج الوسط الذي جعله لهم.

وتتجلى وسطية أهل الإسلام في أمور كثيرة منها:

أولاً: أن المسلمين وسط في باب توحيد الله سبحانه (الإلهيات)، فإن اليهود يصفون الله سبحانه بالنقائص ويشبهونه بالمخلوقين، قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [ال عمران: ١٨١]، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٦٤]، وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت، إلى غير ذلك من أقوالهم المنكرة، ومن يرجع إلى بعض نصوص توراتهم المحرفة وتلمودهم يرى إلهادهم في الله وصفاته سبحانه، ووصفهم الخالق سبحانه بصفات المخلوقين^(٢).

وبالمقابل النصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به جل وعلا كالربوبية والألوهية فقالوا في بعض البشر وهو نبي الله المسيح عيسى -عليه السلام-: إنه يخلق ويرزق ويفزر ويرحم ويتوب على الخلق ويشيب ويعاقب.

أما المسلمون فقد آمنوا بالله سبحانه وتعالى وعبده ووحده واعتقدوا أنه ليس كمثله شيء سبحانه، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو رب العالمين، وخالق كل شيء له الخلق والأمر وكل ما سواه عباد له فقراء إليه ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

(١) انظر: تفسير الظهري (٢/ ٦٢٦-٦٢٧). تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٧).

(٢) سيأتي مزيد تفصيل لذلك في عقائدهم.

﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ ﴿المرم: ٩٣ - ٩٥﴾.

ثانياً: المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله، وكذا عباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى، قال تعالى: ﴿أَخْبَارُهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْيَاكَ يَا بَنِي دَاوُدَ إِنَّ اللَّهَ وَالْمَسِيحَ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾
[النوبة: ٣١].

ولا جفوا وقصروا كما جفت اليهود، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا لِيَكْفُرُوا بِهِمْ وَيَقْتُلُونَ الْبَنِيَّ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا لِيَكْفُرُوا بِهِمْ وَيَقْتُلُونَ الْبَنِيَّ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا لِيَكْفُرُوا بِهِمْ وَيَقْتُلُونَ الْبَنِيَّ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا لِيَكْفُرُوا بِهِمْ﴾
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [ال عمران: ٢١].

وفي نصوص توراتهم المحرفة وتلمودهم كلمات في حق بعض أنبياء الله ورسله تقشع من سماعها جلود أهل الإيمان^(١)، كما سيأتي.

ثالثاً: وسطية أهل الإسلام في شرائع دين الله سبحانه، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويحرم ما شاء ويثبت، كما قالت يهود، وذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢]، ويقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

ولم يفعلوا كفعل النصارى الذين جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن ينسخوا ما شاؤوا ويغيروا دين الله، فأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

لكن المسلمين قالوا: لله الخلق والأمر، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الاعراف: ٥٤]، فكما لا يخلق غيره، كذلك لا يأمر غيره، فهو الخالق المالك المدبر وحده لا شريك له فله الحكم والأمر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ١]، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الزمر: ٤١]، وقالوا: سمعنا وأطعنا لكل ما أمر به ربنا وخالقنا، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التور: ٥١].

(١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

أما المخلوق ولو كان عظيماً فليس له شيء من ذلك، وليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وكذلك المسلمون وسط في أمر الحلال والحرام، فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]، فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط والأرنب ولا شحم التراب والكليتين، ولا الجدي في لبن أمه^(١)، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرها. حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً، والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت، كما سيأتي في شرائعهم. وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح: ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [ال عمران: ٥٠]،^(٢) كما سيأتي في شرائعهم.

(١) انظر: سفر الخروج (٢٣: ١٩، ٣٤: ٢٦) وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن شرائعهم.
 (٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٣٧٠ - ٣٧٢)، منهاج السنة النبوية (٥/ ١٦٨-١٧٢)، الجواب الصحيح (١/ ٧١) وما بعدها، (٢/ ١٣٥) وما بعدها.

المبحث التاسع:

دعوة التقريب بين الأديان

حقيقتها:

دعوة التقريب في ظاهر لفظها تدل على معنيين:

الأول: أن يقترب كل دين من الآخر، وهذا إن أريد به أديان الأنبياء فالتقريب بينهم قائم من غير محاولة تقريب؛ لأن دينهم واحد، وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [العمران: ١٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١). وإن أريد به دمج جميع الأديان في دين واحد، أو اعتقاد أنها جميعاً حق وأهلها مؤمنون وأنها طرق لغاية واحدة فهذا باطل؛ لأنه لا يستوي الحق والباطل ولا الكفر والإيمان.

الثاني: أن يقترب أهل كل دين من أهل الدين الآخر، وهو ما يسمى بالتعايش، فيسود بينهم السلام، فهذا حق، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [المحجرات: ١٣]، وقد وضع الإسلام لعلاقته مع أهل الأديان الأخرى تشريعا عادلا، فقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [النسبة: ١٨].

نشأتها:

بدأت محاولات التقريب بين الإسلام وغيره من الأديان منذ وقت مبكر في عهد النبوة، فقد حكى الله عن المشركين أنهم تمنوا أن يترك النبي ﷺ شيئا من دينه، قال سبحانه: ﴿وَدَّوْا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [المنم: ١٩]، قال الطبري: «معنى ذلك: ودوا لو ترخص لهم فيرخصون، أو تلين في دينك فيلينون في دينه»^(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكاغرون]، وقد قيل في سبب نزول هذه السورة: إن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة،

(١) أخرجه البخاري (ح-٣٤٤٣).

(٢) تفسير الطبري (١٥٦/٢٣).

ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية^(١).

ثم ظهرت هذه الدعوة مجددًا عند بعض الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وغيره، فقد حكى عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قولهم: «الطريق إلى الله تعالى متنوعة»، وذكر أنهم «يشبهون ذلك بمذاهب الأئمة، فإنه وإن كان أحد المذاهب يرجح على الآخر، فأهل المذاهب الأخرى ليسوا كفارًا ولا من أهل الكتاب»^(٢).

ثم تلقفها غلاة الصوفية القائلون بوحدة الوجود كابن عربي وغيره، يقول ابن عربي: «إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير»^(٣)، ويقول الحلاج: «الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما»^(٤). وقال قائلهم:

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه^(٥)

ونقل الطوسي أن أبا يزيد البسطامي «اجتاز مقبرة لليهود، فقال: معذرون، ثم اجتاز مقبرة للمسلمين، فقال: مغرورون»^(٦).

ثم جرى إحيائها في العصر الحديث، فأقيمت بعض الجمعيات التي تتبنى هذه الدعوة، مثل جمعية (التأليف والتقريب) التي أنشأها محمد عبده بتأثير من أحد القسس في إنجلترا واسمه إسحاق تيلور، وأحد الإيرانيين المنتصرين واسمه ميرزا باقر، هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، وقد انضم إليهم بعض الإنجليز واليهود والإيرانيين، مما يشير إلى ضلوع الرافضة في نشر هذه الدعوة الهدامة في صفوف المسلمين^(٧)، ثم تبنت هذه الدعوة المدرسة التي سميت بالعقلانية العصرانية^(٨).

كما ظهرت محاولات فردية للتقريب بين الأديان كمحاولة روجيه جارودي الذي أعلن إسلامه سنة ١٩٨٢م، وقدم مشروعًا يعد من أخطر المحاولات في العصر الحديث للتقريب

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٥٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٠٣).

(٣) فصوص الحكم (ص: ١١٣).

(٤) أخبار الحلاج، لويس ماسينيون وبول كراوس (ص: ٥٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٢/٩٨).

(٦) انظر: اللمع. للطوسي (ص: ٤٧٣).

(٧) انظر: الإبطل لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان. بكر أبو زيد (ص: ١٦-٢٢)، مختصر دعوة التقريب

(ص: ١٩٠) وما بعدها.

(٨) انظر: مختصر دعوة التقريب (ص: ٢٩٢) وما بعدها.

بين الأديان، وهو محاولة القضاء على مدلول الإسلام الخاص الذي بعث به نبينا محمد ﷺ، وإحلال فكرة الإسلام العام أو الإبراهيمية بديلا عنها، وهذا برأيه يجمع الإسلام واليهودية والنصرانية، بل الديانات الوثنية كالهندوسية والبوذية أيضاً^(١).

دوافعها:

تنوعت الدوافع إلى تبني دعوة التقريب بين الأديان، ومنها^(٢):

- ١ - محاولة إحلال الرابطة القومية والوطنية محل الرابطة الدينية، ورفع شعار الوحدة الوطنية بديلا عن الإخوة الإسلامية.
- ٢ - الزعم بأن هذه الدعوة تساهم في التصدي للإلحاد والانحلال الخلقي والتيار المادي.
- ٣ - الزعم بأن هذه الدعوة وسيلة إلى تبليغ الإسلام وحمل الدعوة إلى أتباع هذه الديانات.
- ٤ - أن هذه الدعوة فيها اعتراف من أهل الكتاب بدين الإسلام، ودعوى أن الإسلام في العصر الحديث بحاجة إلى ذلك.

آثارها:

لهذه الدعوة آثار سلبية كثيرة، ومنها ما يلي^(٣):

- ١ - فتح مراكز ومؤسسات في بلاد المسلمين من أجل العمل على نشر هذه الدعوة بين المسلمين، مثل: مركز الإخاء الديني، ومجمع الأديان في مصر.
- ٢ - الدعوة إلى طبع القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في كتاب واحد، وظهرت هذه الدعوة بتاريخ ١٠ / ١٠ / ١٤١٦ هـ.
- ٣ - إقامة صلاة مشتركة من ممثلي الأديان الثلاثة، مثل ما حدث في قرية أسيس في إيطاليا بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٦ م، وقد اعتبر هذا اليوم عيداً لكل الأديان، وتكرر هذا الحدث مرات أخرى باسم (صلاة روح القدس).
- ٤ - تقديم البابا نفسه إلى العالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً وأنه حامل رسالة السلام العالمي.
- ٥ - إنشاء نشيد عالمي يردد أتباع الديانات الثلاثة أسموه: نشيد الإله الواحد ربّ وأب.
- ٦ - انتشار المؤتمرات الداعية لوحدة الأديان، مثل المؤتمر الإبراهيمي الذي عقد بتاريخ ١٢ -

(١) انظر: مختصر دعوة التقريب (ص: ٣٦٣).

(٢) انظر: مختصر دعوة التقريب (ص: ٣٤٨) وما بعدها.

(٣) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان (ص: ٢٢-٣٤).

١٥ / ٢ / ١٩٨٧م في قرطبة بمشاركة أعداد من اليهود والنصارى، ومن المنتسبين إلى الإسلام من القاديانيين والإسماعيليين، وافتتحوا لتحقيق هذا الغرض معهداً باسم: (معهد قرطبة لوحدة الأديان في أوروبا).

٧- تأسس الجمعيات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان، مثل الجماعة العالمية للمؤمنين بالله، والتي تأسست بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٨٧م باسم (المؤمنون متحدون)، وفي هذا العام أيضاً تأسس (نادي الشباب المتدين)، وفي شهر إبريل من العام نفسه تأسست جمعية باسم (الناس متحدون).

الموقف الشرعي منها:

ورد سؤال إلى اللجنة العلمية للإفتاء والبحوث بالملكة العربية السعودية جاء فيه: «هل الدعوة للتقارب بين الأديان (الإسلام - المسيحية - اليهودية) دعوة شرعية؟ وهل يجوز للمسلم المؤمن حقاً أن يدعو لها ويعمل على تقويتها؟».

وقد أجابت اللجنة: «أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلى تقريب، واليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا ما نزل إليهم من ربهم حتى صارت دياناتهم زوراً وبهتاناً وكفراً وضلالاً، ومن أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمد ﷺ ولغيرهم من الأمم عامة؛ ليبين ما كانوا يخفون من الحق، ويكشف لهم عما كتموه، ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام ويهديهم وغيرهم إلى سواء السبيل، قال الله تعالى: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٥-١٦]، وقال: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرَغٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧]، لكنهم صدوا وأعرضوا عنه؛ بغيا وعدوانا وحسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين الحق، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْخِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿٨٦﴾ الآيات البقرة: ١٨٩، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرَيْقٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ الآيات البقرة: ١٠١، وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ﴿١﴾ الآيات البقرة: ١٠١. فكيف يرجو عاقل - يعرف إصرارهم على الباطل وتماديهم في غيهم عن بيينة وعلم؛ حسدا من عند أنفسهم، واتباعا للهوى - التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين، قال الله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ الآيات البقرة: ١٧٥، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُنْتَلِ عَنْ أَصْحَابِ الْجَبْرِ﴾ ﴿١٣١﴾ وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ مِنْهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٢٠﴾ البقرة: ١٢٠، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ الآيات البقرة: ١٨٦، بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفرا وعداوة لله ورسوله والمؤمنين فهم مثلهم، وقد قال الله تعالى لرسوله في المشركين: ﴿فَلَا تَطِعِ الْمُكذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُوا لَوْ نُذِهْنُ فَيَذَهُتُونَ﴾ ﴿١﴾ الآيات البقرة: ١٢٠، وقال له: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكاغرة]، إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان»^(١).

المبحث العاشر:

موقف الإسلام من أهل الملل^(١)

الاختلاف إرادة كونية:

الاختلاف بين البشر في أديانهم وعقائدهم وآرائهم سنة كونية، قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (النساء: ١٤٨)، وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (إبراهيم: ١١٨، ١١٩)، قال الإمام ابن كثير: «أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم»^(٢).

وقال الإمام ابن حزم: «نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك: أنه تعالى لم يرض به، وإنما أرادته تعالى إرادة كون، كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي»^(٣). وقد أراد الله جل وعلا من الأمة شرعاً أن تجتمع على الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلًا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك»^(٤).

اقسام الكفار:

الكفار قسمان: أهل حرب، وأهل عهد، قال ابن عباس: «كان المشركون على منزلتين من النبي ﷺ والمؤمنين: كانوا مشركي أهل حرب، يقاتلهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد، لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم»^(٥).

وأهل العهد - كما يقول ابن القيم - «ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان»^(٦).

(١) ألفت في هذه المسألة مصنفات، منها: أحكام أهل الملل للخلال، وأحكام أهل الذمة لابن القيم، كما كتب بعض المتأخرين والمعاصرين مصنفات في ذلك منها: جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة لمصطفى الحنفي. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام لعبد الكريم زيدان. حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية للمودودي. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ليوسف القرضاوي. إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب. جمال إسماعيل. وغيرها.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦١).

(٣) الأحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢).

(٥) أخرجه البيهقي (ج ٥٢٨٦).

(٦) أحكام أهل الذمة (٢/ ٨٧٣).

وقسم ابن قدامة الكفار إلى ثلاثة: أهل الحرب، والمستأمنين، وأهل الذمة^(١)، ولم يذكر أهل العهد، فرمما أدخلهم في المستأمنين.

وقال الإمام ابن القيم: «كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة»^(٢).

ويفضل شيخنا ابن عثيمين في تقسيمهم، فيرجعهم إلى أربعة أقسام، ويبين الحكم الشرعي لكل قسم، كما يلي:

أولاً: الحربيون، وأمرهم ظاهر، يجب على الإمام أن يقاتلهم حتى يكون الدين لله عز وجل، بأن يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ولا فرق في ذلك على القول الراجح بين أهل الكتاب وغيرهم.

ثانياً: المعاهدون، وهم الذين نعقد بيننا وبينهم عهداً أن لا يعتدوا علينا، ولا نعتدي عليهم، وأن لا يعينوا علينا ولا نعين عليهم، وهؤلاء لا يخلو أمرهم من ثلاث حالات:

الأولى: أن يستقيموا على العهد وينفذوه تماماً، وفي هذه الحال يجب علينا أن نستقيم لهم؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) [البقرة: ١٧]، والوفاء بعهدهم لا شك أنه من محاسن الإسلام.

الثانية: أن يخونوا وينقضوا العهد، وفي هذه الحال يكونون حربيين، يعني ينتقض عهدهم. الثالثة: أن لا ينقضوا العهد، ولكننا لا نأمنهم، ونخاف منهم نقض العهد، فهؤلاء نعاملهم معاملة وسطاً، بأن نبذ إليهم عهدهم، فنقول: ليس بيننا وبينكم عهد، والعهد الذي بيننا وبينكم مفسوخ منبوذ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾^(٤) [الأنفال: ١٥٨].

ثالثاً: أهل الذمة، وهم الذين عقدنا لهم الذمة التي تتضمن حمايتهم وإعطاءهم حقوقهم الشرعية على أن يبذلوا لنا الجزية، وهي شيء يجعله الإمام على كل واحد منهم، وتفصيلها معروف في كتب الفقه، فهؤلاء يجب علينا نحوهم أن نعطيهم كل الحق الذي يقتضيه عقد الذمة.

رابعاً: المستأمنون الذين طلبوا الأمان على أنفسهم وعلى أموالهم لمدة معينة، فهؤلاء دون المعاهدين، ودون أهل الذمة، وفوق الحربيين^(٥).

فتبين أن أقسامهم محصورة في أربعة: أهل حرب، وأهل ذمة، وأهل أمان، وأهل عهد.

(١) انظر: المغني (١٢ / ٢٦١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ١٤٣).

(٣) انظر: الشرح الممتع (١٥ / ٢٤٨ - ٢٥٠).

أحكام معاملة أهل الملل:

ونشير إلى أهم أحكام التعامل معهم فيما يلي:

١ - دعوتهم إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المكث: ٤٦)، وقال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).

٢ - لا يجوز إكراههم على الدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، قال الإمام ابن كثير: «أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلالة وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً»^(٢).

وقال جل وعلا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الأنعام: ٢٥٩)، قال الإمام ابن قدامة: «وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه، كالذمي والمستأمن فأسلم، لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً، مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه، فإن مات قبل ذلك فحكمه حكم الكفار، وإن رجع إلى دين الكفر لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام»^(٣).

٣ - الحذر من ظلمهم؛ لأن الظلم حرام مطلقاً، فلا يجوز أن يظلم أحد منهم في نفس أو مال أو عرض، فلا يظلم مثلاً في عرضه بغيبة أو نغمة، ولا في ماله بسرقة أو غش أو خيانة، ولا في بدنه بضرب أو قتل؛ لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً يعصمه^(٤)، وقد قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً^(٥) أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»^(٦)، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢ ح)، ومسلم (٢٤٠٦ ح).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٨٢).

(٣) المغني (١٢/٢٩١).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٤/٢٢٦).

(٥) قال الحافظ ابن حجر: «والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم» (فتح الباري ١٢/٢٥٩).

(٦) أخرجه أبو داود (ح ٣٠٥٢)، وإسناده حسن.

دراسات في الأديان

عائماً»^(١)، وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من كانت له ذمتنا فدمه كدمائنا»^(٢)، وقال شيخنا ابن عثيمين: «من قدم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة وسمح له بذلك، فهو إما معاهد أو مستأمن، فلا يجوز الاعتداء عليه»^(٣).

٤- يجوز التعامل معهم في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اشترى من الكفار عباد الأوثان، واشترى من اليهود، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله^(٤).

٥- لا يجوز بدوهم بالسلام، ولكن إذا سلم أحدهم يقال له: وعليكم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام»^(٥)، وقال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»^(٦)، «ولا بأس أن يقول للكافر ابتداء كيف حالك، كيف أصبحت، كيف أمسيت، ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك»^(٨).

٦- برهم من غير مودة باطنة كالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، وحسن الجوار لمن جاورنا منهم، والصدقة عليه إن كان فقيراً، أو الهدية إليه إن كان غنياً، والنصح له فيما ينفعه، وتحمل أذاه، لأن الجار له حق عظيم، وربما كان حسن معاملته بصدق ونية صالحة من دواعي إسلامه.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [النسبة: ١٨]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١ / ٣٥٦)، والنسائي (ح ٤٥٧٠)، والحاكم في المستدرک (ح ٢٥٨٠)، وصححه، وصححه الألباني (غاية المرام ح ٤٤٩).

(٢) أخرجه الدارقطني (ح ٣٢٩٦).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٥ / ٤٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح ٢٩١٦).

(٥) أخرجه مسلم (ح ٢١٦٧).

(٦) إنما أمر بالانقصار على قول الراد: (وعليكم)، لما جاء في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإما يقول أحدهم: السام عليك. فقل: (وعليكم)» أخرجه البخاري (ح ٦٢٥٧). ومسلم (ح ٢١٦٤). لكن لو تحقق المسلم أن الذمي قال له: سلام عليكم، فهل له أن يقول: وعليكم؟ قال ابن القيم: «الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾ [النساء: ٨٦]، فندب إلى الفضل وأوجب العدل، وأما الأمر بالانقصار (وعليكم) فبناء على السبب المذكور». انظر: أحكام أهل الذمة (١ / ١٩٩).

(٧) انظر تحريجه في الهامش السابق.

(٨) فتاوى اللجنة الدائمة (٣ / ٤٣٥).

تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة»^(١).
وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سَيِّئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، قال بعض أهل التفسير:
«(الجار ذي القرى) المسلم (والجار الجنب) اليهودي والنصراني»^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-، قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد
رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فاستفتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قلت:
وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك»^(٣).

وقد كان هدي سلف الأمة وأتمتها العدل معهم والبر بهم والدفاع عنهم، حتى شهد بذلك
الأعداء، والحق ما شهدت به الأعداء، يقول ول ديورانت: «ولقد كان أهل الذمة المسيحيون
والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد
لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم،
واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم»^(٤).

وكانوا يعاملونهم بالرأفة والرحمة والإحسان كما أوصاهم بذلك نبيهم ﷺ، قال شيخ الإسلام
ابن تيمية: «وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم
غازان وقطلو شاه، وخاطبت مولاي فيهم، فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا
نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون، فقلت له: بل جميع من معك من اليهود
والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإننا نفتكهم ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة ولا من أهل
الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله، وكذلك
السي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما أوصانا خاتم
المرسلين»^(٥).

٧- ليس للمسلم مشاركتهم في أعيادهم الدينية، لأن هذه الأعياد من الشعائر المختصة
بدينهم، فمشاركتهم إقرار بهم، ولأن في ذلك تشبهاً بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، قال
شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم،
لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نيران، ولا تبديل عادة من معيشة أو عبادة أو
غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٧).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (ج ٢٦٢٠)، ومسلم (ج ١٠٠٣).

(٤) قصة الحضارة (١٣/ ١٣٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧-٦١٨).

تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار زينة، وبالجملة ليس لهم أن يخصصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم»^(١)، وقال ابن القيم: «وأما التهنة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنتهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تحناً بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنته بسجوده للصليب»^(٢).

٨- لا بأس بتعزيتهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول: جبر الله مصيبتك، أو: أحسن لك الخلف بخير، وأمثال ذلك من الكلام الطيب، ولكن لا تقول: غفر الله له، أو: رحمه الله، أي لا يدعو للميت الكافر، وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك^(٣).

٩- يجوز أكل ذبائح أهل الكتاب ما لم يعلم أنها ذبحت على غير الوجه الشرعي كالخنق لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٥].

وهذا ما أجمع عليه أهل العلم أن ذبائح أهل الكتاب حلال؛ لحديث أنس: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ، بشاة مسمومة فأكل منها ... الحديث^(٤).

١٠- يجوز نكاح نسائهم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٥].

قال ابن قدامة: «ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب»^(٥)، ولكن ترك نكاحهن والاستغناء عنهن بالمحصنات من المؤمنات أولى وأفضل^(٦).

١١- وجوب الوفاء بعهدهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَوَمِ يَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ يُنَادُوا بِكُمُ الْأَعْدَاءُ فَأْتُوا إِلَيْهِمْ بِعَهْدِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٥]، ووصف الذين ينقضون عهدهم بالخسران في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/٣٢٩).

(٢) أحكام أهل الذمة (١/٤٤١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح ٢١٩٠).

(٥) المغني (٩/٥٤٥).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/٢٧٤) وما بعدها.

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٥﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وعن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يخلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ریحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «المراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم»^(٣).

١٢ - حرية ممارسة شعائرهم وعباداتهم في كنائسهم وبيعهم من غير إظهار لها بين المسلمين، جاء في كتاب النبي ﷺ إلى نصارى نجران: «ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي ﷺ على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم وتبعهم، وألا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانته»^(٤).

وفي كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إيلياء بعد فتح بيت المقدس: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم»^(٥).

وفي كتاب عمر بن عبد العزيز: «لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار، ولا تُحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار»^(٦).

وقال الإمام أبو الوليد الباجي: «أهل الذمة يُقرون على دينهم، ويكونون من دينهم على ما كانوا عليه، لا يمنعون من شيء منه في باطن أمرهم، وإنما يمنعون من إظهاره في المحافل والأسواق»^(٧).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٩ / ٢٨)، أبو داود (٢٧٥٩ ح)، والترمذي (ح ١٥٨٠)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري (ح ٣١٦٦).

(٣) فتح الباري. لابن حجر (٢٥٩ / ١٢).

(٤) تاريخ المدينة. لابن شبة (٥٨٥ / ٢)، الطبقات الكبرى. لابن سعد (٢٦٤ / ١).

(٥) تاريخ الطبري (٦٠٩ / ٣).

(٦) الأموال، للقاسم بن سلام (ص: ١٢٣).

(٧) المنتقى شرح الموطأ (١٧٨ / ٢).

١٣- لا يجوز بناء المعابد والكنائس في بلاد المسلمين، عن عبد الرحمن بن غنم، قال: «كُتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام، وشرط عليهم فيه ألا يحدثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديرًا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب»^(١).

وقيل لابن عباس -رضي الله عنهما-: ألعجم أن يحدثوا في أمصار المسلمين بناء أو بيعة؟ فقال: «أما مصرٌ مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه بناء أو قال: بيعة»^(٢). قال الإمام تقي الدين السبكي: «وقد أخذ العلماء بقول ابن عباس هذا وجعلوه مع قول عمر وسكوت بقية الصحابة إجماعًا»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيها كنيسة؛ مثل ما فتحه المسلمون صلحًا وأبقوا لهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح فكيف في مدائن المسلمين؟!»^(٤).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية، مثل: الكنائس في بلاد المسلمين، وأنه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام، وأن لا يكون فيها شيء من شعائر الكفار لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا على وجوب هدم الكنائس وغيرها من المعابد الكفرية إذا أحدثت في أرض الإسلام، ولا تجوز معارضة ولي الأمر في هدمها، بل تجب طاعته، وأجمع العلماء -رحمهم الله تعالى- على أن بناء المعابد الكفرية، ومنها الكنائس في جزيرة العرب، أشد إثمًا وأعظم جرمًا؛ للأحاديث الصحيحة الصريحة بخصوص النهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»^(٥)،^(٦).

(١) أحكام أهل الذمة (٣/ ١١٦١-١١٦٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٤٣). وابن زنجويه في الأموال (ص: ٢٧٤).

(٣) فتاوى السبكي (٢/ ٣٩١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣٤-٦٣٥).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (ح- ٣٣٢٣).

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٦٩).

ملخص الفصل الأول

- ١- الدين الذي هو الإسلام يطلق بإطلاقين: عام، وخاص، أما العام فهو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، وأما الخاص فهو الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ.
 - ٢- الملة اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء، والشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة.
 - ٣- النحلة هي المعتقد الذي وضعه البشر، وليس له أصل شرعي، بل بني على مجرد الادعاء والانتحال.
 - ٤- الأصل في مشروعية الأديان: الكتاب والسنة.
 - ٥- لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب، ولا كتب أهل البدع، ولا الكتب المشتملة على الحق والباطل إلا بشرطين:
- الأول: أن يكون الناظر فيها من أهل العلم الراسخين القادرين على تمييز ما فيها من حق وباطل وهدى وضلال.
- الثاني: أن يكون المقصود الرد على أباطيلهم، وبيان الحق لهم وهدايتهم.
- ٦- تظهر أهمية دراسة الأديان من وجود كثيرة، منها: (أولاً): السلامة مما وقعوا فيه من الضلال، (ثانياً): دعوتهم إلى دين الإسلام، (ثالثاً): معرفتهم وسيلة لاتقاء ضررهم.
 - ٧- عقيدة التوحيد هي الأصل في حياة البشرية منذ أن خلق الله آدم.
 - ٨- أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم.
 - ٩- نظرية التطور عند داروين هي افتراض أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة.
 - ١٠- صارت فرضية التطور من أهم الحجج التي يستند إليها الملاحدة لتفسير تنوع الكائنات الحية دون الحاجة إلى وجود إله خالق.
 - ١١- نظرية داروين في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة.
 - ١٢- نظرية داروين باطلة شرعاً لمخالفتها لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها في أن أصل الإنسان مخلوق من تراب.

- ١٣- كان للمسلمين فضل السبق في التصنيف في علم الأديان، وإفراده علماءً مستقلًا.
- ١٤- تنوعت مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، من المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على وصف عقائد الأديان وتاريخها، والمنهج التحليلي المقارن الذي يوازن بين ديانة وأخرى مظهرًا فضل الإسلام على غيره من الأديان، والمنهج الجدلي النقدي الذي يبين ما فيها من انحراف عن الحق وتحريف للوحي.
- ١٥- قسم بعض السلف الديانات إلى ستة أقسام اعتمادًا على ما جاء في القرآن، ومن العلماء من قسم الأديان عند مجيء الإسلام إلى قسمين: أهل الكتاب، والكفار، ويقسمهم الشهرستاني إلى قسمين: أصحاب ملة، وأصحاب نخلة، أو إلى ثلاثة أقسام: الأول: من له كتاب محقق، الثاني: من له شبهة كتاب، الثالث: من ليس له كتاب.
- ١٦- تتجلى وسطية أهل الإسلام في أمور كثيرة منها: أن المسلمين وسط في باب توحيد الله سبحانه، وفي أنبيائه ورسله، وكذا عباده الصالحين، وفي الشرائع والأحكام.
- ١٧- اختلاف البشر في أديانهم وعقائدهم وآرائهم سنة كونية.
- ١٨- الكفار ثلاثة أقسام: أهل الحرب، والمستأمنين، وأهل الذمة، ولكل قسم في الإسلام أحكام تخصه.
- ١٩- منهج الإسلام في معاملة الكفار -غير المحاربين- يقوم على العدل معهم والبر بهم، ودعوتهم إلى الإسلام، مع الحرص على تمييز المسلمين عنهم، وعدم التشبه بهم.

أسئلة تطبيقية

- السؤال الأول: عرف بإيجاز كلاً من (الدين، والملة، والنحلة) مع بيان الفرق بينها؟
- السؤال الثاني: ما حكم النظر والاطلاع على كتب أهل الأديان الأخرى؟
- السؤال الثالث: دراسة الأديان لها أهمية كبرى، وضح ذلك في ضوء ما درست.
- السؤال الرابع: (الأصل في البشرية التوحيد، والشرك طارئ) اذكر أهم الأدلة على ذلك.
- السؤال الخامس: اشرح نظرية داروين في التطور بإيجاز، واذكر أهم الانتقادات التي وجهت إليها.
- السؤال السادس: تكلم باختصار عن مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان.
- السؤال السابع: اذكر باختصار أحكام معاملة غير المسلمين في الإسلام.

الفصل الثاني: اليهودية

المبحث الأول:

تعريف اليهودية

أولاً: تعريف اليهودية لغة:

اليهودية نسبة إلى اليهود، و(اليهود) لغة مشتق من الهَوْد وهو التوبة، أو من التهويد وهو السكون. أو نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، جاء في كتاب العين: «سميت اليهود اشتقاقاً من هادوا، أي: تابوا، ويقال: نسبوا إلى يهوذا ... وحولت الذال إلى الدال حين عرّبت»^(١). وقال ابن دريد: «سمي اليهود يهوذاً إما من قوله عز وجل: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، أي: رجعنا وتبنا، وإما من التهويد أي السكون، ويمكن أن يكونوا سموا بالمصدر من هاد يهود هوذاً. وفي التنزيل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، وهو من هذا إن شاء الله»^(٢). وقال ابن فارس: «فأما اليهود فمِن: هاد يهود، إذا تاب هوذاً، وسموا به؛ لأنهم تابوا عن عبادة العجل»^(٣).

قال ابن منظور: «الهُودُ: التَّوْبَةُ، هَادٌ يَهُودُ هُوذاً، وَهَوَّدَ: تَابَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ فَهُوَ هَائِدٌ ... وسميت اليهود؛ اشتقاقاً من هادوا، أي: تابوا ... والتَّهْوِيدُ أَنْ يُصَيَّرَ الْإِنْسَانُ يَهُودِيًّا، وَهَادٌ وَهَوَّدَ: إِذَا صَارَ يَهُودِيًّا»^(٤).

ثانياً: تعريف اليهودية اصطلاحاً:

اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف اليهودية:

قال الثعلبي: «اليهودية هي الدين المبدل بعد موسى -عليه السلام-»^(٥).

وقال الواحدي: «اليهودية مِلَّةٌ مَحْرَفَةٌ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى»^(١).

(١) العين (٤/ ٧٦).

(٢) جهمرة اللغة (٢/ ٦٨٩).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٨).

(٤) لسان العرب (٣/ ٤٣٩).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ٢١٠) بتصرف يسير.

وقال أبو الليث السمرقندي: «اليهود الذين تركوا دين موسى وتسموا باليهودية»^(١).

وقال البغوي: «اليهود والنصارى: الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل»^(٢).

فكل هذه التعاريف متفقة على أن اليهودية ملة محرقة عن شريعة موسى -عليه السلام-، أما قول الشهرستاني في تعريفهم: «هم أمة موسى -عليه السلام-، وكتابهم التوراة»^(٣)، فهذا يصدق على اليهود الذين آمنوا به في زمنه، وبهذا قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: «أي: الذين آمنوا بموسى والتوراة ولم يبدلوا ولم يغيروا»^(٤)، وقال ابن كثير: «اليهود أتباع موسى -عليه السلام- الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زماهم»^(٥)، أما الذين بدلوا وحرفوا فليسوا هم أمة موسى المتبعة له؛ لأنهم لم يتبعوا التوراة المنزلة على موسى -عليه السلام-، وإنما اتبعوا التوراة المحرفة المبدلة.

ومن اتبع موسى -عليه السلام- وتحاكم إلى التوراة قبل نسخها وتحريفها سماهم القرآن مسلمين لا يهوداً؛ لأنه ليس هناك ديانة منزلة من عند الله اسمها اليهودية أو النصرانية، بل دين إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [ال عمران: ١٩]، ولا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [ال عمران: ٨٥].

وجميع الأنبياء من لدن نوح -عليه السلام- إلى نبينا محمد ﷺ دينهم الإسلام، قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال في خير المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

(١) التفسير البسيط (٥/ ٣٣٨).

(٢) بحر العلوم (١/ ٥٩).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١٢٥).

(٤) الملل والنحل (٢/ ١٥).

(٥) التفسير البسيط (٢/ ٦٢١).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٥).

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾. اسئل: ١٤٤.

وعن قتادة في تفسير قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [السا: ١٥١]: «أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى وكفروا بالإنجيل وعيسى؛ وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى وكفروا بالقرآن ومحمد ﷺ، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله»^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، عن أبي العالية قال: «رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم وابتدعوا اليهودية والنصرانية، وليست من الله وتركوا دين إبراهيم»^(٢).

وقد أبطل الله تعالى دعوى اليهود أنهم على دين إبراهيم بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وروي عن قتادة أنه قال: «كانت اليهودية بعد التوراة، وكانت النصرانية بعد الإنجيل»^(٣).

ولذلك فإن التعريف المختار لليهودية أنها الدين المبدل بعد موسى كما قال الثعلبي، أو الملة المحرفة عن شريعة موسى كما قال الواحدي، وأن اليهود هم الذين اعتقدوا اليهودية بعد التبديل كما قال البغوي، وكلها بمعنى واحد.

ثالثاً: سبب تسميتهم باليهود:

اختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال:

١- فقيل: إنهم سموا بذلك لقول موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: «نحن أعلم من حيث تسمت اليهود باليهودية منهم، كلمة موسى ﷺ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ولم تسمت النصارى بالنصرانية كلمة عيسى ﷺ: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]»^(٤)، وروي عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: «إنما سميت اليهود؛ لأنهم قالوا: ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾»^(٥).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٦٣٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٧).

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٢)، وفي سننه جابر بن يزيد الجعفي، وهو ضعيف. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨١).

٢- وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى، وهذا بعيد؛ لأنه تفسير للفظ اليهود بمعنى مخالف لسياق القرآن، والمعنى الظاهر من (اليهود) هو التوبة والرجوع إلى دين الإسلام لا عنه^(١).

٣- وقال ابن الأعرابي: «يقال: هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير، سمي اليهود بذلك لتخليطهم، وكثرة انتقالمهم من مذاهبهم»^(٢). لكن هذه التسمية لا تدل على كثرة التنقل، وإن كان هذا حال اليهود.

٤- وقال أبو عمرو بن العلاء: «لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون: إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة»^(٣)، فيربط التسمية بحركتهم أثناء القراءة.

٥- وقيل: سموا بذلك؛ نسبة إلى يهوذا، وهو من أولاد يعقوب - عليه السلام -^(٤). ويجمع البعلبي ما قيل في سبب التسمية، فيقول: «في تسميتهم بذلك خمسة أقوال: أحدها: قولهم: ﴿إِنَّا هُذْنَا وَإِلَيْكَ﴾».

والثاني: أنهم هادوا من عبادة العجل، أي: تابوا^(٥).

والثالث: أنهم مالوا عن دين الإسلام، ودين موسى.

والرابع: أنهم يتهودون عند قراءة التوراة، أي: يتحركون، ويقولون: إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة، قاله أبو عمرو بن العلاء.

والخامس: نسبتهم إلى يهوذا بن يعقوب، فقليل لهم: اليهود - بالذال المعجمة -، ثم عُرِبَ بالمهمله نقله غير واحد^(٦).

وأقرب الأقوال هو أنهم سموا بذلك؛ نسبة إلى يهوذا، لأن أصل الاسم أعجمي ثم عرب، قال القرطبي: «نسبوا إلى يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب - عليه السلام -، فقلبت العرب الذال دالاً، لأن الأعجمية إذا عُرِبَت غيرت عن لفظها»^(٧).

رابعاً: تاريخ التسمية:

(١) انظر: التفسير البسيط (٢/ ٦٠٨).

(٢) التفسير البسيط (٢/ ٦٠٨-٦٠٩).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١٠٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٤٣٢). تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٥).

(٥) وهو بمعنى القول الأول، ولم يذكر قول ابن الأعرابي السابق.

(٦) المطلع على ألفاظ المقنع (ص: ٢٦٣).

(٧) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٢).

وأما تاريخ إطلاق مصطلح اليهودية على الدين اليهودي، فعلى القول بأن سبب التسمية قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ يكون قد «لزمهم الاسم في ذلك الوقت» كما يقول الواحدي^(١). ويذهب الشيخ محمد عبده إلى أن اسم اليهودية «حدث بعد موسى، واسم النصرانية بعد عيسى»^(٢)، لكنه لم يحدد في أي فترة زمنية ظهر من بعد موسى - عليه السلام -.

وقال الطاهر ابن عاشور: «وهذا الاسم أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان سنة ٩٧٥ قبل المسيح ... ثم صار اسم اليهود مطلقاً على المتديّنين بدين التوراة»^(٣).

ويقول د. عبد الوهاب المسيري: «أما مصطلح (اليهودية) فيبدو أنه قد ظهر أثناء العصر الهيليني^(٤)؛ للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم»^(٥).

ويقول د. إسماعيل راجي الفاروقي: «الدين اليهودي عبارة أطلقت على الطقوس الدينية التي كان يمارسها سكان مملكة يهوذا الذين سوا من أورشليم إلى بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد، وأطلق هذا الاسم في المنفى أي: في بابل فقط، فهو لم يكن يعرف قبل ذلك التاريخ، إذن فعبارة (الدين اليهودي) ليست عبارة ذات مدلول فحوى، إنما هي جغرافية صرفة، مثل عبارة (دين هندوكي) أي: الدين المتبع في الهند»^(٦).

ومجمل الأقوال في تاريخ التسمية: أنه لزمهم هذا الاسم في ذلك الوقت الذي قالوا فيه: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، وقيل: كان ذلك بعد موسى - عليه السلام -، وقيل: بعد سليمان - عليه السلام -، وقيل: ظهر في العصر الهيليني، وكل هذه الأقوال محتملة ولا دليل قاطع في ذلك. ولعل الأقرب هو ما جاء في (قاموس الكتاب المقدس): «أطلقت هذه الكلمة اليهوداً أولاً على سبط مملكة يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط، وأخذ يهوذا إلى السبي، ثم توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني، ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم»^(٧)، لأن هذا هو الأرجح في سبب تسميتهم باليهود، وأنه نسبة إلى يهوذا.

(١) التفسير البسيط (٢/ ٦٠٨).

(٢) تفسير المنار (١/ ٤٠٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٥٣٢-٥٣٣).

(٤) العصر الهيليني هو الفترة المتأخرة من الحضارة الإغريقية. وتمتد من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحتى موت الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق.م.

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ١٥).

(٦) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل فاروقي (ص: ٧).

(٧) قاموس الكتاب المقدس (ص: ١٠٨٤).

التعريف الاصطلاحي المعاصر لليهود:

اختلف تعريف (اليهودي) لدى اليهود المعاصرين على ستة أقوال، وهي:

- ١- أن اليهودي من ولد لأب أو أم يهودية.
- ٢- اليهودي من يتبع الشريعة اليهودية.
- ٣- اليهودي من ينسب نفسه إلى اليهودية.
- ٤- اليهودي من أمه يهودية.
- ٥- اليهودي من ينسبه غير اليهود إلى اليهود.
- ٦- اليهودي من توافق إسرائيل على أنه من أبنائها.

وسبب هذا الاختلاف أنه ظهر داخل المعسكر الديني في إسرائيل مشكلة قيام اليهودية الإصلاحية بإعادة تعريف اليهودي بحيث أصبح من يولد لأب يهودي أو أم يهودية، وهو ما لا توافق عليه اليهودية الأرثوذكسية واليهودية المحافظة، حيث قام دافيد بن جوربون بالكتابة إلى خمسين شخصية يهودية دينية وفكرية في أنحاء العالم يطلب إليهم الفتوى في هذا الأمر، وجاءت الإجابات مشتملة على سائر التناقضات المتوقعة والتي لم يحسمها الفكر الصهيوني قبل قيام الدولة، فقد عرف القسم الأكبر منهم (٣٧) الهوية اليهودية على أساس الشريعة، ولكن نفرًا منهم تبني معيار الاختيار الشخصي (اليهودي هو من يعتبر نفسه كذلك)، وتبني نفر آخر معيار القسر الخارجي، أي أن اليهودي هو من يعتبره الأغيار كذلك، ومع هذا، صدر عام ١٩٥٩ توجيه إداري ينص على تعريف اليهودي بأنه الشخص الذي ولد لأم يهودية، وفي عام ١٩٦٠م صدرت توجيهات إدارية يعرف فيها اليهودي بأنه من يثبت أن أمه يهودية أو أنه تمود حسب الشريعة وعلى يد حاخام أرثوذكسي، وفي عام ١٩٧٠م صدر تعديل لقانون العودة، وعرّف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية بشرط ألا يكون على دين آخر، ونص أيضًا على أن اليهودي هو المنتهود، ولا يزال هذا التعريف هو المعتمد^(١).

جاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: «تتركز إحدى القضايا المطروحة باستمرار حول السؤال: ما هي العناصر المطلوبة حتى يتم تعريف شخص ما بأنه يهودي؟ ويصر القطاع الأرثوذكسي على أن هذا التعريف يقتضي بأن يكون الشخص قد ولد لأم يهودية، بناء على نصوص الشريعة اليهودية، أما اليهود العلمانيون فإنهم يرون أن المقياس لهذا التعريف يجب أن

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢/ ١٩٢-١٩٣).

يكون القرار الفردي الذي يتخذه الشخص بتعريف نفسه بأنه يهودي»^(١)، وسيأتي أن اليهودية الأرثوذكسية هي صاحبة السلطة في إسرائيل.

ويقول إسرائيل شاحاك: «وفق القانون الإسرائيلي يعتبر الشخص يهوديًا إذا كانت أمه يهودية، أو جدته لأمه أو جدة أمه يهودية الديانة، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية بأسلوب ترضى عنه السلطات الإسرائيلية، وبشرط أن لا يكون هذا الشخص قد تحول عن اليهودية إلى أية ديانة أخرى؛ لأن السلطات اليهودية لا تعود تعتبره يهوديًا في هذه الحالة»^(٢).

والخلاصة أن المعتمد في تعريف اليهودي لدى دولة الاحتلال (إسرائيل) هو من ولد لأم يهودية، أو تحول إلى اليهودية.

(١) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، المجتمع اليهودي، بتاريخ: ٢٥/٤/٢٠١٩ م. على هذا الرابط: <http://cutt.us/vPDiT>

(٢) التاريخ اليهودي (ص: ١٣)، ترجمة: صالح علي سوادح.

المبحث الثاني:

أسماء اليهود

يطلق على اليهود عدة أسماء، وهي:

١- اليهود:

جاء لفظ (اليهود) ومشتقاته في القرآن في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ١١٣)، وقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠)، واسم اليهود أشمل من بني إسرائيل؛ لأنه يطلق على كل الذين اعتقدوا الديانة اليهودية من بني إسرائيل أو غيرهم في حين أن بني إسرائيل هم ذرية يعقوب - عليه السلام -.

٢- بنو إسرائيل:

جاء تسميتهم في القرآن ببني إسرائيل في مواضع كثيرة، تارة في سياق تذكيرهم بنعم الله عليهم، ودعوتهم إلى التمسك بدعوة أنبيائهم، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ (البقرة: ٤٠)، وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧).

وتارة في سياق الذم والإنكار عليهم، كقوله تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٧٨)، وقوله: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ٢١١). قال الحافظ ابن كثير: «إسرائيل هو يعقوب عليه السلام»^(١).

وقال الشوكاني: «اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام -، ومعناه: عبد الله، لأن (إسرا) في لغتهم: هو العبد، و(إيل) هو الله، قيل: إن له اسمين، وقيل: إسرائيل لقب له، وهو اسم عجمي غير منصرف»^(٢).

وجاء في تفسير الألووسي: «(إسرائيل) اسم أعجمي، وقد ذكروا أنه مركب من (إيل) اسم من أسمائه تعالى، و(إسرا) وهو العبد، أو الصفوة أو الإنسان أو المهاجر، وهو لقب سيدنا

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٨٧).

يعقوب - عليه السلام-»^(١).

وقال ابن عاشور: «قوله: ﴿يا بني إسرائيل﴾ خطاب لذرية يعقوب، وفي ذريته انحصر سائر الأمة اليهودية، وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: يا أيها اليهود؛ لكونه هو اسم القبيلة، أما اليهود فهو اسم التّخلة والديانة»^(٢).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «معنى هذا الاسم العبري (إسرائيل): يجاهد مع الله، أو الله يصارع»^(٣)، وهذا مبني على ما ورد في توراتهم المحرفة من قولهم: «بقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه، وقال: أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»^(٤)، فهو في أول الأسطورة يصارع إنساناً، وفي آخرها يزعمون أن هذا الإنسان هو الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

وجاء فيها أيضاً أن الله هو الذي سماه بذلك: «وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه، وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل»^(٥).

وبناء على هذه الأسطورة قالوا: إن لقب (إسرائيل) استحقه يعقوب بسبب قوته، ومعناه: قوة الله، فكلمة (إسر) معناها قوة، وكلمة (ئيل) معناها الإله أو الله^(٦).

والأقرب في معنى الاسم هو ما قرره أئمة التفسير من أن معنى (إسرائيل): عبد الله؛ لأن ما جاء في المصادر الكتابية من أن معناه: يجاهد مع الله أو يصارع الله معنى باطل مبني على أسطورة منكرة.

وهذا الاسم (إسرائيل) هو أحب الأسماء إليهم؛ لأنهم يزعمون أنه الذي أطلقه الرب، كما جاء في أسطورتهم المزعومة، ولهذا سموا دولتهم المحتملة (إسرائيل)، والحقيقة أنهم لا صلة لهم

(١) روح المعاني (١/ ٢٤٣).

علق د. سامي الإمام (أستاذ اللغة العبرية والديانة اليهودية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر) على ذلك بقوله: «المعنى في العبرية كما يتضح لنا هو: من استقام مع الإله من سار في طريق الرب. أي: أطاع الرب، فيكون المعنى: مطيع الله؛ لأن كلمة (إسر) لم تأت بمعنى العبد».

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٤٩).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٩).

(٤) سفر التكوين (٣٢: ٢٤-٢٨).

(٥) سفر التكوين (٩: ٣٥).

(٦) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا (ص: ١٦).

بإسرائيل الذي هو يعقوب - عليه السلام -، لا نَسَبًا ولا اتباعًا.

٣- العبرانيون أو العبريون:

اختلف الباحثون في سبب تسميتهم بذلك، فقليل: إنهم سموا بذلك نسبة إلى عابر، وهو الجد الخامس لإبراهيم - عليه السلام -، وجاء في سفر التكوين تسمية إبراهيم بالعبراني، «فأتى من نجا وأخبر إبراهيم العبراني...»^(١)، ويرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمي عبريًا؛ لأنه عبر النهر، ويحتمل أنه نهر الفرات أو نهر الأردن^(٢).

لكن الذي جاء في (العهد القديم) هو عبور يعقوب الفرات، فقد جاء في سفر التكوين: «وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد»^(٣)، ولهذا يرى بعض الباحثين اعتبار رحلة يعقوب وعبوره الفرات أساسًا لاسم العبريين^(٤).

وقد جاء في (العهد القديم) ما يشير إلى أن كلمة (عبري) كانت تستعمل في بعض مراحل التاريخ مرادفة لكلمة (يهودي)، جاء في سفر إرميا: «يطلق كل واحد عبده، وكل واحد أمته، العبراني والعبرانية حزين حتى لا يستعبدهما - أي أخويه اليهوديين - أحد»^(٥). ويقول د. حسن ظاظا: «وفي العصر الحديث نجد كلمة (عبري) ترتبط على ألسنة اليهود بالمقدّسات التراثية القديمة، فبينما يسمى أتباع الشريعة الموسوية (اليهود)، وتنظيمهم العنصري الاستعماري (الصهيونية)، ودولتهم (إسرائيل) نجدهم يحرضون على عبارة (اللغة العبرية) (الثقافة العبرية) (الأدب العبري)، الصحافة العبرية»^(٦).

٤- الصهاينة:

نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس، ويعتقد اليهود أن الرب يسكن فيه، جاء في (العهد القديم): «رغموا للرب الساكن في صهيون»^(٧). ويعد من الأماكن المقدسة لدى اليهود، حيث جاء في (العهد القديم): «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي»^(٨).

(١) سفر التكوين (١٤: ١٣٠).

(٢) انظر: تاريخ اللغات السامية (ص: ٧٧).

(٣) سفر التكوين (٣١: ٢٠-٢١).

(٤) انظر: الشخصية الإسرائيلية (ص: ٢٦).

(٥) سفر إرميا (٣٤: ٩).

(٦) الشخصية الإسرائيلية (ص: ٢٤).

(٧) سفر المزامير (٩: ١١).

(٨) سفر المزامير (٢: ٦).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «صهيون اسم عبري، معناه على الأرجح: حصن»^(١). ثم تحولت الصهيونية إلى حركة سياسية نشأت في أواسط القرن التاسع عشر على يد زعيمها الأول تيودر هرتزل، وتهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم، وتحويلهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية لبعث مملكة داود^(٢).

وقد عارضهم طائفة من اليهود، ومن هنا يمكن أن يقال: ليس كل يهودي صهيوني، وهذا ما أشار إليه دافيد بن جوريون بقوله: «أما أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءًا من الشعب الأمريكي أو الإنجليزي أو الفرنسي أولئك اليهود الذين لا يعتقدون أنهم يعيشون في منفى ولا يرون مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأحفادهم لا يمكن أن يوجد إلا في إسرائيل، هؤلاء اليهود جميعًا إنما يذوبون تدريجيًا في حضارة غير يهودية ولغة غير يهودية، إن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم كذبًا لقب الصهيونيين بحكم انتمائهم إلى منظمات تحمل هذا الاسم هي في الحقيقة خطر على مستقبل اليهودية»^(٣)، وسيأتي الحديث عن الصهيونية في مبحث مستقل إن شاء الله.

٥- أهل الكتاب:

يطلق على اليهود والنصارى أهل الكتاب، قال ابن قدامة: «أهل الكتاب: اليهود والنصارى ومن دان بدينهم ... ومن عدا هؤلاء من الكفار، فليس من أهل الكتاب»^(٤). وقال الشنقيطي: «اتفقوا [أي: علماء التفسير] على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وأن المشركين هم عبدة الأوثان، والكفر يجمع القسمين، وأهل الكتاب مختص باليهود والنصارى»^(٥).

وسبب هذا الإطلاق أن اليهود أنزلت عليهم (التوراة)، والنصارى أنزل عليهم (الإنجيل).

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٥٨).

(٢) انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي (ص: ٧).

(٣) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية (ص: ٣٩).

(٤) المغني لابن قدامة (١٣/٢٠٣)، وانظر: الملل والنحل (١٣/٢).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/٣٩).

المبحث الثالث:

تاريخ اليهود

اليهود هم في الأصل (بنو إسرائيل)، وإسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام- كما مر، وكان أبناء يعقوب اثني عشر (الأسباط)، ومن ذريتهم يتكون نسب بني إسرائيل، وكان مسكنهم الأرض المقدسة (فلسطين)، وتوطنها يعقوب هو وأبناؤه من بعد إبراهيم الخليل -عليه السلام-، كما قال عز وجل فيما حكاه من كلام يوسف -عليه السلام-: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾.

وفي ولاية يوسف -عليه السلام- على خزائن مصر نقلهم إليها، فتكاثروا فيها وصارت لهم أموال ومصالح، ثم بعد قرابة ثلاثة قرون اضطهدهم (الفراعنة) حكام مصر، واستعبدوهم فبعث الله موسى -عليه السلام- نبيًا فيهم، ورسولًا إليهم وإلى فرعون، وأراد الله أن يكرمهم فنجاهم من فرعون، ونصرهم عليه بقيادة موسى -عليه السلام-، لكنهم أبوا إلا الكفر والذلة والمسكنة، فأدوا موسى وتعنتوا عليه حين أمروا أن يدخلوا الأرض المقدسة (فلسطين) فاتحين غافلين، ففي طريقهم إليها رأوا أناسًا من المشركين يعكفون عند أصنام يعبدونها من دون الله فقالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الاعراب: ١٣٨].

سيرهم مع موسى -عليه السلام-: خرج موسى -عليه السلام- من مصر، وتوجه إلى أرض مدين، وتزوج هنالك بنتًا لشيخ كريم مقابل تأجير نفسه له ثمان سنين، فلما تم الأجل سار موسى بأهله إلى مصر، فلما كان بطور سيناء خصه الله بنبوته ووحيه وكلامه، كما قال تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتِكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ۖ وَإِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانخَعْ لِعَلَّكَ إِنَّا نَكْتُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۗ﴾ [طه: ٩-١١].

ثم أیده الله ببعض الآيات والمعجزات، فأمره أن يلقي عصاه على الأرض فانقلبت حية، وأن يدخل يده في جيبه فخرجت بيضاء، ثم أمره بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الإيمان بالله،

لكن فرعون قابل دعوة نبي الله موسى بالسخرية والاستهزاء، والاضطهاد والإيذاء لمن آمن به، ولما ازداد طغيان فرعون أمر الله موسى أن يخرج بني إسرائيل من مصر سرّاً، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٩﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٠﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦١﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ ﴿٦٣﴾ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ وَأَزَلْنَا نَمُّ الْآخَرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَجْمَعْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ الرَّجِيمُ ﴿٧١﴾﴾ الشعراء: ٥٢-٦٨.

وبعد خروج بني إسرائيل من مصر في الطريق إلى الأرض المقدسة نزلت عليه الألواح، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ مَلَأِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِمَّقَتْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْنِي وَالَّذِينَ أَنْظُرُوا إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَ لِمِى فَعُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَعُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ الامراء: ١١١-١٤٥، قال ابن كثير: «وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى فيها:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَآئِرٍ لِلنَّاسِ﴾ الفصم: ١٤٣، وقيل: الألواح أعطيها موسى قبل التوراة، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومُنِع منه، والله أعلم»^(١)، وجزم القرطبي بأن المراد بالألواح

في هذه الآية: التوراة^(١).

فلما رجع إلى قومه وجدهم قد اتخذوا تمثالاً لعجل من ذهب، وأخذوا يعبدونه من دون الله، فغضب عليهم وألقى الألواح وعاقب من فعل ذلك، واستغفر لمن تاب.

ثم سار بهم ليدخل بهم الأرض المقدسة فاتحين فأبوا عليه، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [النساء: ٢٢]، وأسأؤوا الأدب مع ربهم ومع نبيهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُذْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [النساء: ٢٤]، فعاقبهم الله تعالى بالتيه: ﴿قَالَ فَإِنَّمَا تَحْرِمُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [النساء: ٢٦]، فبقوا أربعين سنة يسيرون تائهين لا يهتدون إلى الطريق الصحيح، وحدثت لهم أثناء ذلك أحداث جسام، وآيات عظام، فلم يُجد في قلوبهم القاسية شيئاً، فقد رفع الله فوقهم جبل الطور، وتلق^(٢) لهم الجبل حتى صار فوق رؤوسهم كأنه سحاب أسود، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَنْقَلِبُ الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، وتوفى الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام- قبل دخولهم الأرض المقدسة (فلسطين).

بنو إسرائيل في فلسطين:

ينقسم تاريخ بني إسرائيل في فلسطين إلى ثلاث مراحل^(٤):

المرحلة الأولى: عهد القضاة، وسمي بذلك لأن الزعماء والقادة الذين قادوا بني إسرائيل كانوا يسمون (القضاة)، وفي هذا العهد كان بنو إسرائيل متفرقين على اثني عشر سبطاً، ولم يستطيعوا أن يكونوا أمة موحدة متماسكة، وكان نظام الحكم عندهم يقوم على الحكم الأبوي للأسرة والعشيرة، وقد استمر عهد القضاة أربعة قرون بناء على ما جاء في سفر القضاة، ويرجح بعض الباحثين أنها قد لا تزيد على المائة، وأن المذكور في سفر القضاة من المبالغات^(٥)، وفي هذا العهد تم وضع الأساس للحياة اليهودية والدين اليهودي، كما تأثروا في

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧ / ٢٨١).

(٢) أي: رفع.

(٣) راجع تفصيل تاريخ بني إسرائيل في: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي (ص: ٢٢-٣٩).

(٤) انظر: اليهودية، د. أحمد شلبي (ص: ٧١) وما بعدها.

(٥) انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة (١ / ١٤٨).

هذا الوقت بالكنعانيين في عباداتهم، ولما كثر فساد القضاة، وزاد انحراف اليهود، وتوالت عليهم الهزائم من الكنعانيين، جاؤوا إلى أحد أنبيائهم وهو صموئيل وطلبوا منه أن يختار لهم ملكا، فاختار لهم شاؤول، وهو الذي سماه القرآن طالوت، وبذلك بدأ عهد جديد يسمى عهد الملوك .

المرحلة الثانية: عهد الملوك، وكان أول ملك هو شاؤول الذي قادهم في معاركهم ضد أعدائهم حتى قتل في إحدى هذه المعارك، وبعد موته تولى الحكم داود -عليه السلام- وأصبح الملك الثاني لبني إسرائيل، وبقي الملك وراثيا في عقبه، واستطاع أن يستولي على مدينة أورشليم واتخذها عاصمة له، وفي عهده عم الرخاء، واتسعت رقعة البلاد، ثم تولى الحكم من بعده ابنه سليمان -عليه السلام-، وتم في عهده بناء الهيكل بناء على زعم اليهود.

المرحلة الثالثة: عهد الملوك الثاني، وهو بداية عهد الانقسام، فبعد وفاة سليمان -عليه السلام- أعلن ابنه رحبعام نفسه ملكا على بني إسرائيل، لكنهم انقسموا إلى فريقين: الأول: سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم الذين بايعوا رحبعام على الملك. الثاني: باقي الأسباط العشرة الذين رفضوا مبايعته، وبايعوا أخاه يريعام ملكا عليهم، فانقسمت المملكة إلى قسمين: مملكة الجنوب واسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم، ومملكة الشمال، واسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم، وقامت الحروب بين المملكتين حتى كانت كل مملكة تستعين بدول مجاورة في محاربة المملكة الأخرى.

ثم تم سقوط مملكة إسرائيل على يد ملك آشور سرجون الثاني، وزحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها، وثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر، فهزم فرعون مصر واحتل مملكة يهوذا، ونهب أورشليم ودمرها، وسب أكثر سكانها إلى بابل، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار، وانتهى ملك اليهود في أرض فلسطين الذي استمر قرابة خمسة قرون منذ دخول يوشع بن نون حتى سقوط مملكة يهوذا.

إفسادهم بعد موسى -عليه السلام-:

تتابع الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى، فكلما جاءهم رسول كذبوه وأذوه أو قتلوه، وقد تؤمن منهم طائفة قليلة فتلقى القتل والتشريد، ولبثوا على هذا الحال قرونًا كثيرة حتى بعث الله فيهم عيسى -عليه السلام-، فأمنت به طائفة منهم وكفرت طائفة، فلم يلبثوا أن طاردوا من آمن وأذوهم، بل حاولوا إيذاء نبيهم عيسى -عليه السلام-، واتهموا أمه مريم -عليها السلام- بالبهتان، وعزموا على قتله وصلبه، فلم يتمكنوا، بل شَبَّه لهم، ورفع الله إليه، وقد

حكى الله عنهم ذلك، في قوله جل وعلا: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَنبَأَتْهُمُ الْبَيْنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا بِمُوسَىٰ سُلْطَنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَقْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَالَ عِلْقَاطٍ ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُمْ أَصْفَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقُلْنَا لَهُمُ الْآيَاتُ بَعِيرٌ حَتَّىٰ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ هَبْنَنَا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قُلْنَا لِلْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قُلُّوهُ وَمَا صَلَّوهُ وَلَكِن سِيقَهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قُلُّوهُ بَيِّنَاتٍ ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ النساء: ١٥٣-١٥٨.

إفسادهم بعد عيسى -عليه السلام-: وبعد رفع عيسى -عليه السلام-، أخذوا يكيّدون لأتباعه ويطاردونهم ويعملون على تحريف الإنجيل، حتى تمكنوا من ذلك بالسر والعلن، وأخذوا يعيشون في الأرض فسادًا، حتى حقدت عليهم الأمم والشعوب، فشردوا في الأرض أكثر من مرة، فتفرقوا في الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب (في يثرب وخيبر ونجران واليمن)^(١).

وفي كل أرض يحلون بها يكون ديدهم التفريق بين الناس -كما فعلوا مع الأوس والخزرج في المدينة-، واحتكار التجارة والربا، وإشاعة الرذيلة والبغاء، وأكل أموال الناس بالباطل.

ولبثوا على هذه الحال حتى جاء الإسلام وبعث محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكذبوه، وأذوه واستهزؤوا به وهووا بقتله، وألبوا عليه المشركين وقبائل العرب، ودسوا الدسائس، وظهر فيهم النفاق؛ إذ أظهر كثير منهم الإسلام وأبطن اليهودية والكفر، وكادوا للإسلام والمسلمين المكائد التي لا تحصى حتى اليوم.

اليهود في التاريخ الإسلامي: عرف اليهود أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ أو أصل دينه ما يريدون علنًا، كما فعلوا بدين النصارى، وكما فعلوا بالأنبياء من قبل من التكذيب المعلن والإيذاء والقتل، لذلك سلكوا مسلك الكيد الخفي للمسلمين، وصارت لهم اليد الطولى في إثارة الفرقة والخلافات والفتن التي حدثت في التاريخ الإسلامي ولا يزالون.

(١) انظر تفصيل ذلك في: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، اليهودية، أحمد شلبي (ص: ٣٩) وما بعدها، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين صالح (ص: ٤٨) وما بعدها.

دراسات في الأديان

فإذا استعرضنا التاريخ الإسلامي وجدنا أن اليهود بذلوا جهدهم -ولا يزالون- في التفريق بين المسلمين ومحاولة إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، ويجزم المحققون بأن اليهود هم الذين أسهموا في غرس بذور كثير من الفرق التي تدعي الإسلام في الظاهر، وتكيد له في الباطن؛ كاللاني عشرية، والإسماعيلية، والنصيرية، والقرامطة، والدروز، والبابية، والبهائية، والقاديانية وغيرها، وقد مكثوا لبعض هذه الفرق حتى صارت لهم دول كالدولة العبيدية والصفوية والخمينية.

ولن ينس المسلمون ما فعل يهود الدوثة في تركيا حين أظهروا الإسلام، ودخلوا في عمق الخلافة العثمانية وكادوا للإسلام، فأسسوا الجمعيات السرية للإطاحة بها، ثم إعلان العلمانية المشؤومة (بالحكم بغير ما أنزل الله) وحرب الإسلام من الداخل.

هذه نماذج من دور اليهود في الكيد للمسلمين ولا يزال كيدهم متواصلًا، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

اليهود في العصر الحاضر: اليهود في عقائدهم وأخلاقهم لا يزالون هم اليهود كما كانوا من قبل، إلا أنهم في العصر الحاضر أقوى نفوذًا، وأكثر تنظيمًا، وأحكم سيطرة على مقاليد العالم، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد انتهزوا الخواء الروحي والاقتصادي والسياسي الذي مني به الغرب والشرق، فتمكنوا وتحكموا في مقاليد الأمور هناك فكريًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، خاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وغيرها.

ثم هم وراء ابتداع وترويج كثير من النظريات الهدامة في مختلف المجالات، في الاقتصاد والسياسة والاجتماع، كنظرية التطور لدارون، ونظرية دوركايم الاجتماعية، ونظرية فرويد في التفسير الجنسي للسلوك، ونظرية ماركس في التفسير المادي للتاريخ، ونظرية مكيافيلي السياسية.

المبحث الرابع: صفات اليهود وأخلاقهم

أعظم مصدر يبين بجلاء صفات اليهود وأخلاقهم هو كتاب الله الحكيم الخبير الذي خلقهم وهو أعلم بهم، ثم سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى، وبما أنه ليس بالإمكان استعراض أخلاقهم وصفاتهم بالتفصيل في مثل هذا المختصر فسقتصر على نماذج منها.

فمن صفاتهم وأخلاقهم:

١- كتمان الحق: قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [ال عمران: ٧١]، فهم كتموا الحق حتى لا يتبين، وما تبين منه خلطوه بالباطل حتى لا يتميز.

٢- الخيانة ونقض العهود: قال تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ [البقرة: ١٠٠، ١٠١]، قال ابن جريج: «لم يكن في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه، ويعاهدون اليوم وينقضون غداً»^(١)، فليس لهم عهد يوفون به، ولا مبدأ يرعونه، فديدهم نقض العهود، قال الشيخ رشيد رضا: «بين الله تعالى شأنتين من شئون أهل الكتاب وهما: أنه لا ثقة بهم في شيء؛ لما عرف عنهم من نقض العهود، وأنه لا رجاء في إيمان أكثرهم؛ لأن الضلالة قد ملكت عليهم أمرهم إلا قليلاً منهم ... وإن كان نقض العهود قد وقع في كل زمن من فريقتهم دون فريق، فلا يتوهم أحد أن أولئك هم الأقلون، كالأقل بل هم الأكثرون»^(٢).

لكن ما وجه تخصيص نقض العهد بفريق منهم؟ ربما كان ذلك باعتبار العصور التي نقضوا فيها العهود، أو احترازاً من التعميم؛ لأن منهم كما قال القرآن: ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَصِرْ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [ال عمران: ٧٥]، لكن هذا الفريق الذي ديده نقض العهود أكثرهم، بدليل قوله تعالى:

(١) تفسير الطبري (٢ / ٣٠٩).

(٢) تفسير المنار (١ / ٣٢٧).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ولا أمان لمن لا إيمان له.

٣- الحسد: قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، ومن حسد اليهود أنهم تركوا الإيمان بمحمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومن حسدهم أنهم يودون أن يرجع المؤمنون إلى الكفر والشرك، وقد تبين لهم أن الحق مع المؤمنين، وهم لا يحبون أن يدخل معهم غيرهم في دينهم؛ لأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار.

٤- الإفساد وإثارة الفتن والحروب: قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النساء: ٦٤]، فيها هم يهود اليوم كحال إخوانهم بالأمس يوججون الفتن ويوقدون نيران الحروب، ولكن كلما أوقدوا نار الحرب أطفأها الله بقدرته.

٥- تحريف كلام الله تعالى وتبديل شرعه: فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ١٤٦]. ثم هم يتدعون كلامًا وشرعًا ويوهمون الناس أنه منزل من الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وإذا لم توافق أحكام الشرع أهواءهم تحايلوا في انتهاك حرمان الله، قال -صلى الله عليه وسلم-: «قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها»^(١)، وكما حصل منهم في قصة اعتدائهم في السبت^(٢) حتى صار من خصائص اليهود استحلال محارم الله بأدنى الحيل، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترتكبوا ما ارتكبت

(١) أخرجه مسلم (ح ١٥٨٣).

(٢) وهو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَاسْأَلْتُمْ عَنِ قُرْيَةَ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الاعراف: ١٦٣]، انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٩١).

اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»^(١).

٦- احتقار الآخرين: فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار وأنهم أولياء الله وأحباؤه، وأنهم وحدهم أهل الجنة، والمستحقون لرضا الله ورحمته، ويسمون غيرهم من النصارى والمسلمين وسواهم (الأميين) أو الأميين، لذلك هم يستبيحون أموال الآخرين ودماءهم وأعراضهم، بل يرون أنهم كالأنعام مسخرة لليهود وذكر الله عنهم بأنهم يقولون: ﴿أَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [ال عمران: ٧٥]، أي: ليس علينا حرج إذا أخذنا أموالهم واعتصبنا حقوقهم، وقد ذكروا ذلك أيضاً في مخططاتهم فقالوا: «إن الأميين (غير اليهود) كقطع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة»^(٢)، وسيأتي شواهد على ذلك من كتابهم (التلمود) عند الحديث عنه، وكذلك عند الحديث عن أساس التشريع اليهودي - إن شاء الله -.

٧- قسوة القلوب: وقد جاء ذلك عقوبة من الله تعالى لهم على مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ١٧٤].

٨- الحرص على الحياة الدنيا: قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وذلك لأنهم لا يرجون الآخرة، أو لعلمهم بما أعد الله لهم في الآخرة على كفرهم، فتراهم من أشد الناس طمعاً وجشعاً^(٣).

٩- أشد الناس عداً للمؤمنين: قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ١٨٢]، ولعدائهم للمؤمنين فهم أشد الناس عدواناً عليهم وأعظمهم كيداً لهم، لا يألون في مؤمن إلا ولا ذمة.

صفاتهم من خلال توراتهم:

ومع تحريفهم للتوراة فإن فيها ما يكشف عن صفائهم وسوء أخلاقهم، ومن أمثلة ذلك:

١- الخيانة: جاء في توراتهم: «إنهم جيل متقلب بنون لا أمانة فيهم»^(٤)، فجعل من صفاتهم

(١) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (ص: ٤٧)، قال ابن كثير: «هذا إسناد جيد» (تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٣). وحسن

إسناده ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٩/ ٢٩).

(٢) الخطر اليهودي (ص: ١٥٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٧٥).

(٤) سفر التثنية (٣٢: ٢٠).

التقلب والتلون، فلا ثبات لهم على مبدأ، كما أنهم لا أمانة لهم على عهد.

٢- الظلم: جاء في توراتهم: «أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً»^(١)، فأفعالهم آثمة والظلم صفة لهم ملازمة، وتجري خطاهم في الشر بسرعة، ولا يتورعون عن سفك دم زكي، ولا عن شذوذ أو اغتصاب، ولا يعرفون للسلم طريقاً، ولا للعدل مسلكاً.

صفاتهم في الإنجيل:

كما جاء وصفهم في الإنجيل بأنواع من الصفات الرذيلة، منها:

١- الشر والنفاق، في إنجيل متى: «يا أولاد الأفاعي! كيف تقدر أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟»^(٢)، فوصفهم بأنهم أولاد الأفاعي يحملون السموم كما تحمل الأفاعي سمومها، ويتلونون كما تلتون الأفاعي مكرًا وكيدًا، ووصفهم بأنهم أشرار، وهو وصف عام يتناول الشر في الاعتقاد والقول والعمل.

٢- قتل الأنبياء، في إنجيل متى: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين»^(٣). فأطلق المخل وأراد ساكنيه وهم يهود أورشليم، فوصفهم بقتل أصلح الناس وأفضلهم، وهم أنبياء الله ورسله.

(١) سفر أشعيا (٥٩: ٦-٨).

(٢) إنجيل متى (١٢: ٣٤).

(٣) إنجيل متى (٢٣: ٣٧).

المبحث الخامس: مصادر اليهودية

للديانة اليهودية مصدران رئيسان:

الأول: التوراة، وهو مجمع عليها بين اليهود على اختلاف بينهم فيما يعتمد من أسفارها.
الثاني: التلمود، وهو مصدر معتمد لدى جمهور اليهود، ولا تؤمن به بعض طوائفهم كالصدوقيين والسامريين.

وأضاف بعض الباحثين مصدرًا ثالثًا، وهو: بروتوكولات حكماء صهيون^(١).
ثم أضاف آخرون^(٢) مصدرين آخرين، وهما: (١) السنهدرين، وهو المحكمة العليا لدى اليهود، وهو بمثابة المحامع عند النصارى، (٢) والقبالا، وهو مجموعة التأويلات الباطنية للكتاب المقدس عندهم.

والحق أن هذه الثلاثة لا تعد مصادر للديانة اليهودية، أما البروتوكولات فلإنكار اليهود لها وتشكيك كثير من الباحثين في نسبتها إليهم، وأما السنهدرين فلأنه المحكمة العليا وهو يعتمد في قراراته وأحكامه على نصوص التوراة والتلمود، وأما القبالا فلأنها منهج يعتمد التأويل الباطني في تفسير نصوص التوراة، وعمدته كتاب (الزوهار)، ويمثلهم فرقة القبالا، ويكفي في رد ذلك أن اليهود لا يعتبرونها مصادر لهم في التلقي^(٣).
وفيما يلي التفصيل.

المصدر الأول: التوراة:

التوراة: «كلمة عبرانية معناها: الشريعة أو الناموس»^(٤)، ويقول اليهود: «إن أهم نصوص الديانة اليهودية هو التوراة ذاتها (ما يسميه بعض المسيحيين العهد القديم)، والتي تتألف من أسفار التوراة والأنبياء والكتب»^(٥).

(١) انظر: اليهودية، د. أحمد شلبي (ص: ٢٧٢)، الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية، لمجموعة من الباحثين (ص: ١٦، ٢٨).

(٣) انظر في ذكر مصادرهم المعتمدة لديهم: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على هذا الرابط: <https://cutt.us/٥HKny> بتاريخ: ١٧ / ٨ / ٢٠١٩م.

(٤) تفسير المنار (٣ / ١٢٩).

(٥) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية. على هذا الرابط: <http://cutt.us/jtxSm> بتاريخ: ٢٥ / ٦ / ٢٠١٩م.

أما التوراة حسب معناها الشرعي الوارد في القرآن فهي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى -عليه الصلاة والسلام- ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به، وقد بين تعالى أن قومه لم يحفظوه كله^(١).

قال الشيخ محمد أبو زهرة: «التوراة اسم للكتاب الذي اشتمل على شريعة موسى -عليه السلام-، ونزل عليه من رب العالمين، وليست هي التوراة التي يتلوها اليهود اليوم؛ لأن هذه التي تسمى بهذا الاسم الآن تشمل ما نزل في عهد موسى^(٢)، وتشمل ما جاء بعد ذلك في عهد النبيين الذين بعثوا في بني إسرائيل كداود وسليمان وغيرهما، وفوق ذلك، فإن القرآن الكريم أشار في عدة مواضع إلى أن أهل الكتاب نسوا حظًا مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وغيروا وبدلوا، ثم كانت التخريبات التي حلت بأورشليم في عهد بختنصر أولًا، ثم في عهد الرومان ثانيًا سببًا في أنهم نسوا حظًا مما ذكروا به، فليست التوراة المذكورة في القرآن هي التوراة الشائعة الآن»^(٣).

أسمائها:

وتسمى التوراة عندهم بأسماء، أهمها وأشهرها:

- ١- (التناخ)، وهي اختصار لثلاثة ألفاظ: (التوراة)، (نبيييم) يعني الأنبياء، (كتوبيم) يعني الكتب، وأصل المصطلح (التناك) ثم قلبت الكاف خاء؛ لأنها وقعت بعد حركة حسب قواعد اللغة العبرية^(٤).
 - ٢- (المقرا) أي: النص المقروء؛ لأنهم مطالبون بقراءته في عباداتهم وللرجوع إليه في الأحكام التي تنظم حياتهم.
 - ٣- (المسورة) أو (المسورت) أي: النص المقدس المروي عن الأسلاف رواية متواترة^(٥).
- وأما تسميتها ب(العهد القديم) فمصدرها النصارى، الذين يقسمون الكتاب المقدس إلى عهد قديم، وعهد جديد، وسميت التوراة بالعهد القديم للتمييز بينها وبين العهد الجديد الذي يزعمون أن الرب قطعه مع بني إسرائيل على يد المسيح عيسى بن مريم^(٦)، فقد جاء في إنجيل

(١) انظر: تفسير المنار (٣/ ١٢٩).

(٢) بل هي توراة عزرا؛ لأن التوراة التي نزلت في عهد موسى -عليه السلام- حرفت، كما سيأتي.

(٣) زهرة التفاسير (٢/ ١١٠١).

(٤) انظر: واو القلب في اللغات السامية، جلال عبد الله الحمادي (ص: ١٥١) هامش: د، مجلة الدراسات اللغوية، مجلد

٢١، عدد: ٢ ربيع الثاني - جمادى الآخرة، ١٤٤٠هـ.

(٥) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٦٢)، اليهودية وتأثيرها بالأديان الوثنية (ص: ٥٨).

(٦) انظر: المدخل لدراسة التوراة، د. محمد البار (ص: ١١١).

متى: «لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»^(١). وأول من أطلق تسميتها بـ(العهد القديم) - في رأي بعض النصارى - هو ميليتس أسقف ساردس عام ١٨٠م^(٢)، لكن يرد على ذلك ورود هذا الاسم (العهد القديم) في رسائل بولس^(٣)، في قوله: «بل أغلظت أذهاحم لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق»^(٤).

وأصل هذا التقسيم ما جاء في سفر أرميا: «ها أيام تأتي يقول الرب: واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا»^(٥)، فهذا فيه إشارة إلى عهدين: عهد قديم، وعهد جديد^(٦). وليست التوراة إلا جزءًا من (العهد القديم)، ولكن قد تطلق (التوراة) على (العهد القديم) من باب إطلاق الجزء على الكل^(٧)، ويراد بكلمة العهد: الميثاق، أي: الميثاق الذي أخذه الله على الناس^(٨).

أقسامها:

التوراة - بحسب تقسيم اليهود - تتكون من ثلاثة أقسام، هي: (١) التوراة، (٢) والأنبياء (٣) والكتب، أما عند النصارى فهي أربعة أقسام، بحسب التقسيم المعتمد في النسخة اليونانية^(٩).

وترتيبها بحسب تقسيم اليهود على النحو التالي:

القسم الأول: التوراة، وهي كتب موسى أو الأسفار الخمسة، وهي: (١) التكوين، (٢) والخروج، (٣) واللاويين، (٤) والعدد، (٥) والثنية.

فأما سفر التكوين فيشتمل على قصة خلق العالم، وتكوين السماوات والأرض، وخلق آدم، وقصة الخطيئة، ونزول آدم إلى الأرض، ثم حياة أولاده، وقصة الطوفان، وقصة إبراهيم ونسله

(١) إنجيل متى (٢٦: ٢٨).

(٢) انظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب (ص: ٢٣).

(٣) انظر: دراسات في اليهودية، مجموعة من الباحثين (ص: ١٦).

(٤) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٣: ١٤).

(٥) سفر أرميا (٣١: ٣١).

(٦) انظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب (ص: ٢٣).

(٧) انظر: اليهودية، د. أحمد شلي (ص: ٢٣٠).

(٨) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي (ص: ١٣).

(٩) انظر: التوراة الميروغليفية، د. فؤاد حسنين (ص: ٢٠)، المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد (ص: ٦٧)، الفكر الديني اليهودي (ص: ١٢) وما بعدها، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، مقال بعنوان: النصوص اليهودية المقدسة، بتاريخ: ٢٥/٤/٢٠١٠م، على هذا الرابط: <http://cutt.us/ysu4H>.

إلى إسحاق ويعقوب، وأولاد يعقوب، وينتهي بموت يوسف -عليه السلام-.
وأما سفر الخروج، فيتناول قصة خروج بني إسرائيل من مصر بعد موت يوسف، وما عانوه من الفراعنة، وظهور موسى وخروجه بهم من مصر، ويشتمل على الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى -بحسب زعمهم-، وبه كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية، وما حدث لبني إسرائيل في غيبة موسى.

وأما سفر اللاويين^(١) أو الأحبار، فيشتمل على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل: كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، والأنكحة المحرمة، والطقوس والأعياد والنذر والظاهرة، وغيرها.

وأما سفر العدد فهو حافل بالعدد والتقسيم لبني إسرائيل، وفيه ترتيب منازلهم حسب أسباطهم، ويحتوي على قصة بني إسرائيل في برية سيناء، وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الدينية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية.

وأما سفر التثنية، ومعناه: الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات، فيشتمل على إعادة عرض الوصايا العشر، والأطعمة المحللة والمحرمة، ونظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، والكهنة والنبوة، وينتهي بخبر وفاة موسى -عليه السلام-^(٢).

القسم الثاني: الأنبياء (نبيينم)، وعددها ثمانية، وهو قسمان:

الأول: يضم أربعة أسفار، وهي: (١) يوشع، (٢) والقضاة، (٣) وصموئيل (الأول والثاني)، (٤) والملوك (الأول والثاني).

والثاني: يضم أسفار الأنبياء الكبار، وهم: (١) أشعيا، (٢) إرميا، (٣) حزقيال، (٤) أسفار الأنبياء الصغار أو الأنبياء الاثني عشر (ناحوم، حبقوق، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان، ميخا، صفيان، حجي، زكريا، ملاخي).

القسم الثالث: الكتابات (كتوبيم)، ويحتوي على أحد عشر سفرًا، وهي: (١) المزامير، (٢) الأمثال، (٣) أيوب (أسفار الكتابات الشعرية)، (٤) نشيد الإنشاد، (٥) المراثي، (٦) راعوث، (٧) إستير، (٨) الجامعة (أسفار اللغات الخمسة)، (٩) دانيال، (١٠) عزرا ونحميا، (١١) أخبار الأيام الأولى والثانية (أسفار الكتابات التاريخية).

(١) اللاويون هم نسل لاوي بن يعقوب. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٨٠٦).

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ١٤-١٦)، اليهودية، د. أحمد شلبي (ص: ٢٣٣-٢٣٥).

فعدد مجموع أسفار العهد القديم لدى اليهود: (٢٤) سفرًا^(١)، ويفيد المؤرخ اليهودي يوسفوس بأن عدد الأسفار (٢٢) سفرًا، بضم سفر راعوث إلى القضاة، وسفر المراثي إلى إرميا^(٢)، بينما يقسمها آخرون إلى ٣٩ سفرًا^(٣)، وهذا الاختلاف بالزيادة والنقص مرده إلى ضم بعض الأسفار إلى بعض، أو عدمه، وفي كتاب (المدخل إلى العهد القديم) للقس صموئيل يوسف ترتيب أسفار العهد القديم بحسب اللغة الأصلية (العبرية)، وذكر أنها ٣٩ سفرًا^(٤)، لكن ذكر أنها عند اليهود ٢٤ سفرًا بدمج صموئيل الأول مع الثاني، والملوك الأول مع الثاني، والأخبار الأول مع الثاني، وعزرا مع نحميا، ومع اعتبار الأسفار الاثني عشر سفرًا واحدًا^(٥).

وهناك أسفار أخرى لدى اليهود تسمى (الأبوكريفا) أي: الكتب غير القانونية، أو المخفية، ويعنون أنها نصوص مروية على أنها مقدسة، ولكنها لم تقبل عندما تم تسجيل أسفار العهد القديم لديهم، مثل: سفر يهوديت، وسفر يسوع بن سيراخ، وكتب المكابيين^(٦). ومجمل القول: أن عدد أسفار تورا البروتستانت واليهود ٣٩ سفرًا، واليهود يدمجون بعضها فينقص عدد إلى ٢٢ أو ٢٤، وأن تورا الكاثوليك والأرثوذكس تضيف أسفار أبو كريف السبعة، فتصبح ٤٦ سفرًا.

براهين تحريف التوراة:

١ - شهادة القرآن بالتحريف:

جاء في كتاب الله جل وعلا أن اليهود حرفوا كتابهم (التوراة)، وأخفوا كثيرًا مما جاء فيه، وبدلوا كلام الله بغيره، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ

(١) اعتمدنا في هذا على كتاب: العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب (ص: ١٩)، المدخل إلى العهد القديم، القس صموئيل يوسف (ص: ٣٢)، التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين (ص: ٢٠-٢١)، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. محمد فتحي الزغيبي (ص: ٤٧).

(٢) انظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته (ص: ١٩).

(٣) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د. علي عبد الواحد وإي (ص: ١٣).

(٤) انظر: المدخل إلى العهد القديم، القس صموئيل يوسف (ص: ١٣).

(٥) انظر: المدخل إلى العهد القديم، القس صموئيل يوسف (ص: ٣٢).

(٦) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٦٢)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة (ص: ١٦).

دراسات في الأديان

الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قَرَأَاطِسَ تَبْدُوهُنَّا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴿٤٦﴾
[الأنعام: ٩١].

وقال جل وعلا: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].
وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمِ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤١].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].
وبعد شهادة القرآن لا يحتاج إلى شهادة غيره، ولكن أذكر براهين أخرى لمن لا يؤمنون
بالقرآن.

٢- شهادة كتابهم المقدس بالتحريف:

ويكفي حجة عليهم تصريح كتابهم المقدس عندهم بإثبات تحريفهم لكلام الله، فمن ذلك:
«أما وحي الرب فلا تذكره بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرفتم كلام الإله
الحي رب الجنود إلها»^(١)، فتأمل قوله: (قد حرفتم كلام الإله) تجد أنه شهادة صريحة في
إثبات تحريفهم من كتابهم المقدس لديهم، ثم تأتي الشهادة الثانية من كتابهم أيضاً والتي تصرح
بأن القلم الذي كتب توراتهم كاذب، وأن من يسمون أنفسهم حكماء ويدعون بأن معهم
شريعة الرب هم كاذبون حقاً، فقد جاء في سفر إرميا: «كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة
الرب معنا؟! حقاً إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب»^(٢)، ولذلك ترمي كل فرقة من
اليهود أختها بأنها هي التي حرفت كتابهم، يقول القرافي: «طائفة من اليهود يقال لهم:
(السامرية) اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفاً شديداً، والسامرية يدعون عليهم مثل
ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقين، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به مع تقابل هذه
الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بنفسهم عن أنفسهم»^(٣).

(١) سفر إرميا (٢٣: ٣٦).

(٢) سفر إرميا (٨: ٨).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص: ٢٥٨-٢٥٩).

٣- إجماع المحققين على وقوع التحريف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب -اليهود والنصارى- مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمدًا وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها»^(١).

وقال بدر الدين العيني: «ثبت قطعًا عندنا بإخبار الله تعالى أنهم إني: اليهود حرفوا التوراة، فلم يبق نقلهم حجة، ولهذا قلنا: لم يجز الإيمان بالتوراة التي في أيديهم ... بل إنما يجب الإيمان بالتوراة التي أنزلت على موسى ... لأن أهل التواريخ اتفقوا على أنه لما استولى بختنصر على بني إسرائيل قتل رجالهم، وسب ذراريهم، وأحرق أسفار التوراة حتى لم يبق فيهم من يحفظ التوراة، وزعموا أن الله أهم عزيزًا -عليه السلام- حتى قرأه من صدره، ولم يكن أحد قرأه حفظًا لا قبله ولا بعده، ولهذا قالوا بأنه ابن الله وعبدوه»^(٢).

وقال ابن عاشور: «اتفق المحققون من العلماء الباحثين عن تاريخ الدين على أن التوراة قد دخلها التحريف والزيادة والتلاشي، وأنهم لما جمعوا أمرهم عقب بعض مصائبهم الكبرى افتقدوا التوراة، فأرادوا أن يجمعوها من متفرق أوراقهم وبقايا مكاتبهم، وقد قال لنجرك -أحد اللاهوتيين من علماء الإفرنج-: إن سفر التثنية كتبه يهودي كان مقيمًا بمصر في عهد الملك يوشيا ملك اليهود، وقال غيره: إن الكتب الخمسة التي هي مجموع التوراة قد دخل فيها تحريف كثير من علم صموئيل أو عزيز (عزرا)، ويذكر علماءنا أن اليهود إنما قالوا: عزيز ابن الله؛ لأنه ادعى أنه ظفر بالتوراة، وكل ذلك يدل على أن التوراة قد تلاشت وتمزقت»^(٣). وقد تعددت أقوال أهل العلم في قدر التحريف الذي لحق بالتوراة^(٤).

٤- شهادة علمائهم الذين هداهم الله إلى الإسلام:

يقول الحبر اليهودي الذي هداه الله إلى الإسلام شموايل -وهو إذا عزب السمؤال-^(٥): «هذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا، وليس كتاب الله»^(٦).

ونقل الإمام ابن القيم عن بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله إلى الإسلام قوله: «إن علماء القوم وأخبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢٣/٥).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/٢٤٧).

(٣) التحرير والتنوير (١/٥٧٨).

(٤) انظر أقوال العلماء في: إغاثة اللفهان في مصادب الشيطان (٢/١١٣٦-١١٣٨)، فتح الباري (١٣/٥٢٣-٥٢٤).

(٥) انظر: ترجمة السمؤال لنفسه في مقدمة بذل المجهود في إفحام اليهود (ص: ٤٧)، تحقيق: د. محمد الشرقاوي.

(٦) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص: ١٤٠).

وأحبارهم أتحا عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة»^(١). وقال يحيى بن أكثم: «كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر، فدخل في مجلسه رجل يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام، قال: فلما أن تقوض المجلس، دعاه المأمون فقال له إسرائيلي؟ قال: نعم! قال له: أسلم حتى أفعل بك، وأصنع، ووعده، فقال: ديني، ودين آبائي، فانصرف، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، قال: فتكلم على الفقه، فأحسن الكلام، فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون، فقال له: أأست صاحبنا بالأمس؟ قال له بلى! قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا -مع ما تراني- حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشترت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلى الوراقين، فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي»^(٢).

٥- انقطاع أسانيدنا وضياع أصولها:

لقد ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الصادقة انقطاع أسانيد التوراة وضياع أصولها، يقول ابن حزم عن ذكر التوراة لخير وفاة موسى -عليه السلام-: «هذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تحرض^(٣) بجهله، أو تعمد بفكره، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى؛ إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته، فكان يكون إخباراً عنهما^(٤) لم يكن بمساق ما قد كان، وهذا هو محض الكذب -تعالى الله عن ذلك-، وقوله: (لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم) بيان لما ذكرنا كافي، وأنه تاريخ أُلّف بعد دهر طويل ولا بد»^(٥)، وهو يشير هنا إلى ما جاء في التوراة من الحديث عن وفاة موسى -عليه السلام-^(٦)، مما يدل على أنها كتبت بعد موسى بزمان

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٤٢٠-٤٢١).

(٢) دلائل النبوة، البيهقي (٧/ ١٥٩-١٦٠).

(٣) كذا بالأصل! ولعلها: تحرض.

(٤) كذا بالأصل!

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤١).

(٦) انظر: سفر التثنية (٣٤: ٦-٩)، وانظر تعليق ابن تيمية على هذا النص ودلالته على تحريف التوراة في: مجموع الفتاوى

(١٣/ ١٠٤-١٠٥).

طويل.

يقول كليمنس اسكندريانوس: «إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى»، وقال ترتولين: «إن المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعد ما أغار أهل بابل يروشالم»، وقال تيمو فلكت: «إن الكتب المقدسة انعدمت رأسًا فأوجدتها عزرا مرة أخرى بالإلهام»، وقال جان ملز الكاثوليكي في الصفحة ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة ١٨٤٢م: «اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول، أيضًا في حادثة أنتيوكس»^(١).

ويعترف القس نورتن في القرن التاسع عشر بعدم صحة نسبة الأسفار إلى موسى فيقول: «التوراة جعلية يقينًا، ليست من تصنيف موسى»^(٢).

وفي مدخل التوراة الكاثوليكية: «ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده، بل يجب القول بأن هناك ازديادًا تدريجيًا سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية»^(٣). وتقول دائرة المعارف الفرنسية: «إن العلم العصري، ولاسيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام، وإنما هي من عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها، وألّفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل»^(٤).

ويقول نولدكه: «جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة، واستغرق تأليفها وجمعها زمانًا متطاولًا تعرضت حياله للزيادة والنقص، وإنه من العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى»^(٥).

٦- نكارة كثير من متونها:

الذي يرجع إلى التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم لا يشك بأنه دخلها كثير من التحريف في ألفاظها ومعانيها، ويكفي في إثبات ذلك ما فيها من نصوص منكورة لا يتصور

(١) انظر هذه النصوص وغيرها في: إظهار الحق (٢/ ٤٤٩).

(٢) هل العهد القديم كلمة الله. د. السقار (ص: ٥٠).

(٣) هل العهد القديم كلمة الله (ص: ٥٠).

(٤) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى ربيع (ص: ١٠٠).

(٥) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى ربيع (ص: ١٠٠).

عقلا ولا شرعًا أن تكون من كلام الله تعالى لموسى -عليه السلام-؛ لما تضمنته من الطعن في الله وأنبيائه ورسله، كما سيأتي عند الحديث عن عقائدهم، ومع ذلك فقد بقي فيها شيء من الحق، قال ابن حزم: «إن كفَّار بني إسرائيل بدَّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجةً عليهم»^(١).

وقال أيضًا -بعدما ذكر جملاً مما جاء في توراتهم المحرفة من التناقض في الأخبار، وما يخالف بدائه العقول من النصوص، وما اشتملت عليه من انتقاص وطعن في الله تعالى وأنبيائه ورسله وملائكته-: «ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة لليهود التي اتفق عليها الريانيون والعانانيون والعيسويون والصدوقيون منهم مع النصارى أيضًا بلا خلاف منهم، فيها من الكذب الظاهر في الأخبار، وفيما يُخبر به عن الله تعالى، ثم عن ملائكته، ثم عن رسله -عليهم السلام- من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى الأنبياء -عليهم السلام-، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التي ذكرنا لكان موجبا ولا بد لكونها موضوعةً محرفةً مبدلةً مكذوبةً»^(٢).

كما أن من أبرز الأدلة على نكارة كثير من متونها ما تضمنته من أمور لا أخلاقية يستحيل أن تكون من كلام الرب تعالى وتقدس، وقد ساق د. روبرت تسلر نصوصًا عديدة في ذلك^(٣)، ومنها: ما جاء في سفر هوشع: «أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب»^(٤)، وفيه أيضًا: «وقال الرب لي اذهب أيضا أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل»^(٥)، وفي سفر ناحوم: «من أجل زنى الزانية الحسنه الجمال صاحبة السحر البائعة أمما بزناها وقبائل بسحرها، هاأنذا عليك يقول رب الجنود فاكشف أذبالك إلى فوق وجهك، وأري الأمم عورتك والممالك خزيك»^(٦)، وجاء في سفر إشعياء: «وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشاحنن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخن بأرجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن»^(٧)، وفي سفر

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤١).

(٣) انظر: حقيقة الكتاب المقدس، د. روبرت تسلر (ص: ٥٢) وما بعدها.

(٤) سفر هوشع (١: ٢).

(٥) سفر هوشع (٣: ١).

(٦) سفر ناحوم (٣: ٤-٥).

(٧) سفر إشعياء (٣: ١٦-١٧).

صموئيل الثاني: «هكذا قال الرب: هاأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطينهن لقريبك فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس»^(١).

وجاء في نشيد الأنشاد: «في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته، إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته، وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرايتهم من تحبه نفسي، فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي، أحلفكن يا بنات اورشليم بالظباء وبأياثل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء»^(٢). وفيه أيضاً: «ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطع معز رابض على جبل جلعاد، أسنانك كقطع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متم وليس فيهن عقيم، شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة تحت نقابك، عنقك كبرج داود المبني للأسلحة. ألف مجن علق عليه كلها أتراس الجبابة، ندياك كخشفتي طيبة توأمين يرعيان بين السوسن، إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المر وإلى تل اللبان، كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة»^(٣).

وجاء في سفر حزقيال: «في رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ورجست جمالك وفرجت رجلك لكل عابر وأكثر زناك، وزنيت مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك لإغاطتي، فما أنذا قد مددت يدي عليك ومنعت عنك فريضتك وأسلمتكم لمرام مبعضاتكم بنات الفلسطينيين اللواتي يخجلن من طريقك الرذيلة، وزنيت مع بني آشور إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي أيضاً، وكثرت زناك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبعي، ما أمرض قلبك، يقول السيد الرب: إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة بينائك قبتك في رأس كل طريق وصنعتك مرتفعتك في كل شارع. ولم تكوبي كزانية بل محتقرة الأجرة. أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنيبين مكان زوجها، لكل الزواني يعطون هدية. أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك، وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يزن وراءك، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك، فصرت بالعكس»^(٤).

(١) سفر صموئيل الثاني (١٢: ١١-١٢).

(٢) سفر نشيد الأنشاد (٣: ١-٥).

(٣) سفر نشيد الأنشاد (٤: ١-٧).

(٤) سفر حزقيال (١٦: ٢٥-٣٤).

وفي سفر الأمثال: «لاحظت بين البنين غلامًا عديم الفهم عابراً في الشارع عند زاويتها وصاعداً في طريق بيتها في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام، وإذ بامرأة استقبلته في زني زانية وخبيثة القلب صحابة هي وجاحمة في بيتها لا تستقر قدمها تارة في الخارج وأخرى في الشوارع. وعند كل زاوية تكمن، فأمسكته وقبّلته. أوقحت وجهها وقالت له: علي ذبائح السلامة. اليوم أوفيت نذورتي، فلذلك خرجت للقائك لأطلب وجهك حتى أجدك، بالديباج فرشت سريري بموشى كتان من مصر، عطّرت فراشي بمر وعود وقرفة، هلم نرتو ودًا إلى الصباح. نلتذذ بالحب، لأن الرجل ليس في البيت. ذهب في طريق بعيدة، أخذ صرة الفضة بيده. يوم الهلال يأتي إلى بيته، أغوته بكثرة فنوحها بملت شفيتها طوحته، ذهب وراءها لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغني إلى قيد القصاص»^(١).

وهي نصوص لا تحتاج إلى تعليق، فهي ناطقة بذاتها وكاشفة عن سواتها.

٧- تناقض نصوصها:

ومن تناقضات التوراة ما يلي^(٢):

جاء في سفر إشعيا أن الله «إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض، لا يكل ولا يعيا»^(٣)، وهو مناقض لما ورد في التوراة من أن الله بعد أن خلق الله السماوات والأرض استراح كما يفترون، فتقول: «فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع»^(٤)، ونحوه في سفر الخروج «في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع»^(٥).

وتحدثنا التوراة عن الله العظيم العليم، فتذكر أنه ليس كممثل البشر وضعفهم: فهو لا يندم ولا يكذب، فتقول: «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم، هل يقول ولا يفعل، أو يتكلم ولا يفهم؟»^(٦)، ولكن التوراة تناقض ذلك فتنسب إلى الله الندم على أمور صنعها، ومن ذلك ندمه على اختيار شاول لملك بني إسرائيل، حيث يقول: «ندمت على أني جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي»^(٧).

(١) سفر الأمثال (٧: ٧-٢٢).

(٢) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ (ص: ١٦١) وما بعدها.

(٣) سفر إشعيا (٤: ٢٨).

(٤) سفر التكوين (٢: ٢).

(٥) سفر الخروج (٢٠: ١١).

(٦) سفر العدد (٢٣: ١٩).

(٧) سفر صموئيل الأول (١٥: ١١).

وتذكر التوراة أن الله لا يُرى، فتقول: «حقاً أنت إله محتجب، يا إله إسرائيل»^(١)، والإنسان لا يقدر على رؤيته، فقد قال الله لموسى: «لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراي ويعيش»^(٢)، لكن التوراة تذكر كثيرين رأوا الله، منهم شيوخ بني إسرائيل «لما صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل»^(٣).

ومن تناقضات التوراة ترددها في وصف الله بالقدرة التامة تارة، وبالعجز تارة أخرى، ففي سفر الخروج: «إني الإله القادر على كل شيء»^(٤)، وفي سفر أيوب: «قد علمت أنك تستطيع كل شيء، ولا يعسر عليك أمر»^(٥)، وهذا المعتقد الصحيح تنقضه التوراة في مواطن كثيرة، نسبت إلى الله العجز كما في غلبة يعقوب عليه في المصارعة^(٦)، كما عجز عن طرد الكنعانيين الذين كانوا يمتلكون مركبات حديدية، جاء في سفر القضاة: «وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل، ولم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات حديد»^(٧).

وفي سفر صموئيل الأول جاء وصف الله تعالى بالعلم، فتقول: «الرب إله عليم»^(٨)، ولكن في سفر التكوين تنقضه، فتجعله جاهلاً ببعض صنائع عباده، إذ لما اختبأ آدم في الجنة بحث عنه الإله «فدعا الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟»^(٩).

وقد أثبت العلامة رحمت الله الهندي -وهو من أفضل من درس التوراة- بالأدلة الظاهرة تحريف التوراة، ومن أبرز ما ذكره تناقض نصوصها ونسخها، ومن ذلك:

- الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح -عليه السلام- حسب النسخة العبرانية ١٦٥٦ سنة، وحسب اليونانية ٢٢٦٢ سنة، وحسب السامرية ١٣٠٧ سنة^(١٠)، وهو تناقض ظاهر.

- جاء في النسخة العبرانية: «هم ما عصوا قوله»، وفي اليونانية: «هم عصوا قوله»، ففي الأول نفي والثانية إثبات، فأحدهما غلط يقيناً، وتحير العلماء المسيحيون ههنا، في تفسير

(١) سفر إشعيا، (٤٥: ١٥).

(٢) سفر الخروج (٣٣: ١٩-٢٠).

(٣) سفر الخروج (٢٤: ٩).

(٤) سفر الخروج (٦: ٣).

(٥) سفر أيوب (٤٢: ٢).

(٦) انظر: سفر التكوين (٣٢: ٢٤ - ٣٢).

(٧) سفر القضاة (١: ١٩).

(٨) سفر صموئيل الأول (٢: ٣).

(٩) سفر التكوين (٣: ٩).

(١٠) انظر: إظهار الحق (٢/ ٤٣١).

هنري واسكات: «لقد طالت المباحثة لأجل هذا الفرق جدًّا، وظاهر أنه نشأ إما لزيادة حرف أو لتركه» فجامعو هذا التفسير اعترفوا بالتحريف، لكن ما قدروا على تعيينه»^(١).

- في سفر صموئيل الثاني: «فدفع يوبأب جملة عدد الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمان مئة ألف رجل ذي باس مستل السيف ورجال يهوذا خمس مئة ألف رجل»^(٢)، وفي سفر أخبار الأيام الأول: «فدفع يوبأب جملة عدد الشعب إلى داود فكان كل إسرائيل ألف ألف ومئة ألف رجل مستلي السيف ويهوذا أربع مئة وسبعين ألف رجل مستلي السيف»^(٣)، فبينهما اختلاف في عدد بني إسرائيل بمقدار ثلثمائة ألف وفي عدد يهوذا بقدر ثلاثين ألفًا^(٤).

- في سفر أخبار الأيام الأول: «لبنيامين بالبع وباكرا ويديعئيل ثلاثة»^(٥)، وفيه أيضًا: «وبنيامين وكدِّ بالبع بكره وإشبييل الثاني وأخرخ الثالث ونوحه الرابع ورافا الخامس»^(٦)، وفي سفر التكوين: «وبنو بنيامين: بالبع وباكرا واشبييل وجيرا ونعمان وإحجي وروش ومقيم وحفيم وارد»^(٧)، ففي النصوص الثلاثة اختلاف من وجهين: الأول في الأسماء، والثاني في العدد، حيث يفهم من النص الأول أن أبناء بنيامين ثلاثة، ويفهم من النص الثاني أنهم خمسة، ويفهم من النص الثالث أنهم عشرة، ولما كانت العبارة الأولى والثانية من كتاب واحد يلزم التناقض في كلام مصنف واحد، ولا شك أن أحدها صادق والباقي كاذب، ولذا تحيَّروا واضطربوا فيها^(٨).

٨- شهادة الدراسات العلمية الغربية بالتحريف:

«إن الدراسات المنهجية الغربية الحديثة التي وضعت التوراة الحالية على محك الامتحان والنقد والتمحيص والموازنة انتهت هذه الدراسات إلى نتيجة يقينية جازمة، مؤداها: أن تلك الكتب ليست وحيًا من عند الله، وليست من وضع موسى ولا الأنبياء من بعده، وإنما هي من وضع البشر، من وضع مؤلفين مجهولين، واجتهد العلماء الغربيون في البحث عن المصادر التي استقى منها أولئك المؤلفون المجهولون مادة هذه الأسفار، وبعد فحص وتدقيق وتمحيص

(١) انظر: إظهار الحق (٢/ ٤٤٤).

(٢) سفر صموئيل الثاني (٩: ٢٤).

(٣) سفر أخبار الأيام الأول (٥: ٢١).

(٤) انظر: إظهار الحق (١/ ١٧٠).

(٥) سفر أخبار الأيام الأول (٧: ٦).

(٦) سفر أخبار الأيام الأول (٨: ٢-١).

(٧) سفر التكوين (٤٦: ٢١).

(٨) انظر: إظهار الحق (٢/ ٤٤٧).

وضعوا أيديهم على هذه المصادر، وهي كتب الديانات الوثنية القديمة»^(١).
 ويأتي في مقدمة هذه الدراسات ما كتبه الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (١٦٧٧م) في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) فقد ذكر أن ابن عزرا هو أول من تنبه إلى أن «موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا»، واستند في ذلك على جملة من نصوص الكتاب المقدس تبرهن على أن كاتب الأسفار ليس هو موسى -عليه السلام- بل هو رجل عاش بعد موسى بمدة طويلة^(٢)، ويقول: «وربما كان سبب تسميته الأسفار الخمسة الأولى باسم موسى هو أنها تدور أساسًا حول حياته، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية، ولهذا السبب نفسه سمي السفر السادس باسم يشوع، والسابع باسم القضاة، والثامن باسم راعوث، والتاسع وربما العاشر أيضًا باسم صموئيل، والحادي عشر والثاني عشر باسم الملوك»^(٣).
 وبعد أن ينتهي من عرض ملاحظات ابن عزرا يقول سبينوزا: «يبدو أنه قد فاته أن يذكر أهم الأمور؛ إذ يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار»^(٤)، وذكر منها:

- ١- حديث التوراة عن موسى بضمير الغائب، مثل: تحدث الله مع موسى، كان الله مع موسى وجهًا لوجه، وكان موسى رجلًا حليماً جدًا أكثر من جميع الناس (العدد ١٢: ٣)، فسخط موسى على وكلاء الجيش (العدد ٣١: ١٤)، موسى رجل الله (الثنية ٣٣: ١)، وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الأسفار كتبها شخص آخر غير موسى.
- ٢- ما جاء في سفر الثنية: «ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه» (الثنية ٣٤: ١٠)، وهذه شهادة لا يمكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة.
- ٣- بعض الأماكن التي وردت في الكتاب المقدس لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسى، بل أطلقت عليها هذه الأسماء بعد موسى بوقت طويل، مثل (دان)، ففي سفر التكوين (١٤: ١٤): «فلما سمع أبرام أن أخاه سبي جرَّ غلمانة المتمرنين ... وتبعهم إلى دان»، وهو اسم لم يطلق على هذه المدينة إلا

(١) التطرف اليهودي، د. عبد الراضي محمد (ص: ٥٠).

(٢) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة (ص: ٢٥٨).

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص: ٢٧٣).

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص: ٢٦١).

بعد موت يشوع بمدة طويلة وكان اسمها أولا (لايش)، كما في سفر القضاة (١٨: ٢٩).

٤- بعض النصوص تتحدث عن بعض الأحداث التي وقعت بعد موت موسى، كما في (سفر الخروج ١٦: ٣٥): «وأكل بنو إسرائيل المرَّ أربعين سنة حتى جاؤوا إلى أرض عامرة، أكلوا المرَّ حتى جاؤوا إلى طرف أرض كنعان».

ثم يقول سبينوزا: «من هذه الملاحظات يبدو واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة»^(١)، ثم يلخص ملاحظاته على كتابهم المقدس عندهم بقوله: «فإذا أخذنا في اعتبارنا هذه الخصائص الثلاث: وحدة العرض في جميع هذه الأسفار، وطريقة ربطها فيما بينها، وتأليفها بعد الحوادث المرئية بقرون عديدة، نستنتج من ذلك كما قلنا من قبل أن مؤرخًا واحدًا هو الذي كتبها، أما من هو هذا المؤرخ، فإني لا أستطيع أن أحده بوضوح، ومع ذلك فإني أرتاب في أن يكون عزرا»^(٢).

ويقول اليهود اليوم بأن التوراة من وضع مجموعة من المؤلفين، فقد جاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية تحت عنوان (النصوص اليهودية المقدسة): «يعتقد الكثير من الدارسين والمفكرين اليهود المحدثين بأن التوراة هي نصوص وضعها عدد من المؤلفين، وجمعت بالتدريج على مر فترة طويلة، أي: أنهم يعتقدون بأن التوراة بلورت التاريخ اليهودي، وأنها تشكل حصيلة هذا التاريخ أيضًا»^(٣).

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: «يعتبر العهد القديم كتابًا غير متجانس، إذ إنه مجموعة من الوثائق تكونت خلال فترة تزيد على الألف عام بواسطة رجال لهم تراث لغوي متعدد، ولم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ، ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها ونقلها»^(٤).

ونقل العلامة رحمت الله الهندي عن الدكتور كني كات^(٥) قوله: «إن نسخ العهد العتيق التي

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص: ٢٦٣).

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص: ٢٦٩).

(٣) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على هذا الرابط: <http://cutt.us/WsZCT> بتاريخ: ٢٧ / ٤ / ٢٠١٩م.

(٤) البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين، أحمد عبد الوهاب (ص: ١١).

(٥) وهو أحد علمائهم الذين كان عليهم اعتماد فرقة البروتستانت في تصحيح كتب العهد العتيق، انظر: إظهار الحق (٢/

هي موجودة كتبت ما بين ألف وألف وأربعمئة»، وقال: «إن جميع النسخ التي كانت كتبت في المائة السابعة أو الثامنة أهدمت بأمر محفل الشورى لليهود؛ لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التي كانت معتمدة عندهم»، وقال والثمن أيضاً: «إن النسخ التي مضى على كتابتها ستمائة سنة قلما توجد، والتي مضى على كتابتها سبعمائة سنة أو ثمانمائة سنة ففي غاية الندرة»^(١).

ونقل أيضاً عن الدكتور إسكندر كيدس (أحد علمائهم المعترين): «ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا:

الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى -عليه السلام-.

والثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني ما كتب في عهد موسى الذي كان بنو إسرائيل في هذا العهد في الصحارى.

والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ولا بعد زمان حزقيال، بل أنسب تأليفها إلى زمان سليمان -عليه السلام-، يعني قبل ألف سنة من ميلاد المسيح أو إلى زمان قريب منه، في الزمان الذي كان فيه هومر الشاعر، فالحاصل أن تأليفه بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى»^(٢).

المصدر الثاني: التلمود:

وهو اسم عبري معناه: تعليم، أي: الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية^(٣)، ويعرف التلمود باسم (الشرعية الشفهية)؛ لتمييزه عن التوراة التي تعرف باسم (الشرعية المكتوبة)^(٤)، ويعتبر التلمود المصدر الثاني للدين اليهودي بعد العهد القديم، وهو مصدر شارح للعهد القديم، ومفسر لمادته الدينية، ويحتل مكانة كبيرة في تكوين الدين اليهودي^(٥).

أقسام التلمود: يتكون التلمود من قسمين:

١- المشنا، وهو المتن.

٢- الجمارا، وهو الشرح له.

(١) إظهار الحق (٢/ ٥٦٨).

(٢) إظهار الحق (١/ ١١٦-١١٧).

(٣) انظر: فضح التلمود. الأب براناييس (ص: ٢١).

(٤) انظر: التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شمعون موبال (ص: ٢١). ترجمة: د. ليلى إبراهيم أبو المجد، المدخل لدراسة التوراة، د. محمد البار (ص: ١١١).

(٥) انظر: مقدمة د. محمد خليفة حسن لمن التلمود (المشنا). ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود (ص: ٤).

ويطلق عليهما معاً اسم (التلمود)، و«قد تطلق كلمة (التلمود) أو (التلموذ) على الجمارة وحدها، أو على المشناة والجمارة معاً»^(١).

ويقول السموأل المغربي: «فأما المشنا فهو الكتاب الأصغر وحجمه نحو ثمانمائة ورقة، وأما التلمود فهو الكتاب الأكبر^(٢)، ومبلغه نحو نصف جمل بغلٍ لكثرتِه، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل»^(٣).

والمشنا كلمة عبرية معناها: التكرار، وتعريف اصطلاحاً بأنها: مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهة^(٤)، وقد جمعها يهودا هاناسي فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠م، أي: بعد قرن تقريباً من تدمير الهيكل^(٥).

وتم وضعها في ستة أجزاء، يعرف الجزء الأول باسم (الزراعات)، ويتناول كافة القضايا المتعلقة بفلاحة الأرض، والجزء الثاني باسم (المواسم والأعياد) ويتناول قضايا الأعياد والسبوت والتقويم اليهودي، وقواعد الطقوس التي تنظم الاحتفالات الدينية الخاصة بكل عيد، ويعرف الجزء الثالث باسم (النساء) ويتناول قضايا الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية، ويعرف الجزء الرابع باسم (الجنائيات أو الأضرار) ويتناول القانون الديني وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، والأحكام الخاصة بالخسائر والأضرار والتعويضات المترتبة عليها، ويعرف الجزء الخامس باسم (المقدسات) ويتناول قضايا العبادة وبخاصة في الهيكل، والطقوس والشعائر المتعلقة بالقرابين والتضحيات في الهيكل، ويعرف الجزء السادس والأخير باسم (الطهارة) ويتناول القضايا الخاصة بالنجاسة وكيفية التطهر^(٦).

ولهذا يشار إلى التلمود أحياناً بكلمة شاس Shas، وهي اختصار للكلمة العبرية Shishahsedarim أي: الأحكام الستة^(٧).

والجمارا أو الجماره^(٨) - بكسر الجيم - كلمة عبرية معناها: الإكمال^(١)، وهي تعني:

- (١) كنوز التلمود. محمد خليفة التونسي (ص: ١١)، وانظر: الكنز المرصود في فضاءات التلمود، د. محمد الشراقوي (ص: ٤٢) هامش: ١.
- (٢) هذا يدل على أن اسم التلمود عند مختص بالجمارا. انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود (ص: ١٦١)، هداية الحيارى (٢/ ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٥).
- (٣) إفحام اليهود (ص: ١٦١).
- (٤) انظر: مقدمة المشنا (١/ ٧-٨)، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود.
- (٥) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه. ظفر الإسلام خان (ص: ١١).
- (٦) انظر: مقدمة المشنا (١/ ١٢-١٦)، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شمعون مويال (ص: ٢٢).
- (٧) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه. ظفر الإسلام خان (ص: ١٦).
- (٨) وتكتب أحياناً (الغامارة).

التعليقات والحواشي والشروح التي علقها علماء اليهود على المشنا، فمن المشنا وشروحا تكون (التلمود)^(١).

وهناك نوعان أو نسختان من (الجمارا): جمارا أورشليم (فلسطين)، وجمارا بابل (العراق). فجمارا أورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين، أو بالأخص علماء مدارس طرية لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠ م، وهو أقل حجماً وقيمة من التلمود البابلي^(٢).

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دَوَّنَهَا علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠ م تقريباً.

«فالمشناه واحدة، ولكنَّ لها جمارتين: فلسطينية تمت في مدارس فلسطين في أخريات القرن الرابع، وبابلية تمت في مدارس بابل في آخر القرن الخامس، وأضيفت إليها سبعة أبواب في القرن السادس ... ويقارب حجم التلمود البابلي أربعة أضعاف الفلسطيني^(٣)»، وكلاهما يطبع على حدة^(٤).

وكثير من اليهود ممن يعتمد التلمود لا يعتدون كثيراً بالتلمود الفلسطيني، ويعدون التلمود البابلي أكثر شمولاً وأفضل ترتيباً منه، ولذا يحتل التلمود الفلسطيني عندهم مركزاً أدنى^(٥)، فالتلمود البابلي هو الأكثر شيوعاً وتداولاً بين اليهود^(٦).

جاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: «في أعقاب تخريب الهيكل المقدس في أورشليم القدس على يد الرومان عام ٧٠ ق.م، جمع علماء الديانة اليهودية في أرض إسرائيل مجلدات المشناه الستة لتسجيل وحفظ سنن الشريعة والقوانين والعادات الدينية اليهودية، وخلال القرون الخمسة التالية ألحقت بالمشناه: الغمارا في فقه الشريعة، وهي عبارة عن شروح مسهبة وحواشي ومناظرات وتفسيرات دَوَّنَهَا حاخامات في أرض إسرائيل وفي بابل، ويشكل هذان النصان التلمود الذي يظل مصدرًا حيًّا للدراسة والفكر والتفسير اليهودي^(٧)».

(١) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص: ٢٠-٢١).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٢٢٢)، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف نصر الله (ص: ٤٧-٤٨).

(٣) انظر: التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شعون مويال (ص: ٢٣).

(٤) كنوز التلمود. محمد خليفة التونسي (ص: ٢٢).

(٥) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه. ظفر الإسلام خان (ص: ١١-١٢).

(٦) انظر: التاريخ اليهودي، إسرائيل شاحاك (ص: ٦٢)، ترجمة: صالح علي سوادح.

(٧) مقدمة المشنا، د. مصطفى عبد المعبود (ص: ١٧).

(٨) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، على هذا الرابط: <http://cutt.us/nGvSh>، بتاريخ: ٢٦ / ٦ / ٢٠١٩ م.

وقد طبع التلمود طبعات كثيرة أهمها الطبعة الأولى الكاملة للتلمود البابلي التي ظهرت في البندقية سنة ١٥٢٠-١٥٢٣م، في اثني عشر مجلداً من القطع الكبير، أما التلمود الأورشليمي فقد نشر في البندقية أيضاً سنة ١٥٢٣-١٥٢٤م في مجلد ضخماً^(١).

وقد حرص اليهود منذ انتهوا من تدوينه على ألا يطلع عليه أحد من غير اليهود، ولا حتى عامة اليهود أنفسهم، ولذا لم يسعوا إلى ترجمته إلى أية لغة من لغات البشر، وحتى حين تمت ترجمته في أوروبا في القرن السادس عشر فإن من ترجموه كانوا من المسيحيين المتهودين، وحرصوا على حذف كافة العبارات القاسية والبذيئة التي يحتويها، والتي تكشف عن روح العنصرية السائدة فيه، وكراهية غير اليهود والأديان غير اليهودية وخاصة المسيحية^(٢).

ومع ذلك فقد حمل الملوك والباباوات حملات شديدة ضد التلمود، منذ القرن الثالث عشر، وصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود في فرنسا من سنة ١٢٢٦م حتى ١٢٧٠م، كما حدث ذلك في إنجلترا أيضاً سنة ١٢٩٠م حين أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد بعد أن اكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الإنجليزي المسيحي، وفي أواخر العصور الوسطى لم يحرق التلمود، وإنما اكتفت السلطات الحاكمة والكنيسة بالرقابة على طبعه، فأجازت تداول نسخ محدودة بعد حذف فصول عديدة، وهاجم مجلس المدينة في بولندا عام ١٨٤٠م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحي، وكان أسقف بولندا قد أمر بإحراق كل نسخ التلمود، وأحد أهم الأسباب التي أدت إلى اتخاذ هذه الإجراءات العنيفة هي تعاليم التلمود الهدامة المعادية للمسيحية وغير اليهود^(٣).

لكن بعد قيام دولة إسرائيل تم إعادة كل ما حذف من هذه العبارات إلى التلمود، يقول إسرائيل شاحك: «إثر إقامة دولة إسرائيل وشعور الحاخامات بالأمان أعيدت كل الفقرات والتعابير العدائية من دون تردد في كل الطبعات الجديدة، وبسبب التكاليف الباهظة لكل طبعة جديدة، ما زال جزء كبير من الأدب التلمودي والتلمود نفسه يعاد طبع نسخه القديمة، ولهذا السبب، أعيد نشر كل المخطوطات التلمودية في إسرائيل بطبعات رخيصة»^(٤).

وقد تم طباعة التلمود في العصر الحاضر مترجماً إلى اللغة العربية سنة ٢٠١١م، وأشرف على ترجمته مركز دراسات الشرق الأوسط بالأردن، وذكرت اللجنة التي أشرفت على ترجمته أنهم واجهوا صعوبة كبيرة في الحصول على نسخة عبرية منه، على عكس ما توقعوا، حيث تبين

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٩١-٩٢).

(٢) انظر: مقدمة التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. رشاد الشامي (ص: ٢٣).

(٣) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه (ص: ٤٠-٤٢).

(٤) التاريخ اليهودي (ص: ٣٩).

لهم أن دور النشر اليهودية لا تقبل بيع النسخ إلى العموم، حتى تلك الموجودة في خارج إسرائيل، فضلاً عن تلك الموجودة في القدس وتل أبيب، وقد رفضت هذه الدور طلبهم للحصول على التلمود، رغم استعدادهم لدفع المقابل المادي المرتفع عبر وسطاء من أهل تلك البلاد، وقد استغرق هذا الأمر شهوياً عدة من العمل والاتصالات في سبع دول حول العالم، وانتهت بعد أكثر من سنتين، حيث تمكنوا من الحصول على النسخة الأصلية للتلمود باللغة العبرية القديمة^(١).

منزلة التلمود لدى اليهود:

يعتقد اليهود الذين يؤمنون بالتلمود - وهم جمهور اليهود - بقدسية وأهمية التلمود حتى زعموا أن موسى تلقاه عن ربه مشافهة، ويستدلون على ذلك بما جاء في سفر الخروج من توراتهم بأن الله قال لموسى - بزعمهم - : «اصعد إليّ إلى الجبل، وكن هناك، فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم»^(٢)، فقالوا: إن المقصود بالشريعة والوصية: المشنا والتلمود، أي: التوراة الشفوية، فهم يدعون أن موسى نقل هذا القانون الشفوي إلى يوشع، وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين، وهؤلاء بدورهم نقلوه إلى الرسل حتى انتهت إلى كبير اليهود^(٣).

ويعتقدون أن التلمود أعظم منزلة من التوراة، فقد جاء في التلمود: «إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الغامارة) فعل أعظم فضيلة»^(٤).

وجاء في كتاب (ميزبيتش): «ليس هناك ما هو أسمى مقاماً من التلمود المقدس»^(٥). ويقول الحاخام روسكي: «يا بني التفت إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى (التوراة)»^(٦).

وذلك لأنهم يعتقدون أن حاخاماتهم معصومون عن الخطأ، وكل ما قالوه يعتبر كأقوال الإله، جاء في كتاب لهم اسمه (حاجيجا): «من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن

(١) انظر: التلمود البابلي (١ / ١٠).

(٢) سفر الخروج (٢٤ : ١٢).

(٣) انظر: فضح التلمود (ص: ٢١-٢٢)، كنوز التلمود، محمد خليفة التونسي (ص: ١٣).

(٤) الكنز المرصود (ص: ٥٠)، فضح التلمود (ص: ٤١).

(٥) الكنز المرصود (ص: ٥١).

(٦) المصدر السابق (ص: ٥١).

احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى»^(١).

وقالوا: «اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصَدِّقْ قوله ولا تجادلْه، فما بالك إذا قال لك: إن اليمنى هي اليمنى، واليسرى هي اليسرى»^(٢).

بل جاء في التلمود: «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يوماً الاختلاف بين البارى تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرايين، واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور»^(٣).

وجاء في دائرة المعارف البريطانية الجديدة: «الأرثوذكسية اليهودية تركز على دراسته [أي: التلمود] وتعتقد أنه يجب أن تكون له السلطة القانونية المطلوبة، ويتأكد هذا الاعتقاد يوماً بعد يوم، أما المحاكم الربانية في إسرائيل فإنها تجعله مصدراً لقوانين الأسرة، ومن أجل ذلك لا يفتأ اليهود الأرثوذكس بالمطالبة بجعله القانون الشامل العام لدولة إسرائيل»^(٤).

نقد التلمود:

النقد لأي مصدر يقوم على النظر في أصلين: (١) السند، (٢) المتن، كما سبق. أما **سند التلمود** فلا سند له سوى الكذب، ولذلك أنكرته طوائف من اليهود، كالصدوقيين، والأسينيين، وكذلك طائفة القرائين من اليهود، الذين قالوا - كما ينقل عنهم العالم اليهودي الذي هداه الله إلى الإسلام السموأل بن يحيى (ت ٦٢٩هـ) -: «إن أولئك السلف الذين ألفوا المشنا والتلمود - وهم فقهاء اليهود - قوم كذّابون على الله تعالى، وعلى موسى النبي - عليه السلام -، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة، من ذلك أن أكثر مسائل فقهم ومذهبهم يختلفون فيها ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل يوحى الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم، يقول: الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان، وهم يسمون هذا

(١) المصدر السابق (ص: ٥٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٥٣).

(٤) الكتر المرصود في فضائح التلمود (ص: ٤٠-٤١).

الصوت (بث قول)^(١)، فلما نظر اليهود القراؤون - وهم أصحاب عانان بن داود وبنيامين - إلى هذه المحالات الشنيعة، وإلى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقاتلتهم، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله تعالى، وقالوا - بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم ادعوا النبوة، وزعموا أن الله تعالى كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات -: قد فسقوا، ولا يجوز قبول شيء منهم، فخالقوهم في سائر ما أضلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة^(٢).

ويذكر ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) وهو من أوائل علماء المسلمين الذين كشفوا حقيقة التلمود أنه من وضع أحبارهم، فيقول: «التلمود^(٣) هو معوَّلم وعمدتم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم^(٤)»، فهو هنا يذكر إجماعهم على أنه من أقوال أحبارهم في حين أنهم يدعون أن موسى تلقاه عن ربه شفويًا، ويرجح ما قاله ابن حزم ما ورد في التلمود من نصوص تقرر أن التلمود من أقوال المخاطبات، وأنه أفضل من أقوال الأنبياء، وقد سبق.

وكانوا في كل جيل يزيدون عليه من افتراءاتهم حتى ظهر وتعاظم التناقض الفاحش فيه، فخشوا من افتضاح أمرهم، فتوقفوا، وقد كشف هذه الحقيقة العالم اليهودي المهتدي السموأل بن يحيى (ت ٦٢٩هـ)، فقال: «نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مر عليه جيل زادوا فيه، وأن في هذه الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه أدى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش، فقطعوا الزيادة فيه، ومنعوا من ذلك، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه وإضافة شيء آخر إليه، وحرموا من يضيف إليه شيئًا آخر، فوقف على ذلك المقدار^(٥)».

وهذا سبيل اليهود في الوضع والافتراء، قد أخبرنا الله تعالى أن اليهود كتبوا بأيديهم كتابًا لم يأتم به رسول وزعموا أنه من الله، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْأَوْ بِهِ ثَمَّنَا قَلِيلًا قَوْلًا لَّهُمْ يَمَا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ يَمَا يَكْتَسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني

(١) وتعني في العربية: صدى الصوت (د. سامي الإمام، أستاذ اللغة العبرية بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر).

(٢) إفحام اليهود (ص: ١٧١-١٧٢).

(٣) كذا بالذال، لأنه ينطق بالذال والذال، كما سبق.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٦٣-١٦٤).

(٥) إفحام اليهود (ص: ١٦١-١٦٢)، تحقيق: د. محمد الشرقاوي.

إسرائيل كتبوا كتابًا، فاتبعوه، وتركوا التوراة»^(١).
 أما متن التلمود فإنه يكشف عن استحالة نسبته إلى الله، وبطلان كونه وحيًا، ويكفي في
 الدلالة على ذلك أمران:
 الأول: ما جاء فيه من الافتراء على الله ورسله.
 الثاني: موقفه من غير اليهود.

أما الأول فيما يتعلق بالله جل وعلا، فقد نقل ابن حزم بعض ما فيه من التجسيم والتشبيه
 في حق الله تعالى، منها: «أن في رأس خالقهم تاجًا فيه ألف قنطار من ذهب، وفي أصبعه
 خاتم تضيء منه الشمس والكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون -
 تعالى الله عن هذه الحماقات-»^(٢).

وما ذكره ابن حزم من هذا التشبيه الشنيع والحقم البالغ دون ما وقفنا عليه بعد نشر نصوص
 من تلمودهم، ويكفي الرجوع إلى ما نقله صاحب (الكنز المرصود) عن التلمود من نصوص
 هي أشد وأشنع مما ذكره ابن حزم^(٣).

أما ما يتعلق برسل الله فيكفي أيضًا للوقوف على سوء مقالهم وعظيم افتراءهم الرجوع إلى ما
 ذكره تلمودهم في حق عيسى -عليه السلام-، فقد جاء فيه: «يدعى مسيحي من يتبع
 تعاليم ذاك الرجل الكاذبة الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت»،
 ويلقبونه: «نجار ابن نجار»، و«الرجل الذي شنق»^(٤) إشارة إلى أنه صُلِبَ، و«مضلل
 الشعب»^(٥)، ووصفوه بأنه كان مشعوذًا يمارس السحر^(٦)، وأنه لما مات دفن في مكان قذر
 حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة^(٧)، ونص التلمود على أن عيسى ابن غير شرعي، هربت
 أمه من زوجها، وحملت به من الزنا وهي حائض^(٨).

وقد تولى استخراج هذه الظلمات من قعر تلمودهم الأب برانائيس في كتابه (فضح التلمود)،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٥٩)، وقال الهيثمي: «فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة. وهو ثقة. وقد
 ضغفه غير واحد» (مجمع الزوائد ١/ ١٥٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٦٣-١٦٤).

(٣) انظر: الكنز المرصود (ص: ٥٥-٥٧).

(٤) فضح التلمود، الأب أي بي برانائيس (ص: ٥٦).

(٥) فضح التلمود (ص: ٦٢).

(٦) فضح التلمود (ص: ٦٠-٦١، ٦٣-٦٤).

(٧) فضح التلمود (ص: ٦٦-٦٧).

(٨) فضح التلمود، (ص: ٥٧-٦٠). وللتفصيل راجع: موقف اليهود والنصارى من المسيح -عليه السلام-. د. سارة
 العبادي.

وقد دفع روحه ثمنًا لهذا العمل^(١)، وكذلك الحاخام موسى أبو العافية^(٢).

أما الأمر الثاني وهو موقف تلمودهم من الأمم الأخرى فإليك شواهدة التي تثبت - كما يقول د. محمد عبد الراضي - أن «التلمود يعد أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات لإقامة مجتمع عالمي صهيوني يسيطر على كل دول العالم بكل الوسائل الممكنة من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب، كما يستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى، ويعدهم في منزلة الحيوانات»^(٣)، بل هو كما يقول د. محمد الشرفاوي - «أخطر كتاب على الإطلاق»^(٤).

ومن عباراتهم فيه ما يلي^(٥):

«إن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب..».

«مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبي (غير اليهودي) بل يطعم الكلب لأنه أفضل منه».

«الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم».

«السرقه من غير اليهودي لا تعد سرقه، بل استرداد لمال اليهودي ... حياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بأمواله؟!».

«اقتل الصالح من غير اليهود، ويحرم على اليهودي أن ينقذ أحدًا من الأجانب من هلاك أو يخرجهم من حفرة، بل عليه أن يسدها بحجر».

«من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانًا إلى الله» والكافر هو غير اليهودي عندهم.

«اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود».

«من يقتل مسيحيًا أو أجنبيًا أو وثنيًا يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي

(١) يقول سانشوارى مترجم الكتاب من اللاتينية إلى الإنجليزية: «إن الأب براناييس التقى فعلاً بحفنه كما تنبأه على أيدي أعدائه اليهود إبان الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ في روسيا» (فضح التلمود ص: ١٥٥).

(٢) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود (ص: ٤٩) وما بعدها.

(٣) التطرف اليهودي (ص: ٥٧).

(٤) الكنز المرصود في فضائح التلمود (ص: ٦).

(٥) انظر هذه النصوص وغيرها في: خطر اليهودية العالمية، د. عبد الله التل (ص: ٧١) وما بعدها، التطرف اليهودي (ص:

الرابعة، أما من يقتل يهوديا فكأنه قتل العالم أجمع». «إن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم القيام به، وإن من الواجب أن يعلن يوميًا ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل».

«اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض غير اليهودي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، ولأن المرأة غير اليهودية تعد بهيمة، والعقد لا يوجد بين البهائم».

«إن الزنا بغير اليهود ذكورًا كانوا أو إناثًا لا عقاب عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات».

«لليهودي الحق في اغتصاب غير اليهوديات».

«إن الله لا يغفر ذنبًا لليهودي يرد للأمة ماله المفقود».

«الذي يرتد عن الدين اليهودي يعامل معاملة الأجنبي، غير أنه إذا فعل ذلك من أجل خداعهم فلا جناح عليه، لأنه إذا أمكن لليهودي أن يغش أجنبيًا ويوهمه بأنه غير يهودي فهو مسموح به».

«مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانًا كاذبة بشرط ألا يكشف الأخير غشه حتى لا يضر بالدين في عيون الآخرين».

«العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم».

المبحث السادس:

السنهدرين

أولاً: تعريفه:

السنهدرين، ويقال له: السنهدريم وهو المحكمة العليا لدى اليهود، ويطلق عليه أيضاً بالعبرية (الكنيست)، يقول زكي شنودة: «السنهدريم لفظ يوناني معناه: (المجمع العظيم)، وكان يطلق عليه بالعبرية (الكنيسيت)»^(١).

جاء في (دائرة المعارف الكتابية) تحت كلمة (سنهدريم): «هي كلمة عبرية منقولة عن (سندريون) اليونانية، ومعناها: الجالسون معاً، أي: مجمع مشيخة أو مجلس المشيرين، وكان مجلس السنهدريم يقوم بالسلطة القضائية المركزية لليهود، ويشار إليه في العهد الجديد ... (شيوخ الشعب)، و(المجمع)»^(٢).

ولذا جاءت تسميته في (المشنا) بحسب الترجمة العربية بـ«المحكمة العليا»^(٣)، وهذه الترجمة تبين معناه، يقول ظفر الإسلام خان: «سنهدرين معناها بالعبرية (المحكمة العليا) ... ويعالج -حسب معناه اللفظي- موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها»^(٤).

ويقول د. عبد الوهاب المسيري: «كان السنهدرين بمنزلة المحكمة (بيت دين)، ولذا، فإنه يطلق عليه بالعبرية اسم (بيت دين جادول) أي: المحكمة العليا»^(٥).

ويعرف كوهين (حاخام كنيس برمنغهام) السنهدرين بأنه «سلطة سياسية، تتمتع بصفة صدوقية (كهنوتية) بشكل رئيسي، يُنتقى أعضاؤها من الأسر الكهنوتية والأرستقراطية»^(٦)، فهو هنا يبين بأنه ليس سلطة دينية فحسب، بل هو سلطة سياسية، فلا مكان للمذهب العلماني في ظل السنهدرين، ثم يقول: «إذا عُرضت عليهم مسألة ما ووجدوا لها النص القانوني (الهالاخا) فيعلنون عندها حكمهم، وإلا يتم طلب الحكم بالتصويت، فإذا اعتبرت

(١) انظر: المجتمع اليهودي، زكي شنودة (ص: ٢٥٣).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ٤٥٢).

(٣) المشنا (٤/ ١٤٧).

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه (ص: ٢١).

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٤/ ٦٣).

(٦) التلمود، كوهين (ص: ٣٨١).

الأغلبية أن الفعل المناقش كان ممنوعاً أو محرماً عندها تنطق هيئة الحكم بـ«المالاخا»^(١)، فهو يبين كيف يتخذون قرارهم بالرجوع إلى النص القانوني أولاً، فإن لم يجدوا فيؤخذ الحكم برأي الأغلبية.

ويقول عجاج نويهض: «السنهدرين بمعناه العام: هو ... المجمع الديني الأعلى عند اليهود»^(٢)، فهو أعلى سلطة دينية وسياسية.

وعرفه أ. عبد الكريم سباع بأنه: «الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة لليهود، وإصدار القوانين وتطبيقها»^(٣).

ومن خلال هذه التعاريف ننتهي إلى أن السنهدرين: هو المحكمة العليا التي تتولى النظر في قضايا اليهود المهمة السياسية والدينية وغيرها، ويعتمد في قراراته على القانون اليهودي، ثم التصويت بالأغلبية.

ثانياً: نشأته:

«يحاول الكُتّاب اليهود أن يرجعوا بداية السنهدرين إلى عهد النبي موسى عندما دعى السبعين رجلاً ليعملوا معه لما قام أتباعه يتذمرون ويطلبون العودة إلى مصر»^(٤)، ويزعمون أن الرب هو الذي حدد عدد أعضائه، يقول زكي شنودة: «يعزو اليهود أصله إلى عهد موسى، إذ جاء في سفر العدد: «فقال الرب لموسى: اجمع إليّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك، وأخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك»^(٥)»^(٦).

ويزعمون أيضاً بأن «السنهدرين هو الذي حاكم السيد المسيح فصلب سنة ٢٩ م على ما جاءت به الأخبار»^(٧).

ويقول داود سنقرط: «ويقي السنهدرين منذ نشأته حتى اليوم، يلعب دوراً رئيسياً في حياة

(١) التلمود (ص: ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٤٥١).

(٣) قواعد التنظيم السياسي لمجلس السنهدريم اليهودي (ص: ١٢١). مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة. عدد: ٤٢، سنة ٢٠١٧ م.

(٤) أبحاث في اليهودية والصهيونية. د. أحمد سوسة (ص: ٢٠).

(٥) سفر العدد (١٩: ١٧-١١).

(٦) انظر: المجتمع اليهودي، زكي شنودة (ص: ٢٥٣). بروتوكولات حكماء صهيون. عجاج نويهض (ص: ٤٥٩).

(٧) أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة (ص: ٢٠).

اليهود»^(١).

ثالثاً: أعضاؤه:

السنهدرين على درجتين - كما نص على ذلك المشنا-:

١- محكمة كبرى تتكون من ٧١ قاضيًا.

٢- محكمة صغرى تتكون من ٢٣ قاضيًا^(٢).

يقول د. حسن ظاظا: «وقد نظم أحبار التلمود السنهدرين فجعلوه على درجتين:

١- السنهدرين الأعظم، وهو المجلس الأعلى المركزي لجميع اليهود، ويتألف من سبعين رجلاً على رأسهم واحد ينوب عن موسى، هو الملك إن وجد، أو الحاخام الأكبر، وكانوا إذا اجتمعوا جلسوا في نصف دائرة.

٢- السنهدرين الأصغر، وهو مجلس محلي لكل تجمع يهودي، يتألف من ثلاثة وعشرين عضواً، وقد ورد في التلمود أن مدينة أورشليم كانت تمتاز بمجلسين من السنهدرين الأصغر، يعتقد كل منها عند باب من أبوابها، إلى جانب السنهدرين الأعظم الموجود بها أيضاً، وكان السنهدرين الأصغر محكمة تقف في القضاء عند درجة معينة لا تتعدها، إذ تذهب القضايا الكبرى إلى السنهدرين الأعظم»^(٣).

وجاء في (دائرة المعارف الكتابية): «عدد أعضاء السنهدريم سبعين شخصاً، وإذا أضيف إليهم رئيسه يصبح عددهم واحدًا وسبعين شخصاً، وكان يرأس اجتماعاته في أيام العهد الجديد رئيس الكهنة، وكان أعضاء المجلس يختارون من العائلات الكهنوتية وكبار المعلمين الدينيين المعروفين باسم الكتبة أو معلمي الشريعة، وبالجمع بين هاتين الفئتين كان السنهدريم يتكون من الصدوقيين (رجال الكهنوت) ومن الفريسيين (الكتبة) كما يضم عددًا من الشيوخ الذين لا ينتمون لهاتين الفئتين»^(٤).

رابعاً: وظائفه:

يبين المؤرخ الإيطالي سبتينو موسكاتي وظائف السنهدرين بقوله: «كان من وظائف السنهدرين الكبير تشريع القوانين الخاصة بالعبادات، ومحكمة من ينتهك هذه القوانين،

(١) جذور الفكر اليهودي. داود عبد العفو سنقرط (ص: ٩٠).

(٢) انظر: المشنا (٤/ ١٥١).

(٣) الشخصية الإسرائيلية (ص: ٥٢).

(٤) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ٤٥٢).

والنظر في قضايا الاستئناف، والإشراف على المحاكم الصغرى، والهيمنة على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد، وكان السنهدرين بصفة خاصة يحافظ على قداسة الشريعة المتوارثة وتفسيراتها الشفوية المبنية على الشريعة المكتوبة في التوراة»^(١).

ويفصل زكي شنودة وظائفه فيقول: «كان السنهدريم هو الذي يهيمن على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء، وكان يحكم في كل الشؤون المتعلقة بالشريعة الطقسية والشريعة الجنائية والشريعة المدنية، كما كان هو المحكمة الاستئنافية العليا للقضايا الهامة التي سبق أن فصلت فيها مجالس المدن والقرى التي كانوا يسمونها (المجامع) وكان هو المهيمن على شؤون هيكل أورشليم، وهو الممثل للشعب اليهودي، فكان هو حكومة اليهود التي تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكان في ذلك الوقت هو الهيئة الكهنوتية العليا التي تملك سلطة الحكم في كل المخالفات التي تمس الشريعة اليهودية، كما تملك سلطة تنفيذ ما تصدر من أحكام، وكان للسنهدريم قوة عسكرية خاصة به لضبط المتهمين وتنفيذ الأحكام عليهم»^(٢).

ويقول د. عبد الوهاب المسيري: «وهي محكمة تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقاً للشريعة اليهودية في ذلك الوقت، وتشريع القوانين الخاصة بالعبادات ومحكمة من ينتهك هذه القوانين، وكذلك الإشراف على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد، وكان السنهدرين يقوم أيضاً بوظيفة محكمة الاستئناف، والسنهدرين أعلى سلطة قضائية لليهود، وله الرأي النهائي في تفسير القوانين وإصدارها، وقد كانت أحكامه تصدر بموافقة أغلبية الأعضاء، وكان السنهدرين يشرف على المحاكم الصغرى، كما كان من صلاحياته تعيين القضاة في المحاكم الدنيا سواء في محاكم السنهدرين الأصغر أو في غيرها، وهو الذي كان يحاكم كبار الموظفين، مثل الكاهن الأعظم، ويتحرى مدى صدق أو كذب مدعي المشيحية^(٣)، وقد كان السنهدرين هو المجلس الذي جمع الحقائق وقدمها للحاكم الروماني حين اتهم اليهود المسيح (عيسى بن مريم) بأنه ليس الماشيح المنتظر، وقد حكم المجلس بصلبه، وكان يتأس السنهدرين في مرحلة من المراحل الكاهن الأعظم، ولكنه في مرحلة أخرى كان يتأسه الزوجوت، أي: رئيسان، أحدهما يحمل لقب ناسي (أمير اليهود)، ويحمل الثاني لقب آب بيت دين (رئيس

(١) الحضارات السامية القديمة، موسكاتي (ص: ٣٤٢).

(٢) المجتمع اليهودي، زكي شنودة (ص: ٢٥٣).

(٣) ماشيح كلمة عبرية تعني المسيح المخلص، ومنها (مشيحيوت) أي: المشيحية، وهي الاعتقاد بمجيء الماشيح. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٢٩٤).

المحكمة»^(١).

ويقول د. أحمد سوسة: «كانت صلاحية السنهدرين تضيق وتتسع من وقت إلى آخر حسب مراد الرومان، شريطة عدم تأثير ذلك على المصالح السياسية الرومانية»^(٢). وبالرجوع إلى متن التلمود (المشنا) نجد مبحثاً بعنوان (مبحث السنهدرين - المحكمة العليا)، وهو يتكون من أحد عشر مبحثاً يتناول ما يتعلق بالمحكمة العليا من حيث عدد أعضائها، وأنها تنقسم إلى محكمة كبرى ومحكمة صغرى^(٣). وبالجملة فالسنهدرين هو المهيمن على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء.

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٤/٦٣-٦٤).

(٢) أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة (ص: ٢٠).

(٣) انظر: التلمود (المشنا) (٤/١٥١).

المبحث السابع:

القبالا

أولاً: تعريف القبالة:

القبالة: مجموعة من التأويلات الباطنية التي تفسر الكتاب المقدس حسب الصوفية اليهودية، والتي تم وضعها في القرن الثالث عشر الميلادي، والتي ترى في كتاب الزوهار المنسوب للرابي (شمعون بر يوحاي) أساساً لها^(١).

وسميت بهذا الاسم؛ لأنها بمعنى القبول أو التقبل للموروث، يقول د. عبد الوهاب المسيري: «القبالة: هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى: التواتر، أو القبول، أو التقبل، أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي: التقاليد والتراث، أو التقليد المتوارث»^(٢).

ويقول د. رشاد الشامي: «يمكننا على نحو عام القول بأن حركة القبالة سعت إلى كشف الأسرار الإلهية، وتفهم ماهية الإله والخلق، وغائية وجود شعب إسرائيل، ورأت هذه الحركة أنه من الممكن الإجابة على كل هذه التساؤلات من خلال الغوص داخل نص العهد القديم، والوقوف على أسرار حروفه»^(٣)، فيضيف هنا أن القبالة تستوحي مادتها من التأويل الباطني للعهد القديم.

ثانياً: نشأة القبالة:

يرجع أصل القبالة إلى مجموعة من أخبار اليهود الذين تأثروا بالديانات الشرقية، فخرجوا بمجموعة من التأويلات الباطنية لكتابهم المقدس عندهم، وكانت تسمى في أول نشأتها (الحكمة المستورة)، يقول د. أحمد سوسة (الذي كان يهودياً ثم أسلم): «وقد ظهر بعد إنجاز كتابة التلمود عدد من الأخبار اليهود، وهؤلاء تأثروا بالأراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت، فخرجوا بمجموعة باطنية من الحكم تتعلق بأسرار الكون وبالإله والكائنات، كانت في مراحلها الأولى تدعى (الحكمة المستورة)، وصارت تعرف عند اليهود بـ(القبالة) بمعنى القبول أو تلقي الرواية الشفوية، ويذهب هؤلاء الأخبار إلى أن هذه الأحكام نزلت على القديسين

(١) انظر: القبالة (التصوف اليهودي)، د. نبيل أنسي الغندور (ص: ٥). بروتوكولات حكماء صهيون. عجاج نوبهض (ص: ٥٠٦-٥٠٧).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ١٦٤).

(٣) مقدمة التلمود أصله وتسلسله وأدابه (ص: ٢٩).

منذ أقدم الأزمنة واحتفظ بها بعض الأحرار»^(١).

ويقول د. عبد الوهاب المسيري: «القبالة - بمعناها الحالي - ظهرت في فرنسا، وكان من أهم العارفين بالقبالة أبراهام بن داود وابنه إسحق الأعمى اللذان بدأ يتداولان كتاب الباهير الذي ظهر أول ما ظهر في بروفانس (فرنسا) في القرن الثاني عشر، وانتقل مركز القبالة بعد ذلك إلى إسبانيا حيث نشأت حلقات متصوفة تحاول أن تتواصل مع الإله من خلال التأمل في التجليات النورانية العشرة (سفيروت)، كما كان هؤلاء المتصوفون يهدفون إلى تجديد تقاليد النبوة، وإلى الكشف الإلهي من خلال الشطحات الصوفية، ومن خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العديدة وأسماء الإله المقدسة، ومن أهم القباليين أبراهام بن شموئيل أبو العافية (١٢٤٠-١٢٩١)، وقد وصلت الحركة القبالية إلى قمته بظهور الزوهار الذي وضعه موسى دي ليون المتوفى عام ١٣٠٥»^(٢).

ثالثاً: منهجهم:

يعتمد على التفسير الباطني للتوراة، ويزعمون أن كل كلمة تمثل رمزاً خفياً، وكل نقطة لها سر داخلي، يقول د. عبد الوهاب المسيري: «كان القباليون يرون أن المعرفة كل المعرفة (الغنوص أو العرفان) توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً، فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني محدث يفضي إلى معرفة غنوصية، أي: باطنية، بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية، والتوراة - حسب هذا التصور - هي مخطط الإله للخلق كله، وينبغي دراستها لكن كل كلمة فيها تمثل رمزا، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سراً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها»^(٣).

رابعاً: كتابهم المقدس:

هو كتاب الزوهار، المنسوب إلى الحاخام شمعون، يقول د. رشاد الشامي: «يعد كتاب الزوهار (الضياء)، هو النص المركزي لحركة التصوف اليهودي، وينسب هذا الكتاب إلى الحاخام (شمعون بر يوحاي) الذي عاش في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي، غير أن الباحثين يرون أن مؤلف هذا الكتاب هو (موشيه دي ليون) الذي عاش في الأندلس خلال

(١) أبحاث في اليهودية والصهيونية (ص: ١٣).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ١٦٦).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ١٦٤).

القرن الثالث عشر، وقد اكتسب هذا الكتاب قدرًا كبيرًا من القداسة في أوساط اليهود بعد مضي بضعة قرون على نشره، وأصبحت قداسته لا تقل عن قداسة التلمود، وهذا الكتاب مقسم وفقًا لتقسيم أسفار التوراة، ويتضمن كثيرًا من القصص الصوفي الذي يتمحور حول عملية الخلق، والعلاقات القائمة بين القوى الإلهية المختلفة وبنية العالم، وعملية الخلاص^(١).

وقد عقد د. نبيل أنسي مبحثًا في كتابه (القبلاه) عن أهم الكتب القبالية، وذكر أن كتاب الفيض الإلهي (سفر هزوهار)، وهو المشهور باسم (الزوهار) يعد الكتاب الرئيسي لتيار القبلاه، وهو منسوب إلى الرابي شمعون بر يوحاي وزملائه، وموضوع الكتاب يدور حول التفسير الباطني للتوراة، وعلم الفراسة وقراءة الكف^(٢).

(١) مقدمة التلمود أصله وتسلسله وآدابه (ص: ٢٧).

(٢) انظر: القبلاه التصوف اليهودي (ص: ١٤٥-١٦١).

المبحث الثامن:

بروتوكولات حكماء صهيون

تعريفها:

وهي مجموعة من البروتوكولات عددها ٢٤ بروتوكولاً تمثل الخطة السرية لليهود لتحقيق أهدافهم، ويقال بأنها خلاصة التعاليم التوراتية والتلمودية، وقد نشرت في كتاب سمي بهذا الاسم (بروتوكولات حكماء صهيون).

وكلمة (بروتوكولات) تعني: مسودة اتفاق، أو وثيقة رسمية، أو صيغة رسمية للوثائق الدبلوماسية.

وكلمة (حكماء) تعني هنا: أصحاب القيادة الدينية اليهودية، بل تشمل ما هو أوسع من المعنى الديني المجرد، وهو أصحاب النفوذ في السياسة والاقتصاد والصناعة، والأحزاب الخفية، والحركات الهدامة^(١).

وكلمة (صهيون) سبق التعريف بها.

ويعدُّ هذا الكتاب الخطة التنفيذية أو ورقة العمل لوضع ما جاء في التوراة والتلمود موضع التنفيذ، وقد لخصت هذه البروتوكولات كل هذه التعاليم التوراتية والتلمودية المخفية في خطة تنفيذية عملية حديثة ومعاصرة^(٢).

ويرى مترجمه محمد خليفة التونسي أن هذا الكتاب هو أخطر كتاب ظهر في العالم، ولا يستطيع أن يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة في أناة وتبصر^(٣).

أصلها:

يرجع تاريخ وضع هذه البروتوكولات إلى سنة ١٨٩٧م، حيث عقد زعماء اليهود مؤتمرهم الأول^(٤) لوضع الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، واستعباد العالم كله، برئاسة زعيمهم هرتزل في (بال) بسويسرا، وعضوية نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وكانت قراراتهم في هذه المؤتمرات محاطة بالسرية والكتمان والحفاء، لكن تمكنت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بأحد أكابر رؤسائهم في فرنسا من

(١) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نوبهض (ص: ٣-٥).

(٢) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود. د. محمد الشراوي (ص: ٦٩).

(٣) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي (ص: ٢٩).

(٤) ثم توالى المؤتمرات، فقد انعقد من بداية هذا التاريخ وحتى عام ١٩٥١م ثلاثة وعشرون مؤتمراً. انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، محمد التونسي (ص: ٣٣).

اختلاس بعض هذه الوثائق والفرار بها^(١).

ووصلت هذه الوثائق إلى أليكس نيقولا نيفيتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، فلما رأى خطورتها دفعها إلى صديقه الروسي الأستاذ سرجي نيلوس سنة ١٩٠١م، وقد طبعت نسخ قليلة من هذه البروتوكولات لأول مرة سنة ١٩٠٢م بالروسية، فاشتد خوف اليهود من اكتشاف العالم لخططهم الشريرة قبل تطبيقها، وتحقيق أهدافها، ففبرأوا منها، وادعوا أنها مزيفة عليهم، وليست من عملهم، وحاولوا جاهدين منع انتشارها، واستعانوا بأموالهم ونفوذهم وزعمائهم للضغط على روسيا لمصادرة الكتاب، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة.

ولكن أعيد نشره وطبعه سنة ١٩٠٥م ونفدت هذه الطبعة في سرعة غريبة، وتبين أن اليهود جمعوا نسخه من الأسواق وأحرقوها، ثم طبع سنة ١٩١١م، فنفدت نسخه على هذا النحو أيضاً، وطبع سنة ١٩١٧م فصادرها البلاشفة الشيوعيون الذين كان معظمهم من اليهود. ثم انتقلت منه نسخة إلى المتحف البريطاني وترجمت إلى الإنجليزية، وطبعت طبعات عديدة كانت الأخيرة سنة ١٩٢١م، ومنها ترجم الأستاذ محمد خليفة التونسي كتاب البروتوكولات إلى العربية، وبعد الطبعة الخامسة لم يجرؤ ناشر في بريطانيا ولا أمريكا على إعادة طبعتها بعد ذلك.

كما ترجم سنة ١٩١٩م إلى الألمانية ونشر في برلين، ثم توقف طبعه بعد أن نفدت أكثر نسخه^(٢).

يقول الأستاذ عباس العقاد: «إن هذا الكتاب لا يزال لغزاً من الألغاز في مجال البحث التاريخي وفي مجال النشر والمصادرة، فقلما ظهر في لغة من اللغات إلا أن يجعل إليه النفاذ بعد أسابيع أو أيام من ساعة ظهوره، ولا نعرف أن داراً مشهورة من دور النشر والتوزيع أقدمت على طبعه مع تكاثر الطلب عليه، وكل ما وصل إلينا من طبعاته فهو صادر من المطابع الخاصة التي تعمل لنشر الدعوة ولا تعمل لأرباح البيع والشراء»^(٣).

(١) هذه إحدى الروايتين في أصل البروتوكولات، وهي التي اعتمدها د. أحمد شلبي (انظر: اليهودية ص: ٢٧٢)، أما د. عجاج نويهض فيضيف رواية أخرى ويذكر أن أكثر الباحثين يرون أنها هي الصحيحة، وهي أن الحكومة القيصريّة اختارت عصابة من الجواسيس الروس واقتحموا مؤتمر الصهيونية الأول المنعقد في بازل بسويسرا، وأثناء الاقتحام عثروا على هذه الأوراق التي فيها البروتوكولات (انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض ص: ٣٥).

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٣٥-٣٩).

(٣) مقدمة بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ١١).

الاختلاف في نسبة الكتاب إلى اليهود:

اختلف الباحثون في نسبة (البروتوكولات) إلى اليهود بين ناف ومثبت ومتوقف. فاليهود ينكرون صلتهم بالكتاب، يقول مترجم البروتوكولات الأستاذ محمد خليفة التونسي: «اليهود سواء منهم المحافظون وغير المحافظين قد جحدوا بالضرورة صحة البروتوكولات ودعوها تزيفًا، غير أن المزيف -على فرض تزيفها- لا بد أن يكون مزيفًا ممتازًا، ولا بد أن يكون يهوديًا، فما من مزيف غير ذلك يحتمل أن يكون قادرًا على تزيف النبوءات فيها فحسب، فضلًا عن أن يصورها تصويرًا كاملًا أيضًا»^(١).

ومن أنكر نسبتها إلى اليهود ورأى أنها مزورة عليهم د. عبد الوهاب المسيري، الذي قال: «الرأي السائد الآن في الأوساط العلمية التي قامت بدراسة البروتوكولات دراسة علمية متعمقة، هو أن البروتوكولات وثيقة مزورة، استفاد كاتبها من كتيب فرنسي كتبه صحفي يدعى موريس جولي يسخر فيه من نابليون الثالث بعنوان حوار في الجحيم بين ماكيفللي ومونتسكيو، أو السياسة في القرن التاسع عشر، نشر في بروكسل عام ١٨٦٤م، فتحول الحوار إلى مؤتمر وتحول الفيلسوف إلى حكماء صهيون، وقد اكتشفت أوجه الشبه بين الكتيب والبروتوكولات حيث تضمنت هذه الأخيرة اقتباسات حرفية من الكتاب المذكور، وأحيانًا تعبيرات مجازية وصورًا منه، والرأي السائد الآن أن نشر البروتوكولات وإشاعتها إنما تم بإيعاز من الشرطة السياسية الروسية للنيل من الحركات الثورية والليبرالية ومن أجل زيادة التفاف الشعب حول القيصر والأرستقراطية والكنيسة وتخويفهم من المؤامرة اليهودية الخفية العالمية»^(٢).

ومثله د. إحسان حقي الذي ترجمها ومع ذلك قال في مقدمة ترجمته لها: «من يطالع هذه البروتوكولات بإنعام نظر وفكر نقاد متجرد يجدها تافهة لا تساوي قيمة الورق المطبوعة عليه، وهي عمل مأفون ذي نفس شريرة لا يدرك أبعاد كلامه أو هي عمل من يخاطب مأفونين يريد أن يسخر منهم، أو يسخرهم بالتهاويل والطلاسم»^(٣)، ولا أدري لم أقدم على ترجمتها وهو يرى هذا الرأي؟!

وهناك طائفة من الباحثين يذهبون إلى صحتها، ومن أشهر من أثبت صحتها د. أحمد شلبي الذي عدّها المصدر الثالث للدين اليهودي بعد التوراة والتلمود^(٤)، ود. مصطفى حلمي

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٤٠).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري (٢/ ٣٧١)، دار الشروق، الأولى، ١٩٩٩م.

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: د. إحسان حقي (ص: ١٧).

(٤) انظر: اليهودية (ص: ٢٧٢).

وآخرون^(١).

وومن توقف في صحتها الأستاذ عباس العقاد الذي قال في تقديمه للكتاب بعد ترجمته إلى العربية وبعد عرضه لأقوال المثبتين والمشككين: «وأغلب الظن بعد هذا كله على ما ترى أن البروتوكولات من الوجهة التاريخية محل بحث كثير، ولكن الأمر الذي لا شك فيه كما قال شستر فيلد أن السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكولات أو بغير تلك البروتوكولات»^(٢).

وسواء ثبتت نسبة هذه البروتوكولات إلى اليهود أو لم تثبت فإن كثيراً مما جاء فيها يصدقه الواقع، وقد قارن سرجي نيلوس بين البروتوكولات وبين الأحداث الجارية في العالم، فتنبأ من خلالها بكثير من النبوءات الخطيرة التي وقعت بعد سنوات قليلة، ومنها:

١- نبوءته بتحطيم القيصرية الروسية ونشر الشيوعية فيها على يد اليهود.
٢- توقعاته بسقوط الخلافة الإسلامية على يد اليهود كخطوة أولى قبل تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

٣- نبوءته بقيام دولة اليهود في فلسطين.

٤- وقوع حرب عالمية يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً، ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود^(٣).
ولذا يقول هنري فورد عندما انتقده أحدهم لاستعماله (البروتوكولات): «لا يهمني إن كانت هذه البروتوكولات حقيقة أو تزويراً، ما يهمني فقط هو أنها تنطبق على واقع نشأه جميعاً بأعيننا»^(٤).

كما أن كثيراً من أهداف البروتوكولات ومعانيها يعود أصلها إلى التلمود، ولذلك يعتمد القائلون بصحتها على «أنها لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها، ومنها التلمود.. وغاية ما هنالك أن التلمود قد أجملت، حيث عمدت هذه الوثائق إلى التفصيل والتمثيل»^(٥)، ولذلك يقول الصحفي الإنجليزي شسترون في مناقشته للكاتب الإسرائيلي لفتوتش ما خلاصته: «إن لسان الحال أصدق من لسان المقال، وأن مشيخة صهيون أو حكماء صهيون قد يكون لهم وجود تاريخي صحيح، أو يكونون جميعاً من خلق التصور والخيال، ولكن الحقيقة الموجودة التي لا شك فيها أن النفوذ الذي يحاولونه ويصلون إليه قائم ملموس الوقائع والآثار»^(٦).

(١) انظر: الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي (ص: ١٤٩).

(٢) مقدمة بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ١٦).

(٣) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ٣٤).

(٤) انظر: التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة: سهيل ديب (ص: ٧٢).

(٥) مقال العقاد في تقديم كتاب بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ١٤).

(٦) المصدر السابق: الموضع نفسه.

مضامين البروتوكولات:

أجمل الأستاذ محمد خليفة التونسي مترجم الكتاب مضامين البروتوكولات، وأنها تتلخص في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية، ونشر وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي، وتمدهد في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة، والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم^(١).

وأهم ما جاء فيها ما يلي:

- ١- «لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، لمصلحة اليهود وحدهم، وكان ينقحها حكماؤهم طورًا فطورًا حسب الأحوال، مع وحدة الغاية.
- ٢- تنضح هذه الخطة السرية بما أثر عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين، والضغن على الأديان لا سيما المسيحية، كما تنضح بالحرص على السيطرة العالمية.
- ٣- يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية، ويهيئون كل الوسائل لهدم الحكومات لا سيما الملكية، ومن هذه الوسائل إغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة ونحوها، مع تفسيرها تفسيرًا خاصًا يؤدي الجانبين، وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب متعاديتين، وبإبقاء كل منها في توجس وخوف دائم من الأخرى، وإفساد الحكام وزعماء الشعوب، ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأمميين (غير اليهود) مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكائد، وما إلى ذلك من وسائل الفتنة، ويكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولاً، ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديمًا.
- ٤- إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية والأندية على اختلاف نشاطها، والجمعيات العلنية من كل لون، ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني، فالاشتراكية، فالإباحية، فالفوضوية، فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة، هذا كله مع التمسك بإبقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثير بالتعاليم التي تضرها، ولكنها تضر غيرها.
- ٥- يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعًا فاسدة، والواجب زيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم، لا قبل هذا الوقت ولا بعده؛ لأن حكم

(١) انظر: مقال العقاد في تقدير كتاب بروتوكولات حكما، صهيون (ص: ١٣).

الناس صناعة مقدسة سامية سرية، لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين أتقنوا التدرب التقليدي عليها، وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة، وهي تمنح لهم سرًا، وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقر غير المخلوقين لها بين الأميين (غير اليهود).

٦- يجب أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة، وكل الأميين حتى الزعماء الممتازين منهم، إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب أو نحوها.

٧- يجب أن توضع تحت أيدي اليهود -لأنهم المحتكرون للذهب- كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها، وإن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشباب، والقضاء على الضمان والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والانحلال حتى تستنزف قوى الأميين استنزافًا، فلا تجد مفرًا من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

٨- وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى، مع إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم أبدًا، فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه، ويرضى صاغرًا مغتبطًا بالسلطة اليهودية العالمية.

٩- الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها.

ثم قال بعد ذلك: «أما بقية خطوط المؤامرة فتتكفل بتفصيلها البروتوكولات نفسها»^(١).

وقد قام الأستاذ عبد الله التل بكتابة خلاصة هذه البروتوكولات كاملة في كتابه (جذور البلاء)^(٢).

(١) مقدمة بروتوكولات حكما، صهيون. محمد التونسي (ص: ٣١-٣٣).

(٢) انظر: جذور البلاء (ص: ٢٦٥) وما بعدها.

المبحث التاسع:

عقائد اليهود

أولاً: عقيدتهم من خلال القرآن الكريم:

اعتقادهم في الله تعالى:

١- إشراكهم مع الله غيره في العبادة: فقد اتخذوا العجل إلهًا وصنعوا له تماثيلًا، ثم عبده من دون الله، وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم في كتابه الكريم، فقال في قصة السامري ﴿فَأَخْرَجَ هُمُ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَازٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١٨٨]، ثم ردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ١٨٩]، أي أنهم يدركون بدهاه أن العجل حيوان أعجم لو نادوه لم يستطع الرد عليهم، كما أنه لا يستطيع أن يجلب لهم منفعة أو يدفع عنهم مضرة، وحين نجاهم هارون عن فعلتهم قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ قالوا له بإصرار على الكفر: ﴿لَنْ نَنزِعَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨-٩١].

ومن إشراكهم في العبادة اتخذهم أحبارهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣١]، كما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وقد ذكر الرسول ﷺ ذلك عنهم محذراً أمته من فعلهم فقال في الحديث الصحيح الذي رواه جماعة من الصحابة: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

٢- نسبتهم الابن إلى الله تعالى: فرعموا أن (عزيرًا)^(٢) ابن الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ ابْنُ اللَّهِ﴾، وقد عبده من دون الله تعالى، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أن اليهود يدعون يوم القيامة، فيقال لهم: «من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد»^(٣).

٣- دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه: وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، فرد الله تعالى عليهم بقوله الحق: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

(١) أخرجه البخاري (ح ١٣٩٠)، مسلم (ح ٥٢٩).

(٢) وهو أحد أنبيائهم على المشهور. انظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٤٥٨١)، ومسلم (ح ١٨٣).

يَذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ خَلَقَ ﴿ [المائدة: ١٨]، كما زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿ [المائدة: ٦-٧].

٤- قولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء: وقد ذكر الله تعالى عنهم هذا الافتراء وتوعدهم بأشد العقاب، فقال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ [ال عمران: ١٨١].

٥- قولهم: يد الله مغلولة: كناية عن الشح والبخل - تعالى الله وتقدس عما يقولون- وقد ذكر الله تعالى عنهم هذه المقالة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ «دعاء عليهم بجنس مقاتلتهم»^(١)، «وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم»^(٢)، «فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان، فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقاً عليهم، فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحساناً، وأسوأهم ظناً بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء»^(٣).

٦- قولهم لموسى -عليه السلام-: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، قال الطبري: «وتأويل ذلك: واذكروا أيضاً إذ قلتم: يا موسى لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به، حتى نرى الله جهرة عياناً برفع الساتر بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا ودونه، حتى ننظر إليه بأبصارنا»^(٤)، وهذا تعنت منهم؛ إذ امتنعوا من تصديق موسى -عليه السلام- مع ما جاءهم به من الآيات إلا أن يروا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فماتوا في آن واحد.

٧- زعمهم أن الله تعالى تعب من خلق السماوات والأرض -تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون-، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿ [الأنعام: ١٠٨]، فهو تعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٣٨).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٨٠).

اعتقادهم في الملائكة:

لم يقتصر حقد اليهود على غيرهم من الناس، بل حقدوا على بعض الملائكة -عليهم السلام-، فهم يزعمون أن جبريل من أعدائهم -قاتلهم الله- وقد بين الله تعالى عنهم ذلك، وتوعدهم فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨]، قال الطبري: «أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أن جبريل -عليه السلام- عدو لهم، وأن ميكائيل -عليه السلام- وليُّ لهم»^(١).

اعتقادهم في النبوات:

١- تكذيبهم وقتلهم للأنبياء، فكانوا كلما جاءهم رسول من الله تعالى بما لا تهوى نفوسهم الخبيثة، كذبه أو قتلوه، قال تعالى موجحاً لهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، كما كانوا يقتلون الذين يأمرهم بالعدل، قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

٢- إنكارهم لنبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ رغم أنهم يعرفون أنه رسول الله حقاً كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

اعتقادهم في اليوم الآخر:

يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود، وأن العاصي منهم مهما فعل من الجرائم والآثام فلن يدخل النار إلا أياماً معدودات، وقد كذب الله تعالى زعمهم هذا فقال: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، قال ابن كثير: «يقول تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم، من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ثم ينجون منها، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قل اتخذتم عند الله عهداً﴾ أي: بذلك؟ فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده، ولكن هذا ما جرى ولا كان، ولهذا أتى

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٨٣).

ب:(أم) التي بمعنى: بل، أي: بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه»^(١).

ثانياً: عقيدتهم من خلال مصادرهم:

عقيدتهم في الله:

١- أشركوا مع الله غيره وعبدوا آلهة أخرى، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «من أجل أنهم تركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب عليهم كل هذا الشر»^(٢)، كما يشير العهد القديم إلى أن اليهود تركوا عبادة الله وقاموا باتخاذ آلهة أخرى من دون الله، ففي سفر إرميا: «ويكون حين تقولون: لماذا صنع الرب إلها بنا كل هذه؟! تقول لهم: كما أنكم تركتموني، وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم»^(٣).

مع أنه قد جاء في التوراة أمرهم بعبادة الله وحده ونهيهم عن الشرك، ففي سفر التثنية: «الرب إلها لنا رب واحد»^(٤)، وفيه أيضاً: «الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف»^(٥)، وجاء في سفر اللاويين: «لا تصنعوا لكم أوثاناً، ولا تقيموا لكم تماثلاً منحوتاً أو نصبا، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له، لأنني أنا الرب إلهكم»^(٦). وجاء في سفر التثنية: «لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور»^(٧)، وفي سفر التثنية أيضاً: «لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم»^(٨)، لكنهم لم يلتزموا بهذه الأوامر ولم يستجيبوا لها.

٢- وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، ومن ذلك أنهم وصفوه جل وعلا بالتعب والإعياء بعد خلق السماوات والأرض، جاء في سفر التكوين: «وفرع الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني (٧: ٢٢).

(٣) سفر إرميا (٥: ١٩).

(٤) سفر التثنية (٦: ٤).

(٥) سفر التثنية (٦: ١٣).

(٦) سفر اللاويين (٢٦: ١).

(٧) سفر التثنية (٥: ٨-٩).

(٨) سفر التثنية (٦: ١٤).

وقدَّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقًا»^(١).

وقالوا -تعالى الله عما يقولون-: إن الله نزل في صورة رجل مع ملكين، وذهبوا إلى إبراهيم، ففي سفر التكوين: «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض»^(٢)، وهم في هذا النص جعلوا الله تعالى ثالث ثلاثة من الرجال الذين يسيرون ويأكلون ويشربون ويجلسون إلى إبراهيم يحاكونه ويسامرونه تعالى الله عن ذلك^(٣).

بل تصف توراتهم المحرفة الرب جل جلاله بالضعف والعجز وعدم القدرة على الغلبة على مخلوق، حتى إنه يصارع بعض البشر فيصرعونه ويغلبونه، كما جاء في سفر التكوين^(٤).

ونسبوا إلى الله تعالى التذکر بعد النسيان، جاء في سفر الخروج: «وتنهَّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم، فتذکر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب»^(٥).

كما نسبوا إلى الله -تعالى وتقدس- الندم، جاء في سفر الخروج: «فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعل بشعبه»^(٦).

وفي سفر التكوين أيضًا: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه»^(٧).

وفي سفر صموئيل الأول زعموا أن الله قال: «ندمت على أي قد جعلت شاول ملكًا لأنه

(١) سفر التكوين (٢: ٢-٣).

(٢) سفر التكوين (١٨: ١-٢).

(٣) انظر: التطرف اليهودي. د. عبد الراضي محمد (ص: ٢٤).

(٤) انظر ما سبق نقله في: (ص: ١٣).

(٥) سفر الخروج (٢: ٢٣-٢٤).

(٦) سفر الخروج (٣٢: ١٤).

(٧) سفر التكوين (٦: ٥-٦).

رجع من ورائي ولم يقم كلامي»^(١).

ولا يختلف التلمود عن التوراة المحرفة في تشبيه الله سبحانه بال مخلوقين ونسبة النقائص إليه، ففي التلمود: «إن النهار اثنتا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت والأسماك»^(٢).

وجاء في التلمود أيضًا: «إن الله إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يُحمله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحللي من اليمين التي أقسمتُ بها؟ ولما عَلِمَ باقي الحاخامات أنه لم يحمله منها اعتبروه حمارًا (أي الإسرائيلي)؛ لأنه لم يحلل الله من يمينه، ولذلك نصبوا مَلَكًا بين السماء والأرض اسمه (مي)، لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم»^(٣).

وفيه أيضًا: «يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر»^(٤).

وفي تلمودهم أيضًا: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده»^(٥).

عقيدتهم في الأنبياء:

لم يقدر اليهود مقام النبوة ولا عرفوا قدر الأنبياء ومكانتهم عند الله، فنسبوا إليهم: الكذب، وشرب الخمر، والزنا، وعبادة الأوثان ... إلخ.

ففي الله نوح -عليه السلام- تقول عنه التوراة المحرفة بأنه شرب الخمر فسكر وتعرى، جاء في سفر التكوين: «وابتداً نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء

(١) سفر صموئيل الأول (١٥ : ١١).

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود (ص: ٥٥).

(٣) الكنز المرصود (ص: ٥٧).

(٤) الكنز المرصود (ص: ٥٦).

(٥) الكنز المرصود (ص: ٦٦).

ووضعه على أكتافهما ومشيا إلى الورا، وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الورا، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان! عبد العبيد يكون لإخوته^(١)»^(٢)، هكذا يقولون في أول الأنبياء وأحد أولي العزم من الرسل، ومن اصطفاه الله على العالمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْمَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [ال عمران: ٣٣].

وأما نبي الله لوط -عليه السلام- فقد نسبوا إليه أنه زنا بابنتيه، ففي سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه، فنحني من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: أني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلي اضطجعي معه، فنحني من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مواب، وهو أبو الموابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضًا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم»^(٣).

وهذه -كما يقول ابن حزم- من «فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله -عليهم السلام-»^(٤)، وهي فرية كبرى تبين حقيقة اعتقادهم في النبوة والأنبياء، كما تكشف قدر ما لحق توراتهم من الدس والتحريف، وقد جمعوا في هذه الفرية بين زنا المحارم وشرب الخمر، ونسبوا ذلك لأشرف خلق الله في زمنه لوط -عليه السلام-، وزعموا أن سلسلة النبوة اللاحقة من نسل هذا الزنا!!!

وقال السموأل بن يحيى المغربي (الخبر اليهودي الذي هذاه الله إلى الإسلام): «هذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي في التوراة الموجودة بأيدي اليهود فلن يقدرها على جحدها فيلزمهم من

(١) انظر تعليق ابن حزم على هذا النص في: الفصل (١/ ٩٨-٩٩).

(٢) سفر التكوين (٩: ٢٠-٢٥).

(٣) سفر التكوين (١٩: ٣٠-٣٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٦).

ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط ممزجيم [بمعنى أولاد زنا]؛ إذ توليدهما على خلاف المشروع»^(١).

وقال ابن عاشور: «النبوة تستلزم العصمة، والشرائع وإن اختلفت في إباحة أشياء فهناك ما يستحيل على الأنبياء مما يؤدي إلى نقصهم في أنظار العقلاء، والذي يجب اعتقاده أن شرب الخمر لا يأتيه الأنبياء، لا يشربها شاربوها إلا للطرب واللهو والسكر، وكل ذلك مما يتنزه عنه الأنبياء»^(٢).

وأما موسى -عليه السلام- فتنسب إليه توراتهم المحرفة أنه حضهم على سرقة أموال المصريين، ففي سفر الخروج على لسان موسى -عليه السلام-: «وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»^(٣).

ونسبوا إلى نبي الله هارون -عليه السلام- صناعة الأوثان والأصنام والسجود لها من دون الله، ففي سفر الخروج: «لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أضعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصنعه عجلاً مسبوكة، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب، فبكروا في الغد وأضعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة»^(٤)، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، فقال الرب لموسى: اذهب انزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أضعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكة وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعدتك من أرض مصر»^(٥)، فنسبوا إلى نبي

(١) إفحام اليهود (ص: ١٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٣٣٩).

(٣) سفر الخروج (٣: ٢٢-٢٣).

(٤) هي مادة مقدسة تقرب فيها للرب أكثر أجزاء الضحية حيوية، ويخصص الكهنة بجزء فاخر منها، والباقي يأكله المؤمنون. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٢٢٤).

(٥) سفر الخروج (٣٢: ١-٨).

الله هارون الذي أرسله الله لتقرير التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك الله كسائر إخوانه من الأنبياء نسبوا له الدعوة إلى الشرك بالله، وصناعة الأصنام طعناً منهم في مقام النبوة وافتراء على نبي الله، وهي فرية باطلة عقلاً ونقلاً، وحاشا نبي الله هارون أن يكون داعية إلى الشرك وصانعا للأوثان، فما لهؤلاء القوم لا يرجون الله وقاراً، ولا للأنبياء قدراً ومقاماً، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وأما داود -عليه السلام- فقد ادعوا أنه رأى زوجة أحد جنوده وهي تغتسل عارية، وكانت جميلة، فأغرم بها، وزنى بها حتى حملت بنبي الله سليمان -عليه السلام- كما يفترون، فدبر مكيدة لقتل زوجها والتخلص منه حتى يتزوجها، جاء في سفر صموئيل الثاني: «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: «أليست هذه بتشايع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة. فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلت، فأرسل داود إلى يوباب يقول: أرسل إلي أوريا الحثي، فأرسل يوباب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يوباب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجلك، فخرج أوريا من بيت الملك، وحملت وراءه هدية من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوباب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟! وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر، فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً، وغدا أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل، وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوباب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وكان في محاصرة يوباب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوباب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضاً، فأرسل يوباب وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلًا: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك، وقال لك: لماذا دنوتهم من المدينة للقتال؟ أما

علمتم أنهم يرمون من على السور؟ من قتل أيمالك بن يربوشث؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحي من على السور فمات في تاباص؟ لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا الخثي أيضاً، فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب. وقال الرسول لداود: قد تجرَّ علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب، فرمى الرماة عميدك من على السور، فمات البعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الخثي أيضاً، فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب: لا يسؤ في عينيك هذا الأمر، لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة وأخرىها، وشدده، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، نذبت بعلمها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابناً، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب»^(١).

وهي أسطورة تنضح بالخسة والنذالة، حيث تصور نبي الله داود -عليه السلام- في صورة رجل شهواني يلهث وراء شهوة محرمة، ويمارس جريمة الزنا مع زوجة قائده، ثم بعد ارتكابه وعلمه بحملها يحاول أن يتستر على فعلته باستدعاء زوجها، ولما لم تجد حيلته أمر بوضعه في مقدمة المعركة ليقتل من أجل أن يصل إلى امرأته، وهي جريمة نكراء في عرف جميع العقلاء، يستنكف عنها أقل الناس مروءة وشرفاً، فكيف تنسب إلى نبي اصطفاه الله من بين البشر بنوته، وخصه من بين الخلق بتبليغ رسالته؟! وهي من وضع زنديق حاقد على أنبياء الله ورسله.

ونسبوا إلى نبي الله سليمان -عليه السلام- أنه ارتد في آخر عمره، وبنى المعابد للأصنام، وأنه كان مولعاً بالنساء المحرمات عليه، جاء في سفر الملوك الأول: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء أهنتهم. فالتصق سليمان بمهؤلاء بالحبية، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمعن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ... وهكذا فعل لجميع نساءه الغريات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لأهنتهن. فغضب

(١) سفر صموئيل الثاني (١١: ٢-٢٧).

الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فأني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك»^(١).

وجاء في تلمودهم ما هو أفظع وأشنع في حق أنبياء الله، ويكفي أن تقف على ما جاء فيه بشأن عيسى -عليه السلام-، والتي قام بجمع جملة منها الأب برانائتس في كتاب نشر باسم (فضح التلمود)، والتي وصف فيها عيسى -عليه السلام- بأنه ابن غير شرعي، هربت أمه من زوجها، وحملت به من الزنا وهي حائض^(٢)، كما سبق.

عقيدتهم في اليوم الآخر:

قال ابن حزم: «التوراة التي بأيدي اليهود ليس فيها ذكر ما لنعيم الآخرة أصلاً ولا الجزاء بعد الموت البتة»^(٣).

ويقول ابن تيمية: «التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا، كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة، والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء، وإن كان ذكر المعاد موجوداً في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى، وقد قيل: إن ذلك مذكور في التوراة أيضاً، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة»^(٤).

ومن شواهد ما في التوراة من الوعد في الدنيا بالرزق والعاقبة ما جاء في سفر اللاويين: «إذا سلكنم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتكم بما أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل ثمارها، ويلحق دراسكم بالقطاف، ويلحق القطاف بالزرع، فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون في أرضكم آمنين، وأجعل سلاماً في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ولا يعبر سيف في أرضكم، وتطردون

(١) سفر الملوك الأول (١١: ١-١١).

(٢) انظر: فضح التلمود (ص: ٥٧-٦٠).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨٦).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٧٩).

أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف»^(١).

ويقر أحد علماء اليهود وهو ابن كمونة بخلو التوراة من التصريح باليوم الآخر، لكنه يقول: «إن خلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى وخاطب به بني إسرائيل واستفاض منهم، فإن قيل: فلم لم يكتبه في التوراة مصرحاً؟! قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، وربما يكون ذلك لحكمة لا نعلمها»^(٢).

ولذا فقد اختلفت فرق اليهود في موقفها من اليوم الآخر بين منكر ومثبت، كما سيأتي.

ويرى د. حسن ظاظا أن اليهود لم يفكروا في الغيبات إلا بعد أن تعرضوا للسي البابلي، ثم للتشتيت في الأرض على أيدي الرومان، وكان تفكيرهم يتخذ اتجاهين: الأول: نهاية العالم. والثاني: الخلاص على يد المسيح المنتظر^(٣).

ويقول ول ديورانت: «اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا، ولم تدُر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلمهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلمهم أخذوا شيئاً منها عن المصريين»^(٤).

ونجد بعض الإشارات إلى البعث والجزاء غير الصريحة في غير الأسفار الخمسة من العهد القديم، إلا أن هناك اختلافاً حول تفسيرها، فالبعض يذهب إلى أن المقصود بما العودة القومية لليهود وانتصارهم على أعدائهم، والبعض يفسرها بالبعث الأخروي^(٥).

ومن ذلك ما جاء في سفر أشعيا: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترموا يا سكان التراب، لأن طَلَّكُ أَعْشَابَ، وَالْأَرْضُ تَسْقُطُ الْأَخِيلَةَ»^(٦).

وفي سفر حزقيال: «تبا على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب: هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: ها أنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً

(١) سفر اللاويين (٢٦: ٣-٧).

(٢) تنقيح الأبحاث للمل للثلاث (ص: ٤٠).

(٣) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٠٩).

(٤) قصة الحضارة (٢/ ٣٤٥).

(٥) انظر: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية (ص: ١٦٠-١٦١).

(٦) سفر أشعيا (٢٦: ١٩).

وأوكسيكم لحمًا وأبسط عليكم جلدًا وأجعل فيكم روحًا فتحيون وتعلمون أني أنا الرب»^(١). وفي سفر دانيال: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدية»^(٢)، وهذا صريح في إثبات المعاد واليوم الآخر؛ لأنه صرح بالحياة الأبدية.

أما تلمودهم فيتحدث عن الجنة ويجعلها خاصة باليهود، وعن النار ويجعلها خاصة بغير اليهود، فيقول: «لا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين»^(٣).

وجاء في أصل التلمود (المشنا): «لكل الإسرائيليين نصيب في الآخرة ... وهؤلاء الذين ليس لهم نصيب في الآخرة من يقول: لا يوجد ذكر لبعث الموتى في التوراة، ومن يقول: ليست التوراة من السماء»، وعينوا أشخاصًا وأصنافًا وجرائم ليس لأصحابها نصيب في الآخرة، ومنهم: من يقرأ الكتب الخارجية للمارقين، والملوك (يربعام وأخاب ومنسى)، وجيل الطوفان، وأهل سدوم، يقول عنهم المشنا: «أشرار في هذا العالم، وخاطئون في الآخرة، ولكنهم يقفون للحساب»^(٤).

(١) سفر حزقيال (٣٧: ٤-٦).

(٢) سفر دانيال (١٢: ٢).

(٣) الكنز المرصود (ص: ٦٨).

(٤) المشنا (٤/١٨٣-١٨٤). ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود.

المبحث العاشر:

الشرايع اليهودية

جاء موسى -عليه السلام- بالشريعة من عند الله كما كان هذا هدي سائر إخوانه من الأنبياء، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (النساء: ١٤٨)، قال قتادة: «يقول سبيلا وسنة، والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل»^(١)، وعن قتادة قال: «الدين واحد، والشريعة مختلفة»^(٢).

وهي الشريعة التي جاءت بها التوراة قبل تحريفها ونسخها، يقول زكي شنودة: «الشريعة اليهودية هي شريعة الله التي فرض على اليهود العمل بما كقانون لهم، ولذلك اتخذت كذلك اسم (الناموس) وهو لفظ من أصل يوناني معناه: القانون، والشريعة»^(٣).

تطور التشريع اليهودي:

يذكر ابن حزم تطور اليهودية بعد أن دَوَّنَ لهم عزرا الوراق التوراة التي بأيديهم اليوم، وكيف تأسست طقوس اليهودية الحالية بصلواتها وأدعيتها، وأحدثوا البيع والجوامع في كل مكان، خلافا لما كان عليه أسلافهم من عدم تجويز الصلاة والاجتماع للعبادة في غير بيت المقدس، يقول ابن حزم: «أحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم، جعلوها بدلاً من القرابين، وعملوا لهم ديناً جديداً، ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية، بخلاف حالهم طول دولتهم، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمئة عام، وأحدثوا لهم اجتماعاً في كل سبت على ما هم عليه اليوم، بخلاف ما كانوا طول دولتهم؛ فإنه لم يكن لهم في شيء من بلادهم بيت عبادة، ولا يجمع ذكر وتعلم، ولا مكان قربان قرية البتة إلا بيت المقدس وحده وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط»^(٤).

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٤).

(٣) المجتمع اليهودي (ص: ٢١٧).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٨).

أمثلة من شرائع اليهود:

وفيما يلي نبذة من شرائعهم وشذوذاتهم التي نسبوها لشرعية موسى - عليه السلام -:

التطهير أو الطهارة:

- ١- من أسباب النجاسة عندهم لمس الحي جثة ميت، حيث جاء في سفر العدد: «كل من مس ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب»^(١).
- ٣- التطهر يكون بغسل الأيدي والأرجل فقط، وزعموا أن ترك غسل الأيدي والأرجل يورث الموت، جاء في سفر الخروج: «يغسلون أيديهم وأرجلهم لثلاث يموتوا. ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم»^(٢).
- ٤- زعموا أن من اغتسل من جماع يظل نجساً إلى المساء، جاء في سفر اللاويين: «إذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجساً إلى المساء. والمرأة التي يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء»^(٣)، ويفهم من هذا أن النجاسة تستمر معهما إلى المساء رغم الاغتسال.
- ٥- نجاسة كل من مس المرأة الحائض ونجاسة كل ما لامسته من فراش أو ثوب أو غيرها، يقولون: «كل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء»^(٤)، بل حرموا مجرد الاقتراب منها، جاء في سفر اللاويين: «لا تقترب إلى امرأة في نجاسة طمئتها»^(٥).
- ٦- نجاسة الأبرص والأمر بتطهيره وفق طقوس غريبة، جاء في سفر اللاويين في ٣٢ فقرة من الإصحاح الرابع عشر: «وكلم الرب موسى قائلاً: هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن ... ويحلق كل شعره ويستحم بماء فيطهر. ثم يدخل المحلة لكن يقيم خارج خيمته سبعة أيام. وفي اليوم السابع يحلق كل شعره. رأسه ولحيته وحواجب عينيه وجميع شعره

(١) سفر العدد (١٩: ١٣).

(٢) سفر الخروج (٣٠: ١٧-٢١).

(٣) سفر اللاويين (١٥: ١٦-١٨).

(٤) سفر اللاويين (١٥: ١٩-٢٢).

(٥) سفر اللاويين (١٨: ١٩).

يخلق. ويغسل ثيابه ويرحض جسده بماء فيطهر. ثم في اليوم الثامن يأخذ خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية صحيحة وثلاثة أعشار دقيق تقدمه ملتوتة بزيت ولج زيت... إلخ»^(١).

الصلاة:

أحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم، جعلوها بدلاً من القرابين، وعملوا لهم ديناً جديداً، ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية^(٢)، كما سبق، ويقول د. هلال يعقوب (أحد علماء الشريعة اليهودية): «وعندما خرب الهيكل وسي بني إسرائيل من بلادهم إلى بابل وبطلت التقدّمات والقرابين، وضعت الصلوات بدلاً منها إلى يومنا هذا»^(٣).

وعندهم تؤدي الصلاة ثلاث مرات، فقد ورد في سفر دانيال أنه «جثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك»^(٤).

وجاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: «الصلوات اليهودية تقام ثلاث مرات في اليوم، فإن النقص في هذا العدد يعوض عنه الطول في الصلاة»^(٥)، وأما أذكار الصلاة فتشتمل على أدبيات معقدة من الشعر والنثر والأدعية الرسمية، بعض هذه المواد مأخوذ مباشرة من التوراة وبعضها من إنشاء الحكماء والحاخامات والشعراء»^(٦)، وتؤدي الصلاة عندهم بالوقوف أو الجلوس ولا سجود فيها إلا في بعض أعيادهم، يقولون: «يوجد بعض الانحناء في الصلاة، لكن تؤدي معظم الصلوات بالوقوف أو الجلوس، لا يسجد اليهود بالكامل في الصلاة إلا في أعياد الأيام المقدسة (High Holy Days) أي عيد رأس السنة (روش هشانا)، وعيد يوم الغفران (يوم كيبور)»^(٧)، كما أن اليهود «عادة يغطون رؤوسهم في أثناء أداء الصلاة كعلامة التقوى والاحترام أمام الله، ويغطي بعض اليهود رؤوسهم في كل الأوقات لكن ذلك يعد من باب التقليد والعادة وليس من باب الواجب الديني»^(٨).

ويزيدون على تغطية الرأس أيضاً بوضع عصا على الجبهة أو الساعد الأيسر، يقول زكي شنودة: «وكان اليهود أثناء الصلاة يعصبون على جباههم أو سواعدهم اليسرى علبه صغيرة

(١) سفر اللاويين (١٤: ١-١٠).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٨).

(٣) الفكر الديني اليهودي (ص: ١٤٢).

(٤) سفر دانيال (٦: ١٠).

(٥) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على هذا الرابط: <http://cutt.us/upqGq>، بتاريخ: ١٧ / ٧ / ٢٠١٩ م.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

مكعبة الشكل من الجلد يسمونها العصابة، وكانت تحتوي على قصاصات من الورق أو الجلد مكتوب عليها أربع آيات من التوراة ... وقد اعتقد اليهود أن الله أمرهم بأن يفعلوا هذا حسب تفسيرهم الحرفي لما ورد في سفر الخروج؛ إذ جاء فيه: «ويكون لك علامة على يدك وعصابة بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك. قد يكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك» (الخروج ١٣: ٩-١٣)، وما ورد في سفر التثنية إذ جاء فيه: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك .. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك» (التثنية ٦: ٦، ٢٨)، كما جاء فيه: «فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم» (التثنية ١١: ١٨)»^(١).

تقديم القرابين:

كان تقديم القرابين عبادة رئيسة في شريعة اليهود^(٢)، وكان الذي يتولى تقديم القرابين هو رب العائلة، ثم انتقلت إلى رجال الدين من الكهنة واللاويين، والغاية من تقديم القرابين إما التوبة أو الشكر^(٣).

وأما المكان الذي تقدم فيه القرابين فقد جاء في سفر التثنية: «فالمكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به محرقاتكم^(٤) وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار ندوركم التي تنذرونها للرب»^(٥)، ويدل هذا النص أن لتقديم القرابين مكاناً معيناً، وأن هذا المكان يتم اختياره من الرب، وأن عليهم أن يحملوا قرابينهم إلى هذا المكان، وفي سفر الملوك الأول أشار إلى أنه الهيكل^(٦).

أما نوع القرابين فقد جاء في سفر اللاويين: «دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم. إن كان قربانه محرقة من البقر فذكرا صحيحا يقربه. إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب. ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه.

(١) المجتمع اليهودي (ص: ٢١٢)، وانظر: الأركان الأربعة. أبو الحسن الندوي (ص: ٦٥).

(٢) سبقت الإشارة إلى أهم وضعوا الصلاة محل القرابين. وربما كان دافع هذا التغيير في شريعتهم بخلهم الشديد.

(٣) انظر: المجتمع اليهودي (ص: ١٨٥).

(٤) المحرقة: ذبيحة تقرب لله، تحرق فيها الضحية كلها بالنار. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٤٤٢).

(٥) سفر التثنية (١٢: ١١).

(٦) انظر: سفر الملوك الأول (٨: ١-٦).

ويذبح العجل أمام الرب»^(١)، وهنا يحدد نوع القرابين وأنه لا بد أن يكون من بھمة الأنعام من البقر والغنم، ولم يذكر الإبل لأنهم يجرمونها، ثم بين أن القرابين من البقر إذا كان محرقة فليكن ذكراً صحيحاً ثم يوضح كيفية التقرب به بأن يضع يده على رأس القرابين الذي سيحرقه، ثم يذبحه أمام الرب في المعبد.

القرابين البشرية:

القرابين البشرية هي التي يتم فيها استنزاف الدم البشري بحسب ما تقضي به تعاليم التلمود^(٢).

وقد اختلف الباحثون في نسبتها لليهود بين ناف ومثبت، فالمثبتون يقولون بأنها من الأسرار التلمودية التي يتكتم عليها اليهود أشد تكتم حتى على عامتهم، ومن أثبت ذلك الكاهن ناوفيطوس الذي كان من حاخامات اليهود ثم تحول إلى النصرانية، وقد كتب رسالة نشرها د. محمد الشرقاوي وسماها (إظهار سر الدم المكتوم)، وبين فيها هذا الكاهن كيفية استنزاف الدم البشري وأنواعه والأمور التي يستخدم فيها هذا الدم كالأعمال السحرية وغيرها، ثم ذكر أن هذه القرابين باقية فيهم ما بقي التلمود^(٣).

ومن ذهب إلى إثباتها أيضاً المؤرخ اليهودي المعروف فلافيوس يوسيفوس (ت ٩٥م)، والمؤرخ الفرنسي شارل لوران في كتابه (حوادث سوريا لسنة ١٨٤٠م)^(٤)، ود. روهلنج في كتابه (عقائد اليهود بحسب التلمود)^(٥)، والمؤرخ الإنجليزي أرنولد لويز في كتابه المنشور سنة (١٩٣٨م) بعنوان (طقوس الاغتسال اليهودية)، وقد ذكر أكثر من ستين حادثة ذبح بشرية قام بها اليهود لاستنزاف الدم من أجل الوفاء بطقوس تلمودهم، وقد ثبتت هذه الجرائم على اليهود - فيما يقال - بالأدلة القانونية وباعتراف المتهمين أمام القضاء، وحكم بإعدام الجناة في بعضها ونفذ الحكم فعلاً.

وقد نقل هذه الحوادث أيضاً عن المؤرخ أرنولد طائفة من الباحثين المسلمين، مثل الأستاذ عبد الله التل في كتابه (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية)، ود. حسن ظاظا في

(١) سفر اللاويين (١: ١-٥).

(٢) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد الشرقاوي (ص: ٧).

(٣) ينظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد الشرقاوي (ص: ٢٩٥-٢٩٦).

(٤) انظر: الكنز المرصود، د. محمد الشرقاوي (ص: ٢٩٥) وانظر أيضاً: كتاب شارل لوران في حادثة قتل الأب توما وخادمه عمار، ضمن كتاب: الكنز المرصود في قواعد التلمود (ص: ١١٣).

(٥) وهو مذكور ضمن كتاب (الكنز المرصود في قواعد التلمود) (ص: ٤٣).

كتابه (الفكر الديني الإسرائيلي)، ود. علي عبد الواحد وافي في كتابه (اليهود واليهودية)، ود. فتحي محمد الزغي في كتابه (القرابين البشرية)، وغيرها^(١).
وقد توسع الأستاذ حبيب فارس في سرد هذه الحوادث في الشرق والغرب، وإثبات بيناتها وحججها القضائية الملزمة في كتابه (صراخ البريء)، ويقع في ثلاثة أجزاء، وقد وصفه د. محمد الشرقاوي بأنه «وثيقة اتهام صريحة مدعمة بالحجج الدامغة والأسانيد تشكل - إلى جانب أدلة لا تحصى عددًا - دليلاً على أن هذا الشعب الذي يستحل سفك الدم، ويجعل منه فريضة دينية مقررة على شعب لا يتورع لحظة عن انتهاج أشنع الطرق للوصول إلى أهدافه الخطيرة المعلنة في البروتوكولات، سواء بالقتل أو ببذل المال أو بيع الأعراس، وقد نشر الأستاذ حبيب فارس كتابه هذا في مقالات في جريدة المحروسة ... والعجيب أن الأعداد التي نشر فيها هذا الكتاب من جريدة المحروسة لا توجد في دار الكتب المصرية، مما يبين أن اليهود يجذون في تعقب أي كتاب أو صحيفة تسرد جرائمهم»^(٢).

(١) وقد كتب العلامة مصطفى الزرقا في مقدمته لكتاب (الكنز المرصود) يقول: «لما كنا أطفالاً في مدينة حلب موطني الأول من بلاد الشام (سورية) كنا نسمع الأمهات يمنعن أولادهن الصغار من الخروج خارج البيوت وحدهم، ويحذرنهم بأن اليهود يخطفون الأطفال خفية، وبأخدوهم إلى حيث يستنزفون دماءهم! وفي يفوعتنا كنا نلتقي التوصيات بأن لا يمر أحد في حارة اليهود منفرداً (وهي حارة طويلة متعرجة)، وأنه إذا مر فيها أحد منا فدعاه يهودي لدخول بيته لإيقاد النار لهم بحجة أنهم لا يمسون النار يوم السبت، فيجب أن لا يدخل حذرًا من أن يغدروا به فيقتلوه باستنزاف دمه! فلما كبرنا ووعينا وتفقنا كنت أتذكر هذه التخوفات، التي كنا نلتقها في طفولتنا الأولى وفي يفوعتنا، وانتقدها وأعددها من الجهالات في أساليب التربية التي درسنا قواعدنا الحديثة وأصولها، ومن قبيل إساءة الظن بمواطنين من الأقلية الصغار المساكين!!! ثم لما برزت المشكلة الفلسطينية، وذر قرن الصهيونية اليهودية، بدأنا نسمع عن اليهود وعقائدهم الخطيرة وأفاعيلهم المذهلة، ومكرهم العالمي، ومؤامراتهم الخبيثة وخطيرهم على البشرية جمعاء ما جعلنا نعيد النظر في الصورة المنطبعة في أذهاننا عن مسكنتهم المصطنعة، ولكن بقيت قضية خطف الأشخاص واستنزاف دمائهم في نظرنا خرافة لا تصدق، حتى وقع إليّ منذ سنوات مجموعة الأستاذ أسد رستم (أستاذ التاريخ الشرقي في الجامعة الأمريكية ببيروت، الذي توفي من بضع سنوات)، التي جمع فيها بعض وثائق تاريخية تتعلق بتاريخ سورية في زمن إبراهيم باشا (ابن محمد علي) من سنة (١٢٤٧-١٢٥٥هـ) ونقلها عن سجلات المحكمة الشرعية بحلب وأنطاكية وحماة ودمشق في سنة ١٩٢٧م فإذا به يفتح الجزء الخامس منها بقصة خطف اليهود في دمشق للقسيس الفرنسي الجنسية للمسي: الأب (البادري) توما وخادمه إبراهيم عمار، وبجهم إياهما، وإرسال دمههما إلى كبير الحاخامين ليدخلوه في خبز الفطير الذي يوزعه الحاخامون على الأسر اليهودية في عيد الفصح السنوي. وينقل الأستاذ أسد رستم من سجلات المحكمة التي حاكمت الفاعلين من الحاخامين وسواهم محاضر جلساتها ووقائعها وينشرها في كتابه المذكور حرفياً، وتصويرها بصورة زنكوغرافية لأول هذه المحاضر بالخط المدون به في سجل المحكمة، وذلك في عهد احتلال جيش إبراهيم باشا المصري وحكمه في سورية. فقرأت القصة مذهولاً من التفاصيل التي فيها، وأنا أفرك عيني بين الحين والحين، خشية أن أكون في منام وأحلام!!! حتى إذا لم أجد في اليقظة شكاً، رجعت إلى ذاكرتي عن أخبار الطفولة، ورأيت أن ما ظننته من تخويف الأمهات وتحذيرهن جهلاً بأصول التربية. أو إساءة ظن بمواطنين ذوي مسكنة، كان هو الحقيقة الواقعة وأن ظني هو الغرارة والجهالة!!!» (مقدمة الكنز المرصود، ترجمة: د. يوسف نصر الله، ص: ٧-٨).

(٢) الكنز المرصود، د. محمد الشرقاوي (ص: ٢٩٤).

وقد أقر أيضًا بذلك بعض كبار حاخاماتهم بعد تحولهم عن الديانة اليهودية إلى الإسلام، وهو موسى أبو العافية الذي اعتنق الإسلام سنة ١٨٤٠م، وقد اعترف في محاضر التحقيق القضائية بذبح الأب توما في الشام واستنزاف دمه، وتعبته في زجاجة وتسليمها للحاخام الأكبر لليهود في الشام يعقوب العنتابي^(١).

أما المنكرون لها فقالوا بأنه قد ابتدع «بعض الفسائسة، والأمرء، والنبلاء، وكبار الأشراف أساليب تتنافى مع الدين ضد اليهود خداعًا منهم وتضليلًا، فحرموهم بلا حق من أملاكهم قوة واقتدارًا، واستولوا عليها لأنفسهم، واتهموهم زورًا وبهتانًا بأنهم يقتسمون فيما بينهم في يوم عيد الفصح اليهودي، قلب غلام مذبح، والحق أنهم في حقدهم يعزرون إلى اليهود كل حادث قتل أيًا كان المكان الذي يقع فيه»^(٢).

وكتب السفير البابوي للحكومة البولندية سنة ١٧٦٣م، يقول: «إن الحبر الأقدس، بعد فحص كل الأسس التي قام عليها اتهامهم بهذا الشذوذ - وهو أن اليهود يحتاجون إلى الدم البشري لتجهيز فطيرهم - خلص إلى أنه ما من دليل يثبت صحة ذلك الاتهام المغرض»^(٣). ولعل ذلك هو الأقرب للحقيقة؛ لأنه ليس لدينا من نصوص كتبهم المقدسة ما يثبت أن ذلك من شرائعهم وطقوسهم، كما لا يمكن الاعتماد على هذه الحوادث في إثبات هذا الأمر ونسبته إليهم.

الصيام:

لم يرد الصوم عندهم كفريضة، وهذا بحسب توراتهم المخرفة، وإلا فالحق أن الله كتب عليهم الصيام، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وعندهم لا يلجأ إليه إلا عند النوازل أو طلب التكفير عن الخطايا، يقول زكي شنودة: «لم يرد لفظ الصوم كفريضة في الشريعة اليهودية، وإن كان مذكورًا ضمن ما ينبغي على اليهود من الفروض في يوم الكفارة مشارًا إليه بعبارة (تذليل النفس) على اعتبار أن المقصود بذلك هو الصوم؛ إذ جاء في سفر اللاويين: «أما العاشر في هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة محفلا مقدسا يكون لكم تذللون أنفسكم وتقربون وقودًا للرب» (اللاويين ٢٣: ٢٧)»^(٤).

(١) الكنز المرصود في فضائح التلمود (ص: ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) قصة الحضارة (١٤/ ٨٥).

(٣) قصة الحضارة (٤١/ ٣٧٢).

(٤) المجتمع اليهودي (ص: ٢١٢).

ويقول أبو الحسن الندوي: «أما اليهود فقد كان الصوم يعتبر رمزًا للحداد والحزن عندهم في العيد البابلي، وكان يلجأ إليه إذا هدد خطر، أو إذا كان كاهن أو مُلهم يعد نفسه لإلهام أو نبوة، وكان اليهود يصومون مؤقتًا إذا اعتقدوا أن الله ساخط عليهم، غير راض عنهم، أو إذا حلت بالبلاد نكبة عظيمة، أو خطب كبير، أو إذا أصيبت البلاد بوباء فاتك، أو يجذب عام، وفي بعض الأحيان عندما يعزم الملوك على مشروع جديد»^(١).

ونقل بعض الباحثين عن بعض أئمة اليهود أن الصيام عندهم قسمان: الأول: فردي (شخصي)، ويسمى صوم الأسر، ويقع في حالات الحزن الفردي أو عند التكفير عن خطيئة.

الثاني: الصوم الجماعي، وغالبًا ما يفعلونه عند حدوث حزن عام كالصوم عند رداءة المحصول أو غارات الجراد أو الهزائم في الحروب^(٢).

الصدقة:

جاء في المزامير الحث على الصدقة إلى المسكين: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيهِ الرب. الرب يحفظه ويحييه»^(٣)، ولا يوجد في العهد القديم تفاصيل لمن تجب عليهم الصدقات ومن يستحقها وما مقدارها، بل هي أشبه بالتوجيهات الخلقية، جاء في سفر اللاويين: «عندما تحصدون حصيد أرضكم ... لقاط حصيدك لا تلتقط ... وثمار كرمك لا تلتقط للمسكين والغريب تتركه»^(٤)، ففي هذا النص لا يجعلون للمسكين سوى ما يتساقط من الثمار أثناء قطافه، وهذا يتفق مع الطبيعة اليهودية المجبولة على البخل والشح، وجاء في سفر التثنية: «إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها، للغريب واليتيم والأرملة تكون، لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك»^(٥)، وهنا يجعلون من حق المسكين أن يتركوا له ما نسوه ربما لعدم الاهتمام به من جنى حقوقهم.

وقد ذكر بعض الباحثين أن أموال الزكاة عند اليهود كانت تدفع إلى صندوق بيت المقدس، وكان عشرها مخصصًا بآل هارون (اللاويين) والذين كانوا كهانًا بالنسل والتوارث، وكان

(١) الأركان الأربعة (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: العبادات في الأديان السماوية، عبد الرزاق صلال الموحى (ص: ١٠٢).

(٣) سفر المزامير (٤١: ٢-١).

(٤) سفر اللاويين (٩: ٩-١٠).

(٥) سفر التثنية (٢٤: ١٩).

الواحد من ستين (٦٠-١) يصرف إلى أصحاب المناصب الدينية، وكان جزء منه مخصصاً لإطعام حجاج بيت المقدس وضيافتهم^(١).

جاء في سفر التثنية: «في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك. فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل»^(٢). وهذه الصدقة إنما تجب على من بلغ عشرين سنة، كما جاء في سفر الخروج: «كل من اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعداً يعطي تقدمة للرب. الغني لا يكثر والفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدمة الرب للتكفير عن نفوسكم»^(٣).

الزيارة (الحج):

الحج في الشريعة اليهودية مرتبط بأعيادهم، وهو ما جاءت الإشارة إليه في سفر الخروج: «ثلاث مرات تعيد لي في السنة»^(٤)، كذا في النسخة العبرانية، وفي النسخة السامرية: «ثلاث دفعات تخرج لي في السنة»^(٥)، ومن هنا ذهب بعض الباحثين إلى أن الحج في اللغة العبرية يعني العيد^(٦)، وفي سفر الخروج أيضاً: «ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل»^(٧).

وجاء في (دائرة المعارف اليهودية): «إن الحج إلى بيت المقدس الذي كان يدعى بالزيارة يؤدي في زمن ثلاثة أعياد، وهي: عيد الحصاد، وعيد الفصح (اليهودي)، وعيد المظال»^(٨). ويقول الحاخام روبين: «يحج الجميع اليوم إلى القدس (المدينة المقدسة) حيث حائط المبكى، الذي يعدُّ بديلاً للهيكل والمعبد اللذين لا وجود لهما الآن»^(٩).

هذا بالنسبة لجمهور اليهود، أما طائفة السامريين فإنها جعلت مزارها جبل جرزيم (جبل الطور) منذ تدمير الهيكل^(١٠).

(١) انظر: الأركان الأربعة (ص: ١٢٨-١٢٩).

(٢) سفر التثنية (١٤: ٢٨-٢٩).

(٣) سفر الخروج (٣٠: ١٤-١٥).

(٤) سفر الخروج (٢٣: ١٤).

(٥) سفر الخروج (٢٣: ١٤).

(٦) ينظر: دراسات في اليهودية (ص: ٢٢٢).

(٧) سفر الخروج (٢٣: ٣٤).

(٨) نقلًا عن: الأركان الأربعة، للندوي (ص: ٢٦٠-٢٦١).

(٩) العبادات في الأديان السماوية (ص: ١١٧).

(١٠) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤/ ٣٢٢).

الأعياد:

لليهود أعياد كثيرة من أشهرها يوم السبت، وهو العيد الأسبوعي عندهم، ووقته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره الكف عن أي عمل^(١). أما الأعياد الأخرى فمن أشهرها ما يلي^(٢):

١- عيد الفصح (بيساح): وهو «أول الأعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ويعرف أيضاً بعيد الفطير»^(٣)، وهو تذكار لخروج بني إسرائيل من مصر ولتحررهم من العبودية، ويؤمر اليهود بتلاوة قصة الخروج من مصر وكأنهم شخصياً شاركوا فيه، والأصل فيه عندهم ما جاء في (سفر الخروج ١٩: ١٢، و١٣: ٧)، وفي هذا العيد تعطل الدوائر الحكومية والمدارس، ووفقاً للمعتقدات اليهودية تم شق البحر الأحمر والقضاء على الجيش المصري في اليوم السابع من عيد الفصح.

٢- عيد المظلة (سوكوت): وورد ذكره في سفر اللاويين (٢٣: ٢٤)، ويستمر سبعة أيام، وسمي بهذا الاسم؛ لأنه يتميز بإنشاء مظلة يتم فيها تبادل جميع وجبات العيد، بل ثمة من ينامون فيها، كما يسمى بيوم العريش، وذلك تذكراً للعروش التي عاش فيها بنو إسرائيل في تيه سيناء، وهذا العيد هو أحد أعيادهم الثلاثة بالإضافة إلى عيد الفصح وعيد الأسابيع التي كان يحتفل بها حتى عام ٧٠م بحج جماعي إلى الهيكل في أورشليم، وفي دولة اليهود اليوم يحتفل باليوم الأول على أنه يوم مقدس كما هو الحال بالنسبة لعيد الفصح، وعند نزول التوراة (شفوعوت)، وبعد اليوم الأول يستمر الاحتفال به، ولكن بدرجة أقل من القدسية.

٣- سيمحات توراه: وهو يلي أيام (سوكوت) مباشرة، و(سيمحات توراه) لفظ عبري معناه: بحجة التوراة، وهو أيضاً عيد يقضي باحتفاله نص في الإصحاح رقم ٢٣ من سفر اللاويين، ويعتبر يوم عطلة رسمية للدولة اليهودية، وتدور فكرة العيد الرئيسية حول تلاوة التوراة (أسفار موسى الخمسة) في الكنيس، ويتخلل هذه التلاوات رقصات وترانيم يطوف خلالها المصلون بأسفار من التوراة، وقد يخرج المصلون أحياناً بالأسفار من الكنيس إلى الشوارع المجاورة ليملكوها رقصاً وغناء.

٤- عيد الأنوار (حانوكا): يحتفل اليهود بعيد الأنوار، أو حانوكا، وتعني بالعبرية: تدشين، وذلك - كما يقولون - إحياء لذكرى تدشين الهيكل الثاني في أورشليم القدس سنة ١٦٤ قبل

(١) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٦٦).

(٢) انظر موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: <http://cutt.us/mBTqj> بتاريخ: ٢٩ / ٦ / ٢٠١٩م.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٧٨).

الميلاد بعد تدنيسه من قبل عساكر المملكة السلوقية (السورية الإغريقية) تحت حكم الملك أنطيوخس الرابع، وإعادة حرية العبادة للشعب اليهودي بعد حقبة من القهر القاسي، ولا يعتبر هذا العيد عطلة رسمية في إسرائيل، وعليه فإن أماكن العمل والمحلات التجارية والمواصلات العامة تعمل فيه كالمعتاد.

٥- **عيد المساخر (بوريم)**: يرمز هذا العيد - كما يقولون - إلى انتصار اليهود على مخطط هامان الوزير اللاسامي في امبراطورية فارس، وتعطل المدارس يومي العيد، وهذا العيد هو الأكثر شعبية اليوم في إسرائيل.

ويخلد هذا العيد - كما يقولون - الأحداث التي يتم وصفها في سفر إستير، وتتم في هذا العيد تلاوة سفر إستير بصوت مرتفع، ومن تقاليد اليهود وخاصة الأطفال أن يأتوا إلى الكنيس وهم يرتدون الأزياء التنكرية، وخلال تلاوة سفر إستير، كلما يرد ذكر اسم هامان، يقوم المصلون بإثارة الضوضاء بأعلى صوت على قدر المستطاع، بهدف محو اسمه، كما وعد الله تعالى بزعمهم (الخروج ١٤: ١٧) بمحو ذكر الشعب العماليقي، الذي كان هامان من ذريته.

يقول د. حسن ظاظا: «هذا العيد لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى - عليه السلام - ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكاري متصل بملاسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، بناء على وعد صدر من ملك الفرس إلى ممثلي الجالية اليهودية المقيمة عند الكلدانيين بالعراق، بأنه إذ تم له - بمساعدتهم طبعاً - دخول العراق وتدمير الدولة الكلدانية سيعيدهم إلى فلسطين، وبطبيعة الحال كان تقرير الاحتفال بتلك الذكرى وما علق بها من حكايات متأخرًا بالنسبة لتلك الحوادث، وهو احتفال أشد التصاقًا بالسياسة منه بالدين، ولذلك فإنه يحظى في ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص»^(١).

٦- **عيد الأسابيع (شفوعوت)**: يحتفل في هذا العيد - كما يقول موقع الدولة اليهودية - بذكرى تسلم الشعب اليهودي الأسفار الخمسة الأولى للتوراة، وهي: التكوين والخروج واللاويون والأعداد والتثنية، والمعروفة بأسفار الشريعة، والتي تعتبر أهم أسفار التوراة، وقالوا: تنص على الاحتفال بهذا العيد الآية ٢٢ من الإصحاح ٣٤ لسفر الخروج، والآية ١٠ من الأصحاح ١٦ من سفر التثنية.

ويعود سبب تسمية عيد الأسابيع بـ(شفوعوت) إلى كون هذا العيد يحل بعد مرور سبعة أسابيع على عيد الفصح (بيساح)، وله أسماء عديدة وردت في التوراة يوضح كل منها جانبًا

(١) الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٧٢-١٧٣).

من مفاهيمه، وأبرز هذه الأسماء هو (عيد تنزيل التوراة) لأن فيه تجلّى البارئ عز وجل على كليمة موسى -عليه السلام- فوق جبل سيناء بعد مرور شهرين على خروج بني إسرائيل من أرض مصر، وأعطاهم الوصايا العشر وأمرهم بحفظها والتمسك بها. ويُدعى هذا العيد أيضًا بعيد البواكير، حيث كانت تقدم بواكير الغلال والفواكه إلى الكهنة في الهيكل المقدس بأورشليم القدس، وفي هذه الأيام تقام بهذه المناسبة في القرى التعاونية احتفالات خاصة بتقديم بواكير المحصولات الزراعية، كما يُدعى هذا العيد بـ(عيد الحصاد) حيث يبدأ فيه موسم حصاد القمح.

ويدعى كذلك باسم (عتصيرت) الذي تحول بالعربية إلى (العنصرة) ومعناه بالعبرية: التجمع، حيث كان المحتفلون يجتمعون مع البواكير التي كانوا يحملونها من أنحاء البلاد إلى باحة الهيكل المقدس في أورشليم القدس استعدادًا لأداء الشعائر.

هذه أشهر أعيادهم كما ورد في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية نقلتها بحسب ما يدعون للتعرف عليها، وما يذكرونه عن مناسباتها، وللنظر كيف يربطونها بتاريخهم وتراثهم وتراثهم؛ لإيمانهم بأن هذا سر اجتماعهم وأساس وحدتهم ومصدر قوتهم، ولذلك يصفون على كل ما يتعلق بدولتهم المغتصبة لأرض المسلمين الصبغة الدينية ابتداءً من اسمها (إسرائيل) إلى أسماء مدنها إلى ما يقررونه في موقع خارجيتهم من ذكر مصادرهم وأعيادهم وشرائعهم، فهل يأخذ بعض أولئك الذين ينادون بالقطيعة بين المسلمين ودينهم العبرة ولو من أعدائهم؟!

أحكام الزواج:

- ١- الزواج فرض على كل يهودي^(١).
- ٢- يحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، وإذا وقع فهو زنا^(٢)، ويسمى غير اليهود في كتب الشريعة اليهودية كفارًا يستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون والوثنيون والزنادقة^(٣).
- ٣- المتوفى زوجها إذا لم يترك زوجها أولادًا وكان له شقيق أو أخ لأب تكون زوجة له، ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها^(٤)، وإذا أنجب منها فإن المولود لا يحمل اسمه، وإنما يحمل اسم أخيه المتوفى وينسب إليه^(٥)، جاء في سفر التثنية: «إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له

(١) انظر: الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، للحاخام مسعود حاي بن شمعون (ص: ٧).

(٢) انظر: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، د. فؤاد عبد المنعم (ص: ٩٢).

(٣) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٢).

(٤) انظر: الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين (ص: ١٢).

(٥) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٤).

ابن، فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخي الزوج»^(١).

٤- يجوز لليهودي الزواج ببنت أخيه أو بنت أخته، ولكن العكس محرم، فلا تتزوج المرأة بابن أخيها أو ابن أختها، وحرم كثير من فقهاءهم زواج بنت الأخ^(٢).

٥- ليس في الدين اليهودي حد أقصى للزوجات، فالتعدد عندهم مباح بلا حد، ولم يرد بتحريمه نص واحد لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود، وقد تزوج إبراهيم -عليه السلام- بماجر المصرية وسارة، ويعقوب -عليه السلام- تزوج بأكثر من زوجة^(٣)، وكانت العادة جارية بين اليهود على اتخاذ أكثر من زوجة، لكن في العصور الوسطى أفتى الحاخام جرشوم بن يهوذا (٩٦٠-١٠٤٠م) بتحريم تعدد الزوجات بسبب الاضطهادات التي كانت تتعرض لها الجاليات اليهودية في أوروبا بسبب تعدد الزوجات^(٤).

أحكام الطلاق:

١- أبحاث الشريعة اليهودية الطلاق استناداً إلى ما جاء في سفر التثنية: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إليها، وأطلقها من بيته»^(٥).

٢- إذا طلق الرجل زوجته فلا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى حتى لو تزوجت من آخر ثم طلقها أو مات عنها، لما ورد في سفر التثنية: «ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست»^(٦).

٣- إذا قذف الرجل زوجته حين تزوجها وذكر أنه لم يجدها بكراً، ثم أثبت ولي الزوجة بالبينة أنها كانت بكراً عوقب الزوج وحرم عليه طلاقها^(٧).

٤- إذا اغتصب رجل فتاة غير محطوبة ألزم بالزواج منها، وحرم عليه طلاقها، جاء في سفر

(١) سفر التثنية (٢٥: ٦-٥).

(٢) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٢).

(٣) انظر: سفر التكوين (١٦: ١-١٥)، (٢٩: ١٥-٣٠).

(٤) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٢)، أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام (ص: ٩٣).

(٥) سفر التثنية (٢٤: ١).

(٦) سفر التثنية (٢٤: ٢-٣).

(٧) انظر: سفر التثنية (٢٢: ١٣-١٩).

التثنية: «إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجدا، يعطي الرجل الذي اضطجع معها ذبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه»^(١).

٥- يجب طلاق الزوجة إذا زنت أو استمر عقمها لعشر سنوات، أو عصت أوامر الشريعة^(٢).

أحكام الجنايات والعقوبات:

١- القصاص: جاء في سفر اللاويين: «من قتل إنسانا يقتل»^(٣)، وفيه أيضًا: «كسر بكسر وعين بعين وسن بسن كما أحدث عيبا في الإنسان كذلك يحدث فيه»^(٤)، وفي سفر التثنية: «نفس بنفس عين بعين سن بسن يد بيد رجل برجل»^(٥)، وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ [المائدة: ٤٥]: «هذا أيضًا مما نُبِخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس، وهم يخالفون ذلك عمدا وعنادا، ويقيدون النضري^(٦) من القرظي^(٧)، ولا يقيدون القرظي من النضري، بل يعدلون إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار»^(٨).

٢- قتل الخاطف، جاء في سفر التثنية: «إذا وجد رجل قد سرق نفسًا من إخوته بني إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق فتنزع الشر من وسطك»^(٩).

٣- قتل العاق لوالديه، جاء في سفر اللاويين: «كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل»^(١٠).

(١) سفر التثنية (٢٢: ٢٨-٢٩).

(٢) انظر: الطلاق في الديانات الثلاث، د. صالح الكيلاني، د. أنس الخلايلة (ص: ٩٢)، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد العشرون، جمادى الأولى، ١٤٣٥هـ.

(٣) سفر اللاويين (٢٤: ٢١).

(٤) سفر اللاويين (٢٤: ٢٠).

(٥) سفر التثنية (١٩: ٢١).

(٦) نسبة إلى بني النضر، من قبائل اليهود بالمدينة.

(٧) نسبة إلى بني قريظة، من قبائل اليهود بالمدينة.

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠).

(٩) سفر التثنية (٢٤: ٧).

(١٠) سفر اللاويين (٢٠: ٩).

٤- قتل الزاني: جاء في سفر التثنية: «إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة»^(١)، وجاء في سفر اللاويين: «إذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يقتل الزاني والزانية»^(٢)، ويعنون بالقرية هنا: اليهودية، ولذا يذكر د. عبد الوهاب المسيري أن التلمود لا يحرم الزنا بالأغيار^(٣)، لكنه يشير إلى وجود فتاوى أخرى تحرم الزنى بالأغيار^(٤)، ثم يذكر أيضاً أن الرأي السائد بين المحاخامات هو أن اليهودي الذي يزني بامرأة من الأغيار زان أيضاً، ومن حق زوجته أن تطلب الطلاق منه^(٥).

٥- قتل اللوطي والزاني بمحارمه: جاء في سفر اللاويين: «إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا. إنهما يقتلان. دمهما عليهما. وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم. وإذا جعل رجل مضجعه مع بيمية فإنه يقتل والبيمية تميوتها، وإذا اقتربت امرأة إلى بيمية لزنائها تميوت المرأة والبيمية. إنهما يقتلان. دمهما عليهما. وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبهما. قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه»^(٦)، وفيه أيضاً: «إذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباه. بالنار تحرق»^(٧)، وفيه أيضاً: «إذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه. إنهما يقتلان كلاهما»^(٨).

٦- قتل مدعي النبوة: جاء في سفر التثنية: «إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة. ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم؟ وراء الرب إلهكم تسرون وإياه تتقون ووصاياهم تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون. وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيف من وراء الرب إلهكم»^(٩).

(١) سفر التثنية (٢٢: ٢٢).

(٢) سفر اللاويين (٢٠: ١٠).

(٣) وقد سبق نقل بعض شواهد عند الحديث عن التلمود.

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٢٤٨).

(٥) انظر: موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٢٥١).

(٦) سفر اللاويين (٢٠: ١٣-١٧).

(٧) سفر اللاويين (٢١: ٩).

(٨) سفر اللاويين (٢٠: ١٢).

(٩) سفر التثنية (١٣: ١-٥).

- ٧- قتل الإنسان الذي دخل في بدنه جني: جاء في سفر اللاويين: «إذا كان في رجل أو امرأة جانٌّ أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة يرمونه»^(١).
- ٨- قتل من يعمل يوم السبت: جاء في سفر العدد: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهرون وكل الجماعة. فوضعوه في المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب لموسى: قتلاً يقتل الرجل. يرمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة»^(٢).

الأطعمة والأشربة:

لقد حرم الله جل وعلا على اليهود بسبب ظلمهم طيبات أحلت لهم ولمن قبلهم، فحرمها الله عليهم عقوبة لهم، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ النساء: ١٦٠، قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أما الطيبات التي حرمها الله عليهم فهي مبينة بقوله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ الآية (الاسم: ١٤٦)، هكذا ذهب بعض المفسرين، وتوقف بعضهم فلم يجزم بتعيين ما حرم عليهم، ولم يعرف ما نكَّره الكتاب، وفي الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين (الأخبار) تفصيل ما حرم عليهم في التوراة من حيوانات البر والبحر، وهي كثيرة جداً»^(٣).

وجاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية تحت عنوان (قوانين الطعام): «يسمى نظام قوانين الطعام في الديانة اليهودية (كاشروت) بمعنى: مناسب، أو موافق، ويسمى الطعام المقبول (كاشير) الذي يحمل المعنى الأساسي نفسه للفظ (حلال) بالعربي»^(٤).

ومن أحكام الأطعمة عندهم ما يلي:

- ١- لا يحل من الحيوانات عندهم إلا ما كان مشقوق الظلف، وأن يجتر، جاء في سفر التثنية: «وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمة ظلفين وتجتر فإياها تأكلون»^(٥).
- ٢- تحريم أكل الميتة ونجاسة أكلها، جاء في سفر اللاويين: «وكل إنسان يأكل ميتة أو فريسة وطنياً كان أو غريباً يغسل ثيابه ويستحم بماء ويبقى نجساً إلى المساء ثم يكون طاهرًا.

(١) سفر اللاويين (٢٠: ٢٧).

(٢) سفر العدد (١٥: ٣٢-٣٥).

(٣) تفسير المنار (٦/ ٥٠).

(٤) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، على هذا الرابط: <http://cutt.us/OoYy> بتاريخ: ٣٠ / ٦ / ٢٠١٩م.

(٥) سفر التثنية (١٤: ٣-٨).

- وإن لم يغسل ولم يرحض جسده يحمل ذنبه»^(١).
- ٣- تحريم الدم، جاء في سفر التثنية: «وأما الدم فلا تأكله. على الأرض تسفكه كالماء»^(٢).
- ٤- تحريم كل ما ليس له زعانف وقشور من الأسماك، جاء في سفر التثنية: «هذا تأكلونه من كل ما في المياه. كل ما له زعانف وحرشف تأكلونه. لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه. إنه نجس لكم»^(٣).
- ٥- كل طير طاهر حلال أكله إلا ما استثني كطيور الصيد وأكلة الجيف، جاء في سفر التثنية: «كل طير طاهر تأكلون. وهذا ما لا تأكلون منه. النسر والأنوق والعقاب والحداة والباشق والشاهين على أجناسه. وكل غراب على أجناسه. والنعام والظليم والساف والباز على أجناسه والبوم والكركي والبجع والقوق والرخم والغواص والقلق والبيغا على أجناسه والمهدهد والخفاش. وكل ديبب الطير نجس لكم. لا يؤكل»^(٤).
- ٦- تحريم الخمر، جاء في سفر التثنية: «كروما تغرس وتشتغل وخمرا لا تشرب ولا تجني لأن الدود يأكلها»^(٥)، وجاء في سفر اللاويين: «وكلم الرب هارون قائلاً: خمراً ومسكرًا لا تشرب»^(٦).
- ٧- يجرمون خلط اللحم مع الحليب بكافة مشتقاته، وفي سفر الخروج: «لا تطبخ جديًا بلبن أمه»^(٧).

الربا:

الربا محرم بين اليهود بعضهم وبعض فقط، بينما يباح الربا إذا أقرض اليهودي لغير اليهودي

(١) سفر اللاويين (١٧: ١٥-١٦).

(٢) سفر التثنية (١٢: ١٦).

(٣) سفر التثنية (١٤: ٩-١٠).

(٤) سفر التثنية (١٤: ١١-١٨).

(٥) سفر التثنية (٢٨: ٣٩).

(٦) سفر اللاويين (١٠: ٨).

(٧) سفر الخروج (٢٣: ١٩). قال ابن القيم: «المراد بذلك أنهم أمروا عقب افتراض الحج إلى بيت المقدس عليهم: أن يستصحبوا معهم إذا حجوا أبقار أغنامهم وأبقار مستغلات أرضهم. لأنه كان فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخولة الغنم والبقر وراء أمها سبعة أيام. وفي اليوم الثامن فصاعدا يصلح أن تكون قربانا، فأشار في هذا النص بقوله: (لا ينضح الجدي بلبن أمه) إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث باكور أولاد البقر والغنم وراء أمها، بل يستصحبون أبقارهم التي قد عبرت سبعة أيام منذ ميلادهم معهم إذا حجوا إلى بيت المقدس ليتخذوا منها القاربين، فتوهم المشايخ البله أن الشرع يريد بالإنضاج إنضاج الطبخ في القدر وأنهم نحو أن يطبخ في القدر وأنهم نحو أن يطبخ لحم الجدي بالبلن. ولم يكنهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحمان بالبلن فألفوا لفظ الجدي وألفوا لفظ أمه وحملوا النص ما لا يحتمله». (إغاثة اللهفان ٢/ ٧٥٨-٧٥٩).

مألاً، ولكن نظرًا لما جبل عليه هؤلاء الناس من حب المال فإنهم تحايَلوا حتى على تحريم الربا فيما بينهم، فبعد أن نصوا في قانونهم على أنه محرم على اليهودي أن يقرض اليهودي مالا أو غيره من الأشياء التي يحتاج إليها كالقمح أو الدقيق مثلا بالربا، وأن المقرض بالربا يتعرض تلقائيا للخلع والطرْد، نصوا في مادة تالية بتقييد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليوافق به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها، أما إذا اقترض اليهودي نقودا من يهودي آخر بقصد الاستثمار أو التوسع في التجارة، أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ريعا، فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيبا في الأرباح يتفق عليه^(١).

أحكام الابن البكر:

تتمت الشريعة اليهودية بالابن البكر، وكان اليهود قديماً يجعلونه خليفة لأبيه في كل شيء، يستولي على السلطة من بعده، ويكون هو المتصرف في كل ثروته، وكثيراً ما كانت المنافسات تشتعل بين الإخوة الصغار وأخيهما الأكبر البكر بسبب هذا، وفي الفقه اليهودي المعمول به الآن يكون للولد البكر من الأب مثل حظ الولدين، فهو مميز بسهم، بعلة البكورة^(٢).

أحكام الحرب والقتال:

«الحرب في عقيدة بني إسرائيل عمل مقدس، فقائد هذه الحرب في زعمهم هو رب إسرائيل، وجنودها هم جنود هذا الرب، ويظهر ذلك في كثير من نصوص التوراة»^(٣)، ففي سفر التثنية: «لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم»^(٤). ولذا أعلن حاخام الجيش الإسرائيلي موسى جوربون أن الحروب الثلاثة التي جرت بين العرب وإسرائيل في سنوات ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ هي في منزلة الحرب المقدسة ... وكانوا في حروبهم القديمة يحملون تابوت معهم إلى أرض المعركة رمزاً لوجود رب إسرائيل مع جنوده: «وعلموا أن تابوت الرب جاء المحلة فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا: قد جاء الله إلى المحلة»^(٥)، واليوم تسير إسرائيل على نفس تقليدها القديم، فكل وحدة من الجيش الإسرائيلي اليوم يسبقه الصندوق المقدس الذي توضع فيه التوراة»^(٦).

(١) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٦).

(٢) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٩٥).

(٣) شريعة الحرب عند اليهود. د. حسن ظاها، السيد محمد عاشور (ص: ٢٧).

(٤) سفر التثنية (٢٠: ٤).

(٥) سفر التثنية (٢٠: ٤).

(٦) شريعة الحرب عند اليهود (ص: ٢٧-٢٨).

وعندهم تحرم الحرب الهجومية يوم السبت، إلا إذا أعلن الكاهن اليهودي أن إسرائيل في خطر اعتبرت الحرب دفاعية، ولذلك يحرص قادة إسرائيل الآن على إظهار حروبهم أمام الرأي العام اليهودي والعالم أنها حروب دفاعية^(١)، ويسمون جيشهم (جيش الدفاع الإسرائيلي).

يقول إسرائيل شاحك: «لما كان حظر قتل غير اليهود في حده الأدنى ينطبق فقط على غير اليهود الذين لا نكون نحن اليهود في حالة حرب معهم، توصل العديد من الشراح الدينيين إلى نتيجة منطقية، وهي أنه في حالة الحرب يمكن -أو حتى يجب- قتل جميع المنتسبين إلى شعب معاد، ومنذ عام ١٩٧٣ أذيعت هذه العقيدة على نطاق واسع لإرشاد الجنود الإسرائيليين المتدينين، وقد نشر هذا التحريض رسميًا لأول مرة في كتيب صادر عن قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي، والتي تشمل ولايتها منطقة الضفة الغربية، ويكتب الكاهن الأول في القيادة في هذا الكتيب: (عندما تلتقي قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو خلال ملاحقة ساخنة أو غزو، ولم يكن مؤكدًا أن أولئك المدنيين غير قادرين على إيذاء قواتنا، فوفق أحكام المالاخاه^(٢) يمكن -لا بل يجب- قتلهم، والثقة بعربي غير جائرة في أي ظرف ... عندما تهاجم قواتنا العدو، فهي مصرح لها -لا بل مأمورة- وفق أحكام المالاخاه بأن تقتل حتى المدنيين الطيبين، أي الذين يبدو ظاهريًا أنهم طيبون»^(٣).

وتأمر توراتهم المحرفة بالإبادة الكاملة والاستئصال الشامل لشعوب البلاد التي يدعون أنها لهم عطية من الله بزعمهم، جاء في سفر التثنية: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما»^(٤).

وتأمرهم ألا يرحموا أو يشفقوا على أحد منهم مات أبدًا، في سفر التثنية أيضًا: «متى أتى بك الرب إهلك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرده شعوبًا كثيرة من أمامك ... ودفعهم الرب إهلك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم»^(٥). لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم»^(٦).

وفي سفر يشوع: «حرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم

(١) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي (ص: ١٦٧).

(٢) المالاخاه هي منظومة الأحكام والقوانين التي تبلورت من فتاوى الحكماء والربانيين عبر الأجيال. انظر: الفكر العقدي اليهودي، د. سامي الإمام (ص: ١٧٦).

(٣) التاريخ اليهودي (ص: ١٢١).

(٤) سفر التثنية (٢٠: ١٦)، وقد سبق.

(٥) ذكر د. محمد الخولي أن معنى (حرم): ذبح، وأن هذا تحريف من المترجم في استعمال كلمة (حرم) بمعنى (ذبح). أو حسب تمييزه هو مكر من المترجم. انظر: اليهود من كتابهم. د. محمد علي الخولي (ص: ١٣٠).

(٦) سفر التثنية (٧: ٢-١).

والحمير بحد السيف»^(١).

وفي سفر العدد: «واحرقوا جميع مدتهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار»^(٢)، «اقتلوا كل ذكر من الأطفال»^(٣).

وهذه النصوص وغيرها هي أصول الإرهاب الصهيوني والتطرف النصراني الأصولي^(٤). وأصل هذه الأحكام ناشئ من استعلائهم على جميع البشر، واعتقادهم أنهم شعب الله المختار، جاء في سفر اللاويين: «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب»^(٥)، وفي سفر التثنية: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»^(٦).

خامس عشر: أساس التشريع اليهودي:

أساس أحكام الشريعة اليهودية هو العنصرية المتطرفة البغيضة^(٧)، سواء منها ما يتعلق بالجرائم الكبرى كالقتل والزنا والسرقه وغيرها، أو ما يتعلق بالأوامر كالصلاة والصدقات والأذكار والدعوات وغيرها، وسنكتفي هنا بنقل نصوص مهمة عن المفكر اليهودي إسرائيل شاحاك^(٨)، والذي اعتمد فيما ذكره على مصادرهم الأساسية وما يجري في واقعهم داخل دولة الاحتلال، ومما ذكره من عنصريتهم في تشريعهم ما يلي:

١- **القتل وإبادة الجنس**: تحت هذا العنوان كتب إسرائيل شاحاك قائلاً: «وفق أحكام الديانة اليهودية يعتبر قتل اليهودي جريمة كبرى عقوبتها الإعدام، وإحدى أشنع الخطايا الثلاث (الخطيئتان الأخريان هما: عبادة الأوثان والزنا)، والمحاكم الدينية اليهودية والسلطات العلمانية ملزمة بمعاينة قاتل اليهودي، حتى خارج نطاق إجراءات العدالة المعتادة، ويعتبر اليهودي

(١) سفر يشوع (٦: ٢١).

(٢) سفر العدد (٣١: ١٠).

(٣) سفر العدد (٣١: ١٧).

(٤) لأنه يدخل معهم في ذلك الإرهاب النصراني المتطرف: لأن (العهد القديم) من مصادر اليهود والنصارى على حد سواء على اختلاف بينهم في المعتمد من أسفار، وفي الجملة فهو معتمد لدى النصارى كاليهود، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن مصادر النصرانية.

(٥) سفر اللاويين (٢٠: ٢٤).

(٦) سفر التثنية (٧: ٦).

(٧) للتوسع في هذا الباب يراجع: اليهودية والعربية (غير اليهود في منظار اليهودية). ألبير تو دانزول. العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها. د. أحمد الرغبي.

(٨) هو أستاذ الكيمياء العضوية، ورئيس الاتحاد الإسرائيلي لحقوق الإنسان، قال عنه إدوارد سعيد: «إسرائيل شاحاك هو - في رأبي - من تلك الحفنة القليلة من اليهود الإسرائيليين الذين يعبرون عن الحقيقة كما هي» (الغلاف الخلفي لكتاب التاريخ اليهودي).

الذي يتسبب، بصورة غير مباشرة، بموت يهودي آخر، مذنبًا بما يدعوه القانون التلمودي خطيئة ضد قانون السماء، ويعاقبها الله لا الإنسان، إنك] عندما يكون الضحية غير يهودي، يكون الأمر مختلفًا تمامًا، فاليهودي الذي يقتل غير اليهودي مذنب بارتكاب خطيئة ضد قانون السماء، والمحكمة لا تعاقب عليها، أما التسبب في موت غير يهودي، بطريقة غير مباشرة، فلا يعتبر خطيئة على الإطلاق»^(١)، «وإذا كان القاتل غير يهودي، وتحول القاتل إلى اليهودية، فلا يعاقب»^(٢).

٢- **إنقاذ الحياة:** تحت هذا العنوان كتب شاحك: «وفق أحكام المالاخاه، واجب إنقاذ الرفيق اليهودي ذو قيمة سامية، وهو ينسخ كل تحريم أو التزام ديني آخر ... أما بالنسبة لغير اليهود، فالقاعدة حسب المبدأ التلمودي، هي أن إنقاذهم ليس واجبًا، كما أنه محظور قتلهم، ويعبر التلمود نفسه عن هذا المبدأ بالقول: (غير اليهود ليس واجبًا رفعهم من البئر ولا إنزالهم فيها)، وهذا ما يشرحه ابن ميمون بقوله: (بالنسبة لغير اليهود الذين لا نكون في حالة حرب معهم ... يجب أن لا نتسبب في موتهم ولكن يحظر علينا إنقاذهم إذا كانوا على وشك الموت. مثلا، إذا شوهدهم أحدهم يسقط في البحر وجب عدم إنقاذه، لأنه مكتوب (لا تقف ضد دم رفيقك)، وغير اليهود ليس رفيقك»^(٣).

ويقول شاحك أيضًا: «شاهدت بأمّ عيني يهوديًا متعصبًا يرفض السماح باستعمال هاتفه يوم السبت لاستدعاء سيارة إسعاف لغير يهودي انهار في ضاحية مجاورة في القدس، بدلا من أن أنشر الحادثة في الصحف، طلبت اجتماعًا مع عدد من أعضاء المحكمة الدينية في القدس، وهم من رجال الدين الذين تعينهم حكومة إسرائيل، وسألتهم عما إذا كان هذا السلوك يتوافق مع تفسيرهم للتعاليم الدينية اليهودية، فأجابوا بأن اليهودي المعني كان مصيبًا في تصرفه وتقيًا، ودعموا رأيهم بالإشارة إلى مختصر معتمد للقوانين التلمودية، كتب خلال هذا القرن. كتبت عن الحادثة للصحيفة العبرية اليومية (هآرتز)، وأدى نشرها إلى فضيحة إعلامية»^(٤).

٣- **انتهاك حرمة السبت لإنقاذ الحياة:** يقول شاحك: «انتهاك حرمة السبت -أي: القيام بعمل محظور- يصبح واجبًا إذا كان لازمًا لإنقاذ حياة يهودي، مسألة إنقاذ غير اليهودي يوم السبت لا يثيرها التلمود كموضوع رئيسي؛ لأنه محظور حتى في أيام الأسبوع الأخرى»^(٥).

(١) المصدر السابق (ص: ١٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢١).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٢٦). وقد سبق النقل عن التلمود بواسطة (الكنز المرصود) بما هو أشد وأشنع.

(٤) المصدر السابق (ص: ٩-١٠).

(٥) المصدر السابق (ص: ١٢٨).

ويقول: «بالنسبة لغير اليهود وفق الأحكام الواردة في التلمود ومجموعات القوانين اليهودية، لا يجوز انتهاك حرمة السبت - سواء بخرق قانون توراني أو حاخامي - لإنقاذ حياة مريض غير يهودي في حالة خطرة، كما لا يجوز توليد امرأة غير يهودية يوم السبت»^(١).

٤- علاج غير اليهودي: يقول إسرائيل شاحاك: «يجب على الطبيب اليهودي بصورة خاصة ألا يعالج مريضاً غير يهودي»^(٢)، ثم يقول: «في العصور الحديثة كان معظم الأطباء غير متدينين ولا علم لهم بهذه القواعد، وفضلاً عن ذلك، فإن العديد من كانوا متدينين يفضلون - وهذا يسجل لهم - التقيد بقسَم أبقراط، بدلاً من أوامر الحاخاميين المتطرفين، ولكن إرشادات الحاخاميين تؤثر ولا شك على بعض الأطباء، وهناك بالتأكيد كثيرون ممن لا يتقيدون بهذه الإرشادات، ولكنهم يختارون عدم معارضتها علناً»^(٣).

٥- الجرائم الجنسية: تحت هذا العنوان كتب شاحاك: «الاتصال الجنسي بين امرأة يهودية متزوجة وأي رجل آخر غير زوجها جريمة كبرى بالنسبة للفريقين، وتعتبر إحدى الكبائر الثلاث، أما وضع المرأة غير اليهودية فمختلف تماماً؛ إذ تفترض الهالاخاه أن كل غير اليهود إباحيون تماماً، وينطبق عليهم القول: (لحمهم كلحم الحمير وقذفهم (المني) كقذف الجياد)، ولا فرق بين ما إذا كانت المرأة اليهودية متزوجة أو غير متزوجة، لأن مفهوم الزواج - بالنسبة لليهود - لا ينطبق عليها (لا زواج للوثني)، وبناء عليه، فمفهوم الزنا لا ينطبق على اتصال يهودي بامرأة غير يهودية، بل إن التلمود يعتبر هذا الجماع خطيئة كالعلاقة الجنسية مع حيوان، وللسبب نفسه يفترض بغير اليهود بصورة عامة أن لا أبوة لهم»^(٤)، و«كل النساء غير اليهوديات بغايا»^(٥).

٦- الخطف: جاء في الوصايا العشر: «لا تسرق» (الخروج: ٢٠: ١٥)، وفسروها بالنهي عن سرقة - أي: خطف - شخص يهودي، أما خطف غير اليهود فمصرح به لليهود حسب ما جاء في التلمود^(٦).

٧- السلب بالإكراه: يقول شاحاك: «أما السلب بالإكراه فممنوع إطلاقاً إذا كان الضحية

(١) المصدر السابق (ص: ١٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٦).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٣).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٣٥).

(٥) المصدر السابق (ص: ١٣٦).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٩)، ولم يفسروها بالمعنى الخاص بالسرق؛ لأن الأعمال الممنوعة في الوصايا العشر هي جرائم كبرى في نظر التلمود، وسرقة الممتلكات ليست جريمة كبرى.

يهودياً، وسلب اليهودي لغير اليهودي ليس ممنوعاً إطلاقاً، بل في ظروف معينة عندما لا يكون غير اليهود تحت حكمنا، ومباح عندما يكونون تحت حكمنا، وتختلف المراجع الحاخامية في ما بينها حول الظروف المحددة التي يجوز فيها لليهودي أن يسلب غير اليهودي، ولكن الحوار كله يدور حول القوة النسبية وسلطة اليهود وغير اليهود، بدلاً من الاعتبارات الإنسانية في مجال العدالة، وهذا يفسر لماذا احتج عدد قليل من الحاخاميين على سلب ممتلكات الفلسطينيين، فيما أيده غالبية السلطات اليهودية»^(١).

٨- **اللقطة:** يقول شاحاك: «إذا وجد اليهودي شيئاً يحتمل أن يكون صاحبه يهودياً، فواجبه أن يعلن عنه علناً وأن يبذل جهده لإعادته، وبالعكس ذلك، فالتلمود وكل المراجع الحاخامية القديمة تسمح لمن يجد شيئاً فقدته غير يهودي بأن يحتفظ به، وحتى تمنعه من إعادته، وفي العصور اللاحقة عندما أصدرت معظم البلدان قوانين تلزم من يجد شيئاً بإعادته، أمرت المراجع الحاخامية اليهود بالتقيد بهذه القوانين، كتعبير عن طاعتهم للدولة، وليس كواجب ديني، أي من دون بذل جهد لاكتشاف المالك، إذا لم تكن يهوديته محتملة»^(٢).

٩- **المعاملات الربوية:** المعاملة الربوية مع غير اليهودي واجبة، يقول شاحاك: «إقراض اليهودي من دون فائدة أمر مندوب كفعل خير، أما غير اليهودي، فتقاضي الفائدة منه إلزامي»^(٣)، فإنه «وفق أحكام معظم المراجع التلمودية يقضي الواجب الديني بتقاضي أعلى فائدة ممكنة من غير اليهودي»^(٤).

١٠- **الخداع والاحتيال:** يقول شاحاك: «ممارسة أي نوع من الخداع للإضرار باليهود خطيرة، أما بالنسبة لغير اليهودي فيحظر اللجوء إلى الخداع المباشر، والخداع غير المباشر مباح ما لم يتسبب في إثارة العداة نحو اليهود أو إهانة الديانة اليهودية، والمثل النموذج هو الحساب الخاطيء للأسعار أثناء الشراء، فإذا أخطأ يهودي فالواجب الديني يقضي بلفت نظره إلى الخطأ، أما إذا ارتكب غير اليهودي خطأ، فلا ضرورة لإخباره عنه، ويكتفى بالقول: إني اعتمد على حساباتك، لتفادي عداوته إذا اكتشف خطأه في وقت لاحق»^(٥)، ويقول أيضاً: «الاحتيال على اليهودي بالبيع أو الشراء بسعر غير معقول ممنوع، إلا أن هذا لا ينطبق على غير اليهود، لأنه مكتوب (لا يحتال رجل على أخيه)، أما غير اليهودي الذي يحتال على

(١) المصدر السابق (ص: ١٣٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٣٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٨).

(٤) المصدر السابق (ص: ٦٦).

(٥) المصدر السابق (١٣٨).

يهودي فيجبر على إعادة ما احتال لأخذه، ولكن عقوبته تكون أشد من عقوبة اليهودي في حالة مماثلة»^(١).

١١- **الشهادة:** يعدون غير اليهود كذابين لا تقبل شهادتهم، يقول شاحاك: «يعتبر كل غير اليهود كذابين بالفطرة، ولا يحق لهم الإدلاء بشهادتهم أمام محكمة دينية، ووضعهم النظري في هذا الخصوص يشبه وضع المرأة والفصّر والعبيد، ولكنه أسوأ عملياً بكثير، فالمرأة اليهودية تقبل شهادتها اليوم على وقائع بعض المسائل عندما تصدقها المحكمة الدينية، أما غير اليهودي فلا»^(٢).

١٢- **التوظيف:** يقول شاحاك: «موجب أحكام المالاخاه يجب على اليهودي - إذا تمكن من ذلك - أن لا يعين غير يهودي في وظيفة مسؤولة عن يهود، مهما كانت صغيرة»^(٣).

١٣- **الصلوات والأدعية:** يقول شاحاك: «في إحدى الفقرات الأولى من صلاة الصبح اليومية، يشكر اليهودي الورع الله لأنه لم يجعله غير يهودي، والفقرة الختامية في الصلاة اليومية والتي تتلى أيضاً في قدّاس رأس السنة وعيد الغفران يوم كيبور، تبدأ بما يلي: (يجب أن نحمد الرب ... لأنه لم يجعلنا مثل أمم الأرض ... لأنهم ينحنون للعبث والعدم، ويصلون لإله لا يقدم العون)، وقد حذفت العبارة الأخيرة من كتاب الصلوات، ولكنها كانت تتلى شفاهاً في أوروبا الشرقية، وأعيدت الآن في كتب صلوات عديدة مطبوعة في إسرائيل. وفي الجزء الأكثر أهمية في الصلاة الأسبوعية - المباركات الثماني - لعنة خاصة موجهة أصلاً ضد المسيحيين واليهود المرتدين إلى المسيحية وغيرهم من المنشقين اليهود، (وليفقد المرتدون كل أمل، وليفنى جميع المسيحيين على الفور)»^(٤).

وكذلك هناك أدعية خاصة بالأحياء من غير اليهود، يقول شاحاك: «هناك قاعدة مماثلة تنطبق على الأحياء وهكذا، عندما يرى اليهودي جمعاً يهودياً كبيراً وجب عليه أن يحمد الله، أما إذا رأى جمعاً من غير اليهود فعليه أن يلفظ لعنة، والمباني ليست معفاة أيضاً، فالتمود يعلن أن على اليهودي الذي يمر بالقرب من مبنى يسكنه غير اليهود أن يدعو الله أن يدمره، أما إذا كان المبنى مدمراً فعليه أن يشكر الله لانتقامه»^(٥)، كما «أصبح من المعتاد أن يبصق

(١) المصدر السابق (ص: ١٣٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٣٦).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٤٢).

(٥) المصدر السابق (ص: ١٤٣).

اليهودي (ثلاث مرات عادة) عندما يرى كنيسة أو صليبا^(١)، ويقول أيضاً: «وما زال الأطفال اليهود يعلمون بالفعل فقرات كتلك التي تأمر كل يهودي بأن يتلو دعاء بالرحمة إذا مر بالقرب من مقبرة يهودية، وأن يلعن أمهات الموتى إذا كانت لغير اليهود، وقد حذفت اللعنة في الطبقات القديمة، أو استبدل تعبير (أميين) بتعبير ملطف، ولكن الطبعة الإسرائيلية الجديدة استعادت تعابير (أممي، وغريب) التي لا غموض فيها ... فاليهودي المتدين الذي يزور أستراليا لأول مرة، ويصدف أن يمر بقرب مقبرة للسكان الأصليين، عليه - كجزء من عبادته لله - أن يلعن أمهات الموتى المدفونين هناك»، ثم يعلق على ذلك بقوله: «ومن دون أن نواجه هذه الواقعة الاجتماعية سنصبح أطرافاً ومساهمين في عملية تسميم عقول الأجيال الحالية والآتية»^(٢).

١٤- **الصدقات:** «إعطاء صدقة لمتسول يهودي واجب ديني، أما الصدقات للمتسولين من غير اليهود، فيسمح بها من أجل السلام فقط، وهناك في أي حال تحذيرات حاخامية عديدة ضد تعويد الفقير غير اليهودي على تلقي الصدقات من اليهود، كي يكون حجب هذه الصدقات ممكناً من دون إثارة عداة غير ضروري»^(٣).

١٥- **الهدايا:** الهدية لا تعطى إلا لليهودي، يقول شاحك: «التلمود يمنع بفظاظة إعطاء هدايا لغير اليهود، ورغم ذلك خففت المراجع الدينية الكلاسيكية من هذه القاعدة لأن تقديم الهدايا مألوف بين رجال الأعمال ولمصادر المعلومات التجارية، ولذلك، تقرر أنه يمكن لليهودي أن يعطي هدية لغير يهودي من معارفه، لأنها لا تعتبر هدية، بل استثمار يتوقع منه بعض الفائدة، بينما تبقى الهدايا لغير يهودي - غير حسن الإطلاع - محظورة»^(٤).

١٦- **المدح والثناء:** يحظر التلمود على اليهودي أن يمدح أحداً من غير اليهود، يقول شاحك: «هناك أيضاً سلسلة من الأحكام التي تحظر أي تعبير عن مدح غير اليهود أو أفعالهم، إلا إذا كان هذا المدح يتضمن مديحاً أكبر لليهود والأشياء اليهودية، مثلاً الكاتب عجنون، في مقابلة مع إذاعة إسرائيل بعد عودته من استوكهولم حيث تسلم جائزة نوبل للآداب، امتدح الأكاديمية السويدية وسارع إلى القول: (لم أنس أن مدح غير اليهود ممنوع، ولكن لدي سبب خاص لهذا المدح؛ وهو أنهم منحوا الجائزة لليهودي)»^(٥).

(١) المصدر السابق (ص: ١٤٣).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٩-٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٧).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٣٧).

(٥) المصدر السابق (ص: ١٤٣-١٤٤).

١٧- رحمة غير اليهودي: يذكر إسرائيل شاحك أنهم نصوا في كتبهم على أن «أساس الالتزام الديني هو أنه لا يجوز لنا أن نرحم سوى الناس الذين يعرفون الله ويعبدونه، وعندما نحجم عن التصرف برحمة حيال باقي الجنس البشري، ونفعل ذلك للمذكورين فقط، يجري اختيارنا لجعل الجزء الأساسي من محبتنا لهم ورأفتنا بهم هو لأنهم يتبعون دين الله، لاحظ، بهذا التيه يكون جزاؤنا من الله عن الإحجام عن رحمة الآخرين، مساوياً لجزائنا عندما نرحم أبناء شعبنا»^(١)، ويقول: «أي شخص يعيش في إسرائيل يعرف مدى عمق وانتشار مواقف الكراهية والقسوة تجاه كل غير اليهود، بين غالبية يهود إسرائيل، وتُحجب هذه المواقف عادة عن العالم الخارجي، ولكن منذ إنشاء إسرائيل وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ وصعود بيغن أصبحت أقلية كبيرة في إسرائيل والخارج وتدرجياً أكثر صراحة في التعبير عن هذه المواقف، وخلال السنوات الماضية ذُكرت المفاهيم اللإنسانية التي تعتبر العبودية مصيراً طبيعياً لغير اليهود صراحة في إسرائيل، وحتى في التلفزيون ذكرها مزارعون يهود يستغلون العمل العربي وخاصة عمل الأطفال، وقادة غوش إيمونيم استشهدوا بالمفاهيم الدينية التي تأمر اليهود بقمع غير اليهود كمبرر لمحاولة اغتيال رؤساء البلديات الفلسطينيين، وكمراجع مقدس لمخططهم لطرد كل العرب من فلسطين»^(٢).

(١) التاريخ اليهودي (ص: ١٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٧).

المبحث الحادي عشر:

فرق اليهود

افترق اليهود إلى إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة»^(١).

قال الشهرستاني: «أهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخير الوارد فيها، فافترقت... اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢)، وذكر أيضًا أنهم «تخيروا تائهن، وتاهوا متحيرين؛ فاختلَفوا على إحدى وسبعين فرقة»^(٣).

وذكرت كتب المقالات وغيرها عددًا من فرق اليهود بأسمائها^(٤)، ويرى ابن حزم - وهو من أعلم الناس في عصره باليهود وفرقهم - أنهم افترقوا إلى خمس فرق: السامرية، والصدوقية، والعنانية، والربانية، والعيسوية^(٥).

ويذكر الشهرستاني أن أشهر فرقهم وأظهرها: العنانية، والعيسوية، والمقاربة واليودجانية^(٦)، والسامرة، ثم يقول: «فهذه أربع فرقهم الكبار، وانشعبت منهم الفرق إلى إحدى وسبعين فرقة»^(٧)، ويوافقه الرازي، فيذكر أنهم فرق كثيرة، ويكتفى بذكر الأشهر منها، وهي أربع: العنانية، والعيسوية، والمعادية^(٨)، والسامرية^(٩).

ويرى المقريزي أيضًا أنها أربع فرق - كل فرقة تخطئ الطوائف الأخرى - وهي: طائفة الربانيين، وطائفة القرائين، وطائفة العنانية، وطائفة السامرة^(١٠).

(١) سبق تخرجه.

(٢) الملل والنحل (١ / ١١).

(٣) الملل والنحل (٢ / ١٩).

(٤) انظر: البدء والتاريخ (٤ / ٣٤).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٨٢).

(٦) كذا في الأصل! والصحيح في اسمها: (اليودجانية) نسبة إلى يودجان الهمداني، والمقاربة واليودجانية اسمان لفرقة واحدة. انظر: الفكر الديني، ظاظا (ص: ٢٤٤)، منهج الشهرستاني في دراسة الملل والنحل. السحيباني (ص: ٥٤٣).

(٧) الملل والنحل (٢ / ٢٤).

(٨) كذا بالأصل! ولعل الصواب: (المقاربة).

(٩) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٨٢-٨٣).

(١٠) انظر: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤ / ٣٨١).

وقول الشهرستاني بأن هذه الفرق الأربع تشعبت منها الفرق الإحدى والسبعين محل نظر؛ لما يلي:

١- أن هذه الفرق التي ذكرها الشهرستاني باستثناء السامرة كلها نشأت في العصر العباسي.

٢- أن العيسوية واليودجانية فرقة واحدة.

٣- هناك ما هو أقدم من هذه الفرق الأربع ولم يذكرها الشهرستاني كالربانيين.

والأقرب في ذلك ما ذكره الحبر اليهودي المهتدي السموأل بن يحيى المغربي؛ لأنه أعلم بحال أبناء ملته وفرقهم، فقد ذكر أن اليهود فرقتان: القراءون، والربانيون^(١)، وتابعه ابن القيم في ذلك^(٢).

ويذكر د. أحمد شلبي أن الفرق اليهودية تكثر كثرة بالغة، وأهم فرقها خمس: الفريسيون، والصدوقيون، والقراؤون، والكتبة، والمتعصبون^(٣).

ويقول د. حسن ظاظا: «جرت عادة من يكتبون عن الفكر الديني الإسرائيلي إبان ظهور المسيحية على الاكتفاء بذكر أربع فرق هم: الفريزيون، والصدوقيون، والقناؤون، والأسينيون»^(٤)، ثم ذكر من فرق اليهودية أربع عشرة فرقة، وهي: السامريون، والفريزيون، والصدوقيون، والقناؤون، والأسينيون، والأبيوثيون، والغنوصية الصابئة، واليودجانية، والقراؤون، والمارانوس، والدوغة، والإصلاحيون، والفلاشة، وبنو إسرائيل^(٥).

لكنه ذكر أن السواد الأعظم من اليهود هم اليهود الربانيون أو الربيون، نسبة إلى (رب) بمعنى: كبير ورئيس، وهم اليهود الذين تركوا باب المقدسات مفتوحاً على مصراعيه بعد وفاة موسى، بل بعد السبي البابلي، بحيث دخلت المرويات الشفوية والاجتهادات والفتاوى وغيرها من النصوص الدينية المحتواة في المشنا والتلمود والمدراش^(٦).

وقال: «جمهور اليهود هذا ينقسم إلى طائفتين كبيرتين جداً:

(١) انظر: إفتحام اليهود (ص: ١٧١).

(٢) انظر: هداية الحيارى (٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٣) انظر: اليهودية (ص: ٢١٨).

(٤) الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا (ص: ٢٢١).

(٥) انظر: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا (ص: ٢٠٥) وما بعدها.

(٦) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠١).

(أ) **الإشكناز**: وهم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها ... ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الإشكناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة.

(ب) **السفرد**: وهؤلاء هم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط، وكلمة (سفرد) كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا التي تضم إسبانيا والبرتغال، ثم أصبحت تعني إسبانيا باختصار^(١).

وفي ختام هذا العرض الإجمالي لفرق اليهود نتوقف عند فرقتين صغيرتين من فرق اليهود هما وجود اليوم، وهما: يهود الفلاشا، ويهود الدوتمة.

يهود الفلاشا:

تعريفهم: هم طائفة صغيرة تنتمي إلى الديانة اليهودية، وتعيش في أرض الحبشة، وهم إفريقيون لا يمتون إلى الجنس اليهودي، ولا يعرفون اللغة العبرية^(٢)، ولذلك قال د. حسن ظاظا: «الفلاشا نموذج حي يثبت بما لا يقبل الشك خرافة الدعوى العنصرية اليهودية، فمن الناحية الأنثروبولوجية هم إفريقيون لا يمتون إلى الجنس اليهودي»^(٣)، بل إن تعريفهم في الموسوعة اليهودية «يُلقي كثيراً من ظلال الشك على انتماهم الديني، إذ جاء فيها ما يلي: الفلاشا جماعة إثنية في إثيوبيا تزعم أنها من أصل يهودي، ومرتبطة بنوع من أنواع الديانة اليهودية يستند إلى العهد القديم والكتب الخارجية (أبو كريفنا)، أي الكتب غير المعتمدة والكتب الدينية الأخرى التي ظهرت بعد الانتهاء من تدوين العهد القديم»^(٤).

أصل التسمية: «الفلاشا كلمة أمهرية تعني: المنفيين، كما أنها تعني أيضاً غريب الأطوار، وأصلها يعود إلى الجذر (فلاشا) ... ويعني: يهاجر، أو يهيم على وجهه، ويستخدم أهل إثيوبيا الكلمة للإشارة إلى جماعة إثنية أفريقية تدين بشكل من أشكال اليهودية، وهي لا تنتمي إلى أي من الكتل اليهودية الكبرى الثلاث: الأشكناز والسفارد ويهود العالم الإسلامي، كما يستخدمون كلمة (يهود)، أي: يهود، أما الفلاشا فيشيرون إلى أنفسهم

(١) الفكر الديني اليهودي. د. حسن ظاظا (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٧٠). وفي أيامنا هذه حدثت انتفاضة عاصفة من يهود الفلاشا في الدولة الصهيونية المحتلة لما يلقونه من يهود أوروبا من اضطهاد وتمييز عنصري، انظر تفصيل الخبر على هذا الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/inthepress-٤٨٩٣٧٥٧٨> بتاريخ ٢١/٧/٢٠١٩م.

(٣) الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٧٠).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢/ ١٥٩-١٦٠).

بوصفهم (بيت إسرائيل)»^(١).

عددهم: «لا يعرف عدد الفلاشاه على وجه الدقة، وإن كان قد قدر عددهم في بداية القرن الثامن عشر بمائة ألف، بل إن أحد أعضاء الإرساليات قدره بربع المليون، ولكن، مع بداية القرن العشرين، وصل عددهم إلى خمسين ألفاً على أحسن تقدير، وإلى سبعة آلاف حسب أسوتها، وحسب تقديرات عام ١٩٧٦، وصل عددهم نحو ٢٨ ألفاً موجودين في ٤٩٠ قرية مختلفة»^(٢).

مبادئهم:

- يؤمنون بالعهد القديم ويضمون إليه بعض كتب الأبوكريفا غير المعتمدة.
- لا يعترفون بالتلمود.
- ليس لديهم حاخامات، وإنما قساوسة.
- بينهم وبين المسيحيين في أثيوبيا عناصر لاهوتية مشتركة كبيرة، كالاقرار.
- يقيمون شعائر يوم السبت بصرامة غير عادية.
- يحتفلون بعدد من الأعياد أكبر من المنصوص عليها في الشريعة اليهودية.
- يحافظون على شعائر اليهودية في الزواج والختان والأطعمة.
- عندهم مغالاة في التطهر، ولذا فهم يمتنعون قدر الإمكان عن لمس الغرباء، ويعدون المرأة بعد الولادة غير طاهرة لمدة أربعين يوماً إن ولدت ولداً، وإن ولدت بنتاً تضاعفت المدة، وتعزل في مكان خاص بها، وبعد نهاية المدة تحلق المرأة شعرها وتغسل في الماء، وتغسل ملابسها، وأحياناً يحرق الكوخ الذي قضت فيه فترة العزل.
- يؤمنون بالبعث واليوم الآخر^(٣).

يهود الدونمة:

تعريفهم: هم طائفة من اليهود يخفون يهوديتهم، ويتسمون بأسماء إسلامية، ولا يزالون يعيشون في تركيا، وكانت نشأتهم في القرن السابع عشر، ويطلق عليهم اسم (يهود الدونمة)،

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢/ ١٥٨) بتصرف يسير.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢/ ١٥٨).

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٢/ ١٦٠-١٦١).

وهم أتباع المسيح الكذاب، ويسميه طوائف اليهود الأخرى (مينيم) أي: الكفار^(١).

أصل التسمية: الدوثة كلمة من تركيب تركي، مركبة من (دو) أي: اثنين، و(دثة) أو (منة) بمعنى نوع، أي: الفرقة القائمة على نوعين أو أصلين، هما: النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وقيل: إن الكلمة مشتقة من كلمة (دونمك) بمعنى: العائدين، أي: يهود المارانو الذين هاجروا من شبه جزيرة أيبيريا إلى الدولة العثمانية^(٢)، وقد عدل أبناء هذه الفرقة عن هذه التسمية وسماوا أنفسهم: المؤمنين، والرفاق، والمجاهدين^(٣).

نشأتهم: قد أسسها سباتاي زيفي المولود سنة ١٦٢٦م بمدينة ازير التركية من أبوين يهوديين مهاجرين من أسبانيا إثر الاضطهاد الديني الذي عمّ اليهود هناك^(٤)، وفي سنة ١٦٤٨م أشاع بين أصحابه المقربين أنه قد نبي، فصدقوه واتبعوه، ثم ادعى سنة ١٦٦٦م أنه المسيح المنتظر، ثم أعلن إسلامه^(٥)، وخلال عشر سنوات دخل كثير من أتباعه دين الإسلام^(٦)، ثم انكشف أمره بعدما علم المسؤولون أنه يجمع أنصاره على طقوس وعبادات خاصة، وأن إسلامه كان خدعة، فنفي إلى ألبانيا، ومات هناك سنة ١٦٧٥م^(٧).

صفتهم: أتباعه لهم زي خاص، فرجالهم يضعون على رؤوسهم قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمائم خضراء، ونساؤهم ينتعلن الأحذية الصفراء^(٨)، ويحمل كل عضو منهم اسمين: اسم تركي، وآخر عبري يعرف به بين أعضاء مجتمعه السري، وهم يتدارسون التلمود، ويستفتون الحاخامات فيما يعرض لهم من مشاكل، ويحتفلون بجميع الأعياد اليهودية، ويقومون شعائهم عدا شعيرة الكف عن العمل يوم السبت حتى لا يلفتوا النظر إلى حقيقتهم، ولا تعرف أعدادهم إلا على وجه التقريب، وقد قيل: إن عددهم وصل إلى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً قبل الحرب العالمية الأولى، وقد فشلت جميع المحاولات التي بذلت لإقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل: ويبدو أن أعضاءها على علاقة وثيقة بالحركات

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٦١).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٠٥).

(٣) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٦١).

(٤) انظر: يهود الدوثة، محمد علي قطب (ص: ٩).

(٥) انظر: يهود الدوثة، محمد علي قطب (ص: ١١-١٣).

(٦) انظر: يهود الدوثة، محمد علي قطب (ص: ٢٢).

(٧) انظر: يهود الدوثة، محمد علي قطب (ص: ٢٥).

(٨) انظر: يهود الدوثة، محمد علي قطب (ص: ٢٦).

الماسونية في تركيا، ويلعبون دورًا نشيطًا في عملية علمنة تركيا^(١)، وتؤكد بعض المصادر على دورهم في إسقاط الخلافة العثمانية، وأن مصطفى كمال أتاتورك ترجع أصوله إلى يهود الدوغمة، وقد درس وتعلم في مدارسهم، وتلمذ على كبار علمائهم^(٢).

فرقهم: يقول كارين أرمسترونج: «وبعد وفاة شابتي ظهرت حركتان شابتيان ثوربتان كان من ثمارها دخول اليهود بصورة جماعية في الدين السائد، ففي عام ١٦٨٣ تحولت نحو ٢٠٠ أسرة إلى الإسلام في تركيا العثمانية، وكان يطلق على هذه الطائفة لفظ (دوغمة) أي: الذين تحولوا، وكان لهم أكثر من كنيس سري، ولو أنهم كانوا يصلون في المساجد أيضا، ووصل عدد أفراد الطائفة عندما بلغت ذروتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نحو ١١٥٠٠٠ فردًا، ولكنها كانت قد بدأت تتفكك في مطلع القرن التاسع عشر، عندما بدأ أعضاؤها يتلقون تعليمًا حديثًا علمانيًا، ولم يعودوا يرون أنفسهم بحاجة إلى أي دين من الأديان، بل إن بعض شباب الدوغمة قد شاركوا بنشاط في التمرد العلماني الذي قامت به حركة تركيا الفتاة في عام ١٩٠٨، أما الحركة الشابتي الثانية فكانت خبيثة ... وكان زعيم هذه الحركة يدعي جاكوب فرانك (١٧٢٦-١٧٩١) الذي انضم إلى الشابتي أثناء زيارة قام بها إلى البلقان، وعندما عاد إلى وطنه بولندا قام بتكوين طائفة سرية يطبع أفرادها الشريعة اليهودية علنًا، ويمارسون المباديل الجنسية المحظورة سرًا، وعندما حُرِم الرحمة الكهنوتية في عام ١٧٥٦ تحول أول الأمر إلى الإسلام إبان زيارة قام بها لتركيا ثم إلى الكاثوليكية واصطحب معه أتباعه»^(٣).

حقيقة الخلاف بين فرق اليهود:

الخلاف بين فرق اليهود كبير والعداء بينهم مستحکم، وفرقهم كثيرة مع قلة عددهم، فيذكر د. عبد الوهاب المسيري أن الاختلافات بين الفرق اليهودية «اختلافات جوهرية وعميقة تمتد إلى العقائد والأصول، فهي في الواقع ليست كالاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى، ومن ثمَّ فإن كلمة (فرقة) لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر»^(٤).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وقد ألقى الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء، فقد افترقوا على

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٠٥، ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) انظر: حقيقة يهود الدوغمة في تركيا. د. هدى درويش (ص: ٤٦).

(٣) معارك في سبيل الإله. كارين أرمسترونج (ص: ٦٢)، ترجمة: فاطمة نصر، ومحمد عناني.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣١٧).

أكثر من سبعين فرقة، كما ورد بذلك الحديث الصحيح، فمنهم الجبرية، والقدرية، والمشبهة، ومنهم من ينكر البعث، ومنهم الربانيون والقراءون، وبينهم العداوة مستحكمة، وهم ينكرون أن يكون اليهود من غير بني إسرائيل، حتى إنهم لا يعترفون بيهودية من يدخل في دين موسى من غيرهم، فيعادون السامرة الذين لم يكونوا من أصل إسرائيلي»^(١).

فمثلاً «لا يُعَدُّ الربانيون والقراؤون طائفة السامرة من اليهود، وفي نفس الوقت ترمي كل من الطائفتين أختها بالخروج على الدين، ولا يتزوجون من بعضهم، بل كلاهما يعتقد أن أبناء عمومته أكثر نجاسة من أتباع الأديان الأخرى»^(٢).

وحاصل القول: أن فرق اليهود كثيرة جداً، ولكنها باعتبار أصلها ترجع إلى فرقتين، هما: القراؤون والربانيون كما ذكر السموأل وتابعه على ذلك ابن القيم، وباعتبار انتمائها الجغرافي ثلاث فرق: الإشكناز، والسفرد، والفلاشا، أما باعتبار شهرتها في كتب الأديان فأشهرها أربع فرق، وهي: السامريون، والربانيون، والصدوقيون، والقراءون، وفيما يلي تعريف موجز بهذه الفرق الأربع:

١- السامريون:

وهم ينتسبون إلى مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها^(٣)، وهم يزعمون أنهم من نسل يوسف^(٤)، ويطلقون على أنفسهم اسم (بني يوسف) أو (بني إسرائيل)^(٥)، كما يطلقون على أنفسهم اسم (شومريم) أي: حفظة الشريعة^(٦).

وأكثر اليهود ينفون عن السامريين الانتساب إلى إسرائيل، ويرون أنهم أخلاط من الأمم لا ينتمون إلى الدم اليهودي النقي، حتى إن أحبار اليهود كانوا يسمونهم (جيران السباع)^(٧).

وهم فرقة صغيرة قليلة العدد، فذكر عمر عنايت في كتابه (العقائد) - المطبوع سنة ١٩٢٨م -

(١) زهرة التفاسير (٥ / ٢٢٨١).

(٢) العقائد (ص: ٧٨-٧٩)، المنشور سنة ١٩٢٨م.

(٣) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٥).

(٤) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٣٢٣).

(٥) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٩).

(٦) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣٢١).

(٧) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٨).

أن عددهم نساء ورجالاً لا يزيد عن المائة إلا قليلاً^(١)، وفي دائرة المعارف الكتابية أن عددهم كان ٢١٤ في نابلس، و١٣٢ في يافا حسب تعداد ١٩٦٠م^(٢)، وذكر د. المسيري أنهم «جماعة شبه منقرضة، وهم - في واقع الأمر - أصغر جماعة دينية في العالم، فعددهم لا يتجاوز خمسمائة، يعيش بعضهم في نابلس ويعيش البعض الآخر في حولون (إحدى ضواحي تل أبيب)»^(٣)، وذكر د. حسن ظاظا أن عددها على وجه الأرض لا يزيد عن بعض مئات^(٤)، ويقول: «ونظرًا للعزلة التي عاشوا فيها فقد انتشر فيهم الجهل، بحيث قل عدد من يعرفون القراءة والكتابة بينهم، وأكثرهم يحفظون صلواتهم بعبريتهم بدون فهم؛ لأنهم يتخاطبون في الأغلب باللغة العربية»^(٥).

وتتلخص عقائدهم وآراؤهم فيما يلي:

- يؤمنون بإله واحد هو يهوه، ومشرع واحد هو موسى، وكتاب مقدس واحد هو التوراة^(٦).
- «يبتلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى - عليه السلام - وبعد يوشع - عليه السلام»^(٧).
- «لا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه»^(٨)، ويعتقدون أن جبل جرزيم المجاور لنابلس هو مكان العبادة الحقيقي^(٩)، وهو القبلة الوحيدة لبني إسرائيل^(١٠)، يقول المقريري: «فلم تزل السامرة بعد ذلك إلى يومنا هذا تستقبل في صلاتها حيثما كانت من الأرض طور بريك بجبل نابلس، ولهم عبادات تخالف ما عليه اليهود»^(١١).
- لا يقبلون سوى أسفار التوراة الخمسة، ويرفضون باقي أسفار العهد القديم^(١٢).

(١) انظر: العقائد (ص: ٧٩). وهو مطبوع سنة ١٩٢٨.

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٣٢٤).

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣١٩).

(٤) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٥).

(٥) الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٨).

(٦) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٣٢٥)، الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٦).

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٨٢)، وانظر: الملل والنحل (٢ / ٢٣).

(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ / ٨٢).

(٩) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٣٢٢).

(١٠) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٦)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣٢١).

(١١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤ / ٣٨٤).

(١٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٣٢٢).

دراسات في الأديان

باستثناء سفر يوشع^(١)، ولهم تورا غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود^(٢)، وقد أدخلوا عليها بعض التعديلات التي تتفق مع معتقداتهم^(٣)، ولذا فهم لا يستعملون النسخة الموجودة عند باقي اليهود، بل لهم نسخة برواية خاصة تختلف اختلافاً محسوساً عن التوراة الشائعة^(٤)، وتختلف عنها في كثير من الألفاظ والمعاني^(٥)، جاء في قاموس الكتاب المقدس: «يختلف النص السامري عن النص العبري فيما يقرب من ستة آلاف موضع»^(٦)، وقال ابن القيم: «التوراة التي بأيدي النصارى، تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه»^(٧)، وقال أيضاً: «هؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة، ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها، وهجرت بينهم النسخة الصحيحة بالكلية، وكذلك التوراة التي بأيدي النصارى»^(٨)، ويقول المقرئبي: «والسامرة تزعم أن التوراة التي في أيدي اليهود ليست التوراة التي أوردها موسى -عليه السلام-، ويقولون: توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت، وأن التوراة هي ما بأيديهم دون غيرهم»^(٩).

- ينكرون التلمود تماماً^(١٠).
- يسكنون بالشام ولا يستحلون الخروج عنها^(١١).
- يؤمنون بيوم القيامة ويسمون يوم البعث أو يوم الموقف العظيم، كما يؤمنون بمجيء المسيح المخلص^(١٢)، لكن نقل عنهم ابن حزم أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة^(١٣)، وربما كان هذا حال يهود السامرة المعاصرين لابن حزم.
- يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود^(١٤).

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٦).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٢).

(٣) انظر: المجتمع اليهودي (ص: ٣١٨). المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (ص: ٢٥٢).

(٤) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٦).

(٥) انظر: مقدمة التوراة السامرية، د. أحمد حجازي السقا (ص: ٣٠).

(٦) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٤٥١).

(٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٣٠٩).

(٨) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٣١٤).

(٩) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ٣٨٤).

(١٠) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٢١).

(١١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٢).

(١٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٩).

(١٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٢).

(١٤) انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٣-٢٤).

- السامرة بحكم طبيعة دينهم ليسوا صهيونيين^(١).

٢- الفريسيون (الربانيون):

الفريسيون كلمة آرامية ومعناها المنعزل، وهم إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين، فنتي الصدوقيين والأسينيين، وكانت أضيقتها رأياً وتعليماً^(٢).

وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديماً، وكانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح. واسمهم بالعبرية (فروشيم) يعني: المقروزين، أي: الذين امتازوا عن الجمهور، وغزلوا عنه^(٣)، يقول د. حسن ظاظا: «كانوا يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب (حسيديم) أي: الأتقياء»^(٤).

قال الحبر اليهودي المهتدي السموأل بن يحيى المغربي: «وهم أكثر عدداً، وهم شعبة الخماميم الفقهاء المقترين على الله عز وجل ... وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم»^(٥).

وقد نشأت طائفة الفريسيين للمحافظة على الشريعة اليهودية من اختلاطها بالعقائد والأفكار اليونانية، وحصروا همهم في دراسة الشريعة وتفسيرها والإفتاء في قضاياها، وقد ازداد تسلطهم على حياة اليهود حتى استعبدهم، فلم يتركوا شيئاً في حياتهم للإرادة الحرة^(٦)، وقد كثر أتباعهم حتى نعتهم ابن حزم بأنهم (جمهور اليهود)، فقال: «الربانية وهم الأشعنية، وهم القائلون بأقوال الأخبار ومذاهبهم، وهم جمهور اليهود»^(٧) يعني في عصره.

وقد استمرت هذه الفرقة إلى يومنا هذا لكن تحت أسماء أخرى^(٨)، يقول د. حسن ظاظا: «بحكم القيادة الدينية التي حرص الفريزيون على أن تبقى في أيديهم، فإنهم تعرضوا لكثير من المواقف التي اختلفت فيها تصرفاتهم بحسب الظروف، فهم مثلاً كانوا دائماً حريصين على

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠٥).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٧٤).

(٣) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٠)، المدخل لدراسة التوراة (ص: ٢٤١).

(٤) الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٠).

(٥) إفحام اليهود (ص: ١٧٤).

(٦) انظر: المجتمع اليهودي (ص: ٢٩٩).

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٢).

(٨) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٤).

غرس بذور الصهيونية في نفوس عوام الأرض، وتوجيههم إلى احتقار الأمم والأجناس والأديان الأخرى، وحضهم -جهازًا أحيانًا وسرًا أحيانًا- على رفض أية حكومة أجنبية غير يهودية تهيمن عليهم، ومن هنا كانوا دائمًا وراء القلاقل والاضطرابات والثورات وأعمال التخريب والمؤامرات التي ظل اليهود يقومون بها في منطقة الشرق الأوسط»^(١).

ويقول إسرائيل شاحك: «الحسيدية حركة ما زالت موجودة، وتضم آلاف الأتباع المتطرفين في إخلاصهم للحاخاميين الأتقياء الذين يملك بعضهم نفوذًا سياسية كبيرة في إسرائيل بين قادة معظم الأحزاب، وحتى في صفوف الرتب العليا في الجيش»^(٢).

ومن معتقداتهم ما يلي:

- يؤمنون بأنه يمكن عبادة الخالق في أي مكان، وليس بالضرورة في الهيكل^(٣).
- يؤمنون بوحداية الخالق، وبخلود الروح في الحياة الآخرة، وبالبعث والثواب والعقاب، والملائكة، وحرية الإرادة^(٤).
- يعتقدون بمجيء المسيح، ويسعون إلى إقامة مملكته في الأرض^(٥).
- يؤمنون بالتوراة والتلمود ولا يفصلون بينهما، فيعتبرون الشرائع والحكايات والأساطير في (المشنا) و(التلمود) و(المدراش^(٦)) بكل ما تحتويه من شرائع وقصص مندجًا اندماجًا عضويًا في التوراة، بحيث لا يمكن الإيمان بهذه التوراة مع الشك في مكملاتها السالفة الذكر^(٧).
- اشتهر الفريسيون بوضع الحيل للتملص من قوانين الشريعة التي كانوا يتظاهرون بالنقد بها، وكان من يرشيهم يجد له فتوى للتخلص من أي قوانين^(٨).
- يرى الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون، وأن أقوالهم صادرة عن

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٣).

(٢) التاريخ اليهودي (ص: ٤٣).

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣٢٢).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٧٤)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣٢٢).

(٥) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٣).

(٦) هو تفسير التوراة بالتعمق في معانيها والاستنباط منها، والوصول إلى المعاني الخفية التي قد تصل إلى سبعين معنى أحيانًا، وهو مأخوذ من الكلمة العبرية (درش) بمعنى بحث أو درس أو استطلع. وتذكر في مقابل (البيشات) أي: التفسير الحرني للتوراة. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ٣٦٨).

(٧) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١١).

(٨) انظر: المدخل لدراسة التوراة (ص: ٢٤٦).

الله^(١).

٣- الصدوقيون:

الصدوقيون كلمة مأخوذة من الكلمة العبرية (صدوقيم) أي: الصديقون، بمعنى العادلين والأبرار، وقيل: نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، أو نسبة إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد^(٢)، وقيل: إن هذه التسمية أطلقت عليهم من قبل أعدائهم، وأنها من نوع التسمية المضادة؛ لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر، فسماهم أعداؤهم بذلك^(٣).

وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء، عظيمة النفوذ، ولذا جاء في قاموس الكتاب المقدس في تعريفهم: «الصدوقيون فرقة صغيرة نسبياً، ولكنها مؤلفة من مثقفين جُلهم أغنياء، وذوو مكانة مرموقة»^(٤)، وكانوا دوماً يسعون إلى استرضاء السلطة الحاكمة، ولو كانوا مستعمرين أو مستعبدين لليهود من الرومان أو اليونان، وكان هدفهم الحفاظ على ثروتهم ونفوذهم^(٥).

وهذه الفرقة اندثرت مع الزمن، ولم تستطع أن تساير تطور الفكر الديني اليهودي^(٦)، ولذا جاء في دائرة المعارف الكتابية: «وبسقوط أورشليم في ٧٠م وتدمير الهيكل اختفى الصدوقيون من التاريخ، فقد كان وجودهم مرتبطاً بمركزهم الكهنوتي ونفوذهم السياسي، وعندما زال كل هذا لم يعد لهم -على العكس من الفريسيين- مكان على مسرح التاريخ»^(٧).

(١) انظر: اليهودية، د. أحمد شلي (ص: ٢١٩).

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٥ / ٩).

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٥ / ١١). موسوعة اليهود واليهودية (٥ / ٣٢٣)، اليهودية، أحمد شلي (ص: ٢٢١-٢٢٢).

(٤) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٣٩).

(٥) انظر: المجتمع اليهودي (ص: ٣٠٤).

(٦) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٤).

(٧) دائرة المعارف الكتابية (٥ / ١٠).

ومن معتقداتهم ما يلي:

- يؤمنون بقدسية العهد القديم، وينكرون التعاليم الشفوية (التلمود)^(١).
- لا يؤمنون بقيامة الأموات من القبور، ولا بالحياة الأبدية، وينكرون الثواب والعقاب، ويرون أن جزء الإنسان يتم في الدنيا، وينكرون وجود الملائكة والشياطين^(٢).
- يعتقدون أن الإنسان خالق أفعال نفسه^(٣)، ويرون أن الخالق لا يكثرث بأفعال البشر، وأن الإنسان هو سبب ما يحل به من خير أو شر^(٤).
- ينكرون المسيح المنتظر ولا ينتظرونه^(٥).

وقد اثبت من هذه الطائفة فرقة تسمى (القنَّاؤون) تتميز بالتطرف والعنف، بحيث يمكن وصفهم بأنهم غلاة اليهود، ومعنى كلمة (قنَّاء) في اللغة العبرية: الغيور، أو صاحب الحمية، وكانوا يسمون (سيقارين) أو (سيقاريقين)، وهي كلمة يهودية من ألفاظ التلمود معناها: الإرهابيون، أو السفاحون، أو قطاع الطرق، كما أنهم سماوا في بعض الوثائق (بريوناي) أي: الخارجون على القانون، أو التمردون، وأصبحت حركة القنَّائين حركة سرية تعتمد على الاغتيال، وكان ضحاياها من بين اليهود المتعاونين مع الرومان وخصوصاً الفريزيين، وقد اندثرت هذه الفرقة كتنظيم ومذهب، لكن مناهجها ووسائلها ما زالت توحى للفكر الصهيوني الحديث بكثير من الأفكار المتطرفة^(٦).

٤- القراؤون:

ترجع تسميتهم بذلك إلى أن التوراة تسمى عند اليهود (المقرا) أي: المقروء، وقد جعلت هذه الفرقة (المقرا) هو النص المقدس، ولم تؤمن بالروايات الشفوية (المشنا والتلمود)^(٧).

قال عنهم الخبير اليهودي المهتدي السموأل بن يحيى المغربي: «القراؤون وهم أصحاب عانان بن داود وبنيامين»، ثم قال: «أكثرهم خرج إلى دين الإسلام أولاً فأولاً إلى أن لم يبق منهم إلا

(١) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٦). اليهودية، أحمد شلي (ص: ٢٢٢).

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٦). اليهودية. أحمد شلي (ص: ٢٢٢).

(٣) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٦). اليهودية. أحمد شلي (ص: ٢٢٢).

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٣٢٤).

(٥) انظر: اليهودية، أحمد شلي (ص: ٢٢٢).

(٦) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢١٧-٢٢٠).

(٧) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٤٧).

نفر يسير؛ لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام لسلامتهم من محاولات فقهاء الربانيين أصحاب الافتراء الزائد الذين شددوا على جماعتهم الإصر^(١)، وهذا هو السبب في تقلص عددهم وهو ينفي السبب الذي ذكره د. حسن ظاظا من أن عددهم تقلص في العصر الحديث مع انتشار اليهود الربانيين في أوروبا وأمريكا وغيرها ووصولهم إلى مستوى سياسي ومادي لا يستهان به، بينما ظل القراؤون منكمشين في الشرق، يعيشون حياة بعيدة عن الثراء والاهتمام السياسي^(٢)، «فلم يعد لهم تواجد غير أعداد قليلة في إسرائيل، وبعض بقايا منهم في جنوب تركيا في العصر الحالي»^(٣)، والذي دعانا إلى ترجيح ما ذكره السموأل أنه من أحبار اليهود فهو أعلم بحال فرقهم وما آلت إليه.

ومن عقاندهم وأرانهم ما يلي:

- لا يعترف القراؤون إلا بالتوراة (العهد القديم)، ويفرضون المصدر الرئيسي الآخر لدى جمهور اليهود، وهو التلمود^(٤).
- معاداة الصهيونية والنفور منها؛ لأنها ترى فيها أكبر خطر يهددها، وهو استيلاء الكفرة الربانيين الأعداء على كل مقدسات إسرائيل^(٥).

الفرق اليهودية المعاصرة:

يقول عمر عنایت: «على الرغم من تشعب اليهود إلى فرق لم يبق منهم حتى اليوم إلا ثلاثة أفرع، هم الربانيون، والقراؤون، والسامريون»^(٦).
بينما يذكر د. رشاد الشامي أن هذه الفرق كلها قد انقرضت^(٧)، ولم يتبق منها سوى فرقة الفريسيين التي ظلت حاملة للواء اليهودية وسيطرت على الحياة الدينية اليهودية منذ خراب الهيكل الثاني عام (٧٠م) وحتى الآن، حيث عرفت فيما بعد باسم (اليهودية الربانية) أو

(١) إفتحام اليهود (ص: ١٧٥).

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٥٤).

(٣) القراؤون والإصلاحيون اليهود. البهنسي (ص: ٤٦). نقلًا عن مصدر عبري.

(٤) انظر: فرقة القرائين اليهود. د. جعفر هادي حسن (ص: ٤٥).

(٥) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٥٤).

(٦) العقائد (ص: ٧٨-٧٩). المنشور سنة ١٩٢٨م.

(٧) لكن القول بانقرضهما تمامًا محل نظر؛ لأنه لا يتصور انقراض كلا الفرقين في فترة زمنية قصيرة، ولذا يرى بعض الباحثين بقاء عدد قليل من السامرة. كما سبق. ولا ريب أن لهم وجودًا اليوم، وهم في نابلس، وقد استمعت إلى مقابلات مع بعض رؤسائهم عبر (اليوتيوب). وهم يتحدثون العربية، كما استمعت أيضًا إلى حبرهم، وهو يقر بنبوذة محمد ﷺ، وذكر أنهم يختلفون كثيرًا عن عموم اليهود.

(اليهودية التلمودية)، ثم عرفوا في العصر الحديث باسم (اليهودية الأرثوذكسية) إشارة إلى تشددهم في تطبيق أحكام الشريعة اليهودية^(١)، ويذكر د. حسن ظاظا أنهم السواد الأعظم من اليهود^(٢)، ويذكر د. إسماعيل الفاروقي أن «الدولة الإسرائيلية لا تعترف بأي ملة سوى الملة الأرثوذكسية»^(٣)، وبإزائها ظهرت اليهودية الإصلاحية التي حاولت إدخال بعض الإصلاحات على الديانة اليهودية الأرثوذكسية، ثم اليهودية المحافظة التي نشأت لمحاولة التوسط بين الإصلاحية والأرثوذكسية.

وفيما يلي تعريف موجز بهذه الاتجاهات أو الفرق الثلاثة:

١ - اليهودية الأرثوذكسية:

تعريفها: يقول د. عبد الوهاب المسيري: «اليهودية الأرثوذكسية فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وتعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية»^(٤)، وهم يرون أنهم أصحاب الاعتقاد الصحيح من بين فرق اليهود، وهذا ظاهر من اسمهم؛ لأن «مصطلح (أرثوذكس) مصطلح مسيحي، يعني: الاعتقاد الصحيح»^(٥).

نشأتها: هذا الاسم في أصله مصطلح نصراني، وبه تسمى إحدى فرق النصرى الكبرى، ويبدو أن هذا الاسم انتقل إلى اليهودية متأخرًا، ويحدد د. إسماعيل الفاروقي السنة التي استعمل فيها هذا الاسم لأول مرة في تاريخ الدين اليهودي، فيقول: «استعملت كلمة (أرثوذكسية) لأول مرة في تاريخ الدين اليهودي سنة ١٨٠٨م، وكان أول من استعملها الإصلاحيون ناعتين بما المحافظين الذين كانوا يعارضونهم في دعوتهم للإصلاح»^(٦).

ولكن يبدو أنه ظهر قبل هذه السنة، فقد ذكر د. عبد الوهاب المسيري أنه استخدم لأول مرة في إحدى المجلات الألمانية عام ١٧٩٥، للإشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة^(٧)، ويوافق على ذلك د. محمد خليفة حسن فيذكر أن بداية استعمال هذا المصطلح كانت سنة

(١) انظر: مقدمة التلمود أصله وتسلسله وأدابه (ص: ١٣)، المنشور سنة ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٢٠١).

(٣) الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٧٨).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٨٤).

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٨٤).

(٦) الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٦٢).

(٧) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٨٤).

١٧٩٥م، ويقول: «تم استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة في إحدى المجلات الصادرة في برلين عام ١٧٩٥م، ومن المعروف أن هذا الاصطلاح مستعار من المسيحية، وربما كان من الخطأ إطلاقه على جماعة يهودية، ففي المسيحية نجد أن كلمة أرثوذكسية تعني الاعتقاد الصحيح وهي تنطبق على المسيحية، حيث تلعب العقيدة دورًا هامًا في نظام الإيمان المسيحي»^(١).

واليهودية الأرثوذكسية تختلف من حيث درجة تمسكها بمبادئها وأفكارها؛ ولذا انقسمت إلى اتجاهين:

(١) اتجاه متشدد، وهم يهود شرق أوروبا، الذين يرفضون كل محاولات التجديد والإصلاح في أي جانب من جوانب الحياة اليهودية.

(٢) اتجاه غير متشدد، وهم يهود غرب أوروبا الذين يرون مساندة الحياة الأوروبية مع الحفاظ على التعاليم اليهودية التقليدية، فلا يرفضون لبس الثياب الأوروبية، والتعليم العام، واستخدام اللغة الدارجة التي يتحدث بها أهل البلد التي يقيمون فيها، وغير ذلك من الجوانب التي لا تمس صلب العقيدة اليهودية، وقد أطلق عليهم مصطلح (الأرثوذكسية الجديدة) تمييزًا لهم عن الأرثوذكسية التقليدية المتشددة^(٢)، يقول د. عبد الوهاب المسيري: «ثمة اختلاف بين الأرثوذكس في شرق أوروبا، والأرثوذكس في ألمانيا وغرب أوروبا، إذ يعارض الفريق الأول كل البدع والتجديدات، سواء في الزي أو في النظام التعليمي، في حين تبني الفريق الثاني سياسة الحفاظ على نمط الحياة التقليدية، ولكنه يقبل مع هذا الزي الحديث والتعليم العلماني العام، ولذا يشار إليهم بـ(الأرثوذكس الجدد)»^(٣).

ومن أهم رموز اليهودية الأرثوذكسية: الحاخام شمشون رفائيل هرش (١٨٠٨-١٨٨٨م) الذي يقول: «يجب على اليهودي الأرثوذكسي أن لا يسهم في إدارة مستشفى للإصلاحيين، والسبب هو أن ذلك يتعارض مع القوانين الخاصة بالمأكل والمشرب وبشعائر السبت»^(٤)، بل يقول إسرائيل شاحاك: «اليهود الأرثوذكس يتعلمون منذ مطلع شباهم وكجزء من دراساتهم

(١) تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٤٠).

(٢) انظر: تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٨٠).

(٤) الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٦٦).

المقدسة أن غير اليهود يماثلون الكلاب»^(١).

مبادئها: أهم مبادئ اليهودية الأرثوذكسية هي:

١- الدين اليهودي ليس عقيدة كما هو الحال في المسيحية، فالدين اليهودي نظام حياة قبل أن يكون عقيدة.

٢- التوراة مستمدة من الإله، والإله أزلي، فالتوراة أزلية تطبق على مدى العصور وفي جميع الأمكنة بدون أي تغيير أو تعديل، وعليه يؤمن الأرثوذكسي أنه حين يتعارض القانون مع شؤون الحياة يجب أن تتغير الحياة لا القانون.

٣- يمكن لليهودي الأرثوذكسي التعايش مع غير اليهود أو مع العصر الحديث، فهو يؤمن بإمكانية هذا التعايش، بل يؤمن بأن التوراة تأمر به، بشرط أن ينصاع كل شيء إلى مبادئها وقوانينها^(٢).

٤- يؤمنون بالشرعية الشفوية (التلمود)، وبكل كتب اليهودية الحاخامية، بل وكتب القبالة^(٣).

٢- اليهودية الإصلاحية:

تعريفها: «اليهودية الإصلاحية فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، وخصوصًا الولايات المتحدة، وهي تسمى أيضا اليهودية الليبرالية واليهودية التقدمية»^(٤).

نشأتها: نشأت حركة الإصلاحيين على يد موسى مندلسون (بن مناحم) (١٧٢٩-١٧٨٦م)، يقول د. محمد خليفة حسن: «كان ظهور هذه الحركة استجابة للحقوق التي منحتها الثورة الفرنسية، والفرصة التي سنحت لاشتراك اليهود في المجتمع الأوربي، وقد رأى أصحاب هذه الحركة أن على اليهود أن يُدخلوا بعض الإصلاحات على الديانة اليهودية

(١) التاريخ اليهودي (ص: ١٤٥).

(٢) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٧٥-٧٧).

(٣) انظر: انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٨٥).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٧٠).

الأرثوذكسية، وتغيير بعض العادات والتقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التي يفرضها العصر الذي يعيشه اليهود، ومواجهة التغير الذي يطرأ على المجتمع عامة»^(١)، لكنهم لم ينفصلوا عن بقية اليهود إلا في نهاية القرن التاسع عشر كما سيأتي.

مبادئها: كان المؤسس هذه الفرقة (مندلسون) آراء جديدة على اليهود من الناحية السياسية والإنسانية العامة، وهي التي تعتبر دستورًا لهذه الفرقة، وخلاصتها:

١- أن اليهود يجب أن يندمجوا في العصر الحديث، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة.

٢- أن اليهودية دين فقط، وليست جنسية، وأنه من الخطأ أن أقول: (يهودي إنجليزي) أو (يهودي روسي)... إلخ، والأصح أن يقال: إنجليزي متدين باليهودية، وروسي متدين بها، وهكذا.

٣- أن المساواة في الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها، ولا يمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم، وتعلموا في مدارسها، وحاربوا في جيوشها، ولبسوا من الملابس ما يشبه بقية المواطنين، وأقاموا مع غيرهم من الناس^(٢).

٤- يرفض الإصلاحيون كل محاولة لإقامة دولة يهودية؛ لأن هذه المحاولات في رأيهم تبين الخطأ في فهم رسالة إسرائيل التي امتدت من نطاقها السياسي والقومي الضيق إلى نشر الدين العالمي الذي أعلنه الأنبياء اليهود بين أفراد الجنس البشري عامة، ويرون أن هذه المحاولات لا تفيد إن لم تضر اليهود الذين يواجهون الاضطهاد، بتأييدهم افتراض أعدائهم بأنهم أجانب في البلاد التي اعتبروها موطنًا لهم، والتي هم فيها من أقوى المواطنين ولاء ووطنية^(٣).

٥- من التعديلات التي سنتها هذه الحركة: تقصير الصلاة اليهودية، واستخدام اللغة الدارجة لغة للحديث، بل وسمحت باستخدامها في الخطب والمواعظ الدينية، وهجر اليهود التابعون

(١) تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: الفكر الديني اليهودي. د. حسن ظاظا (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٥٦).

لهذه الحركة كثيرًا من العادات اليهودية، وانشقوا على كثير من السنن التي سننها التلمود^(١).

لكن انفصال الإصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يتحقق إلا في سنة ١٨٨٥م حيث عقد مؤتمر في مدينة بيتسبورج سمي باسمها فيما بعد، وفي هذا المؤتمر تم وضع دستور نهائي لحركة الإصلاح حوى المبادئ الآتية:

١- أن الكتاب المقدس ليس وحياً من الله، بل من صنع الإنسان، له وعليه كل ما لمخلوقات الإنسان من روعة وقوة أو ضعف وخطأ، وأنه أعظم الوثائق الدينية لا أوحدها، أي: أن وثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة بتاتاً، بل هي من نفس النوع كالكتاب المقدس وإن قلت عنه درجة في الروعة والحسن أو الخطأ والضعف.

٢- أرسوا قيمة الكتاب المقدس على قاعدة أنه أقوى معبر عن المعاني الدينية والأخلاقية،

فلا صلاحية لأي شيء في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي، ولن يعتبر الإصلاحيون إلا تلك الطقوس والشعائر التي تقدر الحياة، أما التشريعات الباقية والتي لا تلائم فلسفة هذا العصر الحديث ومدنيته، فهي مرفوضة.

٣- لا يقيم أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب، أو في ملابس وطهارة الكهنة.

٤- تأويل نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الإنساني العالمي لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعاً، وينطوي هذا على إنكار نظرية (الشعب اليهودي).

٥- الدين اليهودي دين تقدمي يسعى دائماً لموافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل.

٦- إنكار بعث الأجساد والعذاب بعد الموت^(٢).

ولليهودية الإصلاحية عدة كليات ومعابد في الولايات المتحدة تعتمد عليها من أجل ترسيخ مبادئها وخدمة أهدافها، منها: كلية الاتحاد العبري، وهي كلية دينية وظيفتها تخريج المحاضرات الإصلاحيين، ومنها: اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية، ووظيفتها ربط

(١) انظر: تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٥٥-٥٧).

المجتمعات الكنسية الإصلاحية في اتحاد واحد، بالإضافة إلى المؤتمر المركزي للحاخامات اليهود، والذي يقوم بربط الحاخامات اليهود الإصلاحيين ويسهل وظيفة التواصل بينهم، ويعد أول تنظيم للحاخامات الإصلاحيين في الولايات المتحدة وكندا^(١).

٣- اليهودية المحافظة:

تعريفها: «اليهودية المحافظة فرقة دينية يهودية حديثة نشأت في الولايات المتحدة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كمحاولة من جانب اليهودية للاستجابة لوضع اليهود في العصر الحديث في العالم الجديد، وهي أهم وأكبر حركة دينية يهودية في العالم»^(٢).

نشأتها: نشأت الحركة اليهودية المحافظة في أمريكا على يد بعض الحاخاميين الذين يدعون إلى الوحدة والتوسط بين الإصلاحيين والأرثوذكس، وهم يرون أن التراث الأدبي والديني الضخم لإسرائيل ليس إلا إنتاجاً ثقافياً حصل خلال نشوء وتطور وارتقاء الأمة اليهودية في مختلف الأزمنة والأمكنة، وهم لا يقبلون محاولة الإصلاحيين لقطع هذا التراث الضخم مرة واحدة، ولا يقبلون محاولة الأرثوذكس تقديس وتطبيق كل ما حواه هذا التراث^(٣).

وترى اليهودية المحافظة أن هدفها الأساسي هو الحفاظ على استمرارية التراث اليهودي باعتباره الجوهر، أما ما عدا ذلك من العبادات والعقائد فهو يظهر بشكل تلقائي متجدد، فهي ترى أن اليهودية حضارة يشكل الدين جزءاً منها وحسب، وهي رد فعل لليهودية الإصلاحية أكثر من كونها رد فعل لليهودية الأرثوذكسية^(٤).

مبادئها: أهم المبادئ التي تدعو إليها هذه الحركة ما يلي:

- ١- إن شتات اليهود في العالم ليس عقاباً على الخطيئة، بل هو لهدف إلهي، وهو نشر اليهودية في العالم.
- ٢- إقامة شعائر السبت، وتنفيذ القوانين المتعلقة بتحريم بعض المأكولات.
- ٣- التمسك بالتراث اليهودي وضرورة استمرارته التاريخية.
- ٤- تقوية التربية اليهودية، والتأكيد على تطبيق الحياة اليهودية داخل المنزل اليهودي.

(١) انظر: القراؤون والإصلاحيون، د. أحمد البهنسي (ص: ٥٩-٦٠).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٩٠).

(٣) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٨٧).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٩٠).

- ٥- الاحتفاظ بالشكل التقليدي للأدب الديني اليهودي، والتمسك باللغة العبرية كلغة في الصلاة.
- ٦- مساعدة استيطان اليهود في فلسطين.
- ٧- تشجيع إنشاء المدارس الدينية اليهودية، وإعطاء اللغة العبرية والأدب العبري مكانة هامة في برامجها التعليمية.
- ٨- رفض كل البدع ومحاولات الإصلاح التي لا تنبع من داخل الديانة اليهودية^(١).

(١) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي (ص: ٩١). تاريخ الديانة اليهودية (ص: ٢٤٧-٢٤٨).

المبحث الثاني عشر:

الماسونية

أولاً: تعريفها:

كان اسم هذه الجمعية في عهد التأسيس الأول (القوة الخفية) كما ذكر ذلك الماسوني السابق محمد علي الزعبي^(١)، ثم أطلق عليها اسم (الماسونية) (Free Masonry) وتتكون من ثلاثة مقاطع:

الأول: Free ومعناه: حر، أو غير مقيد.

والثاني: Mason ومعناه: حرفة الحجارة أو حرفة البناء، أو الحرفة عامة.

والمقطع الأخير: ry للنسبة، ومعنى الاسم: جمعية البنائين الأحرار^(٢).

وهو مصطلح خادع؛ لأنه يوهم بأنه منسوب إلى مهنة البناء، ولكن حقيقة هذا المصطلح هو الإشارة إلى بناء ما يسمونه هيكل سليمان، فالبناء الحر يرمز إلى هيكل سليمان، والبنائون الأحرار هم البنائون الأوائل الذين بنوا هيكل سليمان^(٣)، وهو رمز سيطرة اليهود بحسب خططهم أو أمانيتهم على مقاليد العالم، ومن خلال هذا الشعار الخادع للماسونية يقول شاهين مكاربوس (أحد دعاة الماسونية والمدافعين عنها): «الماسونية جمعية أدبية أخذت على عاتقها خدمة الإنسانية وعضد الدين بأدبياتها وإصلاح الشعوب وتوير الأذهان»^(٤).

ولكن حقيقتها غير ذلك، بل هي - كما عرفها المستشرق الهولندي دوزي -: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، هي: إعادة الهيكل؛ إذ هو رمز دولة إسرائيل»^(٥).

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي: «يطلق الماسون على جمعيتهم اسم جمعية (البنائين الأحرار)، وكذبوا، ولو صدقوا لسموها جمعية الهدامين الأشرار»^(٦).

وتعددت تعريفات الباحثين للماسونية، وكلها ترجع لمعنى واحد، وهي: أنها جمعية يهودية غايتها تحقيق أهداف اليهود، وإليك طائفة من أقوال الباحثين في تعريفها:

(١) انظر: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة، د. صلاح العادلي (ص: ٢٢٦).

(٢) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٨).

(٣) انظر: الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، د. عفيفي إبراهيم حسن (ص: ٥).

(٤) الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، شاهين مكاربوس (ص: ٨).

(٥) الماسونية في العراق، د. محمد علي الزعبي (ص: ٢٢).

(٦) الماسونية مؤامرة أخرى على الإسلام، للدكتور أحمد الشرباصي. مقال مجلة الهلال عدد جمادى الآخرة

١٣٩٧هـ - يونيو ١٩٧٧م. (ص: ٢٨). نقلاً عن: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٣٩).

ويقول عبد الله التل: «الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الأديان والمجتمعات الإنسانية، تمهيداً لتسلط دولة اليهود على العالم»^(١).

ويعرفها أحمد عبد الغفور عطار بأنها «جمعية سرية تحوي حشداً من الناس ينتمون إلى مذاهب وديانات ونحل وجنسيات وأوطان مختلفة، تضم الملحد والمؤمن والشيعي والقومي والرأسمالي والعربي وغير العربي، والمسلم وغير المسلم، والعامل ورب العمل، والكادح والمترف، والأرستقراطي والديمقراطي، تجمعهم غاية واحدة - في الظاهر - يعملون لها ولا يعلم حقيقتها إلا آحاد، وسواد أعضاء الجمعية عمي القلوب يجهلون كل الجهل، ويوثقهم عهد بحفظ الأسرار وعدم البوح بها، ومن شروطها أن يكون العضو في عون أخيه الماسوني لا غيره»^(٢).

ويقول الجنرال رفعت أتليخان: «الماسونية هي الاسم الجديد للشيعة اليهودية المقنعة، ورموزها وتقاليدها يهودية كابالاً»^(٣)، وهو من أوجز التعاريف وأجمعها.

ويجمع ما تقدم القول بأن الماسونية «مؤسسة يهودية سرية انتشرت في معظم أنحاء العالم لخدمة أهداف الصهيونية»^(٤)، وهو من أدق التعاريف، وأقربها لواقع الماسونية.

ثانياً: نشأتها:

اختلف الباحثون في تاريخ نشأة الماسونية على أقوال:

الرأي الأول: أن نشأة الماسونية موعلة في القدم حتى زعم بعضهم أنها نشأت حين كان موسى -عليه السلام- مع قومه في التيه، بل ادعى الدكتور جيمس أندرسون اليهودي^(٥)، في (كتاب القوانين)^(٦) أن الأستاذ الأكبر للماسونية -بزعمه- هو النبي موسى -عليه السلام- وهو الذي أنشأ المحفل الماسوني، وكان القِيم عليه بوصف كونه الأستاذ الماسوني الأكبر، فهو الذي نظم صفوف الإسرائيليين ووحدهم في محفل ماسوني منظم عندما كان في التيه، ويذكر أندرسون في كتابه المذكور أن الملك سليمان كان الأستاذ الأعظم للمحفل الماسوني في القدس، ثم كان نبوخذنصر (٥٦٢ - ٦٠٥ ق.م) الأستاذ الأعظم، مع أن نبوخذ نصر دمر أورشليم والهيكل^(٧)، ودعوى أن موسى -عليه السلام- هو الماسوني الأكبر، وأن سليمان -

(١) جذور البلاء (ص: ١١٦).

(٢) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٧).

(٣) أسرار الماسونية (ص: ١٩).

(٤) الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ١٧).

(٥) وقيل: إنه عالم مسيحي، ويجوز أن يكون مسيحياً تمّود. انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

(٦) هو أقدم كتاب في الماسونية مطبوع بلندن سنة ١٧٢٣م. انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

(٧) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

عليه السلام- هو الأستاذ الأعظم للماسونية مما درج عليه اليهود من الطعن في أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- ونسبة النقائص ودنايا الأفعال إليهم.

الرأي الثاني: أن المؤسس الأول للماسونية هو (هيرودوس الثاني)، الذي كان واليًا على القدس لدولة الرومان، وذلك سنة ٤٣م، حيث أسس في القدس بالاشتراك مع مستشاريه اليهوديين (أحiram ابيود)، و(مو أب لافي) جمعية سرية باسم (القوة الخفية)، وكان هدفها مقاومة دعوة المسيح -عليه السلام-، لأنه كان يبشر بزوال هيكل سليمان، وملاحقة النصارى وتشريدهم، وكان لهذه الجمعية مجلس سري مكون من تسعة أعضاء، وقد عقد أول مجلس بتاريخ ١٠ / ٨ / ٤٣م في مكان سموه الهيكل، وأطلق عليها اسم (كوكب الشرق الأعظم)، وفي آخر لقاء للجمعية قال أحiram: هل يحسن في رأي سيدي ومولاي (الملك هيرودس) أن يكون اسم الجمعية (الاتحاد اليهودي الأخوي)؟ فأجاب الملك: كلا يا أحiram، لقد هيأت لها اسمها أمس، وهو (القوة الخفية) أفلا تستحسنونه؟ فأجابوه جميعًا مستحسنين، وسجل الاسم، ثم وضع هؤلاء الأعضاء التسعة قسمًا يكون بمثابة الدستور للتنظيم اليهودي، ونصه: «أنا فلان بن فلان، أقسم بالله وبالتوراة وبشرفي بأنني حيث قد صرت عضوا من التسعة الأعضاء المؤسسين لجمعية القوة الخفية أتعهد ألا أخون إخواني أعضاءها بشيء يضر بشخصيته، ولا بكل ما يعود لمقررات الجمعية، أتعهد أن أتبع مبادئها وأتمم كل ما تقرره باتفاقنا نحن التسعة المؤسسين بكل دقة وطاعة وضبط، وبكل غيرة وأمانة، وأتعهد أن أجتهد بتوفير أعضائها، أتعهد بمناهضة كل من يتبع تعاليم الدجال يسوع، ومحاربة رجاله حتى الموت، أتعهد ألا أبوح بأي سر من الأسرار المحفوظة بيننا نحن التسعة لأي كان من الخارجين أو من أعضائها»^(١).

وهذه هي أول جمعية ماسونية تأسست في التاريخ، وإليها ترجع جميع التنظيمات الماسونية وتنبثق منها على امتداد التاريخ، وبدأ هذا الاسم يشق طريقه في التاريخ الإنساني حتى تحول سنة ١٧١٧م من (القوة الخفية) إلى (الماسونية العالمية)^(٢).

الرأي الثالث: أنها ظهرت في بداية القرن الثامن عشر، وكان أول ظهور لها بهذا الاسم (الماسونية) في اسكتلندا ببريطانيا، ومنها انتقلت إلى دول أخرى، وكان أول استعمال للكلمة (الماسونية) في مؤتمر لندن سنة ١٧١٧م برئاسة أندرسون، وقيل: إن هذا الاسم أطلقه عليها

(١) من قضايا الفكر الإسلامي، د. محمد الجليند (ص: ٢٦١-٢٦٢).

(٢) انظر: من قضايا الفكر الإسلامي، د. محمد الجليند (ص: ٢٦١).

غود فروادي بويون^(١).

سبب الاختلاف في النشأة: يقول الماسوني شاهين مكاربوس: «تضاربت الآراء واختلفت الأقاويل فيها، فمن ناسب أصلها إلى أقدم الأزمان، ومن قائل: إنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر، وبالإجمال فإن دون معرفة الحقيقة أستاذًا مسدولة تمنع النور عن خرق الحجاب»^(٢)، ويقول حسين اللاز (نائب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني) ومعه أحمد مختار نجا (السكرتير الأعظم للمحفل) في كتابهما (كيف أنشئ المحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني): «إن أصل الماسونية ما زال في طي الكتمان، بل لغز من الألغاز الغامضة»^(٣).

ويؤكد هذا القول كاتلين شلنجر (كاتب بحث الماسونية في دائرة المعارف البريطانية)، فيذهب إلى أن تاريخ الماسونية القديم لا يزال مجهولاً^(٤).

ويلعل أحمد عبد الغفور عطار خفاء نشأة الماسونية بعدم وجود مادة تاريخية وثائقية تكشف الحقيقة أمام الباحث، فيقول: «غموض تاريخ الماسونية مع وجود المؤلفات الكثيرة مردود إلى عدم وجود الوثائق المكتوبة عنها، وما بذل من جهود لكشف حقيقتها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر - وبخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر - كان مبنياً على بعض تفسيرات الوصايا الموجهة إلى الإخوة من الأحداث والشباب المنتسبين إلى الجمعية، ولكنه لا يكفي لإلقاء الضوء الذي يكشف عما يكون صالحاً لأن يكون مادة مؤرخ يريد كشف الحقيقة»^(٥).

بينما يرى آخرون أن سبب ذلك يرجع إلى «تقلبها وتغير أسمائها وأساليبها حسب تغير الأمم والشعوب والديانات والعصور»^(٦). والحق أن السبب أنها جمعية سرية وأكثر أمورها تجري على نهج شفوي كما سيأتي عند الحديث عن سرية الماسونية.

انتشار الماسونية: بعد ظهور الماسونية في اسكتلندا تمددت فانتقلت إلى دول أخرى، فمن اسكتلندا انتقلت الماسونية إلى فرنسا سنة ١٧٣٢م، ثم انتقلت إلى غرب أوروبا ومستعمرات

(١) انظر: الماسونية، محمد صفوت السقا، وسعدي أبو حبيب (ص: ١٤-١٥). من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التفريب واستلاب الهوية، د. محمد الجليلند (ص: ٢٥٥).

(٢) الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، شاهين مكاربوس (ص: ٣٤).

(٣) الماسونية في العالم العربي. وائل الدسوقي (ص: ٨٥).

(٤) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٠).

(٥) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٠).

(٦) الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٨٧).

إنجلترا وفرنسا شرقاً وغرباً، فوصلت أمريكا سنة ١٧٣٣م، والبرتغال سنة ١٧٣٥م، وهولندا والدانمارك سنة ١٧٤٥م، وهند ١٧٥٢م، وإيطاليا سنة ١٧٦٣م، وبلجيكا سنة ١٧٦٥م، وروسيا سنة ١٧٧١م، والسويد سنة ١٧٧٣م، أما ألمانيا فقد تأسست فيها الماسونية سنة ١٧٧٦م، ومنها انتشرت في أقطار أوروبا الشرقية والوسطى، وهكذا، فللماسونية الحديثة منبعان رئيسيان: أ- منبع إسكتلندي ب- ومنبع ألماني. وكانت الماسونية «الإسكتلندية» تعرف باسم (الماسونية الحرة)، أما الماسونية الألمانية فكانت تعرف بـ(الماسونية النورانية)، إلا أن الماسونيتين سرعان ما التقتا في مجرى واحد في سويسرا وفرنسا.

وأما في الوطن العربي فقد كانت مصر أول بلد عربي تدخله الماسونية قادمة من أوروبا، وذلك عقب غزو بونابرت لها سنة ١٧٩٨م، ثم دخلت الماسونية العراق سنة ١٨٣٩م، وبيروت سنة ١٨٩٢م، وفلسطين سنة ١٨٧٣م، حيث أنشئ محفل (سليمان الملوكي الأساسي)، توالي بعده على مدى الثلاثين عاما التالية المخطط الماسوني، حيث غطت شبكة المحافل الماسونية جميع مدن فلسطين، وأما في مصر -وهو أول بلد عربي يتلى بالماسونية، كما ذكرنا- فقد أسس بونابرت بها محفلاً في أولى سنوات غزوه لها باسم (محفل إيزيس)، ثم توقف نشاط المحفل بعد رحيل بونابرت، ومضى زمن طويل، ثم تكررت المحاولة في سنة ١٨٣٠م حيث أسس بعض الإيطاليين في الإسكندرية محفلاً، ثم تلاه محفل آخر في القاهرة سنة ١٨٣٨م، وفي سنة ١٨٤٥م شهدت الإسكندرية تأسيس محفل آخر اسمه (الأهرام)، ثم انضم إليه كثيرون من الأجانب والأهالي، تحت سمع وبصر الحكومة إلى غير ذلك من المحافل التي تأسست بالقاهرة والإسكندرية، وامتدت إلى غيرها من مدن مصر، حتى بلغ عدد المحافل بمصر في سنة ١٩٢٧م ٥٩ محفلاً، ثم صدر في ١٨ / ٤ / ١٩٦٤م قرار بحل الجمعيات والمحافل الماسونية بمصر بسبب السرية التي تغلف اجتماعاتها^(١).

ثالثاً: جذور الماسونية:

مع هذا الاختلاف الكبير حول نشأة الماسونية تتفق جميع المصادر على أن جذورها ترجع إلى اليهودية الصهيونية المتأمرة على الإنسانية، يقول أحمد عبد الغفور عطار: «الإجماع منعقد على أن الماسونية الخطرة الهدامة من ولائد اليهودية الخبيثة بعد أن تراكم عليها كل ما في الوجود من شرور وآثام وموبقات اخترنتها ثم أخرجت منها أبشع أساليب المكر والخداع والتضليل، وأخطر وسائل الهدم والتخريب لتمسح بني الإنسان، وتجعلهم آلات تحركها أصابع

(١) انظر: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٢٦-٢٢٨).

اليهود الذين يبتهجون بأثارهم الجهنمية ونجاح مخططاتهم الهدامة، ويتلذذون بمنظر ضحاياهم من البشر، ويزداد تلذذهم كلما ازداد عذاب بني البشر وشقاؤهم»^(١).

وتقول دائرة المعارف اليهودية: «إن اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوروبية ملأى بالأفكار والاصطلاحات اليهودية، وفي محفل سكوثلندا تجد التواريخ الموضوععة على المراسلات والوثائق الرسمية كلها بحسب تقويم السنين والأشهر اليهودية، وتجذ كذلك الأيجدية العبرية»^(٢).

ويقول العلامة محمد أبو زهرة - بعد التحاقه بالماسونية بغرض كشف حقيقتها-: «عرفت أن اليهود ... هم الذين أنشأوا الماسونية، وجعلوا منها جمعية سرية للدفاع عن مصالحهم، ولكي يهربوا من الاضطهاد كانوا يعتنقون المسيحية ظاهراً، ويستمرون على اليهودية باطناً، ومن أجل هذا ولكي يعرف أحدهم الآخر اخترعوا لجمعيتهم رموزاً معينة يتخاطبون بها، وحركات معينة باليد عندما يسلم أحدهم على الآخر»^(٣).

ويقول الأستاذ محمد كرد علي: «إن هذه الجمعية أنشأها اليهود ... وما كنت أظن ولا أكثر الماسون هنا يظنون أن جمعيتهم أيضاً ألعبوة صهيونية صرفة، لا يهودية فقط، يسعى اليهود بواسطة نفوذها أن يعيدوا مجد صهيون، ومعنى مجد صهيون: نزع فلسطين العربية من أيدي العرب، وهي ملك العرب منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف»^(٤).

رابعاً: مبادئ الماسونية:

«لعل أقدم وثيقة موجودة الوثيقة التي تحوي (الوصايا القديمة) Old Charges التي نسخها داود كاسلي بخطه، وتاريخها المدون عليها هو سنة ١٧٣٤م، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني بقسم (الأناجيل) في الخزانة رقم ١٧ والرف ١. A. وجاء فيها: (يضع كل عضو جديد يدخل الجمعية كفه في كف القيم، ثم يعطى نسخة من الوصية العامة). ثم ذكر الوصية المنظومة شعراً، وها هي ذي الترجمة نثراً: (فرض على الأخ حب الله، والكنيسة المقدسة، وسيده الذي يصحبه، وليحفظ المبادئ الثلاثة^(٥)) كما يحفظ حياته، ولا يخط خطوة دون رأي سيده الذي يجب أن يتبعه في المقاصد النبيلة، ولا يكشف أمره، ولا يبيع لأحد بسرّه، ولا يحد

(١) الماسونية. أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٥).

(٢) دائرة المعارف اليهودية (٥/ ٥٠٣). نقلاً عن: جذور البلاء. عبد الله التل (ص: ١٢٨).

(٣) شهادات ماسونية. حسين عمر حمادة (ص: ٦٢).

(٤) شهادات ماسونية، حسين عمر حمادة (ص: ٦٣-٦٤).

(٥) لعل المراد بما: حب الله، والكنيسة المقدسة. وسيده.

قيد شعرة عما يأمره به المخفل في جميع الأحوال، ومهما كان الأمر، وحيثما ذهب»^(١). وينقل الجنرال رفعت آتلخان عن وثائق الماسونية قولهم: «يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره، ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو (الدين)، مع إزالة رجاله .. أيها الإخوان إن رجال الدين عن طريقه يحاولون السيطرة على أمور الدنيا، وعلينا أن لا نألو جهداً في التمسك بفكرة (حرية العقيدة)، وألا نتردد في شن الحرب على كافة الأديان لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في التطاحن بين الأفراد والأمم عبر التاريخ، أيها الإخوان لا بد لنا أن نكافح بجهد أكبر لإدانة القوانين والنظم اللائقية، لأن السلطة المطلقة التي صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية، لا بل آلت إلى الزوال، وإن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعاً»^(٢).

وفي مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة ١٨٦٥م في مدينة (لييج) أعلن الماسوني الشهير لاف أرج (LAF ARGE) في الطلاب الوافدين من ألمانيا وأسبانيا وإنجلترا وفرنسا قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق»^(٣).

ومن أهم الوثائق التاريخية التي كشفت حقيقة أهداف الماسونية وأماطت اللثام عن كثير من أسرارها ما كتبه عوض الخوري أحد الباحثين عن تاريخ الماسونية في كتابه (تبيد الظلام أو أصل الماسونية) حيث كان له اتصال بالدكتور برودنتي رئيس جمهورية البرازيل المطلع على أسرار الماسونية، وقد أطلعه على مخطوط كتب باللغة العبرية يسمى (القوة الخفية) كان في حوزة رجل يسمى لوران بن جورج الروسي الأصل، وهو أحد أحفاد تسعة من الآباء اليهود الذين تسلسل نسبهم من الأب الأول جوزف لافي اليهودي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للماسونية (جمعية القوة الخفية)، وقد ترجم من العبرية إلى الروسية، ثم ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية، وترجمها عوض الخوري من الفرنسية إلى العربية^(٤)، وقد ذكر لوران أن من أهداف تأسيس الماسونية القضاء على الدين المسيحي، يقول لوران بعد ذكر تاريخ الماسونية: «القصص الأساسي من إنشاء الماسونية الأم (القديمة) هو قتل المسيحية وهدم أركانها، وإعلاء شأن

(١) الماسونية. أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٣).

(٢) أسرار الماسونية (ص: ٢١).

(٣) أسرار الماسونية (ص: ٣٢).

(٤) انظر تبيد الظلام أو أصل الماسونية، عوض الخوري (ص: ٢٢)، وانظر عرضاً لهذا الكتاب وأهميته في: من قضايا

الفكر الإسلامي. د. محمد الجليلند (ص: ٢٥٧-٢٥٩).

الدين اليهودي»^(١)، ويقول عوض الخوري مترجم هذه الوثيقة: «تبيّن من جميع نصوص هذا التاريخ أن مبادئ الجمعية الأساسية هي مناوأة يسوع ورجاله، وبعدهم محمد ورجاله، والاحتفاظ بالدين اليهودي وحده دون سواه»^(٢).

ويمكن من النصوص السابقة استنباط مبادئ الماسونية، وهي كما يلي:

- ١- البيعة، حيث يضع كل عضو كفه في كف القِيم.
- ٢- تسلم الوصية التي هي بمثابة نص البيعة.
- ٣- الطاعة العمياء لرئيسه، فلا يخضو خطوة دون رأي سيده.
- ٤- حفظ أسرار الماسونية، فلا يبيح لأحد بسرّه.
- ٥- عالمية الماسونية، فلا تقتصر على شعب دون غيره، ولا على بلد دون سواها.
- ٦- معاداة الأديان واعتبارها العدو الأول والحقيقي، ومحاربتها بكل الوسائل ابتداءً بالنصرانية^(٣) ثم الإسلام.
- ٧- سحق ما يسمونه (رجال الدين).
- ٨- رفع شعار حرية العقيدة لمحاربة الدين وأهله.
- ٩- دعم النظم والقوانين اللادينية (العلمانية).

خامساً: أهداف الماسونية:

من خلال ما سبق من مبادئ الماسونية تتلخص أهدافها فيما يلي:

- ١- الاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها.
- ٢- مناهضة الأديان والقوميات والتقاليد.
- ٣- تأسيس جمهورية عالمية لا دينية تتخذ الوصولية والنفعية أساساً لها.
- ٤- المحافظة على الدول العلمانية ومساندتها^(٤).

سادساً: شعارات الماسونية:

إمعاناً من الماسونية في إخفاء أهدافها اليهودية، تظهر شعاراً خداعاً وهو (الحرية، الإخاء، المساواة).

(١) تبديد الظلام أو أصل الماسونية. عوض الخوري (ص: ٦٥).

(٢) تبديد الظلام أو أصل الماسونية. عوض الخوري (ص: ٦٣).

(٣) ويبدو أنهم اكتفوا في محاربة النصرانية بإفسادها من الداخل وتحويلها إلى الوثنية بواسطة بولس اليهودي.

(٤) انظر: أسرار الماسونية (ص: ٢٨-٣٠).

فتحت شعار الحرية: تحارب الأديان (غير اليهودية) وتنتشر الفساد والفوضى.
وتحت شعار الإخاء: تحاول التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لليهود.
وتحت شعار المساواة: تنتشر الفوضى الاقتصادية والسياسية، وتعرض على اغتصاب حقوق
الناس وأموالهم وأعراضهم، وتروج للشيوعية والاشتراكية^(١).

سابعاً: طبقات الماسونية:

تتكون الماسونية من ثلاث طبقات أو درجات، وهي:

الأولى: الماسونية الرمزية: ولقبت بالرمزية؛ لأنها تتضمن كثيراً من الرموز التي تتصل بإحدى الحوادث الدينية التي وردت في الكتب السماوية القديمة وخاصة التوراة، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان^(٢)، وهي تطلق على المبتدئين المنتسبين لأول مرة، وبلغ من استهتار اليهود أن أطلقوا على أفراد هذه الطبقة وصف (العمي الصغار)، وبما أن أفراد هذه الطبقة هم المبتدئون، فإنهم يمرون في مراحل من التجارب المثيرة والاختبارات الدقيقة القاسية قد تستغرق سنوات، ويبدأ دخولهم بقسم يقسمونه بين يدي القائد، وهو: «أقسم بمهندس الكون الأعظم أي لا أفشي أسرار الماسونية ولا علاماتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد، وأقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركة، ولا أكتب شيئاً منها، ولا أنشره بالطبع أو الحفر أو التصوير، وإذا حنثت بيمينتي فأنا راض بأن تحرق شفتاي بحديد محمي، وأن تقطع يداي، ويجز عنقي، وتعلق جنتي في محفل ماسوني ليراه غيري من التلامذة، وأكون عظة لغيري، ثم تحرق جنتي ويذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أي أثر لخيانتي»^(٣).

الثانية: الماسونية الملوكية: إذا أثبت المبتدئ إخلاصاً وفهماً خلال بضع سنوات يصعد إلى الطبقة الثانية التي تسمى (الماسونية الملوكية) أو (ماسونية القصر الملوكي) وتقتصر على اليهود ومن والأهم من المخلصين، ولا ينال هذه الدرجة إلا من خان وطنه وأمه وأخلص لليهودية وفداها بروحه.

الثالثة: الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد قليلة، بيدهم

(١) انظر: الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، مكاريوس (ص: ٨-٩)، جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر: الماسونية في العالم العربي، والثلثي الدسوقي (ص: ٣٣).

(٣) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٦٥).

أمر كل المحافل اليهودية في العالم، ويتحكمون في الملوك والرؤساء ويسيطرون عليهم، وعلى من حولهم من القادة^(١).

ولكل درجة من تلك الدرجات رموز خاصة وشارة خاصة وتحية خاصة وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، كما أنها تختلف باختلاف طبقات المحافل نفسها، ولا يجوز لدرجة أن تتطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التي تعلوها^(٢).

وجمّل القول أن الماسونية ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الماسونية الابتدائية، وهي لمن دخل في الماسونية حديثاً.

الدرجة الثانية: الملكية، وهي خاصة باليهود ومن يختارونه من الدرجة الابتدائية ممن تثبت عمالته لهم وخيانتة لوطنه.

الدرجة الثالثة: الكونية، وهي خاصة بأكابر اليهود الماسون، وهم رؤساء المحافل الماسونية.

ثامناً: سرية الماسونية:

نقل الجنرال رفعت آتليخان في كتابه (أسرار الماسونية)^(٣) عن أحد المحافل الماسونية قولهم: «إن الماسونية مذهب سري لم تدون معالمها جميعاً، وأكثر أمورها تجري على نهج شفوي»^(٤)، وقد اعترف بهذه الحقيقة الماسوني شاهين مكاريوس، فقال: «جميع الذين ينظرون إلى الماسونية بعين الإخلاص، يحكمون بأن تسترّها تواضع من أعضائها، لكي لا يظن الناس أنهم يشهرون أعمالهم ليطلبوا عليها أجراً»^(٥)، وقال أيضاً: «إن أسرارنا هذه المقدسة هي ما بها يحفظ تصاون جمعيتنا عن أن يتنذل، فيكون مضغّة في أفواه الغمارة، وفي كتمانها ما هو أدعى إلى الهيبة والإجلال»^(٦).

تاسعاً: الماسونية بأسماء جديدة:

يذكر الباحثون في الماسونية أن كلمة (الماسونية) اختفت في بعض البلاد وحل محلها أسماء جديدة لها نفس النشاط والأهداف، فتحت شعار العمل الاجتماعي نجد نوادي الروتاري

(١) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٦٥-٦٧)، حكومة العالم الخفية، شيريب وفيتش (ص: ١٢-١٣)، ترجمة: مأمون سعيد.

(٢) انظر: الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٣٣-٣٤).

(٣) وهو أهم الكتب عن الماسونية كما ذكر ذلك لي الشيخ عبد الرحمن البوسري -رحمه الله-.

(٤) أسرار الماسونية (ص: ٢٠).

(٥) الأداب الماسونية (ص: ٧).

(٦) الأداب الماسونية (ص: ٢٤).

ونوادي الليونز تعمل لتحقيق الأهداف التي دعت إليها الماسونية، وتحاول استقطاب عليّة القوم من كبار رجال الدولة والإعلام، وسيدات الوزراء والمسؤولين للاستفادة من مناصب أزواجهم^(١).
ومن ذلك ما يلي:

١- محفل أبناء العهد (بناي برث)، وقد أسس هذا المحفل عام ١٨٣٤م في مدينة نيويورك بعد أن حصل اثنا عشر يهودياً هاجروا من ألمانيا على تصريح بالهجرة في عهد الرئيس هنري جونيس.

٢- محفل الاتحاد اليهودي العالمي، وأسس هذا المحفل سنة ١٨٦٠م في فرنسا على يد الحاخام إسحق كريميتي أحد رؤساء حكومة فرنسا في ذلك العهد.

٣- محفل مدينة القدس، وقد تأسس عام ١٨٨٨م واللغة الرسمية التي يتحدث بها في هذا المحفل هي العبرية، وهو تابع لمحفل أبناء العهد، وأعضاؤه من اليهود ومن غيرهم كشأن المحافل الأخرى.

٤- محفل موتا، وهو اسم لقرية يهودية بجوار القدس وهو تابع لمحفل أبناء العهد بأمريكا أيضاً.

٥- الروتاري، وقد أسسه المحامي بول هاريسن في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٥م.

٦- فرع المنظمة الروتارية بفلسطين، وقد تأسس عام ١٩٢٩م في قرية رامات غان.

٧- نوادي الليونز العالمية: ومعنى الليونز الأسود جمع أسد، وهي نوادي ماسونية مركزها أمريكا، ولهذه النوادي عملاء سريون في جميع أنحاء العالم^(٢).

عاشراً: موقف علماء المسلمين من الماسونية ومن انتسب إليها:

جاء في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء بيان حقيقة الماسونية والحكم على من انتسب إليها، فذكروا أنها «جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة... والجمعيات الماسونية

(١) انظر: من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التعريب واستلاب الهوية، د. محمد الجليلد (ص: ٢٩٤)، الاختراق اليهودي، د. فرج الله عبد الباري (ص: ١٢٤)، الماسونية في أئوائها المعاصرة، د. سعد الدين صالح.

(٢) انظر: أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين. محمد ناصر أبو حبيب (ص: ١٣-١٤). أسرار الماسونية. رفعت أتلقان (ص: ١٠-١١).

من أقدم الجمعيات السرية التي لا تزال قائمة ولا يزال منشؤها غامضا وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها؛ لإحكام رؤسائها ما يتوا من مكر سيئ وخداع دفين ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيط، وما قصدوا إليه من نتائج وغايات، ولذا يدبر أكثر أمورها شفوياً. وإن أريد كتابة فكرة أو إذاعتها عرضت قبل ذلك على الرقابة الماسونية لتقرأ أو تمنعها. وقد وضعت أسس الماسونية على نظريات فأخذت من مصادر عدة، أكثرها التقاليد اليهودية ... إن الماسونية في ظاهرها دعوة إلى الحرية في العقيدة والتسامح في الرأي، والإصلاح العام للمجتمعات، ولكنها في حقيقتها ودخيلة أمرها دعوة إلى الإباحية والانحلال وعوامل هرج ومرج وتفكك في المجتمعات، وانفصام لعرى الأمم ومعاول هدم وتقويض لصرح الشرائع ومكارم الأخلاق وإفساد وتخريب العمران.

وعلى هذا فمن كان من المسلمين عضواً في جماعة الماسونية وهو على بينة من أمرها، ومعرفة بحقيقتها ودفين أسرارها، أو أقام مراسمها وعني بشعائرها كذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل^(١) وإن مات على ذلك فجزاؤه جزاء الكافرين، ومن انتسب إلى الماسونية وكان عضواً في جماعتها وهو لا يدري عن حقيقتها ولا يعلم ما قامت عليه من كيد للإسلام والمسلمين وتبييت الشر لكل من يسعى لجمع الشمل وإصلاح الأمم، وشاركهم في الدعوة العامة، والكلمات المعسولة التي لا تتنافى حسب ظاهرها مع الإسلام فليس بكافر، بل هو معذور في الجملة لخفاء واقعهم عليه، ولأنه لم يشاركهم في أصول عقائدهم ولا في مقاصدهم ورسم الطريق لما يصل بهم إلى غاياتهم الممقوتة، فقد قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» الحديث، لكن يجب عليه أن يتبرأ منهم إذا تبين له أمرهم ويكشف للناس عن حقيقتهم ويبدل جهده في نشر أسرارهم وما يتوا للمسلمين من كيد وبلاء ليكون ذلك فضيحة لهم ولتجنب به أعمالهم»^(٢).

وجاء أيضاً في قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأنها ما يلي: «نظر المجمع في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في العاشر من شعبان ١٣٩٨ هـ الموافق ١٥/٧/١٩٧٨، في قضية الماسونية والمنتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك، وقد قرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على

(١) يعني بحكم من القضاء الشرعي. لا من آحاد الناس.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٤٤٠-٤٤٥).

علم بتحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام بجانب لأهله»^(١).

وجاء في بيان صدر من لجنة الفتوى بالأزهر بشأن الماسونية والروتاري والليونز: «إن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء .. بكل الأسلحة، ومن بين هذه الوسائل التي يحاربون بها الإسلام وسيلة الأندية التي ينشئونها باسم الإخاء والإنسانية، ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك، وإن من بين هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثل الليونز والروتاري، وهما من أخطر المنظمات الهدامة التي يسيطر عليها اليهود والصهيونية يتغون بذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان، وإشاعة الفوضى الأخلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية، ولذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها»^(٢).

(١) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص: ٢١).

(٢) الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية (ص: ١٣٠).

المبحث الثالث عشر:

الصهيونية

أولاً: تعريفها:

هي حركة سياسية يهودية نشأت في القرن التاسع عشر على يد هرتزل، غايتها: جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، وتأسيس دولة يهودية.

جاء في موسوعة (الصهيونية وإسرائيل) التي صدرت في نيويورك عام ١٩٧١م تحت رعاية الرئيس الإسرائيلي سلمان شازار تحت كلمة (الصهيونية): هو «مصطلح ظهر في عام ١٨٩٠م، وأعطى للحركة التي تضع هدفاً لها عودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد (فلسطين)، منذ عام ١٨٩٦ ارتبطت كلمة (الصهيونية) بالحركة السياسية التي أسسها ثيودور هرتزل»^(١)، فهو يعرفها من خلال هدفها، وهو العودة إلى ما يسمونه أرض الميعاد، فكل يهودي يحمل هذا الهدف أو يعين عليه فهو صهيوني، وهذا هو الفرق بين اليهودي والصهيوني، ولذا يقول د. أحمد شلبي: «الصهيوني هو: اليهودي الذي يؤثر أن يعيش في فلسطين، وهو كذلك من يساعد اليهود مادياً وأديباً ليستوطنوا فلسطين»^(٢).

ويقول د. محمود دياب: «هي حركة منظمة تنظيمًا مركزيًا عالميًا تستهدف استعمار أرض العرب وإجلائهم عنها من النيل إلى الفرات، واستبدال أهلها بقوم من مختلف الأجناس في دولة إسرائيل تدين لها بالولاء وتمثل لأوامرها جماهير اليهود من رعايا الدول الأخرى»^(٣).

ثانياً: علاقة الصهيونية بالدين اليهودي:

١- يرى بعضهم أن الصهيونية حركة سياسية لا صلة لها بالدين، ومن يذهب إلى ذلك الأستاذ عباس العقاد، حيث يقول: «يغلب على ظن الكثيرين أن الصهيونية حركة دينية قديمة، وأنها مرتبطة بما ورد من الوعود للخليل إبراهيم -عليه السلام-، والواقع أنها ليست بالحركة الدينية، وليست بالحركة القديمة في بني إسرائيل أنفسهم، ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها في بيت داود»^(٤)، ويلاحظ على كلام العقاد أنه ربطها ببيت داود وهو ذو بعد ديني لارتباطه ببني الله داود، وبعد تاريخي يشير إلى تاريخ بني إسرائيل إلا أنه

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) انظر: اليهودية، د. أحمد شلبي (ص: ١١٩).

(٣) الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر (ص: ١٣).

(٤) الصهيونية العالمية (ص: ١٠).

يقول بأنها حركة سياسية!!

وجاء في كتاب (الدولة اليهودية) لهرتزل -الذي يعد أحد الكتب المقدسة للحركة الصهيونية- لما تحدث عن شكل الحكومة التي ستحكم الدولة عند قيامها تساءل: «هل سينتهي بنا المطاف إلى حكومة دينية؟» ثم أجاب قائلاً: «في الواقع لا، فبينما يوحدنا الإيمان تمنحنا المعرفة الحرية، لذلك سوف نحول دون محاولة أي نزعات دينية من قبل الكهنة إلى احتلال المقدمة، وسنبقي الكهنة داخل حدود معابدهم تمامًا كما سنبقي الجيش داخل حدود الثكنات العسكرية، وسيتلقى رجال الجيش والكهنة قدر الاحترام الذي تستحقه وظائفهم، إلا أنهم لن يتدخلوا في إدارة الدولة»^(١).

وقد صرح هرتزل بأن الصهيونية مشروع استعماري بحث لا صلة له بالديانة اليهودية، فقال: «لقد أبلغت الحاخام الأكبر في لندن، كما قلت للحاخام الأكبر في باريس زادوك كان: إنني لن أطيع أيًا من التعاليم الدينية في مشروعني»، وحينما سئل: ما علاقتك بالتوراة؟ أجاب: «إنني مفكر حر»، ويعلق جارودي على ذلك بقوله: «كان مشروعه استعماريًا بحتًا ... لقد كان هذا المشروع يهدف في حقيقته إلى تشكيل شركة بميثاق تحت حماية قوة استعمارية كبرى مثل إنجلترا أو ذات طموحات استعمارية .. على أن تكون في أي مكان، سواء في أوغندا أو موزمبيق أو الأرجنتين أو قبرص أو ليبيا، ولكن أشار عليه أصدقاؤه أن فلسطين تمثل فعل السحر لعملية تعبئة أكثر فاعلية، وقرر هرتزل .. تأييد اقتراحهم من أجل استخدام ما أطلق عليه الأسطورة القوية .. أسطورة العودة والتي بالنسبة له تمثل مجرد أسطورة، ولكنها بالنسبة لليهود المتدينين قوة محرمة ... فقد كتب يقول: (أستطيع أن أقول لك كل شيء عن أرض الميعاد، باستثناء المكان التي توجد فيه؟! علينا الأخذ في الاعتبار كل العوامل الطبيعية، فمن أجل تجارتنا العالمية في المستقبل، علينا أن نكون في مكان بالقرب من البحر، ومن أجل تحقيق الميكنة الزراعية يجب أن نحصل على أرض واسعة قابلة للامتداد، والقرار سيتخذه مجلس إدارتنا)» ثم علق جارودي قائلاً: «ذلك هو أصل الصهيونية»^(٢)، بمعنى أنها بالنسبة لهرتزل حركة سياسية استعمارية بحتة، وبالنسبة لليهود المتدينين حركة دينية تهدف إلى العودة إلى أرض الميعاد.

ويبدو أنه اتخذ هذا المسلك السياسي؛ لأنه لو رفع الشعار الديني لوقفت في وجهه الدول النصرانية، ولذلك أعلنها دولة لا دينية في الظاهر، وأقول: (في الظاهر) لأنه صرح -كما

(١) الدولة اليهودية، هرتزل (ص: ١١٧). ترجمة: محمد فاضل.

(٢) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية. روجيه جارودي (ص: ٣٣-٣٤).

سيأتي - بأن الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية (الدين) لا إلى أرض الميعاد (المكان). ولذلك يصف روجيه جارودي زعماء الصهيونية العلمانيين بالتناقض قائلًا: «إنهم يزعمون أن تلك الأرض أعطاهم إله لا يؤمنون به!»^(١)، وهذا التناقض قد يكون مقصودًا لإخفاء الحقيقة، وما يكشف ذلك ما قاله ناتان فاينستوك في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل): «ليس للصهيونية أي أساس أو مرجعية يعتد بها، إلا بالرجوع الانتقائي للعهد القديم، فسيؤدي إلغاء الإيمان بالشعب المختار وأرض الميعاد، سيؤدي إلى انهيار أسس الصهيونية، لهذا السبب تضع الأحزاب الدينية كل قوتها، رغم اختلافاتها وخلافاتها بالتعاون مع الصهيونية التي لا تعلم شيئًا عن الله، لقد أدى التماسك الداخلي للبناء الصهيوني الإسرائيلي إلى فرض سلطة رجال الدين، إنه حزب مباي (الديمقراطي-الاجتماعي) وليس الأحزاب الدينية، الذي فرض بناء على اقتراح ابن جوريون، تعليم الدين في المدارس»^(٢).

٢- بينما يرى فريق آخر بأنها حركة دينية ويستند في ذلك إلى عدة أدلة، منها:

الأول: دلالة التسمية، وهي (الصهيونية) المنسوبة إلى جبل صهيون الوارد ذكره في العهد القديم بين مائة ومئتين مرة^(٣)، فالتسمية ذات شعار ديني، وصهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونه «بنت صهيون»^(٤)، فقد جاء في التوراة: «ترغبي وافرحي يا ابنة صهيون؛ لأني ها أنا ذا آتي وأسكن في وسطك»^(٥).

الثاني: من خلال هدفها، وهو العودة إلى ما يسمونه أرض الميعاد، وهو ما ورد الوعد به في كتابهم المقدس حسب مزاعمهم، حيث يستندون في هذا الزعم إلى ما جاء في توراتهم المخرفة من وعد إلهي لإبراهيم -عليه السلام-، جاء فيه: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات»^(٦).

ولذلك فكل تعريف للصهيونية يربطها بهدفها، وهو احتلال فلسطين، وقد أصبح ذلك «أحد القوانين الأساسية لدولة إسرائيل الذي يعطي الحق لكل يهودي المهجرة إلى إسرائيل، والذي وافقت عليه الكنيست يوم ٥ تموز سنة ١٩٥٠م»^(٧).

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية. روجيه جارودي (ص: ٣١).

(٢) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية. روجيه جارودي (ص: ٣١).

(٣) انظر: قاموس كتاب المقدس (ص: ٥٥٨).

(٤) انظر: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية. د. محمد عثمان شبير (ص: ٩٢).

(٥) نبوة زكريا (٢: ١٠).

(٦) سفر التكوين (١٥: ١٨).

(٧) معجم المصطلحات الصهيونية (ص: ٢١٠).

الثالث: من حيث النشأة، يقول هرتزل: «الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»^(١)، وقال ليفي أبو عسل (المفكر اليهودي): «إن موسى كان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية، وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً مستمسكاً وثيقاً، ومتوافقة أجزاؤها تماسكاً محكمًا شديدًا»^(٢)، وقال إسرائيل إبراهيمز: «لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية، فجميعنا إذن صهيونيون بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة»^(٣).

ولعل الأقرب القول بأنها حركة سياسية في الظاهر، ودينية في الباطن، فهي «سياسية تحدف إلى جمع اليهود ولمّ شملهم وتحريرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية فيها تدين بالدين اليهودي، وتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية، وإبرادة بعث مملكة داود، نشأت في أواسط القرن التاسع عشر على يد والدها وزعيمها الأول تيودور هرتزل»^(٤).

ثالثاً: نشأتها:

نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي بحدف دعوة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين تحت شعار ديني، هو: العودة إلى ما أسموه (أرض الميعاد)، يقول د. عبد الوهاب المسيري: «لم يسلك مصطلح (الصهيونية) إلا في القرن التاسع عشر»^(٥)، حيث بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أنفسهم في أواخر القرن التاسع عشر مع تفاقم المسألة اليهودية، وعبرت عن نفسها في بادئ الأمر عن طريق المساعدات التي كان أثرياء اليهود في الغرب يدفعونها للجمعيات التوطنية المختلفة التي كانت تحدف إلى توطين يهود شرق أوروبا في أي بلد ويشمل ذلك فلسطين، وقد نحت المصطلح نفسه المفكر اليهودي النمساوي نيتان بيرنياوم في أبريل ١٨٩٠م في مجلة الانعقاد الذاتي، وبعد المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م في مدينة بازل السويسرية تحدد المصطلح^(٦).

(١) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية. د. محمد عثمان شبير (ص: ٩١).

(٢) يقظة العالم اليهودي. إيلي ليفي أبو عسل (ص: ٢٢).

(٣) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية. د. محمد عثمان شبير (ص: ٩١).

(٤) أصول الصهيونية في الدين اليهودي (ص: ٧).

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٦/ ١٣).

(٦) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٦/ ١٥).

وقد قوبلت هذه الحركة التي أسسها ثيودور هرتزل بمعارضة شديدة من بعض حاخامات اليهود^(١).

أما الصهيونية من حيث جذورها كحركة دينية فكرية تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من تملك أرض الميعاد، وقهر جيرانها الأعداء، وتركيز سلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون فهي فكرة قديمة جدًا^(٢).

رابعاً: أهدافها ووسائلها:

في عام ١٨٩٧م عقد أول مؤتمر دولي للصهاينة في مدينة بازل بسويسرا حضره نحو ثلاثمائة شخص يمثلون خمسين جمعية يهودية تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقد انتخب المؤتمر ثيودور هرتزل رئيساً له^(٣).

وفي اليوم الثاني من أيام انعقاده تم الاتفاق على تحديد الهدف الأساسي من قيام الحركة وهو: «أنها حركة ترمي إلى إنشاء وطن للشعب اليهودي شرعي معترف به في أرض فلسطين».

ويرى المؤتمر أن الوسائل الآتية صالحة لتحقيق هذا الغرض، ومنها:

١- تأليف اليهود في جميع البلدان جماعات محلية، أو جماعات عامة على حسب القوانين المرعية في تلك البلدان.

٢- تقوية الوعي اليهودي حيث كان.

٣- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على السند الضروري من الحكومات^(٤).

لكن يكشف هرتزل عن الهدف الحقيقي من وراء اختيار فلسطين وطنًا لليهود، وهو أن تكون دسيمة استعمارية، وخنجرًا مسمومًا في قلب الأمة الإسلامية، يسعى إلى تمزيق وحدتها وشق صفها، وحماية مصالح أعدائها، يقول روجيه جارودي: «كانت أهم عملية دبلوماسية لهرتزل هي اكتشافه القاسم المشترك بين كل المستعمرين الغربيين، وذكر في كتابه (الدولة اليهودية) (الناشر لبيشوتز باريس ١٩٢٩م، ص ٩٥) يقول: «من أجل أوروبا سوف نبني هناك حاجزًا في مواجهة آسيا، سنكون حراس المقدمة للحضارة ضد البربرية» منذ ذلك الحين أصبح إقامة دولة تلعب هذا الدور في الشرق الأوسط على المدى القصير وال المدى الطويل

(١) انظر تفصيل ذلك في: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية (ص: ٣٦-٣٧).

(٢) انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي (ص: ٧).

(٣) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة (ص: ١٤٦).

(٤) انظر: الصهيونية العالمية، عباس العقاد (ص: ٢٤).

مسألة تضمن مساندة كل المستعمرين الغربيين»^(١). فتتلخص أهداف الصهيونية في إقامة دولة إسرائيل الكبرى، واستخدام الوسائل المؤدية لذلك، وقد حققوا بعض هدفهم عام ١٩٤٨م، ثم تحقق لهم عام ١٩٦٧م مكاسب أخرى، وهم يطمحون للوصول إلى غايتهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

منظمات نصرانية صهيونية:

هناك منظمات ذات أصول نصرانية من حيث المعتقد، لكنها صهيونية من حيث المواقف والأهداف، حيث تؤيد الصهاينة وتدعمهم، وهي منظمات كثيرة، حتى أنه جاء في دراسة مقدمة لندوة الإعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية أن عددها يقارب ٢٥٠ منظمة نصرانية كلها مؤيدة للصهيونية، ومن هذه المنظمات على سبيل المثال^(٢) ما يلي:

١- الطائفة الإنجيلية الأمريكية، وهي إحدى الطوائف النصرانية المتصهينة، وقد ذكرت دراسة أعدها الأمريكيان مايكل ليدن وبربارا ليدن ونشرتها مجلة (نيز ريبليك) أن عدد أعضائها بلغ ٤٥ مليوناً، ولهم هيئة في القدس تسمى (صندوق الهيكل)، وينسق رؤساء الهيئة أعمالهم مع الحاخام الأكبر في إسرائيل وهو مردخاي إلباهو^(٣).

٢- منظمة الأغلبية الأخلاقية، وهي منظمة سياسية دينية ذات فروع في جميع أنحاء أمريكا أسسها القس جيرى فولويل عام ١٩٧٩م، ومن أهم ما تدعو إليه: أن اليهود شعب الله المختار، وأن الله بارك الولايات المتحدة الأمريكية لأنها باركت اليهود.

٣- مؤسسات بات روبرتسون، نسبة إلى القس بات روبرتسون، وشهدت هذه المؤسسات نمواً واسعاً خلال العقد الأخير، وقامت بدور خطير أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م حيث عبأ أنصاره وأتباعه لدعم هذا الغزو ومواصلته واستمراره.

٤- المنظمة النصرانية للقدس، وقد جاء تأسيسها تعبيراً عن دور مدينة القدس المركزي لدى النصارى، ومركزها الرئيس في كل من القدس وولاية كارولينا الشمالية، ولها فروع في ٣٧ دولة أوروبية وأمريكية^(٤).

وقد أقامت هذه المنظمات النصرانية المتصهينة مؤتمراً عام ١٩٨٥م على غرار المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة هرتزل بمدينة بازل بسويسرا في القاعة التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول،

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي (ص: ٣٩).

(٢) وللتعرف على المزيد من هذه المنظمات المتصهينة، انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني.

(٣) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني (ص: ١٣٨).

(٤) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني (ص: ١٤٠-١٤١).

واجتمع في هذا المؤتمر أتباع الكنائس النصرانية المؤيدة لقيام الدولة اليهودية التي يعتبرون قيامها تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدس بزعمهم، وفي هذا المؤتمر أعلنوا تضامنهم مع دولة الاحتلال (إسرائيل) ودعمها وتأييدها، ودعوة النصارى إلى أن يتخلصوا من معاداة السامية، ودعوة الدول إلى نقل سفاراتها إلى القدس، ودعوة الدول التي لم تعترف بإسرائيل إلى المسارعة في الاعتراف بها وتأييدها^(١).

ويأتي في سياق الدعم الغربي للصهيونية ما أعلنه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ٦ ديسمبر ٢٠١٨م باعتراف بلاده بالقدس عاصمة لإسرائيل، وطالب وزارة الخارجية باتخاذ الإجراءات اللازمة لنقل السفارة إلى مقرها الجديد، وقد صاحب ذلك استنكار دولي واسع، فقد أكدت المملكة العربية السعودية وقوفها مع الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة، وأعلن الاتحاد الأوروبي رفضه لقرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس^(٢).

(١) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني (ص: ١٥١-١٥٤).

(٢) انظر تفاصيل هذا الخبر على هذا الرابط: <http://cutt.us/εglpM>، بتاريخ ١٨ / ٨ / ٢٠١٩م.

ملخص الفصل الثاني

- اليهودية لغة: نسبة إلى اليهود، وهو مشتق من الهؤد وهو التوبة، أو من التهويد وهو السكون، أو نسبة إلى يهوذا.
- اليهودية اصطلاحاً: هي الملة المحرفة عن شريعة موسى -عليه السلام-، واليهود هم الذين اعتقدوا اليهودية بعد التبديل.
- أقرب الأقوال في سبب تسميتهم بهذا الاسم (اليهود) هو أنهم سموا بذلك؛ نسبة إلى يهوذا، وهو أكبر أولاد يعقوب -عليه السلام-.
- اختلف تعريف (اليهودي) لدى اليهود المعاصرين على ستة أقوال، المعتمد منها هو: من ولد لأم يهودية، أو تحول إلى اليهودية.
- لليهود عدد من الأسماء التي عرفوا بها؛ فهم: (١) اليهود؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ...﴾ [البقرة: ١١٢٠]، وهم (٢): بنو إسرائيل، نسبة إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة: ٤٠]. ويسمون كذلك (٣): العبرانيون؛ إما نسبة إلى عابر، وهو الجد الخامس لإبراهيم -عليه السلام- وإما نسبة لإبراهيم -عليه السلام-؛ لأنه عبر النهر، ويسمون كذلك (٤): الصهاينة؛ نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس، وهم داخلون كذلك في مسمى أهل الكتاب إلى جانب النصاري، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾ [النساء: ١٧١].
- يبدأ تاريخ اليهودية ببعثة موسى -عليه السلام- ومع أخاه هارون -عليه السلام-، وخروجهما ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، ودخولهم إليها بعد أربعين سنة من التيه في الصحراء، وبعد دخولهم إليها أقاموا فيها دولتهم التي استمرت قروناً طويلة تعرضوا خلالها للغزو الخارجي والسبي عدة مرات، وكان لهذا الغزو أثر بالغ في فقدهم لكتابهم المقدس مما سهل لبغاة التحريف أن يزيدوا فيه ويتقصوا منه بحسب أهوائهم؛ فتعددت مصادرهم الدينية أضعافاً كثيرة عما كانت عليه في زمن موسى -عليه السلام-، واستمر شتات اليهود بعد ذلك حتى تم اجتماعهم في فلسطين في منتصف القرن العشرين الميلادي.
- أبان القرآن الكريم صفات اليهود جليّة، فوصفهم بكتمان الحق، والخيانة، ونقض العهود، ووصفهم بالحسد، والإفساد وإثارة الفتن والحروب، وتحريف كلام الله

دراسات في الأديان

- تعالى وتبديل شرعه، كما وصفهم باحتقار الآخرين، مع قسوة قلوبهم، وحرصهم على الحياة الدنيا، وعداء المؤمنين، وأما التوراة -مع تحريفها- فقد وصفتهم بالخيانة، والظلم بكل أنواعه، وفي الإنجيل وصفوا بالبشر والنفاق، وقتل الأنبياء.
- مصادر اليهود إجمالاً مصدران: (١) التوراة، (٢) والتلمود؛ أما التوراة فهي خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين أو الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية، وما ألحق بها من أسفار، وأما التلمود فيتكون من قسمين: الأول: المشنا؛ وهو المتن، والثاني: الجمارا، وهو الشرح. ويعتقد جمهور اليهود بقدسية وأهمية التلمود، بل يعتقدون أن التلمود أعظم منزلة من التوراة نفسها.
- إن المنصف إذا نظر إلى مصادر الدين اليهودي نظرة الناقد الحصيف سيجد بما لا شك فيه عدم إمكانية الاعتماد على هذه المصادر، فقد دلت الشواهد الكثيرة -عقلاً ونقلاً- على وقوع التحريف في التوراة، كما شهد بذلك القرآن، وبعض نصوص التوراة نفسها، كما ثبت بالأدلة العلمية والتاريخية انقطاع أسانيد التوراة وضياح أصولها، كما أن كثيراً من متونها منكراً، ويكفي في إثبات نكارة كثير من متونها ما تضمنته من الطعن في ذات الله وأنبائه ورسله، كما احتوت كثير من أسفار التوراة على أمور لا أخلاقية يستحيل أن تكون من كلام الرب تعالى وتقدس، وأيضاً فقد وقع بين نصوصها تناقضات صريحة واختلافات كثيرة يستحيل الجمع بينها، كما أثبتت الدراسات الغربية الحديثة أن أسفار التوراة ليست وحياً من عند الله، وليست من وضع موسى ولا الأنبياء من بعده، وإنما هي من وضع البشر، وضعها مؤلفون مجهولون.
- لا يمكن الثقة بالتلمود الذي يعدُّ ساقطاً سنداً ومتمناً، أما سند التلمود فلا سند له سوى الكذب، ولذلك أنكرت طوائف من اليهود، كالصدوقيين، والأسينيين، وكذلك طائفة القرائين من اليهود، أما متن التلمود فإنه يكشف عن حقيقته وخطورته، ويكفي في الدلالة على ذلك أمران: (١) ما جاء فيه من الافتراء على الله ورسله، (٢) موقفه العنصري من غير اليهود.
- السنهدرين: مجمع ديني قضائي سياسي أعلى نشأ قديماً، ويتكوّن من سبعين من أحرار اليهود، ووظيفته: النظر في قضايا اليهود المهمة السياسية والدينية وغيرها، ويعتمد في قراراته على القانون اليهودي، ثم التصويت بالأغلبية، ويزعم اليهود أن نشأة السنهدرين تعود إلى عهد موسى -عليه السلام-، وأن الرب هو الذي

حدد عدد أعضائه، ومن وظائف السنهدين تشريع القوانين الخاصة بالعبادات، ومحكمة من ينتهك هذه القوانين، والإشراف على المحاكم الصغرى، والهيمنة على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد، فهو المهيم على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء.

- القبالة: مجموعة من التأويلات الباطنية التي تفسر كتابهم المقدس حسب الصوفية اليهودية، تم وضعها في القرن الثالث عشر الميلادي، وتعتمد كتاب (الزوهار) أساسًا لها، ويرجع أصل القبالة إلى مجموعة من أحبار اليهود الذين تأثروا بالديانات الشرقية، فخرجوا بمجموعة من التأويلات الباطنية لكتابهم المقدس عندهم.

- بروتوكولات حكماء صهيون تمثل الخطة السرية لليهود لتحقيق أهدافهم، ويرجع تاريخ وضع هذه البروتوكولات إلى سنة ١٨٩٧م، وقد طبعت نسخ قليلة من هذه البروتوكولات لأول مرة سنة ١٩٠٢م بالروسية، ثم ترجمت إلى العربية، واختلف الباحثون في نسبة (البروتوكولات) إلى اليهود بين ناف ومثبت ومتوقف، وسواء ثبتت نسبة هذه البروتوكولات إلى اليهود أو لم تثبت فإن كثيرًا مما جاء فيها يصدقه الواقع، وتتلخص مضامينها في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية، وإعداد وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي، وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة، والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم.

- اعتقاد اليهود في الله تعالى من خلال القرآن: أنهم عبدوا مع الله غيره، فاتخذوا العجل إلهًا في حياة نبي الله موسى، ونسبوا لله الابن، ووصفوه بالفقر والبخل، وزعموا أنه تعب من خلق السماوات والأرض، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وأما من خلال كتبهم المقدسة لديهم: فقد وصفوه بصفات المخلوقين، ومن ذلك وصفه -جل وعلا- بالتعب والإعياء بعد خلق السماوات والأرض، والضعف والعجز والندم والنسيان وغيرها من صفات النقص، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

- وأما اعتقادهم في الملائكة حسب ما جاء في القرآن، فهم يفرقون بينهم، فيوالون بعضهم ويعادون بعضًا؛ فيعادون أمين الوحي جبريل -عليه السلام-، ويوالون

ميكال - عليه السلام -.

- عقيدة اليهود في الأنبياء كما جاء في القرآن، تتلخص في تكذيبهم فريقتاً من الرسل وقتلهم فريقتاً آخرين، كما تضمنت نصوص كتابهم المقدس الطعن في كثير من أنبياء الله تعالى كنوح ولوط وداود وسليمان وموسى وهارون وعيسى -عليهم السلام.

- يعتقد اليهود - كما جاء في القرآن - أنه لن يدخل الجنة إلا إياهم، وأن العاصي منهم مهما فعل من الجرائم والآثام فلن يدخل النار إلا أياماً معدودات، أما التوراة المحرفة فليس فيها تصريح بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا، كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة، ونجد بعض الإشارات إلى البعث والجزاء غير الصريحة في غير الأسفار الخمسة من العهد القديم، إلا أن هناك اختلافاً حول تفسيرها، ولهذا اختلفت فرق اليهود في موقفها من اليوم الآخر بين منكر ومثبت.

- تطورت الشريعة اليهودية بعد أن دَوَّنَ لهم عزرا الوراق التوراة التي بأيديهم اليوم، فابتدعوا طقوساً وشرائع وصلوات وأدعية، خلافاً لما كان عليه أسلافهم.

- من أحكامهم في الطهارة: أن من أسباب النجاسة عندهم لمس الحي جثة ميت، وأن التطهر يكون بغسل الأيدي والأرجل فقط، وزعموا أن من اغتسل من جماع يظل نجساً إلى المساء، وحكموا بنجاسة كل من مس المرأة الحائض أو اقترب منها، وكذلك قالوا بنجاسة الأبرص.

- أما عبادتهم فكانت قرايين يقدمونها، ثم أحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم، جعلوها بدلاً من القرايين، وتشتمل على نصوص من الشعر والنثر والأدعية، بعضها مأخوذ مباشرة من التوراة المحرفة، وبعضها من إنشاء الحكماء والحاخامات والشعراء.

- يعد تقديم القرايين عبادة رئيسة في شريعة اليهود، وكان الذي يتولى تقديم القرايين هو رب العائلة، ثم انتقلت إلى رجال الدين، والغاية من تقديم القرايين إما التوبة أو الشكر.

- من طقوس اليهود الخطرة - في رأي بعضهم - تلك القرايين البشرية التي يتم فيها استنزاف الدم البشري بحسب ما تقضي به تعاليم التلمود، وهو من الأسرار التلمودية التي يتكتم عليها اليهود أشد تكتم حتى على عامتهم، ومن الباحثين

- من ينكر نسبتها إلى اليهود أصلاً، وهو الأقرب للحقيقة.
- لم يرد الصوم عندهم كفريضة بحسب توراتهم المحرفة، ولا يلجأ إليه إلا عند النوازل أو طلب التكفير عن الخطايا.
 - جاء في بعض أسفار التوراة الحث على الصدقة إلى المسكين، لكن لا يوجد في العهد القديم تفاصيل لمن تجب عليهم الصدقات ومن يستحقها وما مقدارها، بل هي أقرب إلى التوجيهات الخلقية منها إلى الأحكام التشريعية.
 - الحج في الشريعة اليهودية مرتبط بأعيادهم، والحج إلى بيت المقدس الذي كان يدعى بالزيارة يكون في ثلاثة أعياد، وهي: عيد الحصاد، وعيد الفصح (اليهودي)، وعيد المظال.
 - لليهود أعياد كثيرة من أشهرها يوم السبت، وعيد الفصح (بيساح)، وعيد المظلة (سوكوت)، وسيمحات تورا، وعيد الأنوار (حانوكا)، وعيد المساخر (بوريم)، وعيد الأسابيع (شفوعوت).
 - من أهم أحكام الزواج عند اليهود: أن الزواج فرض على كل يهودي، ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، وإذا وقع فهو زنا، وأن المتوفى زوجها إذا لم يترك زوجها أولاداً وكان له شقيق أو أخ لأب تكون زوجة له، ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها، ويجوز لليهودي الزواج بينت أخيه أو بنت أخته، ولكن العكس محرم، وليس في الدين اليهودي حد أقصى للزوجات، فالتعدد عندهم مباح بلا حد.
 - أباحت الشريعة اليهودية الطلاق، وإذا طلق الرجل زوجته فلا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى حتى لو تزوجت من آخر ثم طلقها أو مات عنها، ويجب عندهم طلاق الزوجة إذا زنت أو استمر عقمها لعشر سنوات، أو عصت أوامر الشريعة.
 - من الجرائم التي يستحق فاعلها القتل في الشريعة اليهودية: القتل، والخطف، وعقوق الوالدين، والزنا، واللواط، والزنا بالمحارم، وإتيان البهائم، وادعاء النبوة، ودخول الجن بدن إنسان، والعمل يوم السبت.
 - لا يحل في الشريعة اليهودية من الحيوانات إلا ما كان مشقوق الظلف ويجتر، ويحرم أكل الميتة وينجس أكلها، كما يحرمون الدم والخمر، وكل ما ليس له زعانف وقشور من الأسماك، وطيور الصيد وأكلة الجيف.
 - الربا محرم بين اليهود فقط، بينما يباح الربا إذا أقرض اليهودي غير اليهودي مآلاً.

دراسات في الأديان

- تحتم الشريعة اليهودية بالابن البكر، وكان اليهود قديماً يجعلونه خليفة لأبيه في كل شيء، فيستولي على السلطة من بعده، ويكون هو المتصرف في كل ثروته.
- الحرب في عقيدة بني إسرائيل عمل مقدس، فقائد هذه الحرب في زعمهم هو رب إسرائيل، وجنودها هم جنود هذا الرب، وتأمّر توراهم المحرفة بالإبادة الكاملة والاستئصال الشامل لشعوب البلاد التي يدعون أنّها لهم عطية من الله بزعمهم، كما تأمرهم ألا يرحموا أو يشفقوا على أحد منهم مات أبداً.
- أساس أحكام الشريعة اليهودية هو العنصرية المتطرفة سواء منها ما يتعلق بالجرائم الكبرى كالقتل والزنا والسرقه وغيرها، أو ما يتعلق بالأوامر كالصلاة والصدقات والأذكار والدعوات وغيرها.
- انقسمت اليهود قديماً إلى فرق كثيرة جداً؛ إلا أنّها باعتبار أصلها ترجع إلى فرقتين، هما: القراؤون والربانيون، وباعتبار انتمائها الجغرافي ترجع إلى ثلاث فرق: الإشكناز، والسفرد، والفلاشا، وأما باعتبار شهرتها في كتب الأديان فأشهرها أربع، وهي: السامريون، والفريسيون، والصدوقيون، والقراؤون. ولم يبق من فرق اليهود هذه سوى (الربانيين، والقرائين، والسامريين).
- أما في العصر الحاضر فينقسم اليهود إلى ثلاث فرق أو اتجاهات رئيسة، وهي: اليهودية الأرثوذكسية، واليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة.
- الإشكناز: هم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها
- السفرد: هم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط.
- يهود الفلاشة: هم طائفة صغيرة تعيش في الحبشة، وهم إفريقيون لا يمتون إلى الجنس اليهودي، ولا يعرفون اللغة العبرية.
- يهود الدونمه: هم طائفة من اليهود يخفون يهوديتهم، ويتسمون بأسماء إسلامية، وكانت نشأتهم في القرن السابع عشر، وقد أسسها سباتاي زيفي المولود سنة ١٦٢٦م بمدينة أزميز التركية، ولا يزالون يعيشون في تركيا حتى الآن.
- اليهودية الأرثوذكسية: فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وتعتبر الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية، والدولة الإسرائيلية لا تعترف إلا بها.
- اليهودية الإصلاحية فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع

عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، وخصوصًا الولايات المتحدة، وهي تسمى أيضا اليهودية الليبرالية واليهودية التقدمية.

- اليهودية المحافظة فرقة دينية يهودية حديثة نشأت في الولايات المتحدة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لمحاولة التوسط بين الإصلاحيين والأرثوذكس، وهي أهم وأكبر حركة دينية يهودية في العالم.

- الماسونية أو ما يعرف بـ(جمعية البنائين الأحرار): هي حركة سرية يهودية الجذور، تحوي حشدًا من الناس من مذاهب مختلفة حول العالم يعملون لغاية واحدة، وهي: إعادة الهيكل اليهودي المزعوم، والسيطرة على العالم، ولا يمكن معرفة زمن نشأتها على التحديد، حيث يكتنفها الغموض، وقد دخلت الماسونية إلى الوطن العربي بعد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون مع بداية القرن التاسع عشر، وصار لها أتباع من العرب وأنشئت على إثر ذلك عدد من المحافل الماسونية في عدد من المدن العربية، وتتفق جميع المصادر على أن جذورها ترجع إلى اليهودية الصهيونية المتأمرة على الإنسانية، وإمعانًا من الماسونية في إخفاء أهدافها اليهودية، تظهر شعارًا خداعًا وهو (الحرية، الإخاء، المساواة)، وغاية الماسونية قبل كل شيء هي القضاء على الأديان جميعها، وقد اختفى اسم الماسونية اليوم، وظهر تحت أسماء أخرى كنوادي الروتاري وغيرها.

- الصهيونية: حركة سياسية في الظاهر، ودينية في الباطن، نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي على يد هرتزل بهدف دعوة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين تحت شعار ديني، هو: العودة إلى ما أسموه (أرض الميعاد)، وفي عام ١٨٩٧م عقد أول مؤتمر دولي للصهيانية في مدينة بازل بسويسرا حضره نحو ثلاثمائة شخص يمثلون خمسين جمعية يهودية تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وغايتها: جمع اليهود وتحويلهم إلى فلسطين، وتضم الصهيونية الكثير من المنظمات الداعمة لها، منها ما يقارب ٢٥٠ منظمة ذات أصول نصرانية.

أسئلة تطبيقية

- ١- عرّف اليهودية لغة واصطلاحاً.
- ٢- عدّد أسماء اليهود وسبب كل اسم.
- ٣- بيّن بإيجاز تاريخ نشأة الديانة اليهودية.
- ٤- اذكر صفات اليهود وأخلاقهم كما جاءت في القرآن.
- ٥- عدّد مصادر الديانة اليهودية مجملًا.
- ٦- ما براهين تحريف العهد القديم؟
- ٧- ما المراد بالتسميات اليهودية التالية: السنهدرين، والقبالة؟
- ٨- تكلم بإيجاز عن حقيقة برتوكولات حكماء صهيون، واختلاف الباحثين حولها.
- ٩- ما عقيدة اليهود في الله والملائكة؟
- ١٠- ما عقيدة اليهود في الأنبياء؟
- ١١- ما عقيدة اليهود في اليوم الآخر؟
- ١٢- تكلم بإيجاز عن فرق اليهودية المعاصرة.
- ١٣- تحدث بإيجاز عن يهود الدونمة.
- ١٤- تحدث عن الماسونية من حيث: نشأتها، جذورها، غايتها، وحكم الانتساب إليها.
- ١٥- تحدث عن الصهيونية: حقيقتها، نشأتها، أهدافها، وأهم منظماتها.

الفصل الثالث: النصرانية

المبحث الأول:

تعريف النصرانية

أولاً: النصرانية لفة:

النصرانية نسبة إلى قرية بالشام يقال لها: نصران، أو نصره، أو ناصرة، والنصراني: من يعتقد بدين النصرى، وتنصّر: دخل في النصرانية.

جاء في كتاب العين: «تنصّر: دخل في النصرانية، ونصرونة: قرية بالشام، ويقال: نصرى»^(١). وقال الليث: «زعموا أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة»^(٢).

وقال الجوهري: «النصارى: جمع نصران ونصرانة، مثل الندامى جمع ندمان وندمانة... ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب؛ لأنهم قالوا: رجل نصراني وامرأة نصرانية، ونصّره: جعله نصرانياً»^(٣).

وقال البعلبي: «النصارى: واحدهم نصران، والأنثى نصرانة، بمعنى: نصراني، ونصرانية؛ نسبة إلى قرية بالشام، يقال لها: نصران، ويقال لها: ناصرة»^(٤).

وقال ابن منظور: «نصران قرية بالشام، ينسب إليها النصرى، ويقال: ناصرة، والتنصر: الدخول في النصرانية»^(٥).

وقال الفيومي: «رجل نصراني -بفتح النون-، وامرأة نصرانية، وربما قيل: نصران ونصرانة، ويقال: هو نسبة إلى قرية اسمها نصره، قاله الواحدي، ولهذا قيل في الواحد: نصرى على القياس، والنصارى جمعُه، مثل مهري ومهاري، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا

(١) كتاب العين (٧/ ١٠٩).

(٢) تهذيب اللغة (١٢/ ١٦١).

(٣) الصحاح (٢/ ٨٢٩).

(٤) المطلع على ألفاظ المقنع (ص: ٢٦٣-٢٦٤).

(٥) لسان العرب (٦/ ٤٤٤١).

الدين»^(١).

ثانياً: النصرانية اصطلاحاً:

اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف النصرانية:

قال الثعلبي: «النصارى: هم الذين اعتقدوا النصرانية، والدين المبدل بعد عيسى»^(٢).

وقال الواحدي: «النصرانية: ملة محرّفة عن شريعة عيسى -عليه السلام-»^(٣).

وقال السمعاني: «النصرانية: محرّفة من الإنجيل»^(٤).

وقال البغوي: «النصارى: الذين اعتقدوا النصرانية بعد التبديل»^(٥).

وقال الشهرستاني: «النصارى: أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته -عليه السلام-

»^(٦)، وهذا تعريف للنصرانية بحسب دعواهم، وإلا «فالنصرانية اسم للدين الذي يتحمله من

يدعي اتباع عيسى من مؤله»^(٧)، أما دين عيسى -عليه السلام- ودين جميع الأنبياء

والمرسلين فهو الإسلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى

اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠٢]، قال الإمام

الطبري: «هذا خير من الله عز وجل أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله،

لا النصرانية ولا اليهودية، وتبرئة من الله لعيسى ممن اتحل النصرانية ودان بها»^(٨).

أما الذين حرفوا ديانتهم وكفروا بما جاء به وزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة فقد سماهم الله

(نصارى).

والمختار أن النصرانية ديانة محرّفة منسوبة إلى عيسى -عليه السلام-، والنصارى هم الذين

دانوا بالنصرانية المحرّفة.

(١) المصباح المنير (٢/ ٦٠٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١/ ٢١٠).

(٣) التفسير البسيط (٥/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٣٢٩).

(٥) تفسير البغوي (١/ ١٠٣) بتصرف يسير.

(٦) الملل والنحل (٢/ ٢٥).

(٧) هذا التعريف من إضافات د. منقذ السقار عند تحكيمة لليهودية والنصرانية من هذا الكتاب.

(٨) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٤).

ثالثاً: سبب التسمية:

وقد اختلف في سبب تسميتهم نصارى على قولين:

القول الأول: لنصرتهم المسيح -عليه السلام- واتباعهم له، قال الواحدي: «اختلفوا في تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري: سموا نصارى؛ لأن الحواريين قالوا: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (الصد: ١٤) حين قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، واختار ابن الأنباري هذا القول، وقال: إنهم كانوا نُصَّارَ عيسى. فعلى هذا، هذا الاسم مشتق من النصر والنصرة... ثم زيدت ياء النسبة، فقيل: نصرائي»^(١).

القول الثاني: نسبة إلى قرية: ناصرة^(٢)، قال الراغب الأصفهاني: «سموا بذلك؛ انتساباً إلى قرية يقال لها: نصراة، فيقال: نصرائي، وجمعه نصارى»^(٣).

قال الزجاج: «ويجوز أن يكون واحد النصاري نَصْرِيَّ، مثل: بَعِيرٌ مَهْرِيٌّ وإِبِلٌ مَهَارِيٌّ، وهذا قول مقاتل، وزعم أنهم سموا نصارى؛ لاعترائهم إلى قرية يقال لها: نصره»^(٤).

وقال ابن جريج: «النصاري إنما سموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها: ناصرة»، قال الطبري معلقاً: «ويقول آخرون: لقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الاعرن: ٥٢)، وقد ذكر عن ابن عباس: من طريق غير مرتضى أنه كان يقول: «إنما سميت النصاري نصارى؛ لأن قرية عيسى ابن مريم نانت تسمى ناصرة، وكان أصحابه يسمون: الناصريين، وكان يقال لعيسى: الناصري»^(٥).

وملخص القول أن سبب التسمية إما يرجع إلى صفة وهي النصره، أو إلى مكان وهو قرية ناصرة.

(١) التفسير البسيط (٢/ ٦١١).

(٢) بلدة الناصرة تقع في الجزء الشمالي من فلسطين، وفيها ظهر الملك لمرم يشرها بولادة المسيح، وفيها نشأ المسيح وترعرع حتى سن الثلاثين، ولذلك لقب (يسوع الناصري)، ولقب تلاميذه بالناصريين. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٩٤٦-٩٤٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٠٩).

(٤) التفسير البسيط (٢/ ٦١٣).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٤-٣٥).

المبحث الثاني:

أسماء النصارى

يطلق على النصارى عدة أسماء، ومنها:

١- المسيحيون:

في العصور المتأخرة أطلق عليها (المسيحية) وعلى أتباعها (المسيحيون) نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام-، وقد دعي المسيحيون بهذا الاسم أول مرة سنة ٤٢ أو ٤٣م، ويرجح أن هذا اللقب كان يطلق في أول الأمر على سبيل الذم والشتم^(١)، ولذا جاء في دائرة المعارف الكتابية: «يبدو أن المسيحيين أنفسهم لم يتقبلوا هذا الاسم، ولكن على توالي الأيام التصق بهم، وصاروا يعرفون به»^(٢)، ثم شاع بعد ذلك إطلاقه عليهم.

وجاء في معجم الإيمان المسيحي تعريف المسيحية بأنها «ديانة مبنية على شخص يسوع المسيح وأقواله»^(٣)، وتعريف المسيحي بأنه «من اعتمد واعتنق دين يسوع المسيح»^(٤).

وبالرغم من أن الاسم الذي سماهم الله به هو (النصارى) كما سبق، إلا أنهم يفضلون أن يسموا بالمسيحيين، بدعوى الانتساب إلى المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- وأتباعه، والأولى تسميتهم (النصارى) كما سماهم الله ورسوله ﷺ بذلك؛ ولأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة تسمية دين عيسى بالمسيحية، أو تسمية أتباعه بالمسيحيين، ولأن نسبتهم إلى المسيح قد يفضي إلى توهم أنهم يسيرون على هدى المسيح؛ لأن الحق أنهم لم يسيروا على هديه -عليه السلام-، وليسوا بأتباعه، وإنما هم أتباع بولس اليهودي الذي أفسد دين المسيح، والمسيح -عليه السلام- دينه الإسلام، وهو بريء من ضلالهم وقولهم: إنه ثالث ثلاثة وأمثالها من معتقداتهم الباطلة، إلا إذا حمل انتسابهم للمسيح على عبادتهم له لا اتباعه، فهذا سائغ.

٢- أهل الإنجيل:

وقد جاء تسميتهم بذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلْيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (المائدة: ٤٧)، والمراد حثهم على العمل والتمسك بما أنزله الله على عيسى في الإنجيل المنزل من

(١) انظر: رسالة بطرس الأولى (٤: ١٤، ١٦).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٧/ ١٥٦).

(٣) معجم الإيمان المسيحي (ص: ٤٦١).

(٤) معجم الإيمان المسيحي (ص: ٤٦٠).

عند الله تعالى، لا ما حرفوه وبدلوه، وبعد بعثة محمد ﷺ الذي بشر به عيسى -عليه السلام- تكون حقيقة اتباع الإنجيل هي الإيمان برسول الله ﷺ، والتصديق بالكتاب الذي انزل عليه وهو القرآن، قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ، والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد»^(١).

٣- أهل الكتاب:

يطلق على اليهود والنصارى معاً (أهل الكتاب) إشارة إلى أنهم في الأصل -قبل النسخ والتحريف- أهل كتاب منزل من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْعُرُونَ﴾ (٦٧) ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ (٧٠) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا لَكَ الْإِيمَانَ: ٦٩، ٧٠﴾.

وأحياناً يطلق اسم (أهل الكتاب) على أحدهما، كما في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ١٢)، فالمراد بهم في هذه الآية يهود بني النضير^(٢).

والمراد بالكتاب: التوراة المنزلة على موسى -عليه السلام-، والإنجيل المنزل على عيسى -عليه السلام-.

وأهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معاً لكنهم كفروا بهما، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (البقرة: ١٦٨)، ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمان بمحمد ﷺ حيث بشرت به هذه الكتب، واتباع الإسلام الذي نسخ ما قبله من الأديان.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٦).

المبحث الثالث:

نشأة النصرانية وأطوارها

الطور الأول: المسيحية في حياة المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام -:

المصدر الحق للحديث عن حياة عيسى - عليه السلام - منذ ولادته وحتى مبعثه ووفاته، بل مصدر تاريخ جميع الرسالات هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة المأثورة عن خاتم المرسلين؛ ذلك لأن الكتاب المقدس وباعتراف كثير من علماء أهل الكتاب ناله كثير من التبديل والتحريف الأمر الذي أضعف الثقة في كونه مصدرًا إلهيًا^(١)، ويعترف بهذه الحقيقة شارل جنيبير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس)، فيذكر أن الاعتماد على الأناجيل في معرفة تاريخ المسيح والمسيحية في عصورها الأولى يكتنفه عدد من الصعاب، يقول: «وأول الصعاب التي تعترضها نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند وبالاضطراب وعسر التحقيق، وأقدم هذه النصوص وأهمها - لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة - هي تلك التي احتواها العهد الجديد»، ثم ينتهي إلى القول بـ «أننا لا يمكن أن نخلص من الوثائق وحدها إلى تاريخ متكامل منسجم لأصول المسيحية، فمن هذه الوثائق لم يتبق لنا إلا فتات يكثر الشك في البناء المؤسس عليه»^(٢).

ويقول موريس بوكاي: «على أن ثمة عددًا من الأحداث رويت مختلفة، بل ومختلفة جدًا أحيانًا من إنجيلين أو أكثر، وغالبًا ما تكون دهشة المسيحيين من هذه التضادات عندما يعثرون عليها بين الأناجيل؛ لأنه قد تكرر في مسامعهم التأكيد القوي بأن كتبها كانوا شهود عيان لها»^(٣)، وسيأتي لذلك مزيد بيان.

أما القرآن فقد بينَّ النشأة الطيبة والتربية الصالحة التي تعهد الله بها أمَّ عيسى مريم بنت عمران منذ حملت أمها بها، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىْ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ

(١) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ١٢)، أضواء على المسيحية، د. رؤوف شلبي (ص: ١٧).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير (ص: ١٧-١٨)، ترجمة: د. عبد الحليم محمود.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ١٢١).

يَمْرَمُ أَنَّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَرَزْتُ مِنْ نِشَاءٍ بَعِيرٍ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ | آل عمران: ٣٥ - ٣٧.
قال الإمام الطبري: «معناه: إني جعلت لك يا رب نذرًا أن لك الذي في بطني محررًا لعبادتك، يعني بذلك: حسنته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة، عتيقة من خدمة كل شيء سواك، مفرغة لك خاصة»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير: «وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعودت ذريتها، وهو ولدها عيسى - عليه السلام -، فاستجاب الله لها ذلك»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارحًا من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ | آل عمران: ٣٦^(٣).

ونشأت مريم نشأة صالحة في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ | آل عمران: ٤٢ - ٤٤.

وبينما مريم في عبادتها إذ جاءها البشرى من الله تعالى بولادة عيسى، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ | آل عمران: ٤٥، ٤٧.

قال الحافظ ابن كثير: «هذه بشارة من الملائكة لمريم - عليها السلام - بأن سيوجد منها ولد عظيم، له شأن كبير. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي: بقوله له: (كن) فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ | آل عمران: ٣٩ كما ذكره الجمهور ... ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: يكون مشهورًا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك.

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٣٤٣١)، ومسلم (ح ٢٣٦٦).

وسمي المسيح فيما قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين: أي: لا أخمص لهما^(١)، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات يرى بإذن الله تعالى، وهذه المعاني هي الحق، بخلاف ما جاء في كتب النصارى من تعليل للتسمية مبني على معتقداتهم القائمة على الغلو في المسيح ودعوى الصلب والفداء، جاء في دائرة المعارف الكتابية: «كلمة (المسيح) معناها: الممسوح من الله»^(٢)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «سمي ربنا - له المجد - المسيح؛ لأنه مفرز ومكرس للخدمة والفداء»^(٣).

وقوله: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة له إلى أمه، حيث لا أب له، ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم - صلوات الله عليهم -^(٤).

وأما قصة مولده فيبينها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْبَةٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَوَدَّعْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ امره: ١٦ - ١٧.

قال الإمام الطبري: «قوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ [مره: ١٧] يقول تعالى ذكره: فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانًا شرقياً، واتخذت من دوحهم حجاباً: جبريل»^(٥).

ويبين القرآن أن عيسى - عليه السلام - جاء برسالة إلهية من عند الله تعالى مؤكدة لما جاء به جميع الأنبياء والمرسلين من قبله من الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قال جل

(١) الأخص: ما دخل من باطن القدم. فلم يصب الأرض (مختار الصحاح. ص: ٩٧).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٧/ ١٣٠).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٨٦٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٤٨٥).

وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣٠]، فجاءت رسالة عيسى - عليه السلام - متممة لرسالات المرسلين من قبله، قال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النساء: ٤٦].

وقد أخرج القرآن أن عيسى - عليه السلام - فور ولادته أعلن بالتوحيد والعبودية لله وحده، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ. فَأَلَّوْا بِمَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧) يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا إِنِّي مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَيِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦) [سورة: ٢٧ - ٣٦].

قال الرازي: «ومقصوده إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية؛ لكيلا يتقوّلوا عليه الباطل فيقولون: إنه إله وابن إله؛ لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه»^(١). وقد نفى القرآن الكريم عن عيسى دعوته قومه إلى غير التوحيد، وبرأه من دعوتهم إلى عبادته من دون الله، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانِكُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ. تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٣٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [النساء: ١١٦، ١١٧].

بل أخبر الله عنه أنه حذر قومه مغبة الشرك وعظيم خطره وضرره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [النساء: ٧٢].

ولما بُعث عيسى - عليه السلام - أيده الله بكثير من الآيات الدالة على صدق نبوته، فقد

أخبر الله جل وعلا عنها بقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيكِ إِذْ
 أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
 وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى
 الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
 يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنَّا عَلَيْهَا مِنَ
 الشَّكِّهِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
 وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي
 أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ (البقرة: ١١٠-١١٤).

وقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ
 الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنزِلُ
 الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَصَدَقًا لِمَا بَيَّرَ بِدِيٍّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
 وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿١١٧﴾ (ال عمران: ٤٩ - ٥١).

قال الشهرستاني: «كانت له آيات ظاهرة، وبيانات زاهرة، ودلائل باهرة، مثل إحياء الموتى،
 وإبراء الأكمه، والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من
 غير نطفة سابقًا، ونطقه البين من غير تعليم سالف»^(١).

وكانت رسالة عيسى - عليه السلام - خاصة ببني إسرائيل دون غيرهم، كما قال جل وعلا:
 ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (ال عمران: ٤٩)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ
 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (النصف: ١٠)، وجاء في إنجيل متى قول المسيح: «لم

أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»^(١).

وقد أجمل القرآن الكريم رسالة عيسى - عليه السلام - التي جاء بها من عند الله تعالى، قال جل جلاله: ﴿بِأَهْلِ آلِ كَثَبٍ لَّا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَفَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَجِدُّ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ النساء: ١٧١.

قال الشهرستاني: «وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى الله تعالى إليه إنطاقاً في المهد، وأوحى إليه إبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام»^(٢).

وقد تلقى اليهود دعوة عيسى بالإنكار والتكذيب، حتى سعوا في قتله، فنجَّاه الله من كيدهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَأَيْتُكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرْتُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ آل عمران: ٥٥، وقال جل وعلا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٧٣﴾﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧٤﴾﴾ النساء: ١٥٧-١٥٨.

قال ابن القيم: «وقد اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾:

فقيل المعنى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ للذين صلبوه، بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه. وقيل المعنى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ للنصارى، أي: حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل ولا صلب، ولكن لما قال أعداؤه: إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمرهم وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم. وكيف كان، فالمسيح - صلوات الله وسلامه عليه - لم يقتل ولم يصلب يقيناً لا شك فيه»^(٣).

وخلاصة هذا الطور: أن الله بعث عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل خاصة، وأيده بالآيات، ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لكن اليهود قابلوا هذه الدعوة بالتكذيب والاضطهاد لمن آمن به.

(١) إنجيل متى (١٥: ٢٤).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٢٥).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٩-٥٤٠).

الطور الثاني: النصرانية من بعد رفع المسيح إلى زمن بولس:

يذكر العهد الجديد أن المسيح اختار اثني عشر من تلامذته ليبلغوا دعوته وينشروها بين بني إسرائيل، جاء في إنجيل متى: «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف ... هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أُمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات»^(١). قال ابن القيم: «تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه أي: رب عيسى -عليه السلام- على دينه ومنهاجه، يدعون الأمم من بني إسرائيل إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه، فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر ومستور، ظاهر مشهور ومختف مستور، وأعداء الله اليهود -لعنهم الله- في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه، ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك»^(٢).

ويقول الشيخ أبو زهرة: «اتفقت المصادر شرقية وغربية دينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلاليا وكوارث جعلتهم يستخفون بدياتهم ويفرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهدين أحياناً أخرى، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمي دياتهم وكتبهم»^(٣).

وقد صور لنا سفر أعمال الرسل شيئاً من هذه الاضطهادات التي نالت بعض أتباع المسيح على يد اليهود بسبب مجاهرهم بدعوة الناس إلى دينه^(٤).

وكان هذا الاضطهاد على يد ملوك الروم بإيعاز من اليهود ووشاية منهم وإرضاء لهم، جاء في سفر أعمال الرسل: «وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة، فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف، وإذ رأى أن ذلك يرضي اليهود، عاد فقبض على بطرس أيضاً. وكانت أيام الفطير، ولما أمسكه وضعه في السجن»^(٥).

وكان من أسباب اضطهاد الدولة الرومانية للنصارى نشاط النصارى في التبشير بدينهم ودعوة الناس إليه، فخاف ملوك الروم على سلطتهم بسبب كثرة أتباعهم، وعدوهم جماعة تحدد

(١) إنجيل متى (١٠: ١-٧).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٤٠).

(٣) محاضرات في النصرانية (ص: ٢٨).

(٤) انظر صوراً من هذه الاضطهادات في: أعمال الرسل (٤: ١-١٨).

(٥) أعمال الرسل (١٢: ١-٤).

حكمهم وملكهم^(١)، جاء في سفر أعمال الرسل: «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة، فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز^(٢) لهم بالمسيح»^(٣)، وفيه أيضًا: «فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا، ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً»^(٤).

وقد امتد الاضطهاد الروماني للنصرانية حوالي مائتين وخمسين سنة تعاقب فيها على عرش الروم كثير من الأباطرة الذين تتابعوا على هذا الاضطهاد^(٥).

وفي ظل هذا الاضطهاد والتعذيب دونت الأناجيل اعتمادًا على النقل الشفوي من جيل إلى جيل بعد ضياع النص الأصلي للإنجيل المنزل من الله، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ومصادرة الكتب وتحريفها بأمر الرومان، والأيدي العابثة المفسدة كل هذا جعل مصادر المسيحية يعترتها الشك والريب»^(٦)، وبدأت العقائد الوثنية الرومانية تمتزج بالديانة النصرانية؛ لأن الوثنية كانت دين الملوك الروم، واختفت المسيحية التي جاء بها عيسى - عليه السلام -، وانخرقت النصرانية من التوحيد إلى الشرك والوثنية.

وخلاصة هذا الطور: أن تلاميذ المسيح قاموا بعد رفعه بالدعوة إلى دينه، لكن نالهم وأتباعهم ألوان من الاضطهادات وصنوف من التعذيب جعلتهم يستخفون بدينهم، وأدت إلى ضياع كتبهم ومصادرهم.

الطور الثالث: النصرانية في عهد بولس:

اسمه العبراني شاول، ومعناه: المطلوب أو المسؤول، واسمه الروماني بولس^(٧)، وكان شديد الاضطهاد والتعذيب للنصارى قبل تحوله من اليهودية، جاء في كتابهم المقدس: «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة، وأما

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (ص: ٦٠) وما بعدها.

(٢) يكرز يعني: يعظ أو يبشر، والكرازة كلمة يونانية الأصل تعني إعلان البشارة الأول ودعوة غير المؤمنين إلى التوبة والمعمودية، وهي العمل الأساسي في التبشير. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٣٩٥).

(٣) أعمال الرسل (٨: ٥).

(٤) أعمال الرسل (١١: ٢٦).

(٥) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (ص: ٦٤).

(٦) محاضرات في النصرانية (ص: ١٦٩).

(٧) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٢/ ٢٣٥).

شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن»^(١)، وفيه أيضاً: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق، رجالاً أو نساء، يسوقهم موثقين إلى أورشليم»^(٢).

وهو يعترف بذلك كما جاء في سفر أعمال الرسل، فيقول: «واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء»^(٣)، ويقول أيضاً: «فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أي كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها»^(٤)، وهم يعترفون بأنه لم ير المسيح، جاء في دائرة المعارف الكتابية: «ليس في العهد الجديد ما يدل على أن بولس قد رأى المسيح في أثناء حياته على الأرض»^(٥).

وكان دخوله في دين النصرانية محل شك وريبة من حواربي عيسى - عليه السلام - وذلك لما كان يدعو إليه من آراء ومذاهب شاذة، ولما كان عليه قبل تنصره من أذى النصارى وتعذيبهم، وتحوله فجأة إلى النصرانية، بل والدعوة إليها، ويذكر كتابهم المقدس أنه بينما كان في طريقه إلى دمشق ليعذب المسيحيين الذين فيها؛ إذ سطع حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع هائلاً يناديه يقول: «شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده ... فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل»^(٦).

وقد وردت القصة بروايات مختلفة^(٧) مما دعا دائرة المعارف الكتابية إلى القول: «وهنا تظهر أماننا بعض المعضلات في قصة تجديد بولس في الإصحاحات التاسع، والثاني والعشرين والسادس والعشرين من سفر الأعمال، وهي معضلات شبيهة بما هو موجود في قصص الأناجيل الثلاثة الأولى، كما توجد في الروايات المتعددة عن حادثة تاريخية واحدة»^(٨).

وقد أثارَت هذه القصة وتحوله فجأة إلى النصرانية بعد أن كان ألد أعدائها استغراب كثير من الباحثين، خاصة مع هذا التضارب في حكاية القصة على لسان بولس نفسه، مما دعا ول

(١) أعمال الرسل (٨ : ١-٣).

(٢) أعمال الرسل (٩ : ١-٢).

(٣) أعمال الرسل (٢٢ : ٤).

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١ : ١٣).

(٥) دائرة المعارف الكتابية (٢ / ٢٤٢).

(٦) أعمال الرسل (٩ : ٣-٦).

(٧) انظر: أعمال الرسل (٢٢ : ٦-١٠)، (٢٦ : ١٢-١٨).

(٨) دائرة المعارف الكتابية (٢ / ٢٤١)، وانظر: بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكي (ص: ٣٨-٤٢).

ديورانت إلى القول بأنه مصاب بالصرع، فقال: «وليس في وسع أحد أن يعرف العوامل التي أحدثت هذه التجربة، وما أعقبها من انقلاب أساسي في طبيعة الرجل، ولعل ما قاساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعل شيئاً من هذا أو ذلك كله قد أثر في جسم ضعيف ربما كان مصاباً بالصرع، وفي عقل يعذبه الشك والإجرام، فدفع بالعملية التي كانت تجري في عقله الباطن إلى غايتها»^(١).

وقد شكك كثير من الباحثين في القصة من أصلها، وقالوا بأن بولس ادعاها كذباً للاحتيال على النصارى، وترويج معتقداته لإفساد دينهم^(٢).

كما أشار شارل جنيبير إلى حقيقة أخرى، وهي أن بولس لم يتلق أي تعاليم نصرانية من الحواريين أتباع المسيح، ولم يتصل بهم، يقول: «والشيء الذي يبدو لنا غير قابل للجدل هو أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس، وأن مذهبه لم ينشأ من الاتصال بالحواريين الاثني عشر»^(٣).

وبعد هذه القصة المدعاة زاد بولس دعوى أخرى بناها على هذه القصة، وهي أن المسيح أرسله رسولاً للتبشير بديانته، فيقول: «بولس عبد ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المفرز لإنجيل الله»^(٤)، ويقول أيضاً: «ألست أنا رسولاً، ألست أنا حرّاً، أما رأيت يسوع المسيح ربنا، ألستم أنتم عملي في الرب، إن كنت لست رسولاً إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسول لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب»^(٥).

وقد أخذ بولس بعد هذه الدعوى يبشر بالنصرانية من أفكاره وآرائه لا من تعاليم تلقاها من المسيح ولا من تلامذته، «ومع ذلك فإنه يزعم أن عيسى - عليه السلام - قد ظهر له وأعطاه الأمر بتبليغ هذه المسيحية التي نقضت ما فعله المسيح طوال حياته، وناقضت ما كان يؤمن به الحواريون والمسيحيون الأوائل»^(٦).

وسبب هذا التحول الجذري الذي أحدثه بولس في دين المسيح - عليه السلام - هو ما كان يتمتع به من صفات جعلت له أثراً بالغ النفاذ في تحويل دين المسيح إلى الشرك، ومن هذه

(١) قصة الحضارة (١١/ ٢٥٢).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (ص: ١٦٧).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها. شارل جنيبير (ص: ٨٧).

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية (١: ١).

(٥) رسالة بولس إلى أهل مورنتوس (٩: ٢-١).

(٦) بولس وتحريف المسيحية. هيم ماكي (ص: ٧-٨). ترجمة: سميرة عزمي الزين.

الصفات التي أدت إلى نجاحه في مهمته - كما يراها شارل جينبير -: «الروح الحماسية الوثابة، والمنطق البين المدرب على المناقشة، ثم التفكير العملي الحي، والعزيمة التي لا تقهر، والتي تفرض فرضًا رسالة صاحبها وآراءه»^(١).

يقول أحمد عبد الوهاب: «يتفق العلماء بوجه عام على أن تعاليم بولس تخالف تعاليم المسيح التي جاءت في الأناجيل ورسائل التلاميذ، وذلك في نقاط هامة وأساسية، يقول فريدريك جرانت: (من الواضح أن كلاً من بولس الهليني ومتى المبشر اليهودي له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه)، ويقول تشارلز دود: (إن الرسائل البولسية كثيرًا ما تعارض الأناجيل)، ويقول هنتر: (إن رسالة يعقوب تظهر معارضة لتعاليم بولس في نوال البر بالإيمان)^(٢).

ومن أهم المعتقدات التي أضافها بولس إلى المسيحية:

١- نسخ العمل بناموس موسى: جاء في إنجيل متى على لسان المسيح: «لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل»^(٣)، وقال بولس: «الناموس ليس من الإيمان... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا»^(٤).

٢- المسيح ابن الله: في أعمال الرسل: «وللوقت جعل [بولس] يكرز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»^(٥)، وقال في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم بواسطتنا»^(٦).

٣- الفداء: يقول في رسالته إلى أهل رومية: «لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين»^(٧)، وفيها أيضًا: «الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيرًا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب»^(٨)، وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس يقول عن يسوع المسيح: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا»^(٩).

٤- قيامة المسيح بعد صلبه: يقول في رسالته إلى أهل رومية: «من أجلنا نحن أيضًا سيحسب

(١) انظر: للمسيحية نشأتها وتطورها. شارل جينبير (ص: ٧٠).

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية (ص: ٩٢).

(٣) متى (٥: ١٧).

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٣: ١١، ١٣).

(٥) أعمال الرسل (٩: ٢٠).

(٦) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (١: ١٩).

(٧) رسالة بولس إلى أهل رومية (٨: ٣٢).

(٨) رسالة بولس إلى أهل رومية (٥: ٨-٩).

(٩) رسالة بولس إلى أهل أفسس (١: ٧).

لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا»^(١)، وفيه أيضًا: «دفدنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب»^(٢).

ويؤكد بعض الباحثين أن منشأ هذه المعتقدات البيئة الوثنية التي نشأ فيها بولس، حيث كانت طرسوس (المدينة التي نشأ وترعرع فيها بولس) بها مزيج من الديانات والفلسفات بسبب موقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى^(٣) وبلاد الشام، فكان يمر عليها أهل الشرق والغرب بعقائدهم ودياناتهم، فيطلع عليها أهل تلك البلاد فيقتبسون منهم^(٤).

وقد وجدت هذه العقائد المنحرفة التي جاء بها بولس اعتراضًا وإنكارًا بين أتباع المسيح الذين كانت عندهم بقايا من الدين الحق الذي نزل على عيسى -عليه السلام-^(٥).

يقول شارل جنبيير: «النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه: إنه (ابن الله) ... كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع»^(٦).

ويقول مايكل هارت: «بولس الرسول هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى، وهو المسئول عن تأليه المسيح، بل بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح»^(٧).

ويقول هيم ماكبي: «المسيحية القائمة على أن خلاص البشرية يتم بموت المسيح، وعلى التعميد والقربان المقدس ليست هي المسيحية التي عرفها الحواريون فيما يسمى بكنيسة القدس، وأن مؤسس هذا الدين الجديد المتميز هو بولس الذي أله عيسى -عليه السلام-، وزعم أن الوحي قد نزل عليه على طريق دمشق»^(٨).

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية (٤: ٢٤-٢٥).

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية (٦: ٤).

(٣) آسيا الصغرى: جزء من قارة آسيا تقع على الحدود بين القارة الآسيوية والقارة الأوروبية، وهي محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. ويعتبر مرادفًا لمصطلح الأناضول. وهي اليوم دولة تركيا.

(٤) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (ص: ٢٠٢) وما بعدها.

(٥) انظر: المسيحية، أحمد شلبي (ص: ١١٩).

(٦) المسيحية نشأتها وتطورها (ص: ٣٩).

(٧) أعظم مائة شخص في التاريخ (ص: ٣٧)، ترجمة: أنيس منصور.

(٨) بولس وتعريف المسيحية (ص: ٦٩).

وختلاصة القول: إن بولس اليهودي دخل في النصرانية في الظاهر وهو على يهوديته في الباطن لإفساد النصرانية، فأحدث لهم القول بالوهية المسيح، والخطيئة الموروثة، والصلب والفداء، وقيامه المسيح بعد صلبه، ونسخ العمل بالتوراة.

الطور الرابع: المجامع النصرانية:

تعريفها: هي «اجتماع رؤساء الكنيسة أي: الأساقفة المدعويين بحسب الأصول والقوانين لحاجة في الكنيسة تفتضيها الظروف، يتدارس فيها أولئك الرعاة الموضوع المطروح عليهم، ويأخذون القرار الضروري، وينفذونه إلى جميع المسيحيين الذين يرفعونهم»^(١).

نشأتها: أول مجمع عقد في تاريخ النصرانية هو المجمع الأول في أورشليم سنة (٥١) ميلادية برئاسة أسقفها يعقوب الرسول، وكان موضوعه النظر في مسألة ختان الأمم^(٢)، ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم^(٣).

مستندها: الأساس الذي يستند إليه النصراني في مشروعية عقد المجمع هو قول المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم»^(٤)، وعلى هذا استند الرسل في أول اجتماع لهم في أورشليم، وافتتحوا سلسلة المجمع^(٥)، ولذا فهم يعتقدون أن جميع قرارات هذه المجمع مستوحاة من الروح القدس، وكانت أغلب اجتماعات الأساقفة في القرون الأولى تستعمل هذه الجملة في بداية قراراتها، وهي: «لقد حَسُن لدى الروح القدس ولدينا...»^(٦).

سبب انعقادها: النصراني يدعون أن هذه المجمع الكنسية كانت تعقد غالبًا بسبب «بدعة ظهرت، أو هرطقة أقلق سلام الكنيسة ... وكانت تعقد في أغلب الأحيان تحت رئاسة مدنية، وكان لتدخل الإمبراطور في شؤون الكنيسة أثرًا مباشرًا في انقسام الأساقفة بين مؤيد للإمبراطور ومعارض له، وبالتالي انقسام بين بعضهم البعض»^(٧)، فاجتمعت النصراني عدة

(١) مدخل إلى المجمع المسكونية، الأب ميشال أبرص، والأب أنطوان عرب (ص: ٢٠).

(٢) انظر: أعمال الرسل (١٥: ١-٢٩).

(٣) انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ١٧٠)، نقلًا عن: المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد (ص: ٨١).

(٤) إنجيل متى (١٨: ٢٠).

(٥) انظر: مدخل إلى المجمع المسكونية (ص: ٢٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٢).

(٧) قوانين المجمع المسكونية، القس أنثانسيوس المغاري (ص: ١٨).

مجامع تزيد على ثمانين مجمعاً، ثم تفرقوا على الاختلاف والتلاعن، يلعن بعضهم بعضاً، حتى قال فيهم بعض العقلاء: لو اجتمع عشرة من النصارى، يتكلمون في حقيقة ما هم عليه، لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً!«^(١)، يقول ول ديورانت: «إن أتباع المسيح قد انقسموا في الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة»^(٢).

أهميتها: «المجامع المسكونية هي أعلى سلطة كنسية وأكثرها رسمية، فهي تفرض قوانين تنظيمية عالمية تبقى معصومة فيما هو من الأمور العقائدية والأخلاقية، وتعادل سلطتها سلطة البابا، ولكنها ليست أعلى من سلطته»^(٣)، وتنسب المجامع المسكونية إلى ذاتها العصمة من الخطأ في تعاليمها (العقائد والآداب) اعتماداً على الوعد بوجود المسيح بين الآباء المجتمعين، وبحلول الروح القدس عليهم وإلهامه لهم^(٤).

أشهر المجامع: المجامع المشهورة عند النصارى سبعة، تنتهي إلى تكذيب بعضهم بعضاً، ولعن بعضهم بعضاً، وتكفير كل طائفة الأخرى، ويلعن أصحاب هذا المجمع سابقهم ويكفرونهم، حتى اشتهروا بذلك، قال ابن تيمية: «النصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم، وهم في كل مجمع يلعنون طائفة منهم كبيرة ويكفرونهم، ويقولون عنهم: إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها، وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها»^(٥).

ويرى ابن القيم أن أشهرها عشرة مجامع، فيقول: «وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان، كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض، وكل منهم لاعن ملعون»^(٦).

وهناك خلاف بين الكنائس النصرانية في تحديد عدد المجامع المسكونية، فيذكر بعض آباء النصارى أن لائحة المجامع المسكونية الكبرى المعترف بها في الكنيسة الكاثوليكية ٢١ مجعاً أولها: مجمع نيقيا الأول سنة (٣٢٥م)، وآخرها: مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م)،

(١) إغاثة اللهبان في مصادب الشيطان (٢/ ١٠٣٧).

(٢) قصة الحضارة (١١/ ٢٩١).

(٣) مدخل إلى المجامع المسكونية (ص: ٥٩). بتصرف يسير.

(٤) مدخل إلى المجامع المسكونية (ص: ٧٢).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ٤١١-٤١٢).

(٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٧٣).

أما الكنيسة البروتستانتية فلا تعترف إلا بالمجامع الأربعة الأولى، وأما الكنيسة الأرثوذكسية فلا تعترف إلا بمسكونية المجامع السبعة^(١).

أنواعها: المجامع ثلاثة أنواع:

- ١- مجامع مسكونية^(٢) عامة، وهي التي يجتمع فيها علماء النصارى من كل أنحاء المعمورة، ويطلق عليها أيضاً: مجمع عام، أو مجمع رئيسي، أو مجمع عالمي، ويبدو أن كلمة (مسكونية) ظهرت لأول مرة في رسالة مجمع القسطنطينية عام ٣٨٢م التي وجهت إلى الأساقفة الغربيين في روما^(٣).
- ٢- مجامع مكانية أو إقليمية، وهي التي يعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها؛ لإقرار عقيدة أو رفض أخرى^(٤).
- ٣- المجمع الممي أو الطائفي، وهي المجامع الخاصة بطائفة من طوائف النصارى أو بملة من مللهم^(٥).

وسيقصر الحديث هنا عن أشهر المجامع المسكونية (العامة) لما لها من أثر في تحريف دينهم، وهي كما يلي:

أولاً: مجمع نيقية:

تاريخه: سنة ٣٢٥ ميلادية.

سبب انعقاده: الاختلاف في شخص المسيح^(٦)، والرد على بدعة أريوس في إنكار لاهوت المسيح وادعاء أنه مخلوق، وغير مساو للآب في الجوهر^(٧).

عدد المجتمعين: ٣١٨ أسقفًا.

(١) انظر: مدخل إلى المجامع المسكونية (ص: ٥٨ . ٦٥).

(٢) مسكوني نسبة إلى مسكونة أي: العالم، وقد أطلقت هذه التسمية على المجامع التي ضمت بين أعضائها أساقفة من مختلف بلاد العالم. انظر: قصة الكنيسة القبطية. د. إريس حبيب المصري (١/ ١٦٧).

(٣) انظر: مدخل إلى المجامع المسكونية (ص: ٦٨).

(٤) انظر: هداية الحيارى (٢/ ٥٥٤)، المجامع النصرانية (ص: ٨٢)، المسيحية، أحمد شلبي (ص: ١٩٧).

(٥) انظر: مصادر النصرانية (ص: ٧١٦).

(٦) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (ص: ١٢٢).

(٧) انظر: عصر المجامع. القمص كورلس الأنطوني (ص: ٤٣-٤٤).

قراراته:

- ١- ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، قديم بقدمه.
 - ٢- طرد كل من يخالف هذه العقيدة.
 - ٣- تحديد عيد الفصح بالأحد التالي لعيد فصح اليهود مباشرة^(١).
 - ٤- وضع المجمع نصًا للعقيدة يسمى بـ (الأمانة)، وهو: «بالحقيقة نؤمن بالله واحد الله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يُرى وما لا يُرى، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، تأسس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، تألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وسيأتي أيضًا في مجده ليدين الأحياء والموتى، وليس لملكه انقضاء»^(٢).
- يقول الإمام ابن حزم: «ليس في شيء من الإنجيل نص الأمانة التي لا يصح الإيمان عندهم إلا بما من ذكر آب وابن وروح القدس معا وسائر ما فيها»^(٣)، وإنما تقليد لأسلافهم من الأساقفة، ونعوذ بالله من الخذلان»^(٤).
- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم متفقون على أن الأمانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم ليست ألفاظها موجودة في الأناجيل، ولا هي مأثورة عن الحواريين، وهم متفقون على أن الذين وضعوها أهل المجمع الأول الذين كانوا عند قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية عشر، وخالفوا عبد الله بن أريوس^(٥) الذي جعل المسيح عبدًا لله كما يقول المسلمون، ووضعوا هذه الأمانة»^(٦)، لكن هذا المجمع لم يحقق الغرض المنشود منه، فلم تتفق كلمة النصارى، بل لا زالوا متفرقين على عقائد شتى ومذاهب مختلفة متباينة^(٧).

(١) انظر: عصر المجمع (ص: ٣٨).

(٢) قصة الكنيسة القبطية (١/ ١٧٨).

(٣) كذا قال ابن حزم! وقد ورد في إنجيل متى ذكر الأمانيم الثلاثة. انظر: إنجيل متى (٢٨: ١٩).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥٤).

(٥) كذا بالأصل! والمعروف أن اسمه (أريوس). وليس: عبد الله.

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٠٦).

(٧) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ١١٩).

ثانياً: المجمع القسطنطيني الأول:

تاريخه: ٣٨١ م بأمر الامبراطور ثاؤدوسيوس الكبير في مدينة القسطنطينية^(١).
سبب انعقاده: تقرير ألوهية الروح القدس، وإكمال قانون إيمان نيقية^(٢).

عدد المجتمعين: ١٥٠ أسقفًا.

قرارات المجمع:

- ١- عدم شرعية المذهب الأريوسي القائل ببشرية المسيح.
- ٢- الروح القدس روح الله، وهي حياته، فهي من اللاهوت.
- ٣- لعنة كل من يخالف هذا القرار.
- ٤- زادوا في نص الأمانة التي وضعها أساقفة مجمع نيقية الإيمان بروح القدس: «ونؤمن بروح القدس المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له وممجّد، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وترجي قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي»^(٣).

وبهذا المجمع اكتملت عقيدة التثليث، واستقرت بعد جدال طويل بين الطوائف النصرانية، قال الإمام ابن القيم: «وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الأب والابن، جوهر واحد وطبيعة واحدة، وزادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانمائة عشر: «ونؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الأب منبثق، الذي مع الأب والابن وهو مسجود له وممجّد». وكان في تلك الأمانة: (وبروح القدس فقط)، وبينوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص، وأنها وحدة في تثليث، وتثليث في وحدة، وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا فيه كثيرا من أساقفتهم وأشياعهم»^(٤).

(١) انظر: قوانين المجمع المسكونية (ص: ٨٢).

(٢) انظر: مدخل إلى المجمع المسكونية (ص: ٧٧).

(٣) قوانين المجمع المسكونية. القس إثناسيوس المفاري (ص: ٨٣-٨٤). وانظر: هداية الحيارى (٢ / ٥٦٢). المجمع النصرانية (ص: ٩٨-١٠١).

(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢ / ٥٦٣).

ثالثاً: مجمع أفسس الأول:

تاريخه: ٤٣١ م في مدينة أفسس بأمر الامبراطور ثيودوسيوس.

سبب انعقاده: السبب المباشر لانعقاده هو الرد على بدعة نسطور الذي يقول بأن في المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، وأنه لا ينبغي أن نسمي السيدة العذراء والدة الإله، ثم الرد على بدعة بيلاجيوس الذي يقول: إن خطيئة آدم قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله، وأن الإنسان حين يولد يكون كأدم قبل الخطيئة^(١).

عدد المجتمعين: ٢٠٠ أسقف برئاسة البابا كيرلس الأول.

قرارات المجمع:

- ١- أقروا بطبيعتين للمسيح واحدة لاهوتية، والأخرى ناسوتية بشرية.
- ٢- أن مريم العذراء أم الله ولدت الإله يسوع المسيح.
- ٣- زادوا على نص الأمانة: «نعظمك يا أم النور الحقيقي».
- ٤- لعن كل من يخالف هذه العقيدة^(٢).

رابعاً: مجمع خلقيدونية:

تاريخه: سنة ٤٥١ م.

سبب انعقاده: حسم النزاع بين الطوائف المسيحية في طبيعة المسيح، وكيفية اجتماع العنصر الإنساني والعنصر الإلهي في المسيح، هل له طبيعتان لاهوتية وناسوتية؟ أم له طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت؟^(٣).

عدد المجتمعين: ٥٢٠ أسقف.

(١) انظر: عصر النجاشي (ص: ٢١٤-٢١٥).

(٢) انظر: المجمع النصرانية (ص: ١٠٤-١٠٦).

(٣) انظر: قوانين المجمع المسكونية (ص: ١٢٣) وما بعدها.

قرارات المجمع:

- ١- أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن اللاهوت والناسوت طبيعتان التقتا في المسيح.
- ٢- لعن من قال بطبيعة واحدة^(١).

وقد ترتب على هذا المجمع انشقاق النصرانية المثلثة، وأحدث اختلافاً بعيد المدى، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، وبعده تم انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، فأنكرت الكنيسة المصرية قرارات مجمع خليكدونية، وأصررت على القول بأن يسوع المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وله مشيئة واحدة^(٢).

وهذه المجمع الأربعة هي التي تولدت عنها المسيحية الحاضرة، وهي التي تقررت بها العقيدة النصرانية الحاضرة والباقية حتى الآن، وبما طويت واندرست عقيدة المسيح، والدين الذي جاء به من حياة النصارى إلا في بقايا قليلة مضطهدة، والمجمع الآتية بعد الأربعة^(٣) المتقدمة ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون قاطبة؛ لأن كل هذه المجمع الآتية لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها عن كنيسة روما^(٤).

وخلاصة ما أحدثته المجمع من تطور في الديانة النصرانية: أن المجمع الأول قرر ألوهية المسيح، والثاني قرر ألوهية الروح القدس، والثالث قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله وأن مريم ولدت الاثنين، والرابع قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة متحدة.

(١) انظر: قوانين المجمع المسكونية (ص: ١٣٢)، محاضرات في النصرانية (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: المجمع النصرانية (ص: ١٠٩-١١٣).

(٣) انظر: مدخل إلى المجمع المسكونية، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب (ص: ٧٨-٨٣).

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ١٣١).

المبحث الرابع:

مصادر النصرانية

النصرانية لها ثلاثة مصادر:

الأول: ما يسمونه العهد القديم، وهو التوراة المحرفة، وما أضيف إليها، وسبق الحديث عنه في اليهودية.

الثاني: العهد الجديد، وهو الأناجيل الأربعة وما أحقوه بها.

ومنها يتكون ما يسمونه (الكتاب المقدس)، جاء في قاموس الكتاب المقدس: «العهد القديم والعهد الجديد هما الجزءان الرئيسيان للكتاب المقدس»^(١).

الثالث: التقليد.

وإليك تفصيل القول فيها.

المصدر الأول: العهد القديم:

وهو القسم المشترك بين اليهودية والمسيحية على اختلاف بينهم في المعتمد من أسفاره.

وعدد أسفار العهد القديم عند البروتستانت ٣٩ سفرًا، وأما عند الكاثوليك والأرثوذكس فعددها ٤٦ سفرًا، وهذه الأسفار الزائدة يطلق عليها البروتستانت اسم (الأبوكريفا) أي: الكتابات الدينية المزيفة غير القانونية في العهدين القديم والجديد^(٢)، يقول إبراهيم خليل أحمد^(٣): «يسلم الروم الكاثوليك بستة وأربعين سفرًا من أسفار العهد القديم، أما البروتستانت فإنهم لا يسلمون بسبعة أسفار من بين أسفار العهد القديم، وهذه الأسفار هي المعروفة بالأسفار الغير قانونية أو الأبوكريفا، أي: الأسفار الخفية»^(٤).

وهذا ما تقرره مصادر النصارى، جاء في قاموس الكتاب المقدس: «يتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفرًا: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، يشوع، القضاة، راعوث،

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٤٤).

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٣٨-٣٩).

(٣) كان من كبار علماء النصارى في مصر، وقدم أطروحة للدكتوراه عن تناقضات القرآن، فغلبه القرآن وأعلن إسلامه قائلاً: «إن القرآن غلبي».

انظر حكايته لقصة إسلامه وهدايته في مقدمة كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي (ص: ١١-٢٦).

(٤) محاضرات في مقارنة الأديان (ص: ١١).

صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، إستر، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، إشعياء، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوثيل، عاموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفيان، حجي، زكريا، ملاخي، والكنيسة الكاثوليكية تزيد على العهد القديم أسفار: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروك، والمكابيين الأول، والمكابيين الثاني»^(١).

وفي دائرة المعارف الكتابية: «أسفار العهد القديم التسعة والثلاثون هي الأسفار القانونية عند اليهود، فهم يعتبرون أسفار العهد القديم أربعة وعشرين سفرًا؛ لأنهم يحسبون سفر صموئيل الأول والثاني وسفري الملوك الأول والثاني، وسفري الأخبار الأول والثاني، وسفري عزرا ونحميا، كلاً منها سفرًا واحدًا، كما يعتبرون أسفار الأنبياء الصغار الاثني عشر سفرًا واحدًا، ويذكر يوسفوس أنه لا يوجد في العهد القديم (الكتاب المقدس عند اليهود) سوى اثنين وعشرين سفرًا على عدد حروف الأبجدية العبرية، وذلك لأنه ضم راعوث إلى سفر القضاة، ومراثي إرميا إلى سفر إرميا، وبذلك يصبح عددها اثنين وعشرين. وتضم الكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس التقليدية الأخرى إلى هذه الأسفار في العهد القديم معظم الأسفار الأبوكريفية، وهي: طوبيا، ويهوديت، الحكمة حكمة يشوع بن سيراخ، باروخ، والمكابيين الأول والثاني، وبعض إضافات لسفري إستر ودانيال، وهي الأسفار التي ألحقتها الترجمة السبعينية بالعهد القديم»^(٢).

ثم إن النصارى مع تقديسهم للعهد القديم لم يتبعوه، بل خالفوه، ومن هذه التشريعات التي خالف فيها النصارى العهد القديم ما يلي:

- في العهد القديم يجوز الطلاق بأي علة كما يجوز الزواج بمطلقة، وفي العهد الجديد يحرم الطلاق لغير الزنا، ولا يجوز الزواج بالمطلقة، وإن فعل فله حكم الزاني.
- جاء في العهد القديم تحريم كثير من الحيوانات كالخنزير^(٣)، ثم جاء إباحتها في العهد الجديد.
- تقديس السبت في شريعة العهد القديم، بينما في العهد الجديد ليس له أي قداسة.

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٤٤).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٣١٤).

(٣) انظر: سفر اللاويين (١١ : ١-٨).

- الختان كان مشروعًا في العهد القديم، بينما جاء تحريمه في العهد الجديد^(١).
والنصارى بهذا قد خالفوا قول المسيح: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه»^(٢).

المصدر الثاني: العهد الجديد:

يطلق (العهد الجديد) على الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة من بين عشرات الأناجيل على مدى قرون من الجدل والاختلاف^(٣).

وهذه التسمية من النصارى؛ لأنهم يقسمون كتابهم المقدس إلى قسمين: قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى -عليه السلام-، وقسم منها يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى -عليه السلام-، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومجموع الكتب من القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (بئيل) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب^(٤).

وأما سبب تسميته بالعهد فيرجع إلى ما ورد في سفر الخروج: «وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب: وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»^(٥).

وكان النصارى الأوائل لا يعتقدون أن كتابهم المقدس (العهد الجديد) يتميز عن العهد القديم، بل كانوا يعدونها شيئًا واحدًا متصلًا^(٦)، فلم يكونوا يعرفون شيئًا اسمه العهد الجديد، ولم تطلق هذه التسمية (العهد الجديد) إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي استنادًا إلى بعض النصوص الواردة في كتابهم المقدس، ومنها ما جاء في سفر إرميا: «يقول الرب: واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا»^(٧)، كما سبق.

«ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرًا أقرها رجال اللاهوت من بين عشرات

(١) انظر: مصادر النصرانية دراسة ونقدًا، د. عبد الرزاق أيارو (ص: ١٥٠-١٥٢).

(٢) إنجيل متى (٢٣: ٢-٣).

(٣) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٤)، محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد (ص: ١٢).

(٤) انظر: إظهار الحق (١/ ٩٨).

(٥) سفر الخروج (٢٤: ٧-٨).

(٦) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٥).

(٧) سفر إرميا (٣١: ٣١).

الكتب الأخرى المماثلة لها في القرن الخامس الميلادي، وهو - كما ترى - وقت متأخر جدًا»^(١).

وتنقسم أسفار العهد الجديد إلى أربع مجموعات كما يلي:

- ١- الأناجيل الأربعة، المنسوبة إلى: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.
- ٢- أعمال الرسل، وتنسب إلى لوقا.
- ٣- الرسائل، وهي إحدى وعشرين رسالة على هذا النحو:
 - (أ) أربع عشرة رسالة منسوبة إلى بولس.
 - (ب) الرسائل السبع الباقية، ويطلق عليها (الرسائل الكاثوليكية)، وهي منسوبة إلى: يعقوب، وبطرس، ويوحنا، ويهوذا.
- ٤- سفر رؤيا يوحنا، ويطلق عليه كذلك (مشاهدات يوحنا)^(٢).

وقد وقع خلاف فيما يعتمد من أسفار كتابهم زيادة على هذه الأسفار، فقد قرر مجمع نيقية عام ٣٢٥م وجوب التسليم بسفر (يهوديت) فقط، ثم في مجمع (لوديسيا) عام ٣٦٤م أقر حكم مجمع نيقية، وأقر أيضًا وجوب التسليم بسبعة أسفار، هي: سفر إستير، رسالة يعقوب، رسالة بطرس الثانية، رسالة يوحنا الثانية، رسالة يوحنا الثالثة، رسالة يهوذا، رسالة بولس إلى العبرانيين، وقرر المجمع بقاء سفر يوحنا مشکوكًا فيه، ثم جاء مجمع قرطاج بتونس عام ٣٩٧م فأقر قرارات المجمع السابقة بشأن اعتماد الأسفار المقدسة والتسليم بقانونيتها، وبشأن الأسفار المشكوك فيها، وزاد عليها وجوب اعتماد والتسليم بسبعة أسفار أخرى، هي: سفر الحكمة، سفر طوبيا، سفر باروخ، سفر الجامعة، سفر المكابيين الأول، سفر المكابيين الثاني، سفر رؤيا يوحنا، ثم انعقد مجمع قرطاج مرة أخرى عام ٤١٩م وقرر عد سفر باروخ جزءًا من سفر إرميا؛ لأن باروخ كان بمنزلة نائب إرميا وخليفته، وبعد انعقاد هذه المجمع المسكونية صارت الأسفار المشكوك فيها مسلمًا بها بين جمهور النصارى، وبقيت هكذا إلى أن ظهرت طائفة البروتستانت، فرفضوا حكم الأسلاف في أسفار: باروخ، طوبيا، يهوديت، الحكمة، الجامعة، المكابيين الأول، المكابيين الثاني، وقالوا: إن هذه الكتب واجبة الرد، وغير مسلم بها^(٣).

(١) محاضرات في مقارنة الأديان (ص: ١٢).

(٢) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان (ص: ١٢).

(٣) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان (ص: ١٣-١٦).

وهكذا يختلفون ويتخبطون فيما يعتمد من أسفارهم، ففي الجمع الأول لم يعتمدوا سوى سفر واحد، ثم انتهى بهم الأمر إلى اعتماد ستة أسفار لم يعتمدها السابقون، ثم جاءت فرقة البروتستانت فأكرت هذه الأسفار السبعة التي اعتمدها السابقون، وهكذا يثبت المتقدمون ما ينكره المتأخرون، وينكر المتأخرون ما يثبتته المتقدمون، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وكل حزب بما لديهم فرحون.

براهين تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى:

يتكون الكتاب المقدس من العهدين: العهد القديم، والعهد الجديد، وقد سبق بيان البراهين الدالة على تحريف ما يسمونه العهد القديم.

أما العهد الجديد فيراد به الأناجيل^(١) الأربعة وما ألحق بها، وفيما يلي بيان أهم البراهين الدالة على تحريفه.

١- شهادة القرآن بالتحريف:

لم يرد ذكر الأناجيل الأربعة في القرآن مطلقاً، وإنما ورد ذكر إنجيل واحد، وهو الإنجيل الذي أوحاه الله إلى نبيه عيسى -عليه الصلاة والسلام-، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٤٦)، قال الرازي: «إنه تعالى وصف الإنجيل بصفات خمسة، فقال: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾»^(١)، وقد بين القرآن ما تضمنه الإنجيل من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما هو هدي الأنبياء جميعاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَٰي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: ١١٥-١١٦)، وقرر القرآن أن عيسى عبد الله ورسوله ليس بإله ولا ابن

(١) الأناجيل جمع إنجيل، ومعنى كلمة (إنجيل): الخبر الطيب، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني (أونجيليون)، وجاء في العهد الجديد تسميته بـ(إنجيل الله) و(إنجيل المسيح)، و(إنجيل نعمة الله)، و(إنجيل السلام)، و(إنجيل خلاصكم)، و(إنجيل مجد المسيح)، و(إنجيل الملكوت أو بشارة الملكوت) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ١٢٠). إظهار الحق (١/ ١٠٣). وقد قيل: إنه لفظ عربي. وليس مأخوذاً من اليونانية. وعلى هذا يكون مشتقاً من الشُّجْل. وهو الأصل. أو من نجلت الشيء: أي: أظهرته. أو من نجله: إذا استخرجه، وقيل غير ذلك. انظر: لسان العرب (٦/ ٤٣٥٦)، تاج العروس (٤٥٨/ ٣٠).

(٢) تفسير الرازي (١٢/ ٣٧٠).

إله ولا ثالث لثلاثة، كما قال تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي ٱلْكِتَآبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مرى: ٣٠)، فليست الأناجيل الأربعة هي الإنجيل الذي جاء به عيسى -عليه السلام-.

وقد جاءت شهادة القرآن بتحريف أهل الكتاب^(١) من اليهود والنصارى لكتابهم على وجوه^(٢):

الوجه الأول: وقوع التحريف، حيث أخبر تعالى عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم المنزلة عليهم، كما في قوله: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ١٧٤)، وقوله جل وعلا: ﴿أَفَتَتَذَكَّرُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

الوجه الثاني: الكتمان، فأخبر تعالى عن كتمانهم لبعض ما أنزل الله، قال جل وعلا: ﴿إِن ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَآبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُم ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَآبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَآبٌ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ١٧٥)، ومن ذلك كتمان البشارة بنبيه وخاتم رسله محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١)، قال ابن كثير: «أي: تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه»^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيٓ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ ٱخْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦)، فبشر عيسى -عليه السلام- بمحمد ﷺ كما هو هدي سائر الأنبياء، يبشر السابق باللاحق، ويصدق اللاحق بالسابق -صلوات الله وسلامه عليهم-.

الوجه الثالث: الزيادة، فأخبر جل وعلا أنهم كتبوا كتبًا بأيديهم وقالوا: هي من عند الله، وما هي من عند الله، قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ٱلْكِتَآبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

(١) بعض هذه الآيات وإن كانت في تحريف اليهود لكتابهم، إلا أن هذا يشمل النصارى لأنهم يؤمنون بالعهد القديم.

(٢) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص: ٣١٢-٣١٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩).

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٦﴾ (البقرة: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ (ال عمران: ٧٨)، قال ابن عباس: «وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً»^(١).

ومع تحريفها فقد بقي شيء من الحق فيها، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ (الأنعام: ٤٣)، وقال جل وعلا: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (النساء: ٤٧)، قال ابن حزم: «إن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾، وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾»^(٢)، ثم قال: «وأما قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (النساء: ٤٧) فحق على ظاهره؛ لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد ﷺ واتباع دينه، ولا يكونون أبدًا حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد ﷺ، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه، فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلًا وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط، والآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل، إنما فيه إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك»^(٣).

قال ابن القيم - بعد ما ساق بعض الآيات الواردة في تحريف أهل الكتاب لكتبهم وكتماهم ما فيها من الحق - : «فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

(١) أخرجه البخاري (ج ٢٦٨٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٧)، وقد سبق.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٩).

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانها.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: يُؤ اللسان به ليلتبس على السامع اللفظ المنزّل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعوتهم إلى ذلك، فإذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقتلوه، فهم إلى أن يجحدوا نعتة وصفته، ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولوه على غير تأويله أقرب بكثير، وهكذا فعلوا، ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا على كتمانها وإخفائها، فصاروا إلى تحريف التأويل وإزالة معناها عما لا تصلح لغيره، وجعلها لمعدوم لم يخلقه الله تعالى، ولا وجود له البتة»^(١).

٢- اعتراف علماء النصارى أنها ليست من عند الله :

يعترف النصارى بأن هذه الأناجيل ليست هي الإنجيل الذي نزل على عيسى -عليه السلام-، بل هي كتابات لتلاميذ المسيح وأتباعهم^(٢).

ونظراً لاعترافهم وإقرارهم بذلك لم نحتاج إلى إثبات بطلان نسبتها إلى الله تعالى، يقول ابن حزم: «ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل، ولا من عند المسيح -عليه السلام- كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء -عليهم السلام- التي عند اليهود؛ لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى -عليه السلام-، فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك، وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم أربوسيهيم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم وبولقانيهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة»^(٣).

وهذا ما قرره علماءهم، فقد شكل البابا جون في الفاتيكان لجنة لدراسة الإنجيل برئاسة العلامة هانز كومب، وبعد دراسة متأنية قررت اللجنة أن «الإنجيل كلام بشر، وأنه لا يوجد دليل على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله»^(٤).

(١) هداية الخياري (١/ ٣١٢).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٧٦٢-٧٦٣).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢).

(٤) هل العهد الجديد كلمة الله؟ د. منقذ السقار (ص: ٣١).

ويقول فردريك جرانت (أستاذ الدراسات اللاهوتية بمعهد الاتحاد اللاهوتي بنيويورك): «إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شتات مجمع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة، وإن الإنسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي سار فيها التفكير المسيحي، كما يتتبع إلى حد ما التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعباداتها وتنظيماتها»^(١).

كما اعترفوا بأن العهد القديم المعتمد لديهم فيه النقص والعجز، فقد انعقد مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥-١٩٦٢) بمشاركة ٢٣٥٠ من رجال الدين النصارى، وبعد ثلاث سنوات من النقاش، حسمت تلك «الحالة المؤلمة التي كانت تحدد المجمع بالشلل» حسب تعبير المطران وير في مقدمته على الوثيقة الجمعية الرقم (٤) عن الوحي، وأقروا بوجود العجز والنقص في كتب العهد القديم، ولكنهم قالوا: «إن كتب العهد القديم تسمح لكل بأن يعرف من هو الله، ومن هو الإنسان، فضلاً عن الطريقة التي يتصرف بها الله مع الناس بعدائه ورحمته. هذه الكتب رغم كونها تحوي النقص والعجز، هي أيضاً الشواهد على تربية إلهية حقيقية»، وقد علق موريس بوكاي على ذلك قائلاً: «ولا نعرف من بين الأوصاف أحسن من (نقص) و(عجز) المنطوقين على بعض النصوص التي يمكن تركها أو نقدها، والقاعدة واضحة القبول. إن هذا النص يكون جزءاً من إعلان إجمالي تبناه المجمع بأكثرية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ٦ أصوات»^(٢).

٣- انقطاع أسانيدنا وفقدان أصلها:

لا يستطيع النصارى أن يثبتوا سنداً متصلًا لأناجيلهم، ولا يعرفون مصدرها الحقيقي، وهم يعترفون بذلك، ويعتذرون عن حصوله بقولهم: «إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة»^(٣).

يقول موريس نورن في (دائرة المعارف البريطانية): «إن أقدم نسخة من الأنجيل الرسمية الحالية كتب في القرن الخامس بعد المسيح، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأنجيل الأربعة الرسمية، وفضلاً عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا،

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (ص: ١٣).

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (ص: ٦٣).

(٣) إظهار الحق (١/ ١١١).

فقد حرفت هي نفسها تحريفًا ذا بال، خصوصًا منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا»^(١). ويقول الشماس د. إميل ماهر إسحاق: «ليس بين أيدينا الآن المخطوطة الأصلية، أي النسخة التي بخط يد كاتب أي سفر من أسفار العهد الجديد أو العهد القديم»^(٢).

ولذا قال ابن حزم -عن أثر الاضطهاد على انقطاع إسنادهم بالإنجيل وفقدانهم له سوى فصول يسيرة-: «فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة، ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح -عليه السلام-، وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز وجل إلا فصولًا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيرًا لهم»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل، ولا نقل لا متواتر ولا آحاد بأكثر ما هم عليه من الشرائع، ولا عندهم ولا عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة ونبوات الأنبياء، كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن وبالشرائع الظاهرة المعروفة للعامة وللخاصة»^(٤).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: «لا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها المسيح نفسه حتى ننظر في قوة نسبتها إليه، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها، يبشرون الناس بما فيها»^(٥).

وهذا ما يعترفون به، لكنهم يزعمون أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس ملهمون من الله، ومؤيدون من الروح القدس^(٦)، ولذلك قال الشيخ رحمت الله الهندي: «لا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي أو حواري أنه إلهامي أو واجب التسليم، وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم بل نحتاج إلى دليل»^(٧)، وسيأتي بطلان دعوى الإلهام والوحي من كتبهم نفسها.

٤ - إسقاطهم لكثير من الأناجيل التي لا تتفق مع مبتدعات بولس:

ومما يشهد بالتحريف إسقاطهم لعشرات الأناجيل، وعدم الاعتراف بها بلا دليل، جاء في

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص: ١٧).

(٢) مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية. إميل ماهر (ص: ١٩).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٥).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٥) محاضرات في النصرانية (ص: ٧٢).

(٦) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٧٦٢-٧٦٣).

(٧) إظهار الحق (١/ ١١١).

دائرة المعارف الكتابية: «يبلغ عدد هذه الأناجيل نحو خمسين»^(١)، وأهم الإشارات إلى الأعمال الأبوكريفية ما جاء بكتابات فوتيوس بطريرك القسطنطينية في النصف الثاني من القرن التاسع، ففي مؤلفه (ببليوتيكًا) تقرير عن ٢٨٠ كتابًا مختلفًا قرأها في أثناء إرساليته لبغداد^(٢)، ولذا يقول الفيلسوف الروسي لاون تولستوي في دراسته لأناجيلهم الأربعة: «إن المسيحيين جمعوا تلك الكتابات واختاروا منها الأنسب لأذواقهم وآراءهم ... وليعلم القارئ أيضًا أن الأناجيل التي بين أيدينا ما هي إلا ثمرة أنضجها الزمان بواسطة النقل والإملاء، واشتغال عقول آلاف من البشر بها، وتلاعب أيدي الكثيرين، وليست هي وحيا من الروح القدس أوحاه للإنجيليين كما تعتقد الكنيسة»^(٣).

ويقول جنتر لانسزكوفسكي: «لقد أسقط عدد كبير من الكتب المسيحية الأولى من العهد الجديد القانوني، وهذه تتكون أساسًا من الأناجيل المحذوفة، مثل: أناجيل العبريين والمصريين وبطرس وأسفار رؤيا غير معترف بها، مثل رؤيا بطرس وراعي هرمس، وخطابات الآباء الرسولين، على أن التاريخ المضبوط الذي تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد»^(٤).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان (الأناجيل غير القانونية): «يدخل تحت هذا العنوان كل ما كتبه بعض الكتّاب في العصر المسيحي المبكر بعد العصر الرسولي، بما يختص بأخبار سيرة مخلصنا، ونسبوه إلى غيرهم كالإنجيل يعقوب وإنجيل نيقوديموس وإنجيل الأيبونيين وإنجيل المصريين وإنجيل العبرانيين وإنجيل الناسيين وإنجيل بطرس وإنجيل توما وإنجيل الطفولية وهو إنجيل عربي»^(٥).

وكثير من هذه الأناجيل التي يسمونها (الأبوكريفا) يعني المزيفة^(٦) لا يعرف منها - كما تقول دائرة المعارف الكتابية - سوى عناوينها، ثم أشارت إلى عناوين مجموعة منها، وذكرت منها (إنجيل برنابا)، لكنها قالت بأنه غير الإنجيل المطبوع حاليًا^(٧)، ولم يقدم محرروها ما يدل على ذلك، لكن إنجيل برنابا المطبوع يكشف أن ما جاء فيه لا يتوافق مع عقيدة بولس، وقد أشار

(١) دائرة المعارف الكتابية (١ / ٥٤).

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١ / ٤٣).

(٣) إنجيل تولستوي وديانته (خلاصة الأناجيل)، لاون تولستوي (ص: ٥٨-٥٩).

(٤) للمسيح في عقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٨).

(٥) قاموس الكتاب المقدس (ص: ١٢٢).

(٦) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١ / ٣٨).

(٧) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١ / ٥٤).

برنابا في مقدمة إنجيله إلى خلافة مع بولس، فقال: «إن الله العظيم .. قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنيه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، ومجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعتة أثناء معاشرتي ليسوع»^(١).

وقد ورد ذكر الخلاف بين بولس وبرنابا في أسفار العهد الجديد الذي يعترف به النصارى اليوم، وأنه حصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر^(٢).

وقد كان برنابا من أتباع المسيح، ويعمل للتبشير بالنصرانية حسب اعتراف النصارى، فهو ركن من أركان الديانة في عهدها الأول، وفي سنة ١٩٠٨م قام د. خليل سعادة -وهو نصراني لبناني عاش في مصر- بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن النسخة الإيطالية، وترجمتها الإنجليزية، وقام بنشره الشيخ محمد رشيد رضا في دار المنار^(٣).

وهذا الإنجيل يتضمن مخالفات للأناجيل المعتمدة عند النصارى، أهمها أربعة:

الأول: تقريره أن المسيح عبد الله ورسوله، وليس بآله أو ابن إله.

الثاني: أن الذبيح الذي تقدم به الخليل هو إسماعيل وليس إسحاق كما تقول التوراة المحرفة.

الثالث: تصريحه ببيشارة عيسى -عليه السلام- بنينا محمد ﷺ مرات عديدة.

الرابع: أن المسيح لم يصلب، بل ألقى شبهه على يهوذا الإسخريوطي^(٤).

٥- مجهولية مؤلفي الأناجيل:

إنجيل متى: أول إنجيل بحسب ترتيب كتابهم المقدس لديهم هو إنجيل متى، ومؤلفه مجهول، يقول البرفسور هارنج: «إن إنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما»^(٥)، وجاء في مقدمة الرهبانية اليسوعية لإنجيل متى: «أما المؤلف، فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً وأقدم تقليد كنسي (بابياس أسقف هيرابوليس في النصف الأول

(١) إنجيل برنابا. المقدمة (١: ٨). (ص: ٩٣). ترجمة: د. خليل سعادة.

(٢) ينظر: أعمال الرسل (١٥: ٣٦).

(٣) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج (ص: ٢٨٧).

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ٥٩-٦١).

(٥) هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٦٣).

من القرن الثاني) ينسبه إلى الرسول متى^(١)، ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم، فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه^(٢)، ويقول القس فهميم عزيز عن كاتب متى المجهول: «لا نستطيع أن نعطيه اسماً، وقد يكون متى الرسول، وقد يكون غيره»^(٣)، وقال فاستس: «إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه»^(٤)، وقال البروفيسور الجرمني: «إن هذا الإنجيل كله كاذب»^(٥)، ويرى فينتون مفسر هذا الإنجيل أن ربط مؤلف هذا الإنجيل شخصيته بهذا التلميذ خيال محض^(٦).

ويقول الشيخ رحمت الله الهندي: «الإنجيل الذي ينسب إلى متى الآن - وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم - ليس من تصنيفه يقيناً، بل ضيعوه بعدما حرفوه»^(٧).

ومما يثبت أنه ليس من تصنيفه أيضاً ما جاء في إنجيل متى نفسه، وهو قوله: «وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني»^(٨)، فكيف يكون الكاتب هو متى وهو يقول: رأى إنساناً اسمه متى؟!

إنجيل مرقس: والإنجيل الثاني هو إنجيل مرقس، وأقدم ذكر لهذا الإنجيل ورد على لسان المؤرخ بايباس (١٤٠م) حين قال: «إن مرقس سجل جميع الأشياء التي تذكروها من أقوال المسيح وأعماله، وذلك لأنه لم يسمع الرب، ولا كان من أتباعه، ولكنه اتبع بطرس فيما بعد»^(٩).

وهو أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة، وتقول دائرة المعارف البريطانية: «القول بأن متى ولوقا قد اتخذوا من إنجيل مرقس مصدرًا لهما يكاد يكون مسلمًا به»^(١٠).

ولا يُعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل، وذلك لأن هذا الاسم كان أكثر الأسماء

(١) يعنون بالرسول تلاميذ المسيح الذين أرسلهم المسيح للتبشير.

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٦٣).

(٣) مدخل إلى العهد الجديد، القس فهميم عزيز (ص: ٢٤٥).

(٤) إظهار الحق (٢/ ٥٣٨).

(٥) إظهار الحق (٢/ ٥٣٨).

(٦) انظر: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، د. محمد الشرقاوي (ص: ١٧١).

(٧) إظهار الحق (٢/ ٥٣١).

(٨) إنجيل متى (٩: ٩).

(٩) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٨٥٤).

(١٠) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، د. محمد الشرقاوي (ص: ١٦٣).

دراسات في الأديان

اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية^(١)، ولذا فقد ساد الشك في تحديد شخصيته، «وإن كان الرأي الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه، ومع ذلك يرى د. جرانث أن هذا الرأي الشائع من الموروثات الغربية»^(٢)، وينقل د. موريس بوكاي عن كولمان (باحث لاهوتي) قوله: «إن هناك كثيراً من تراكيب الجمل [و هذا الإيجاز] تدعم الفرض القائل بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل»^(٣)، بل شكوا حتى في معرفته بالتأليف، يقول موريس بوكاي: «إن مرقس - كما قال الأب روغيه - كاتب غير ماهر، إنه أسخف الإنجيليين طراً، إنه لا يعرف مطلقاً تأليف قصته»^(٤).

وإضافة لذلك فقد امتدت يد التحريف لهذا الإنجيل حتى اختلفت نسخه المخطوطة جداً، يقول دنيس نينهام في تفسيره لإنجيل مرقس: «لقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد، ومن بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس والتي لا تزال باقية حتى اليوم لا نجد أي نسختين تتفقان تماماً»^(٥)، ويقول د. موريس بوكاي بعد أن ساق اعترافات علماء اللاهوت التي تثبت تحريفه: «فيا له من اعتراف لا عوج فيه عن وجود الممارسة البشرية في نصوص الكتابات المقدسة»^(٦).

إنجيل لوقا: وأما ثالث هذه الأناجيل فهو إنجيل لوقا وهو أطول الأناجيل حيث يشتمل على ٢٤ إصحاحاً كلها - باستثناء الإصحاحين الأولين الذين يتحدثان عن النبي يحيى - في سيرة المسيح من ولادته إلى قيامه بعد صلبه - حسب زعمهم -، ويلف الغموض شخصية لوقا، فهو غير معروف البلد ولا المهنة ولا الجهة التي كتب لها إنجيله تحديداً، ولا تاريخ الكتابة، والمعروف فقط أنه من تلاميذ بولس، وأنه لم يلق المسيح، فكيف يصح الاحتجاج بمن هذا حاله، وكيف يجعل كلامه مقدساً؟!^(٧).

ويكفي النظر في مقدمة هذا الإنجيل لمعرفة أنه ليس من القداسة بسبيل، يقول لوقا في مقدمة إنجيله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخذاماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية (ص: ٥٢).

(٢) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٦٥-١٦٦).

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٨٧).

(٤) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٨٥).

(٥) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (ص: ٥٥).

(٦) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٨٧).

(٧) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٧٠-٧٢).

الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عَلِّمْتَه»^(١)، فهو يكتب قصة كما فعل كثيرون، لا يجمع وحيًا جاء به المسيح من عند الله، وهذه القصة يكتبها لرجل يدعى ثاوفيلس، وهو مجهول الهوية، يقول الدكتور فريدريك جرانت: «لم نخطر بمن يكون ثاوفيلس هذا، وقد يمكن افتراضه موظفًا رومانيًا»^(٢)، ثم هو يكتب هذه القصة محاكاة لآخرين كتبوا أمثالها، ولم يعرفنا من هؤلاء، ولذلك يقول فريدريك جرانت: «لم نخطر بمن أولئك الذي أخذوا في تأليف قصص مماثلة (أناجيل)»^(٣)، ثم هو «يقدر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي، حيث إنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق»^(٤).

ويتساءل موريس بوكاي قائلًا: «من هو لوقا؟ لقد أريد تعريفه بأنه طبيب حامل لهذا الاسم، ذكره بولس في بعض رسائله، والترجمة المسكونية تشير إلى أن الكثيرين قد تأكدوا من المهنة الطبية لكاتب الإنجيل من دقة وصفه للمرضى، وهذا التقدير مبالغ فيه؛ لأن لوقا لم يعط وصفات من هذا النوع بالذات، والمفردات التي يستعملها هي ذاتها التي يستعملها كل إنسان مثقف في زمانه»^(٥).

إنجيل يوحنا: وأما رابع هذه الأناجيل فهو إنجيل يوحنا، وقد شكك كثير من علماء اللاهوت النصارى في نسبة الإنجيل إليه، والشواهد في ذلك كثيرة، منها: يقول د. إبراهيم خليل (القس المهتدي، وأستاذ علم اللاهوت سابقًا): «لاهوت المسيح وأزليته مؤكدة في هذا الإنجيل وحده بالرغم من أن يسوع المسيح لم يدَّع ذلك شخصيًا ... ولا يوجد عالم من العلماء المتحررين من يعتبر هذا الإنجيل من أعمال يوحنا؛ لأنه وفقًا لكتابات وأقوال بعض العلماء والباحثين قد مات شتقًا بواسطة أغريباس الأول عام ٤٤ من العصر المسيحي قبل مدة طويلة سابقة لتاريخ تدوين الإنجيل الرابع»^(٦)، ويتساءل القس فهيم عزيز قائلًا: «من هو الذي كتب إنجيل يوحنا؟ هذا السؤال صعب، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالبًا ما تنتهي بالعبارة: لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل»^(٧)، وينقل الشيخ محمد

(١) إنجيل لوقا (١: ١-٤).

(٢) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٨٣).

(٣) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٨٣).

(٤) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٨٢).

(٥) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٨٨).

(٦) الغفران بين المسيحية والإسلام (ص: ١٧-١٨) بتصرف يسير.

(٧) مدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز (ص: ٥٤٦).

أبو زهرة عن استاذلين قوله: «إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية»^(١)، ويقول القس الهندي بركة الله في كتابه (لواء الصليب وتزوير الحقائق): «الحق أن العلماء باتوا لا يعترفون دونما بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدي الرسول، ونرى النقاد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية»^(٢).

ويبدو أنه وضع لتأييد أخطر عقيدة في الديانة النصرانية وهي ألوهية المسيح، والذي انفرد هذا الإنجيل بتقريرها، ولذا جاء في (قاموس الكتاب المقدس): «كان الداعي إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح»^(٣).

ولهذا اتفق المحققون على أنه إنجيل مزور، تقول دائرة المعارف البريطانية: «أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة حوارين لبعضهما، وهما القديسان متى ويوحنا، وإنما لنزاف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي أُلّف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخطبهم على غير هدى»^(٤).

ثم إن هذا الكتاب المزور قد أضيف عليه زيادة على أصله، يقول كيرؤتيس: «إن هذا الإنجيل كان عشرين بابًا فألحقت كنيسة (أفسس) الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا»^(٥)، وأيضًا فبينه وبين الأناجيل الثلاثة تناقضات واختلافات كثيرة، يقول موريس بوكاي: «إن قيمة أخبار يوحنا كانت موضع جدال، والخلافات مع الأناجيل الثلاثة الأخرى بارزة»^(٦)، وتقول دائرة المعارف الأمريكية: «إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة، إن الاختلاف بينها عظيم، بحيث إنه لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقًا بها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا»^(٧).

(١) محاضرات في النصرانية (ص: ٥٠).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٧٦).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص: ١١٠).

(٤) هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٧٦).

(٥) إظهار الحق (١/ ١٥٦).

(٦) التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٩١).

(٧) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٥١).

٦- تناقض واختلاف متونها:

تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن مقتبسات آباء الكنيسة من العهد الجديد -والتي تغطي كله تقريبًا- تُظهر أكثر من مائة وخمسين ألفًا من الاختلافات بين النصوص»^(١). ويقول شميت: «لا توجد صفحة واحدة من الأناجيل العديدة لا يحتوي نصها الأقدم على اختلافات عديدة»^(٢).

ويقول الدكتور جورج كيرد (رئيس الجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس): «إن أول نص مطبوع من العهد الجديد كان ذلك الذي قدمه أرازموس عام ١٥١٦ وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدي مجهدة لكثيرة كثيرين، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش، إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافًا كبيرًا، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ، ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسختها الأصلية، إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائمًا إعادة القراءة الصحيحة»^(٣).

وهذه الشهادات الصادرة عن علماء النصارى هي ما كشفه علماء المسلمين من قبل، يقول ابن القيم: «أما الإنجيل فهو أربعة أناجيل، أخذت عن أربعة نفر، اثنان منهم لم يريا المسيح أصلًا، واثنان رأياه واجتمعا به، وهما متى ويوحنا، وكل منهما يزيد وينقص، ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء، وفيها ذكر القول ونقيضه»^(٤).

ويقول نصر بن يحيى (الذي كان نصرانيًا فأسلم): «اختلف الأربعة الذين جمعوا الإنجيل وزادوا ونقصوا»^(٥)، ثم ذكر عددًا من الشواهد في ذلك.

وهذا التناقضات البينة والاختلافات الظاهرة يثبت على سبيل اليقين أنها ليست من عند الله، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

(١) هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ١٨).

(٢) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٣) الكتاب المقدس في الميزان، محمد عبد السلام (ص: ٩٤).

(٤) هداية الحيارى (٢/ ٢٤٦).

(٥) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى المتطلب (ص: ٨٣)، تحقيق: د. محمد الشرفاوي، بتصرف.

أمثلة من التناقضات والاختلافات:

ومن أمثلة التناقضات^(١): اختلاف الأناجيل في أسماء التلاميذ الاثني عشر، إذ يقدم العهد الجديد أربع قوائم للتلاميذ الاثني عشر تختلف كل واحدة عن الأخرى^(٢).

ومن تناقضات الأناجيل ما جاء في متى أن المسيح «تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنها وسجدت، وطلبت منه شيئاً، فقال لها: ماذا تريدان؟ قالت له: قل: أن يجلس ابناي هذان، واحد عن يمينك، والآخر عن اليسار في ملكوتك، فأجابها يسوع: لستما تعلمان ما تطلبان...»^(٣)، وفي إنجيل مرقس: «وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين: يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما تطلبنا، فقال لهما: ماذا تريدان أن أفعل لكما؟ فقالا له: أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك، والآخر عن يسارك في مجدك. فقال لهما يسوع: لستما تعلمان ما تطلبان...»^(٤)، فهنا نجد أن التلميذين نفسيهما يطلبان من يسوع، بينما في متى أمهما هي التي تطلب منه.

ويذكر يوحنا أن الكهنة واللاويين أرسلوا إلى يوحنا المعمدان ليسألوه: «من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر إني لست المسيح، فسألوه: إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا»^(٥)، لكن متى يذكر أن المسيح قال بأن يوحنا المعمدان هو إيليا: «الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه ... وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزعم أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع»^(٦)، فلزم من هذا التناقض تكذيب أحد النبيين أو تكذيب كنية الأناجيل، وهو الصحيح.

ومن التناقضات ما جاء في الأناجيل من موعظة المسيح الطويلة لتلاميذه، والتي عزی فيها الفقراء والجياع، وتهديد الأغنياء والمتخمين، لكنهم اختلفوا في الموضوع الذي كانت فيه الموعظة، ففي متى: «ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه...»^(٧)، فمتى يرى أن الموعظة كانت على الجبل، وهو ما يخالفه فيه لوقا، الذي يجعل الموعظة في

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص: ١٩٠) وما بعدها.

(٢) انظر: إنجيل متى (١٠: ٤-١). إنجيل مرقس (٣: ١٤-١٩). إنجيل لوقا (٦: ١٤-١٦) أعمال الرسل (١: ١٣).

(٣) إنجيل متى (٢٠: ٢٠-٢٢).

(٤) إنجيل مرقس (١٠: ٣٥-٣٨).

(٥) إنجيل يوحنا (١: ١٩ - ٢١).

(٦) إنجيل متى (١١: ٩-١٥).

(٧) إنجيل متى (٥: ١).

سهل، لا في الجبل، فيقول: «ونزل معهم، ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه...»^(١).

وذكر د. روبرت كيل تسلر (أستاذ القانون بجامعة زيوريخ بسويسرا) شواهد كثيرة من التناقضات والاختلافات، ومن ذلك^(٢):

نسب يسوع تبعًا لما جاء في متى (١: ١-١٧) ولما جاء في لوقا (٣: ٢٣-٣٨) نسبان مختلفان، كذلك يرى غير رجال الدين استحالة تطابقهما، فعند متى نجد (٤١) جيلًا، بينما نجد عند لوقا (٥٦)، كذلك كان يسوع من نسل سليمان أحد أبناء داود في (متى ١: ٦) بينما نجد عند لوقا (٣: ١٣) أنه من نسل داود عن طريق ابنه ناثان، ولا يمكن أن يكون كلاهما جدًّا يسوع في نفس الوقت، كذلك لا يتفق اسم أبي يوسف في النسبين، ففي أحدهما يدعى هالي (لوقا ٣: ٢٣) وعند الآخر يدعى يعقوب (متى ١: ١٦).

وتبعًا للأمر المذكور عن يسوع بشأن التعميد في (متى ٢٨: ١٩) ينبغي أن يعمد الناس باسم الآب والابن والروح القدس، وقد كانت قبل ذلك بقليل عند (لوقا ٢٤: ٤٧) وبعد ذلك في (أعمال الرسل ٢: ٣٨) أن يعمد الناس باسم يسوع.

ويرى إنجيل يوحنا (١: ١٨) أن الله لم يره أحد قط، إلا أن سفر التكوين (٣٣: ١١) يرى أن موسى تكلم مع الله وجهًا لوجه.

كذلك يرى إنجيل يوحنا (٣: ١٣) أنه لم يصعد أحد قط إلى السماء إلا يسوع، إلا أن سفر الملوك الثاني (٢: ١١) يرى أن إيلياء قد صعد حيًّا إلى السماء، وكذلك أختوخ في سفر العبرانيين (٥: ١١) وسفر التكوين (٥: ٢٤).

ويبحث علماء الكتاب المقدس منذ زمن بعيد دون جدوى عن حل للتناقض القائم بين الأناجيل الثلاثة المتشابهة بشأن موت يسوع يوم السبت الموافق ١٥ نيسان (مقس ١٤: ١٢، ١٥: ١، ومتى ٢٦: ١٧، ٢٧: ١، وأيضًا لوقا ٢٢: ٧، ٢٢: ٢٦) وبين إنجيل يوحنا الذي يؤكد أن يسوع قد مات يوم الجمعة الموافق ١٤ نيسان (يوحنا ١٣: ١، ١٩: ٤١، ١٩: ٣١)، وهذا لا يتفق على الإطلاق مع مفهوم الوحي المطلق للكتاب، كما أنهم لم يتفقوا على ساعة موته.

(١) إنجيل لوقا (٦: ١٧).

(٢) انظر: حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت، د. روبرت كيل تسلر (ص: ٤٥) وما بعدها، ترجمة: علاء أبو بكر.

وصعد يسوع إلى السماء عند لوقا (٢٤: ٥٠ وما بعدها) في أيام الفصح، وكان مكان صعوده بالقرب من بيت عنيا، وتبعاً لأعمال الرسل (١: ٣ وما بعدها) فقد صعد إلى السماء بعد (٤٠) يوماً وكان آنذاك على جبل الزيتون.

ومن التناقضات في سفر أعمال الرسل مقارنة بالأسفار الأخرى التي يحتويها العهد الجديد أنه تبعاً لسفر أعمال الرسل (٩) تقابل بولس مع الحواريين الآخرين بعد قليل من اعتناقه لديانة يسوع أثناء رحلته إلى دمشق، وكان ذلك في أورشليم، بينما لم يسافر إلى أورشليم تبعاً لسفر غلاطية (١: ١٨) إلا بعد ذلك بثلاث سنوات.

ومن أبرز التناقضات: الرسالة إلى أهل رومية (٤: ٣ وما بعدها) وفيها يقول بولس: «إن الإنسان يتبرر فقط بالإيمان دون الأعمال»، ويقابله في رسالة يعقوب (٢: ٢٣ وما بعدها): «ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» وهذه التعاليم لا يمكن أن ينشأ عنها فكرة واحدة أو مبدأ مذهبي ذو معنى واحد^(١).

وظاهرة التناقض والاختلاف في كتابهم الذي يصفونه بالمقدس مشهورة ثابتة، وقد أشار إليها علماء الإسلام من قبل.

وقد ذكر الإمام ابن القيم أمثلة لهذه التناقضات، ومن ذلك: «أنه قال: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة، ولكن غيري يشهد لي)^(٢)، وفي موضع آخر منه: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب)^(٣).

وفيه: أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال: (قد جزعت نفسي الآن فماذا أقول؟ يا أبتاه سلمني من هذا الوقت)^(٤)، وأنه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً وقال: (يا إلهي! لم أسلمتني؟!)^(٥)، فكيف يجمع هذا مع قولكم: إنه هو الذي أسلم نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده، حتى فداهم بنفسه من الخطايا ... وكيف يجزع إله العالم بذلك؟ وكيف يسأل السلامة منه، وهو الذي اختاره ورضيه؟! وكيف يشتد صياحه ويقول: (يا إلهي، لم أسلمتني؟! وهو الذي أسلم نفسه؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه، وإنزاله صاعقة على الصليب وأهله؟! أم كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود؟!)

(١) انظر: حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت. د. روبرت كيل تسلا (ص: ٦٥).

(٢) انظر: إنجيل يوحنا (٥: ٣١-٣٢).

(٣) انظر: إنجيل يوحنا (٨: ١٤-١٥).

(٤) انظر: إنجيل متى (٢٦: ٣٨-٣٩).

(٥) انظر: إنجيل متى (٢٧: ٤٦).

وفيه أيضًا: أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهاناً أنه المسيح، فقال: (تهدمون هذا البيت - يعني بيت المقدس - وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا له: بيت مبني في ست وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام)^(١)، ثم ذكرتم في الإنجيل أيضًا: أنه لما ظفرت به اليهود وحمل إلى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة، أن شاهدي زور جاءا إليه وقالا: (سمعناه يقول: أنا قادر على بناء بيت المقدس في ثلاثة أيام)^(٢)، فيالله العجب، كيف يدعي أن تلك معجزته، ويدعي أن الشاهدين عليه بما شاهدا زور؟!!

وفيه أيضًا للوقا: أن المسيح قال لرجلين من تلامذته: (اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتماه فستجدان فُلُوقًا مربوطًا لم يركبه أحد فحلاه وأقبلا به إلي)^(٣)، قال: وفي إنجيل متى في هذه القصة أنها كانت حمامة متبعة^(٤).

وفيه أنه قال: (لا تحسبوا أنني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لأصلحهم، لكن لألقي الحمارية بينهم، إنما قدمت لأفرك بين المرء وابنه، والبنات وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته)^(٥)، ثم فيه أيضًا: (إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرًا، وأصلح بين الناس)^(٦)، وأنه قال: (من لطم خدك الأيمن فانصب له الأخرى)^(٧)، وفيه أيضًا أنه قال: (طوبى لك يا شمعون - رأس الجماعة-، وأنا أقول: إنك الحجر، وعلى هذا الحجر تبنى بيعتي، وكل ما أحلته في الأرض يكون محلا في السماء، وما عقده على الأرض يكون معقودا في السماء)^(٨)، ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له: (اذهب عني يا شيطان ولا تعارض، فإنك جاهل، فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السماوات)^(٩).

وفي الإنجيل نص أنه (لم تلد النساء مثل يحيى)^(١٠)، هذا في إنجيل متى، وفي إنجيل يوحنا: أن اليهود بعثت إلى يحيى من يكشف عن أمره: (من أنت؟ أهو المسيح؟ قال: لا، قالوا: أترك

(١) انظر: إنجيل يوحنا (٢: ١٨-٢٠).

(٢) انظر: إنجيل متى (٢٦: ٦١).

(٣) انظر: إنجيل لوقا (١٩: ٣٠).

(٤) انظر: إنجيل متى (٢١: ٢).

(٥) انظر: إنجيل متى (١٠: ٣٤).

(٦) انظر: إنجيل يوحنا (٥: ٣٨-٣٩).

(٧) انظر: إنجيل متى (٥: ٣٩).

(٨) انظر: إنجيل متى (١٦: ١٧-١٨).

(٩) انظر: إنجيل متى (١٦: ٢٣).

(١٠) انظر: إنجيل متى (١١: ١١).

إلياس؟ قال: لا، قالوا: أنت النبي؟ قال: لا، قالوا: أخبرنا من أنت؟ قال: أنا صوت مناد في المفاوز^(١)، ولا يجوز لني أن ينكر نبوته فإنه يكون محرمًا بالكذب.

ومن العجب أن في إنجيل متى نسبة المسيح إلى أنه ابن يوسف، ثم إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا، ثم نسبه لوقا أيضا في إنجيله إلى يوسف، وعدَّ منه إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا، فبينا هو إله تام إذ صبروه ابن الإله، ثم جعلوه ابن يوسف النجار.

والمقصود أن هذا الاضطراب في الإنجيل يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعًا، ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله، بل الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله^(٢).

٧- شهادة كتابهم على بطلان دعوى الوحي والإلهام:

وأما دعواهم أن العهد الجديد كتب بإلهام ووحى من الله، فهي دعوى باطلة تنقضها نصوص صريحة من العهد الجديد نفسه، فقد جاء في إنجيل لوقا: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو -على ما كان يُظنُّ- ابن يوسف بن هالي بن مَثَث...»^(٣)، فكيف يكون وحيًا وإلهامًا وهو مبني على الظن والتخمين في معرفة نسب المسيح؟! ثم كيف يكون يسوع إلهًا وهو ابن يوسف بن هالي... إلخ؟!!

وقد سبق نقل مقدمة لوقا لإنجيله، وأنه أراد تأليف قصة كما فعل كثيرون، ولم يرد أن يجمع وحيًا جاء به المسيح من عند الله، وأنها رسالة شخصية كتبها لرجل يدعى ثاوفيلس، وليست شريعة لعموم الناس.

ويقول بولس عن المتزوج بغير المؤمنة: «أقول لهم أنا، لا الرب...»^(٤)، فهو ينسب الكلام إلى نفسه، لا إلى الرب، ويقول أيضًا: «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنّ، ولكنني أعطي رأياً»^(٥)، فهو رأي بشر لا وحي إلهي، وهذا وغيره يدل على أنها نصوص لا صلة لها بالوحي.

ويقول بولس أيضًا وهو ينفي عن كلامه صفة القداسة: «أقول أيضًا: لا يظن أحد بي أني

(١) انظر: إنجيل يوحنا (١: ١٩-٢٣).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٤٢٦-٤٢٩).

(٣) إنجيل لوقا (٤: ٢٣-٢٤).

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (٧: ١٢).

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (٧: ٢٥).

غبي، وإلا فاقبلوني ولو كغبي ... الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة، في جسارة الافتخار هذه»^(١)، وفي موضع آخر يصف نفسه باختلال العقل، فيقول: «أقول كمُخْتَلِّ العقل ...»^(٢)، فأبي قدسية لمن يتكلم كغبي أو كمختل العقل!؟

كما أن هناك نصوصًا في رسائل بولس يظهر منها بجلاء أنها مجرد رسائل شخصية لا تمت إلى الوحي بصله، ومن أمثلة ذلك قوله: «تسليم عليكم كنائس آسيا، يسلم عليكم ... أكيلًا وبريشكيلًا ... يسلم عليكم الإخوة أجمعون، سلّموا بعضكم على بعض بقُبلة مقدسة، السلام بيدي أنا بولس»^(٣)، ويسجل بولس مشاعره الحميمة لصديقه تيموثاوس في مطلع رسالته إليه، فيقول: «إلى تيموثاوس الابن الحبيب ... أذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلاً ونهارًا، مشتاقًا أن أراك، ذاكرا دموعك لكي أمتلي فرحًا، إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولًا في جدتك لوثيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضًا»^(٤)، ثم يسجل بعض طلباته الشخصية، ويطلب منه أن ينقل سلامه إلى بعض أصدقائه، ثم يخبر صديقه تيموثاوس بأخبارهم في كورنثوس، فيقول: «الرداء الذي تركته في ترواس عند كارنوس أحضره متى جئت، والكتب أيضًا ولا سيما الرُفوق ... سلّم على فرسكا وأكيلًا وبيت أنيسيفورس. أراسثس بقي في كورنثوس، وأما ثروفيمس فتركته في ميليسس مريضًا. بادر أن تجيء قبل الشتاء»^(٥).

وفي رسالة يوحنا الثانية: «يسلم عليك أولاد أختك المختارة»^(٦)، وفي الرسالة الثالثة يرسل يوحنا المزيد من السلام لأحابيه: «إلى غايس الحبيب الذي أنا أحبه بالحق. أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحًا وصحيحًا ... أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فمًا لقم. سلام لك، يسلم عليك الأحباء، سلّم على الأحباء بأسمانهم»^(٧).

ولذا يقول تولستوي: «الغريب أن مبتدعي تلك التعاليم يدعون أنهم يكتبون بإلهام الروح القدس الذي حلّ على الرسل، ولا يزال يحلّ على مفسري الكتاب الكذبة، ومع تماديبهم في الادعاء فإنهم لا يستطيعون إقامة برهان واحد على صحة دعواهم يوضحون لنا ماهية

(١) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (١١: ١٦-١٧).

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣).

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٦: ١٩-٢٠).

(٤) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (١: ٣-٥).

(٥) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤: ١٣، ١٩-٢١).

(٦) رسالة يوحنا الثانية (١: ١٣).

(٧) رسالة يوحنا الثالثة (١-٢، ١٤-١٥).

الوحي، ويكشفون لنا النقاب عن هو الروح القدس، بل ما زالوا يغررون بالناس ويدعون أنفسهم كواكب الكنيسة المسيحية، والأنكى من ذلك أن حيلتهم انطلت على البشر مدة عشرين جيلاً»^(١).

المصدر الثالث: التقليد:

وهو المصدر الثالث الذي تؤمن به أكثر الطوائف النصرانية، أما طائفة البروتستانت فلا يؤمنون بالتقليد، ويعتمدون على كتابهم المقدس عندهم.

تعريفه: التقليد عندهم هو كل ما وصل إليهم من عقائد وشرائع وطقوس مما لم يذكر في كتابهم الذي يسمونه الكتاب المقدس. حيث يقولون: يدخل في التقليد «كل التراث الذي تركته الأجيال السابقة للكنيسة، كل ما تركه الآباء الرسل، وآباء الكنيسة الأول، والمجامع المقدسة، والقوانين والنظم الكنسية، وما في الكنيسة من طقوس ومن نظم، وما أخذناه من تعليم شفاهي عبر هذه الأجيال الطويلة كلها»^(٢)، وهو باب وضعه لأنفسهم ليدخلوا منه إلى وضع ما يشاؤون من معتقدات وعبادات.

يقول الأنبا غريغوريوس: «التقليد في الاصطلاح الكنسي هو تعاليم الكنيسة وترتيباتها ونظم عبادتها وطقوسها التي وصلت إلينا غير مذكورة في الكتاب المقدس»^(٣).

ويقول البابا شنودة الثالث: «التقليد هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، غير الكلام الذي ترك لنا كتابة في الكتاب المقدس»، ثم يقول عن مضامينه بأنها «موضوعات ربما لم تذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في شيء ما، والبروتستانت لا يؤمنون بالتقليد، ولا يلتزمون إلا بالكتاب المقدس، وبهذا الوضع يتكون كل التراث الذي تركته الأجيال السابقة للكنيسة»^(٤).

منزله: يقول الأنبا غريغوريوس: «إن التقليد المقدس من أهم التعاليم التي تعنى بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتعتمد عليه كما تعتمد على الكتاب المقدس في إثبات تعاليمها وعقائدها وطقوسها ونظم عبادتها»^(٥).

(١) إنجيل تولستوي وديانته (ص: ٦٤).

(٢) اللاهوت المقارن. البابا شنودة الثالث (١ / ٥٠).

(٣) التقليد المقدس (ص: ٨). وانظر: التقليد. القس انجيلوس جرجس (ص: ١١).

(٤) اللاهوت المقارن (١ / ٥٠).

(٥) التقليد المقدس (ص: ٥)، وانظر: اللاهوت المقارن (١ / ٦١).

أمثله: تقديس يوم الأحد، ورسم الصليب، وشريعة الزوجة الواحدة، والصلاة على الراقدين^(١)، يقول الأنبا غريغوريوس: «من التقاليد التي تسلمتها الكنيسة وحافظت عليها كوديعة جزيئة الثمن بمنتهى الإجلال والاعتبار: إبدال السبت بالأحد، ومعمودية الأطفال، ووظيفة الأشابين^(٢)، والتثليث، وطقوس وممارسة الأسرار^(٣)، والمعمودية وكيفية إتمامها كتغطيس المعتمد ثلاث مرات، وكجحد الشيطان في المعمودية، والخطبة والإكليل في الزواج، ثم القداس الإلهي، وكيفية بناء كنيسة العهد الجديد والأصوام والأعياد، ورسم علامة الصليب، والاتجاه نحو الشرق في الصلاة، واستعمال المزامير في العبادة، ومزج الخمر بالماء في القداس، وغير هذا من تعاليم وطقوس مما تباشره الكنيسة المقدسة وفقاً لأوامر الدسقولية^(٤)»^(٥).

نقد التقليد:

وضعهم لما يسمونه (التقليد) كمصدر للتلقي يدل على أنهم أرادوا أن ينسبوا للمسيح ما يشاؤون، ويضعوا من المعتقدات والعبادات ما يريدون، ويقولون: هذا تركته الأجيال السابقة، كحال أهل الجاهلية الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(٦) الخ: ١٢٣، مع أن في كتابهم ما يبطل تقليدهم، فقد أنكر المسيح على اليهود مخالفة وصية الله بسبب التمسك بالتقليد، جاء في إنجيل متى: «حينئذ جاء إلى يسوع كبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟ فأجاب: وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟»^(٦).

وحذر بولس أهل كولوסי من الذين يخدعونهم بحسب تقليد الناس، فقال: «انظروا أن لا يكون أحد يسيبكم بالفلسفة وبغورور باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح»^(٧).

كما جاء في كتابهم المقدس أيضاً الأمر بعدم الزيادة والنقصان على ما جاء في الكتاب من

(١) اللاهوت المقارن (١/ ٦١) باختصار.

(٢) مصطلح الإشبين يطلق على الشخص الذي تكلفه الكنيسة برعاية المعمد روحياً ودينياً.

(٣) هي طقوس كنيسية مقدسة، وهي سبعة: سر المعمودية. سر الميرون (الطيب المقدس)، وسر الشكر (العشاء الرباني)، وسر التوبة، وسر مسح المرضى، وسر الزواج. وسر الكهنوت. لمزيد من التفصيل انظر: أسرار الكنيسة السبعة. حبيب جرجس.

(٤) أي: تعاليم الرسل.

(٥) التقليد المقدس (ص: ٩).

(٦) إنجيل متى (١٥: ١-٣).

(٧) رسالة بولس إلى أهل كولوסי (٢: ٨).

وصايا، ففي سفر التثنية جاء قول موسى النبي: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيتكم به ولا تنقصوا منه، لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها»^(١)، وقال يوحنا الرائي: «لأنني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب: إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب»^(٢)، ولهذا يقول تولستوي: «إن الشروح التي علقتها الكنيسة على تعاليم المسيح وشروح الرسل مع الإضافات التي أدخلها آباء الكنيسة في المجامع كلها هذيان وبهتان وكذب محض واختلاق ظاهر»^(٣).

(١) سفر التثنية (٤: ٢).

(٢) رؤيا يوحنا (٢٢: ١٨).

(٣) إنجيل تولستوي (ص: ٥٤).

المبحث الخامس:

عقائد النصرانية

لقد بعث الله عيسى -عليه السلام- كسائر أنبياء الله ورسله بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولكن العقيدة النصرانية التي نسبوها إلى عيسى -عليه السلام- أصبحت بعد تحريفها خليطاً من الوثنية الرومانية والهندية والفلسفة اليونانية، والتحريف اليهودي.

والذي يتحمل كبر إفساد دين النصارى هو بولس اليهودي، وهو من أشهر كتبة العهد الجديد، وأهم الإنجيليين على الإطلاق، فقد كتب أربع عشرة رسالة تقارب النصف من صفحات العهد الجديد، وفيها فقط نجد العديد من العقائد النصرانية، بحيث يمكن القول: إنه مؤسس النصرانية وواضع عقائدها، وهو الوحيد الذي ادعى النبوة دون سائر الإنجيليين^(١)، ومن أهم عقائدهم:

١- التثليث:

جاء في قاموس الكتاب المقدس تلخيص وشرح هذه العقيدة في خمس نقاط:

أولاً: الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

ثانياً: هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.

ثالثاً: هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً، بل أبدي وحقيقي.

رابعاً: هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.

خامساً: الشخصيات الثلاث: الأب، والابن والروح القدس متساوون^(٢).

ومجمل ذلك: أن الله -تعالى عما يقولون- عبارة عن ثلاثة آلهة متساوية ومنفصلة عن بعضها

وأبدية، وهي: الأب والابن والروح القدس، وهذه الثلاث -بحسب زعمهم- جوهر واحد،

وهذا تناقض ظاهر، فكيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة؟!!

ويوضح التناقض الظاهر في هذه العقيدة الشيخ إبراهيم خليل أحمد الذي كان من كبار

علماء النصارى ثم هداه الله إلى الإسلام، فيقول: «إن عقيدة التثليث هي أنه يوجد ثلاثة

أشخاص آلهة منفصلة وتمييزة في الثالوث الأقدس، هي: الله الأب، الله الابن، الله الروح

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله (ص: ٣٩).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٢٣٢).

القدس، وقانون الإيمان الأنثاسيوسي يقرر: يوجد شخص واحد للآب وآخر للابن وآخر للروح القدس، ولكن الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس هؤلاء واحد متساوون في المجد، متساوون في الأزلية، الآب هو الله، الابن هو الله، الروح القدس هو الله، ومع هذا فليسوا بثلاثة آلهة ولكن إله واحد... وهذا بكل وضوح تناقض ذاتي، إن مثل هذا كمثل أن تقول: «١=١+١+١»^(١).

ويستند النصارى في اعتقادهم بالتثليث إلى بعض النصوص في كتابهم المقدس، فمن ذلك ما جاء في إنجيل متى: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»^(٢)، وفي أعمال الرسل: «فلتعلم يقينًا بيت إسرائيل أجمع، أن يسوع هذا الذي صلبتموه قد جعله الله ربًا ومسيحًا»^(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصرح ما عندهم من التثليث، هو قوله: (عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس)، وعلى هذا القول بنوا قولهم بالتثليث، وأثبتوا لله ثلاثة أقانيم. ولفظ الأقانيم لم ينطق به أحد من الأنبياء، ولا أحد من الخواريين باتفاقهم، بل هو مما ابتدعه، قيل: إنه لفظ رومي معناه: الأصل، ثم أقنوم الابن تارة يقولون: هو علم الله، وتارة يقولون: هو حكمة الله، وتارة يقولون: هو نطق الله، وروح القدس تارة يقولون: هو حياة الله، وتارة يقولون: هو قدرة الله. والكتب المنقولة عن الأنبياء عندهم ليس فيها تسمية شيء من صفات الله لا باسم ابن ولا باسم روح القدس، فلا يوجد أن أحدًا من الأنبياء سمى علم الله وحكمته وكلامه ابنا، ولا سمى حياة الله أو قدرته روح القدس، بل روح القدس في كلام الأنبياء يراد بها معنى ليس هو حياة الله، كما يراد بها ملك الله، أو ما ينزله في قلوب الأنبياء والصالحين من هداة ونوره وتأيدته، ونحو ذلك. وإذا كان كذلك، علم أن ما فسروا به قول المسيح -عليه السلام-: (عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس) كذب صريح عليه، وكذلك ما فسروا به كلام الأنبياء من إثبات الأقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم»^(٤).

ويقول ابن القيم: «بولس هو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت، وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق ومربوب لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال:

(١) الغفران بين الإسلام والمسيحية. إبراهيم خليل أحمد (ص: ٩٣-٩٤).

(٢) إنجيل متى (٢٨: ١٩)، وانظر: إنجيل يوحنا (١: ١). رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (١٣: ١٤).

(٣) أعمال الرسل (٢: ٣٦).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٤٢٧-٤٢٨).

بولس هذا - وهو أول من أفسد النصرى وأفسد دينهم - إن سيدنا عيسى مخلوق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، وصحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالخبية والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، وقال: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد»^(١).

وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم وأكفرهم بهذه المقالة، ورد عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (البقرة: ٧٣-٧٥)، وقال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ (النساء: ١٧١).

وتضمن هذه العقيدة القول بأن المسيح ابن الله - تعالى الله عن قولهم -، جاء في إنجيل متى: «قال لهم: ومن أنا في قولكم أتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي، فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس الدم واللحم كشف لك هذا، بل أبي الذي في السماوات»^(٢).

وقد رد الله عليهم دعواهم النبوة بقوله جل وعلا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (إبراهيم: ٨٨ - ٩٢).

جنود هذه العقيدة:

أشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى أن النصرانية اقتبست فكرة التثليث من الفلسفة اليونانية المتمتزة بالديانات الوثنية، وأن القول بالتثليث عند النصرى منشؤه السؤال الذي أثاره فلاسفة اليونان قديماً، وهو: إذا كان الله واحداً وحدة مطلقة، فكيف يمكن أن يخلق الكثرة

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصرى (٢/ ٥٤٨).

(٢) إنجيل متى (١٦-١٥).

المختلفة؟ وهو ما عبروا عنه بقولهم: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وكان أفلاطون أول من وجد حلاً لهذه المشكلة في عقيدة التثليث - حسب زعمه -، حيث جعل بين الله وبين العالم وسيطاً دونه في الكمال خارجين عنه، وهما: العقل، والروح الإلهية، فمزجت النصرانية هذه الفلسفة الأفلاطونية والوثنية الرومانية بالديانة الجديدة، فوضعوا ثلاثة أقانيم (الآب، الابن، الروح القدس)، لكنها عند النصارى متساوية في الرتبة، بينما عند أفلاطون ليست متساوية^(١).

اختلاف الطوائف النصرانية في التثليث:

كما أن بين الطوائف النصرانية اختلافاً في طبيعة هذا الثالوث، هل العنصر الإلهي في المسيح هو الجسد الذي تكون من الروح القدس ومن مريم العذراء الذي اختلط بالعنصر الإلهي فصار طبيعة واحدة ومشئية واحدة؟ أم أن الأقنوم الثاني (الابن) له طبيعتان ومشئتان؟^(٢)، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن المجامع النصرانية.

عجزهم عن فهمه:

والحقيقة أن فهم التثليث أمر بالغ الصعوبة والتعقيد لمناقضته لبدائه العقول التي تدرك الفرق بين الواحد والثلاثة، والتي تحيل أن يصير ثلاث ذوات مختلفة ذاتاً واحدة، وقد اعترف أحد علمائهم بذلك، فقال: «قد فهمنا ذلك [التثليث] على قدر طاقة عقولنا، نرجو أن نفهمه أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية»^(٣).

ومما يوضح غموض هذه العقيدة وعجز العقول عن فهمها وإدراكها تلك القصة التي حكاها العلامة رحمت الله الهندي، حيث قال: «نُقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث أيضاً، وكانوا في خدمته فجاء محب من أحببنا هذا القسيس وسأله عن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية، فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء والثاني تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن

(١) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ٣٥-٣٦).

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ٩٤).

(٣) نقلاً عن: محاضرات في النصرانية (ص: ٩٥).

ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله، فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفي الاتحاد»، ثم قال معلقاً على هذه القصة: «لا تقصير للمسؤولين فإن هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماءهم، ويعترفون بأننا نعتقد ولا نفهم، ويعجزون عن تصويرها وبيانها»^(١).

وقد رد الإمام القرطبي على أحد النصارى الذي صنف كتاباً سماه (تثليث الوجدانية)، فقال: «أما قوله: (تثليث الوجدانية) فكلام متناقض لفظاً وفساد معنى، بيان ذلك: أن قوله: (تثليث الوجدانية) كلام مركب من مضاف ومضاف إليه، ولا يفهم المضاف ما لم يفهم المضاف إليه، فأقول: لفظ الوجدانية مأخوذ من الوحدة، ومعناها راجع إلى نفي التعدد والكثرة فهي إذن من أسماء السلوب، فإذا وصفنا بها موجوداً فقد نفينا عنه التعدد والكثرة، والتثليث معناه تعدد وكثرة، فإذا أضف هذا القائل التثليث للوحدة فكأنه قال: تكثير ما لا يتكثر، وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة، فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة»^(٢).

بطلان هذه العقيدة من كتبهم:

ومما ينقض أصل هذه العقيدة ويثبت أنها وليدة النصرانية الوثنية المحرفة ما جاء في كتابهم المقدس من إشارات إلى وجوب توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة^(٣)، فمن ذلك ما جاء في سفر التثنية من العهد القديم عند النصارى: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»^(٤). ومثل هذه العبارة بنصها جاءت في إنجيل مرقس، حيث سأل أحد التلاميذ: «آية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد»^(٥).

(١) إظهار الحق (٣ / ٧٣١-٧٣٢).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ص: ٤٧).

(٣) انظر: إظهار الحق (٣ / ٧٣٦) وما بعدها.

(٤) سفر التثنية (٦: ٤).

(٥) إنجيل مرقس (١٢: ٢٨).

وفي إنجيل متى: «ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد»^(١).

ولذا جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية التصريح بأن عقيدة التثليث أضيفت إلى النصرانية عن طريق بولس، حيث تقول: «عقيدة التثليث ليست من تعاليم العهد القديم، وأما ما وجد في العهد الجديد فأقدم شهادة لهذه العقيدة توجد في رسائل بولس»^(٢)، وجاء في دائرة المعارف الأمريكية: «لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدًا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ... إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافًا عن هذا التعليم، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص ... إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد ترتليان (٢٠٠م) الذي كان أول من أدخل تعبير التثليث في التفكير المسيحي مسؤولاً عن الفقرة التي تقول إن في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنسانًا»^(٣).

وقد جاء في العهد الجديد نصوص كثيرة تصرح ببشرية المسيح وأنه عبد رسول، وليس بإله، ومن ذلك جهل المسيح -عليه السلام- بأشياء كثيرة، أهمها جهله بيوم القيامة، فقد قال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب»^(٤).

والمسيح أيضًا وهو يظهر معجزاته الباهرة كان يشير إلى افتقاره لله وعجزه عن هذه المعجزات لولا معية الله ونصرته، فيقول: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا، كما أسمع أدين، ودينوتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني»^(٥).

وقد وصف كتابهم المقدس المسيح بالعبودية في مواضع عدة، ومن ذلك ما جاء في متى في وصف المسيح «هو ذا عبدي»^(٦)، وفي سفر أعمال الرسل: «قد مجد عبده يسوع ..

(١) إنجيل متى (٤: ٨-١٠).

(٢) دائرة المعارف الكاثوليكية (١٤/ ٣٠٦)، نقلًا عن: المسيحية النصرانية دراسة وتحليل، ساجد مير (ص: ١١٨).

(٣) طائفة الموحدين (ص: ٩-١٠).

(٤) إنجيل مرقس (١٣: ٣٢).

(٥) إنجيل يوحنا (٥: ٣٠).

(٦) إنجيل متى (١٢: ١٨).

القدوس البار»^(١)، «فإليكم أولاً أرسل الله عبده»^(٢)، وفي موضع آخر: «عبدك القدوس يسوع»^(٣)، لكن يقول د. منقذ السقار: «وقد استبدلت لفظة (عبد) في بعض التراجم العربية الحديثة بكلمة (فتى) الموهمة للعبودية أو البنوة، وذلك في ترجمة الفانديك المشهورة، بينما استخدم الآباء اليسوعيون كلمة (عبد)، وهو كذلك في اللغات العالمية»^{(٤)(٥)}.

٢- الصلب والفداء:

يعتقد اليهود والنصارى بأن المسيح قتل وصلب، أما اليهود فيعتقدون بأنهم هم الذين قتلوا المسيح وصلبوه، وأنه مستحق لهذه العقوبة^(٦)، وأما النصارى فيعتقدون أنه صلب لتكفير الخطيئة الأولى التي ورثتها البشرية بزعمهم عن آدم -عليه السلام- حين أكل من الشجرة، ولهذا يعظمون الصليب، حتى أصبحت عقيدة الصلب هي عصب العقيدة النصرانية^(٧)، يقول الأنبا يوانس: «الصليب هو شعار المسيحية، بل هو قلبها وعمقها، لقد تأسست المسيحية على أساس الصليب وبالصليب»^(٨)، وجاء في معجم اللاهوت الكتابي: «لقد مات يسوع مصلوباً، فأصبح الصليب الذي كان أداة للفداء مع الموت والألم والدم أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، إنه لم يعد عازراً، بل أصبح مطلباً وعنواناً للمجد أولاً، ثم للمسيحيين من بعده»^(٩).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي: «ليتنا لا نخجل أن نعرف بالمصلوب، ليكن الصليب هو خاتمنا الذي نرسمه بشجاعة بأصابعنا على جبيننا وعلى كل شيء، على الخبز الذي نأكله، والكؤوس التي نشربها في دخولنا وخروجنا، قبل نومنا ووقادنا وحين يقظتنا، وأثناء سيرنا في الطريق وحال راحتنا»^(١٠).

(١) أعمال الرسل (٣: ١٣-١٤).

(٢) أعمال الرسل (٣: ٢٦).

(٣) أعمال الرسل (٤: ٣٠).

(٤) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة (ص: ١١٠).

(٥) للمزيد من الشواهد، ينظر: الله واحد أم ثلاثة؟ د. انسقار (ص: ١٠٩) وما بعدها.

(٦) انظر: دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية). د. محمد الشقراوي (ص: ٧٩).

(٧) انظر: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د. منقذ السقار (ص: ٧-٨).

(٨) المسيحية والصليب، الأنبا يوانس (ص: ٦).

(٩) معجم اللاهوت الكتابي (ص: ٤٨٢). نقلاً عن: انصليب في النصرانية وموقف الإسلام منه، د. حمدي خلف الصغير،

(ص: ٧٧٤)، حولية كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، العدد: ٢٤، الإصدار الثاني، ١٤٣١-١٤٣٢هـ.

(١٠) المسيحية والصليب، الأنبا يوانس (ص: ٦).

تقد عقيدة الصلب والفداء:

يذهب المحققون من أهل العلم إلى أن عقيدة الصلب والفداء من مبتدعات بولس، حيث تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، ورُوِّج لها في رسائله التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من خمس عشرة سنة^(١)، فبولس هو أول من فسر عملية الصلب المزعومة على أنها للفداء وتكفير الخطايا، وهذه الفكرة لم تكن واردة حتى عند مؤلفي الأناجيل الأربعة المعتمدة^(٢)، يقول بولس: «ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا»^(٣)، «أيها الغلاطيون الأغبياء... أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا»^(٤)، «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برة من أجل الصفح عن الخطايا السالفة»^(٥)، «ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيرًا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيرًا ونحن مصالحو نخلص بحياته! وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضًا بالله، بربنا يسوع المسيح، الذي نلنا به الآن المصالحة، من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع»^(٦).

وربما أراد بولس من هذه الدعوى وهي أن المسيح صلب لتكفير خطايا بني آدم أن يخفف أو يحو أثر جريمة صلب بني ملته (اليهود) للمسيح بحسب ما يعتقدون.

وقد اختلفت أناجيلهم في حكاية تفاصيل قصة الصلب كشأن أي رواية مختلفة، كما أنها لا تذكر بأن المسيح صُلب لكي يفتدي الناس ويغفر لهم الخطايا^(٧).

وأما برنابا فيخالف في إنجيله ما ابتدعه بولس، يقول برنابا: «ولما دنت الجنود مع يهودا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفًا،

(١) انظر: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهينينية)، د. محمد الشقراوي (ص: ٧٩).

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١: ٣-٤).

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٣: ١).

(٥) رسالة بولس إلى أهل رومية (٣: ٢٣-٢٥).

(٦) رسالة بولس إلى أهل رومية (٥: ٨-١٢).

(٧) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية (ص: ٨١).

وكان الأحد عشر نيامًا، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبّح الله إلى الأبد»^(١)، ثم يستمر برنابا في وصفه فيقول: «ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعدَ منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نيامًا، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبهًا بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا، أنسينا الآن؟ أما هو فقال مبتسمًا: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي. وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبهًا بيسوع من كل وجه، أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين»^(٢).

ومما يؤكد ذلك ما اكتشف حديثًا في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كُتِبَ بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصًّا، تقع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة، ومنها كتاب منسوب للحواري المقرب بطرس، ينكر فيه صلب المسيح، ويقول برفعه قبل إجراء الصلب^(٣).

إنكار طوائف من النصارى حصول الصلب:

أنكر طوائف كثيرة من النصارى الأوائل حصول الصلب، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب، وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكارابوكرايتون والساطرينوسية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والمائيسية، والتايتانيسيون والفيلنطانية والمهرميون، وبعض هذه الفرق قرية العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول، فقد ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري في كتابه (المهرطقات مع دحضها) أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشع ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد

(١) إنجيل برنابا (٢١٥: ١-٨). (ص: ٢٨٨). ترجمة د. خليل سعادة.

(٢) إنجيل برنابا (٢١٦: ١-١٠). (ص: ٢٨٨).

(٣) انظر: هل اقتدانا المسيح على الصليب؟ د. منقذ السقار (ص: ١٠٩، ١٣١).

إلى السماء^(١).

وجاء في دائرة المعارف الكتابية: «من الغريب أن أوريجانوس يذكر تقليدًا كان شائعًا في عهده بأن يسوع كان يستطيع في حياته أن يغير شكله وقمًا وكيفما يشاء»^(٢)، ويذكر بأن هذا كان السبب في قتل يهوذا الخائن، يعني بدلًا من المسيح بعدما تغير شكله وألقى شبهه عليه^(٣)، وهذا يدل على أن القول بأن المسيح لم يصلب هو القول الشائع.

ويقول العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده: «لا يخفى على من وقف على حقائق التاريخ أن مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق بين النصارى عمومًا، ونصارى البلاد الشامية ومصر قبل الإسلام خصوصًا؛ فإن الأكثر منهم كانوا يرفضون حصول الصلب رفضًا كليًا؛ لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصًا، وأي نقص أعظم من نقص الإله الذي تلحقه مثل هذه الإهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استنادًا على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة؛ لأن بعضهم كان يعتبره إهانة لشرف المسيح، ونقصًا فاضحًا، والبعض الآخر كان يجحده ارتكائًا على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الجاحدون للصلب طوائف كثيرة»^(٤).

أصل عقيدة الصلب والفداء:

عقيدة الصلب دسيسة يهودية في النصرانية تولى كبرها بولس بقصد إفساد عقيدة النصارى، وقد حكى الله عن اليهود ذلك ورد عليهم بقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٧٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وقد تأثر بولس في ابتداعه لعقيدة الصلب بأفكار البيئية الوثنية التي نشأ فيها حيث نجده يقول: «فصحننا المسيح قد ذبح لأجلنا»^(٥)، وهذا مماثل تمامًا لطقوس الأديان الوثنية التي كانت موجودة في بيئته التي نشأ فيها^(٦)، وقد شغل الصليب مكانة دينية عالية عند أصحاب

(١) انظر: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ (ص: ٤٥).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٠-٤١).

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٠-٤١).

(٤) الفارق بين المخلوق والمخلوق (ص: ٢٨٠-٢٨١).

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٥: ٧).

(٦) انظر: دراسات في الملل والنحل، د. محمد الشوقوي (ص: ٨٤).

الديانات الوثنية، واقرن الصليب بعدد من آلهة الخصب الشرقية القديمة، فهو رمز الإله (اندرا) أحد أشكال الإله (بعل)، كما اتخذ رمزاً للآلهة الفينيقية (بارات)، وهو أحد أشكال إلهة الخصب (عشتار) أو (عشتروت)^(١).

إبطال عقيدة الصلب من كتبهم:

يقول ابن القيم: «ومن العجيب أنهم يقرأون في نص التوراة: (ملعون من تعلق بالصليب)، وهم قد جعلوا شعار دينهم ما يُلعنون عليه، ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى بهم أن يحرقوا الصليب حيث وجدوه، ويكسروه ويضَمِّخُوهُ بالنجاسة؛ فإنه صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم، وأهين عليه، وفضح، وخزي. فيا للعجب، بأى وجه - بعد هذا - يستحقُّ الصليب التعظيم لولا أن القوم أضل من الأنعام، وتعظيمهم للصليب مما ابتدعوه في دين المسيح بعده بزمان، ولا ذكر له في الإنجيل البتة»^(٢).

ويشير ابن القيم هنا إلى ما ورد في سفر التثنية: «إذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فُقْتِلَ وَعَلَّقَتْهُ عَلَى خَشْبَةٍ، فَلَا تَبْتَ جِثَّتُهُ عَلَى الخَشْبَةِ. بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تَحَسَّنْ أرضك التي يعطيك الرب إهلك نصيباً»^(٣)، وقد اعترف بذلك بولس، حيث يقول: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلق على خشبة»^(٤).

ويقول إبراهيم خليل: «ومثل الكثير من العقائد المسيحية الأخرى، فإن مبدأ توريث الخطيئة أيضًا لا يجد سندًا في كلمات يسوع المسيح، ولا كلمات الأنبياء الذين جاءوا قبله، لقد علموا بأن كل إنسان مسئول عن أعماله الشخصية، فإن الأولاد لا يقتلون من أجل خطيئة الآباء هكذا تقول شريعة موسى: «لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل» (تثنية ٢٤: ١٦) ومثلاً ففي سفر إرميا يقول إرميا النبي: «في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرماً، وأسنان الأبناء ضرسَت. بل كل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» (إرميا ٣١: ٢٩-٣٠)»^(٥).

(١) انظر: الصليب في النصرانية وموقف الإسلام منه، د. حمدي خلف الصغير (ص: ٧٦٩-٧٧٠).

(٢) إغاثة اللفغان من مصادب الشيطان (٢/ ٢٨٥).

(٣) سفر التثنية (٢١: ٢٣-٢٤).

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل غلاطية (٣: ١٣).

(٥) الغفران بين الإسلام والمسيحية (ص: ١٠٧).

ولا يوجد في رسائل الحواريين أي ذكر لصلب المسيح، يقول المؤرخ فوتيوس: «إنه قرأ كتابًا يسمى (رحلة الرسل) في أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس، ومما قرأ فيه: (إن المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره، وقد ضحك بذلك من صالبيه)»^(١).

٣- قيامة المسيح:

يعتقد النصارى أن المسيح صلب ثم دفن ثم قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام واتصل بتلاميذه، ويسمونها (عقيدة القيامة)، تقول دائرة المعارف الكتابية: «لكي يتم التكفير عن خطية الإنسان يلزم ... أن تقدم كفارة كاملة عن خطايا الناس ... وقد تم المسيح ذلك بالموت نيابة عنا، وقد أظهر الله رضاه المطلق عن طاعة المسيح الإيجابية والسلبية بإقامة ابنه من بين الأموات، وبذلك شهد بأن عمل ابنه لتبريرنا قد نال عنده الرضى والقبول التامين»^(٢).

ويقول بولس: «إن كان المسيح يركز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم: إن ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم»^(٣).

وجاء في دائرة المعارف الكتابية: «إن قيامة الرب يسوع هي لب الإيمان المسيحي ورسالته، فالصليب والقيامة هما الموضوعان الرئيسيان في سفر أعمال الرسل والرسائل»^(٤).

وينقل الأب متى المسكين عن جونثر بورنكام قوله: «من المؤكد - حتى وبأقصى معنى للتاريخ - أنه لم يكن هناك إنجيل ما، ولا حقيقة إنجيلية، ولا حتى حرف واحد من العهد الجديد، بل ولا إيمان ما، ولا كنيسة ولا عبادة ولا صلاة، بل ولا مسيحية جملة وإلى هذا اليوم بدون قيامة يسوع المسيح من بين الأموات، حتى ولو كانت هناك صعوبة - بل واستحالة - أن نحصل على سند تاريخي أكيد عن كيف كانت حوادث يوم القيامة العظيم»^(٥).

(١) هل افتدانا المسيح على الصليب؟ (ص: ١٣٠-١٣١).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٢٦٧).

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ١٢-١٤).

(٤) دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٢٦٦).

(٥) المسيح حياته وأعماله، الأب متى المسكين (ص: ٤٣٩).

ويقول الأب متى المسكين: «تقع القيامة في لاهوت الكنيسة عن مفهوم الصليب -الذي هو ذبيحة إرادية للتكفير عن خطايا العالم كله- تقع موقع الأساس والقمة معًا ... فالموت صار فداء، والقبر الفارغ صار منبع حياة، بعد أن كان مستودع موت»^(١).

ويقول الأرشمندريت سلوان موسى: «القيامة أمر حتمي لشخص المخلص، وباتت حقيقة تاريخية في الوقت المناسب، كان بديهياً أن يقوم يسوع من الأموات بحسب قوة شخصه، لقد مات فعلاً بالجسد، إلا أنه ظهر أقوى من الموت، فجسده هو جسد الإله الكلمة المتجسد، ذاك الجسد المتحد بأقنومه حتى أثناء وجوده في القبر، لم يكن باستطاعة الموت أن يضبطه في القبر ويقيه تحت سلطانه»^(٢).

وهم يعتقدون أن المسيح أخير بقيامته من بين الأموات مرات عديدة قبل صلبه وموته ودفنه^(٣)، ففي إنجيل متى: «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تعلموا أحدًا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات، وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم فحزنوا جداً»^(٤).

وفي إنجيل مرقس: «ابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم»^(٥).

وفي إنجيل لوقا: «وأخذ الاثني عشر وقال لهم: ها نحن صاعدون إلى اورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه، ويجلدونه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم»^(٦).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «ظهر المسيح بعد القيامة لشهود كثيرين في أماكن عديدة متفرقة يبعد أحدها عن الآخر مسافات شاسعة، وقد ظهر أيضاً في ظروف ومناسبات متعددة ومتباينة»^(٧)، و«إن قيامة المسيح برهان قوي على أنه ابن الله، وهي التي تحققت لنا

(١) القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي، الأب متى المسكين (ص: ٩).

(٢) سر القيامة، الأرشمندريت سلوان موسى (ص: ٣٥).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٧٤٩).

(٤) إنجيل متى (١٧: ٢٢-٢٣).

(٥) إنجيل مرقس (٨: ٣١).

(٦) لوقا (١٨: ٣١-٣٣).

(٧) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٧٤٩).

خلاصنا من الخطيئة، وهي مصدر قوة الحياة المسيحية، وهي أقوى ضمان للمؤمنين به على أنهم سيقومون من بين الأموات»^(١).

التناقض في حكاية قصة القيامة :

وهناك اضطراب شديد وتناقضات كثيرة بين الأناجيل في حكاية قصة قيامة المسيح بعد موته^(٢)، يقول رومانو كوارديني: «تخبر الأناجيل كلها عما وقع في اليوم الثالث لموت المسيح من حدث عجيب، ترويه الروايات على شكل خاص، فهي تدور ثم تنقطع فجأة، ثم يلقى بعضها بعضًا حاملة من المضادات والمناقضات ما يتعذر معه إيجاد حلٍ لبعضها»^(٣).

إنكار أوائل النصارى لدعوى القيامة :

أنكرت كثير من الطوائف النصرانية دعوى الصلب كما سبق، وبالتالي فهي تنكر تبعًا دعوى القيامة المترتبة على الصلب، يقول د. محمد الأعظمي: «يبدو أن قيامة المسيح من قبره كان النزاع قائمًا فيها بين أتباع المسيح في بداية عصره، وكان بولس من الداعين إليه، والغالب أن كتبة الأناجيل أخذوها منه أيضًا، لأن رسائل بولس كتبت قبل .. كتابة الأناجيل المزعومة، ففي الأولى منها وكانت إلى أهل كورنثوس ينتقد بولس على منكري قيامة المسيح قائلاً: (ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم: إن ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام! وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم)، وهو بهذا يشير إلى تلميذ خاص كان أحب إلى المسيح من غيره وهو بطرس سمعان، وكان ينكر قيامة المسيح من القبر»^(٤).

مخالفة دعوى قيامة المسيح للعقل :

قال القرافي: «قالوا: المسيح -عليه السلام- مات ثم عاش، فنقول لهم: من أحياء؟ فإن قالوا: نفسه، قلنا: وهو حي أو ميت؟ فإن قالوا: وهو حي لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا: وهو ميت لزمهم المحال؛ لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتًا، بل أقل أحواله أن يكون عالمًا

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٧٥٠).

(٢) انظر هذه التناقضات في: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د. منقذ السقار (ص: ٢٦) وما بعدها.

(٣) قيامة المسيح. رومانو كوارديني (ص: ٧).

(٤) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٣١٣-٣١٤).

بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحي محال، وإن قالوا: أحياء غيره وهو الذي أماته، لزمهم أن يكون المسيح -عليه السلام- عبدًا مربوبًا، وهو المطلوب»^(١)، وقال أيضًا: «قالوا: المسيح -عليه السلام- إله العالم وخالقهم ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم، ثم صلب ودفن ثلاثة أيام، فنقول لهم: يا سخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمنقول من كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟! وكيف كان حال الوجود والإله في اللحد؟! ومن المدير للسموات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض؟! وهل دفنت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله؟! أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟! فإن دفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة عظيم، وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟!»^(٢).

٤- التعميد:

تعريفه: هو رش الماء على الجهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، أو غمس الشخص كله في الماء، ويعمد الشخص في أي وقت من حياته، ولو على فراش الموت^(٣)، جاء في قاموس الكتاب المقدس: «التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة، وعلى الانتساب رسميًا إلى كنيسة المسيح»^(٤)، يقول الشماس حبيب جرجس: «المعمودية هي سر مقدس به نولد ميلادًا ثانيًا بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات باستدعاء الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدس، وبذلك نكون قد متنا عن الخطيئة والحياة الجسدية ودفنا مع المسيح وقمنا مولودين ولادة ثانية روحية... والمعمودية ضرورية جدًّا للخلاص، وبدونها لا يخلص أحد... ولا يجوز إعادتها مطلقًا؛ لأنها أولاً: ولادة روحية والإنسان يولد مرة واحدة، ثانيًا: لأنها مثال موت المسيح ودفنه، والسيد المسيح لم يمت إلا مرة واحدة»^(٥).

حكمه: التعميد عند النصارى واجب، لكنهم اختلفوا في المعمودية الصغار، فقال بعض المسيحيين: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن التعميد خاص بمن تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، إلا أن أغلبية المسيحيين يعتبرون المعمودية الصغار واجبة^(٦)، فقد أمر المسيح -

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. القاربي (ص: ٣٠٣)، تحقيق: د. بكر زكي عوض.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القاربي (ص: ٣٠٣). تحقيق: د. بكر زكي عوض.

(٣) وقد عُمد قسطنطين -حامي المسيحية بزعمهم- وهو على فراش الموت. انظر: المسيحية، د. أحمد شليبي (ص: ١٧٢).

(٤) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٣٧).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية، حبيب جرجس (ص: ٧٥-٧٧).

(٦) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٣٧).

بزعمهم - تلاميذه بالتعميد، كما ذكر في إنجيل متى: «فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به»^(١)، وجاء في إنجيل متى قول يوحنا: «أنا أعتمدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»^(٢)»^(٣).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «والتعميد يقول فيه صاحب كتاب (الأصول والفروع)^(٤): فريضة مقدسة يشار فيها للغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح، وهي ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله»^(٥).

صفتة: جاء في قاموس الكتاب المقدس: «قال بعض المسيحيين: ن المعمودية لا تصحح إلا بتغطيس الإنسان تغطيساً كاملاً أو بتغطيسه ثلاث مرات وليس مرة واحدة كما قال البعض، إلا أن أغلبية المسيحيين تكتفي برش الماء على الوجه؛ لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس؛ لذلك كانت كمية الماء غير مهمة في الموضوع»^(٦)، ويشرح القس المهندي إنسلم تورميذا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي كيف يتم التغطيس عندهم، فيقول: «وصفة التغطيس أن في كل كنيسة حوضاً من رخام وكيزان مملؤه القسيس بالماء ويقراً عليه ما تيسر من الإنجيل ويرمي فيه ملحاً كثيراً وشيئاً من دهن البلسان»^(٧)، فإذا كان أحد

(١) متى (٢٨: ١٩).

(٢) كلمة (ونار) غير واضحة المعنى، وذكر بعضهم أنها زبدت تحريفاً. ولذا لا توجد في بعض النسخ، وفسرها بعضهم بأن النار دليل على حضور الروح القدس، وزعموا أن النار تظهر أحياناً كدليل على حضور الله. تعالى الله عما يقولون.

انظر: <https://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-Spirit-fire.html>

وانظر في تحريف هذه الكلمة: <https://drghaly.com/articles/display/١٠٢٩١>

ويدل على أن النار دليل على حضور الروح القدس ما جاء في قاموس الكتاب المقدس: «معمودية الروح القدس والنار: إما رمز لانسكاب الروح القدس على الرسل» (قاموس الكتاب المقدس، ص: ٦٣٧).

(٣) إنجيل متى (٣: ١١).

(٤) رسالة صغيرة في اللاهوت المسيحي للقس بوطر، ولم أقف عليها.

(٥) محاضرات في النصرانية (ص: ١١٥).

(٦) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٣٧).

(٧) شجر موجود ببلاد الحبشة ذو ساق ناعمة وأوراق خضراء يستعمل في علاج بعض الأمراض والجروح (محقق الكتاب د. محمود حمادة).

يطلب أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه بزعمهم بين يدي الله تعالى بالتغطيس، ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم ذكره: يا هذا اعلم أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن ربنا عيسى هو ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم وصار إنساناً وإلهاً، فهو إله من جوهر أبيه، وإنسان من جوهر أمه، وأنه صلب ومات وعاش وصار حياً بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق، وأنت آمنتم بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنتم بهذا كله؟ فيقول المنتصر: نعم، فحينئذ يأخذ القسيس صحيفة من ذلك الحوض ويسكبها عليه، وهو يقول: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس، ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف وقد دخل دين النصارى»^(١).

٥- العشاء الرباني:

ويسمى أيضاً سر القربان أو التناول^(٢)، والأفخارستيا (أي: الشكر)، والليتورجيا (أي: الخدمة)^(٣).

تعريفه: هو أكل شيء من الخبز مع شرب قليل من الخمر، واعتقاد أن الخبز يشير إلى جسد المسيح المكسور، والخمر يشير إلى دمه المسفوح، يقول الشماس حبيب جرجس: «سر القربان هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح ويشرب دمه تحت أعراض الخبز والخمر لثباتنا في الإيمان ونمونا في الحياة الروحية، واتحادنا بالمسيح»^(٤).

حكمه: يذكر الشيخ محمد أبو زهرة أن العشاء الرباني عندهم «فريضة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها الجسد، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز، وقليلاً من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكيراً لموته، فالخبز يشير إلى جسده المكسور، والخمر إلى دمه المسفوك»^(٥).

جاء في إنجيل متى: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وباركه وكسّر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص: ٨٠-٨٢).

(٢) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي (ص: ١٧٣).

(٣) انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ د. منقذ السقار (ص: ٢٢٢).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية (ص: ٧٩-٨٠).

(٥) محاضرات في النصرانية (ص: ١١٥).

هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»^(١). وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: «إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسّر، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشوا، قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء»^(٢).

وقد اختلفت الكنائس المسيحية في فاعلية العشاء الرباني، فالكنائس البروتستانتية ترفض مبدأ استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وأما الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية فتقول بالاستحالة، وكان من أوائل من أصلها باسحاسيوس في منتصف القرن التاسع في كتابه (جسد الرب ودمه) وقد أقرها المجمع الاتراني برئاسة البابا إنوسنت الثالث عام ١٢١٥م، ثم أقرتها الكنائس الأرثوذكسية صراحة بعد ظهور الإصلاحيين في القرن السادس عشر الميلادي، وأصل هذه الفكرة مأخوذ عن الأمم الوثنية كالفرس^(٣).

٦- التوبة (الاعتراف):

التوبة لا تتحقق عند النصارى إلا بالاعتراف، والاعتراف هو الإقرار بالذنوب كلها أمام القسيس، والقسيس هو الذي يمنحه صك الغفران، يقول حبيب جرجس: «سر التوبة هو رجوع الخاطئ إلى الله ومصالحته معه تعالى باعترافه بجميع خطاياهم وزلاته لدى كاهن شرعي ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من السيد المسيح القائل: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»^(٤).

ويستندون في ذلك إلى ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح قوله بزعمهم: «من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت»^(٥)، وقوله: «الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء»^(٦).

وهذا هو الأصل الذي بنت عليه البابوية (صكوك الغفران) وباعتها بالأموال الطائلة، وأكلت

(١) متى (٢٦: ٢٦-٢٨).

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣-٢٦).

(٣) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية. إندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ (ص: ١٤٦). ترجمة: سميرة عزمي الزين.

(٤) خلاصة الأصول الإنمائية (ص: ٨٤-٨٥).

(٥) يوحنا (٢: ٢٢-٢٣).

(٦) متى (١٨: ١٨).

أموال الناس بالباطل بهذه الدعاوى الباطلة، حتى اتخذهم الناس آلهة، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية: ١٣١.

يقول عبد الله الترجمان (القس المهتدي إلى الإسلام): «اعلموا -رحمكم الله- أن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفي منه ذنبًا فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس، ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة، وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنوبه إلا إذا مرض وخاف الموت، فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه، ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له، وهم يعتقدون أن كل ذنب غفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى، فمن أجل ذلك صار البابا الذي يكون بمدينة روما -فهو خليفة عيسى في الأرض بزعمهم- يعطي لمن شاء براءة بغفران الذنوب والتسريح من النار، ودخول الجنة، ويأخذ على ذلك الأموال الجليلية، وكذلك يفعل كل من ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين، ويعطون البراءة بالمغفرة وإيجاب الجنة والنجاة من النار، ويأخذ النصارى تلك البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل فيخفونها عندهم حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة في كفنه، واعتقادهم يقينًا أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءة، وهذا من حيل القسيس على أخذ الأموال من النصارى»^(١).

٧- مسحة المرضى:

يقول الشماس حبيب جرجس: «سر مسحة المرضى هو سر مقدس يسمح به الكاهن المريض بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية ليشفي من أمراضه الروحية والجسدية، وقد أسس السيد المسيح هذا السر المقدس كما يتضح ذلك من الإنجيل الطاهر؛ لأن التلاميذ لما طافوا يبشرون مارسوا هذا السر المقدس حيث دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم فلا بد إذا أنهم أخذوا مبدأه من السيد المسيح له المجد»^(٢).

جاء في إنجيل متى أن المسيح قال لتلاميذه الاثني عشر: «اشفوا مرضى طهورًا برصًا أقيموا موتى أخرجوا شياطين، مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا»^(٣).

٨- محاسبة المسيح للناس يوم القيامة:

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص: ٩٧-٩٨)، تحقيق: د. محمود حمادة.

(٢) خلاصة الأصول الإيمانية (ص: ٨٨-٨٩).

(٣) متى (١٠: ٨).

وقد جاءت هذه العقيدة منصوصاً عليها في إنجيل متى الذي يقول: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم»^(١).

ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً»^(٢).

وهذا اعتقاد نابع من دعواهم ألوهية المسيح - تعالى الله عما يقولون-، وهي من ديانة بولس وافتراءاته على المسيح، وهو اعتقاد باطل، فالذي يحاسب الناس يوم القيامة هو الله جل وعلا، يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٣﴾ الغائفة: ٢ - ٤، وقال جل وعلا: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٥، ١٦].

(١) إنجيل متى (٢٥: ٣١-٣٤).

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٥: ١٠).

المبحث السادس: الشرائع النصرانية

يقول أبو الحسن الندوي: «الديانة المسيحية هي من أقل الديانات تشريعاً فقهياً وأحكاماً كلية... ولذلك يصعب أن يطلق عليها اسم (شريعة إلهية)»^(١)، وهذا بحسب واقع النصرانية المحرفة، وإلا فإن الله جل وعلا يقول: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، ويشير د. محمد الأعظمي إلى اعتمادهم في شريعتهم على العهد القديم مع بعض التغيير، فيقول: «يفهم من دراسة الأناجيل أن شريعة عيسى أقرت بما جاء في كتب العهد القديم، وبما شرعه موسى -عليه السلام- لليهود، ولم تستثن من ذلك إلا شيئاً يسيراً، فنسخت بعض الأحكام اليهودية، وعدلت بعضها»^(٢).

وفيما يلي نبذة عن شرائعهم:

أولاً: الطهارة:

الطهارة عندهم هي غسل الوجه واليدين، يقول المقريري: «وطهارتهم إنما هي غسل الوجه واليدين فقط، ولا يختن منهم إلا اليعقوبية»^(٣).

ثانياً: الصلاة:

تعريفها: يقول الصفي بن العسال: «الصلاة مخاطبة الإنسان للإله تعالى بشكره وتمجيده والإقرار بربوبيته، والاعتراف له بذنوبنا، والطلب منه ما يرضيه لنا»^(٤).
وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «الصلاة شركة مع الله. وهي تفترض أن الله شخص قادر ويريد أن يستمع إلينا، وأنه خلق العالم ويحفظه ويرعى خلائقه كلها، وليس هو عبداً لنواميسه،

(١) الأركان الأربعة (ص: ١٧٥).

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٣٨١).

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ٤٢٢).

(٤) المجموع الصفي، للصفي بن عسال (١/ ١٥٦).

وأن ينشئ ما يريد بمراقبته لنواميس الطبيعة هذه»^(١).

بداية إحداثها: «كان أول تأليف للصلاة المسيحية في القرن الرابع في مجمع نيقيا ولا يزال المجلس الفاتيكاني يحدث فيه تعديلات، ويصدرها إلى العالم المسيحي الكاثوليكي، وكذلك نظام الكنائس الرئيسي يستطيع أن يحدث فيه تغييرات»^(٢).

صفتها: لها عندهم ست صفات:

الأولى: الوقوف على القدمين.

الثانية: شد الوسط بالزنار.

الثالثة: التوجه بالوجه إلى الشرق.

الرابعة: الرسم بالأصبع مثال الصليب، من فوق لأسفل، ومن الشمال إلى اليمن.

الخامسة: تلاوة ألفاظ الصلاة بخوف ورعدة.

السادسة: الركوع والسجود^(٣).

عددتها: الصلوات المفروضة عليهم كل يوم سبع، وهي: قبل طلوع الشمس عند الانتباه من الفراش، وصلاة الثالثة، وصلاة السادسة، وصلاة التاسعة، وصلاة الغروب، وصلاة النوم، وصلاة نصف الليل^(٤).

أساسها: أما أساسها فهو الإخلاص للمسيح، جاء في إنجيل متى: «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في الجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية»^(٥).

شرطها: يقول الشيخ أبو زهرة: «والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان لا توجد بدونهما، هما منها بمنزلة الدعامة:

الشرط الأول: أن تقدم باسم المسيح، فقد جاء في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا:

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٤٧).

(٢) الأركان الأربعة (ص: ٦٧).

(٣) انظر: المجموع الصفوي (١/ ١٥٧).

(٤) انظر: المجموع الصفوي (١/ ١٥٩).

(٥) إنجيل متى (٦: ٥-٧).

«الحق أقول لكم إنني ما طالبتم من الآب باسمي يعطيكم، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً»^(١)، ويعللون ذلك بأن الإنسان بسبب خطاياها أبعده عن رضا الله، ولكن بدم المسيح زال هذا البعد، وأصبح قريباً إليه، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس في الإصحاح الثاني: «لكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح؛ لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط»^(٢)، ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع: «للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك، وهو أن الاسم يمثل دائماً المسمى، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا، بحيث تكون طلباتنا طلباته، وصلاحتنا صلاحه، وحياتنا حياته، وبالجملة كأنه يعيا فينا ولأجلنا».

الشرط الثاني: أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بما عندهم، فقد جاء في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل مرقس ما نصه: «لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم»^(٣)»^(٤).

وفي كتاب اللآلئ النفسية أن شروط الصلاة عندهم ما يلي: الإيمان، وأن تكون باسم الرب يسوع، وأن تكون بانسحاق لا بكبرياء وتشامخ، وأن تكون بلجاجة وإلحاح، وأن تكون بمواظبة، وأن تكون بحسب مشيئة الرب، وأن تكون بجرارة وثبات، وأن تكون بإصغاء وانتباه، وأن تكون القلوب متصافحة^(٥).

وصلاتهم هي للمسيح وهي شرك صراح، ومخالفة للمسيح الذي ينتسبون إليه؛ لأن المسيح يقول كما أخبر الله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٦) |الثالثة: ١١٧.

وصلاتهم لا تحمل من الصلاة المعروفة عن الأنبياء إلا الاسم، فهي للمسيح لا لله، ويؤدونها بلا طهارة ووسط أصوات الموسيقى والطرب، وفي جو الاختلاط بين الرجال والنساء

(١) إنجيل يوحنا (١٦: ٢٣).

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس (٢: ١٣).

(٣) إنجيل مرقس (١١: ٢٤).

(٤) محاضرات في النصرانية (ص: ١١٢).

(٥) انظر: اللآلئ النفسية (١/ ١٢٠-١٢٤).

السافرات.

ثالثًا: الصيام:

تعريفه: يقول يوحنا سلامة: «الصوم لغة الإمساك، وفي الاصطلاح الكنسي: الانقطاع عن الطعام مدة معينة من النهار، في آخرها يتعاطى الصائم مأكولات خفيفة خالية من الدسم»^(١).

حكمه: قامت الكنيسة بفرض صوم أيام محددة على النصارى، جاء في سفر يوثيل: «يقول الرب: ارجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح»^(٢)، وجاء في إنجيل متى: «فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائمًا بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية»^(٣)، يقول الصفي بن العسال: «الفرض على جميع النصارى هو صوم الأربعين التي صامها السيد المسيح»^(٤).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «بأمر الملاك سار إيليا إلى جبل حوريب لا يأكل ولا يشرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة حتى تراءى الله له ... وقد أخذت بعض الكنائس من حياة السيد ورفيقه في التجلي هذه الفترة الأربعينية، وجعلت الصوم الأربعيني السابق لعيد الفصح قانونًا، وذلك في المجمع الخامس، ثم في السادس المنعقد في السنة الـ ٦٨٢»^(٥).

صفتة: يقول الصفي بن عسال في صفة الصوم: «لا يؤكل فيه حيوان، ولا ما هو من حيوان دموي»^(٦)، ويقول صليب سوريال: «يصوم الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك قرابة نصف العام أو يزيد ... وجرت التقاليد في مصر أن يحتفل البروتستانت بعيدي الميلاد والقيامة معهم، ويصوم الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ما عدا أيام الخماسين، وهي الخمسين يومًا التي تبدأ بعيد القيامة وتنتهي بعيد العنصرة، فلا يجوز الصيام في الخماسين لأنها أيام فرح وابتهاج بقيامة السيد المسيح وانتصاره

(١) اللاهوتي النفيسة في شرح طقوس الكنيسة. القمص يوحنا سلامة (٢/ ٣١٧)، انظر: المجموع الصفوي (١/ ١٧٠).

(٢) سفر يوثيل (٢: ١٢).

(٣) متى (٦: ١٦-١٨).

(٤) المجموع الصفوي (١/ ١٧٢).

(٥) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٦٢-٥٦٣).

(٦) انظر: المجموع الصفوي (١/ ١٧١).

على الموت، وصيام الأربعاء لذكرى التشاور للقبض على السيد المسيح والجمعة لذكرى صلبه، وينتهي كل صيام من الأصوام بعيد»^(١).

أنواعه: الصوم عند النصارى نوعان:

الأول: ما يفرضه المسيحي على نفسه استعدادًا لرحمة الله وغفران الخطايا أو استجلابًا لرضاه أو للنجاة من شدة أو طلبًا للاستنارة.

الثاني: ما فرضه الله رأسًا أو بواسطة رسله^(٢).

أكثر صومهم لا أصل له في شريعة المسيح: يقول ابن القيم: «أكثر صومهم لا أصل له في شرع المسيح، بل هو مخلوق مبتدع»^(٣)، ويقول أيضًا: «وتركهم أكل اللحم في صيامهم مما أدخلوه في دين المسيح، وإلا فهم يعلمون أن المسيح -عليه السلام- كان يأكل اللحم، ولم يمنعهم منه في صوم ولا فطر، وأصل ذلك: أن المانوية كانوا لا يأكلون ذا روح، فلما دخلوا في النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيقتلوا، فشرعوا لأنفسهم صيامًا، فصاموا للميلاد، والحواريين .. وتركوا في هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب ماني، فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النسطورية واليعقوبية، فصارت سنة متعارفة بينهم، ثم تبعهم على ذلك الملكانية»^(٤).

ويقول أبو الحسن الندوي: «أما صوم أربعين يومًا فلا يوجد له أثر إلى القرن الرابع الميلادي، وكانت هناك عادات وأوضاع للصوم تختلف باختلاف البلاد التي يسكنها المسيحيون ... وكان بعضهم يمسك عن تناول الحيوانات خلافا لغيره، وبعضهم يجتري بالسماك والطيور، وبعضهم يضرب عن البيض والفواكه، وبعضهم يجتري الخبز اليابس، وبعضهم يكف عن كل ذلك»^(٥).

(١) اجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ (ص: ٢٢٨). نقلًا عن: النصرانية بين الحقيقة والتحريف. د. عادل درويش.

(٢) انظر: اللألي النفيسة (٢/ ٣١٧).

(٣) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ١٠٦٦).

(٤) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ١٠٥٨).

(٥) الأركان الأربعة (ص: ١٧٦-١٧٧).

رابعاً: الصدقة:

وهي عندهم: «جود الإنسان بأمواله على المحتاجين إليها»^(١). وجاء في كتابهم المقدس الحث عليها، ففي إنجيل لوقا: «بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفد في السماوات»^(٢)، وفيه أيضاً: «أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شيء يكون نقيماً لكم»^(٣)، كما جاء الحث على الإخلاص فيها، ففي إنجيل متى: «متى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون في المجمع وفي الأزقة لكي يمجّدوا من الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم!»^(٤). لكن صدقاتهم مبنية على اعتقادهم بالوهية المسيح، فكما أن صلاتهم للمسيح كما مر، فصدقاتهم وجميع عبادتهم له من باب أولى.

خامساً: النذور:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: «نذر: التعهد بفعل شيء ما إن تحقق أمر ما، ولما كان تحقق ذلك الأمر بيد الله فالنذر تعهد أمام الله»^(٥)، وفي دائرة المعارف الكتابية: «يذكر النذر لله كثيراً في الكتاب المقدس وبخاصة في العهد القديم، وبالأخص في سفر المزامير، وعلى العكس من تقديم العشور والذبائح والتقدمات وحفظ السبت والختان، لم يكن النذر أمراً توجبه الشريعة، بل كان أمراً تطوعياً، وقد وضعت الشريعة مبادئ محددة للنذر، فكان من الممكن إلغاؤه إذا صدر عن فتاة دون مشورة أبيها، أو من امرأة دون مشورة زوجها، فكان للأب أو الزوج متى سمع بالنذر أن يثبته أو يلغيه في يوم سماعه، أما نذر الرجل أو الأرملة أو المطلقة فكان ملزماً لا يجوز نقضه أو النكوص عن الوفاء به»^(٦). ويقدم النصارى هذه النذور إلى المسيح وأمه وإلى الرسل والقديسين عندهم ويتقربون بها إليهم ويجعلون لها طقساً يؤدي عند تقديم النذر والقربان ولا شك أن هذا لم يأت به المسيح ~~الطاهر~~

(١) انظر: المجموع الصفوي (١/ ١٧٧).

(٢) لوقا (١٢: ٣٣).

(٣) لوقا (١١: ٤١).

(٤) متى (٦: ٢).

(٥) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٩٦٦) بتصرف.

(٦) دائرة المعارف الكتابية (٨/ ٤٩).

ولم يأمر به أحد من أتباعه وما أمرهم إلا أن يتقربوا إلى الله وحده دون سواه^(١).

سادساً: الزواج والطلاق:

يقول الشماس حبيب جرجس: «الزواج هو سر مقدس، به يرتبط ويتحد الرجل وامرأته اتحاداً مقدساً بنعمة الروح القدس للحصول على ولادة البنين وتربيتهم التربية المسيحية»^(٢).

ويتم بصلاة الإكليل على يد كاهن طبقاً لطقوس الكنيسة، ويعرف هذا السر عندهم أيضاً بسر الشركة، والكنيسة الصغيرة، وسر الإكليل^(٣)، جاء في إنجيل متى: «إن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، قال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذا ليسا بعداً اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان»^(٤).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «شريعة الزواج عندهم لا تحل للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وإن لم يوجد نص في ذلك، ولا يطلق، وقد فهموا تحريم الطلاق من إنجيل متى، ففي الإصحاح التاسع عشر منه: «قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل من المرأة فلا يوافق أن يتزوج؟ فقال: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، بل الذي أعطى لهم، ولا يفترق الزوجان إلا بالموت، وبعد موت أحدهما يحل للحي أن يتزوج غيره»^(٥).

والطلاق عندهم لا يجوز ولا يقع، إلا في حالتين:

الأولى: حال زنى أحد الزوجين، فلأخر أن يطلب التفريق، ويجاب في هذه الحال إن ثبت الزنى.

الثانية: إذا كان أحد الزوجين غير مسيحي فيصح التفريق عند تهاجرهما وعدم الألفة بينهما^(٦).

(١) انظر: دراسات في المسيحية. د. عادل درويش وآخرين (ص: ٣٠٧).

(٢) خلاصة الأصول الإيمانية (ص: ٨٩-٩٠).

(٣) انظر: دراسات في المسيحية (ص: ٣١٥)، وسببت صلاة الإكليل؛ لأن في أثنائها يضع الكاهن على رأس العروسين إكليلين.

(٤) متى (١٩: ٤-٦).

(٥) محاضرات في النصرانية (ص: ١١٦).

(٦) انظر: محاضرات في النصرانية (ص: ١١٧).

وكان الطلاق مباحاً في شريعة موسى بنص الإنجيل، ففي إنجيل متى: «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني»^(١).

سابعاً: الأعياد:

الأعياد التي يحتفل بها النصارى تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأعياد السيديّة الكبيرة، وهي سبعة:

- (١) عيد البشارة، وهو عيد بشارّة الملاك جبرائيل للقديسة مريم العذراء بولادة المسيح.
- (٢) عيد الميلاد، أي: ولادة المسيح.
- (٣) عيد الغطاس أو عيد الظهور الإلهي، وهو عيد تعميد المسيح على يد يوحنا في نهر الأردن، وسمي عيد الظهور لظهور الثالوث الأقدس أثناء المعمودية.
- (٤) عيد الشعانين، وهو عيد دخول المسيح إلى أورشليم ركباً على أتان.
- (٥) عيد القيامة، وهو عيد قيامة السيد المسيح من بين الأموات.
- (٦) عيد الصعود، وهو صعود السيد المسيح وجلسه عن يمين الآب.
- (٧) عيد العنصرة، وهو عيد حلول الروح القدس.

الثاني: الأعياد السيديّة الصغيرة، وهي سبعة:

- (١) عيد الختان، وهو ختان المسيح.
- (٢) عيد عرس قانا الجليل، وهو عيد أول أعجوبة أظهرها المسيح في عرس قانا الجليل وهي تحويل الماء خمرًا.
- (٣) عيد دخول السيد إلى الهيكل في أورشليم.
- (٤) عيد خميس العهد، وهو عيد تسليم المسيح سر العشاء السري أو سر جسده ودمه لتلاميذه ليلة آلامه، حسب اعتقادهم.
- (٥) عيد الأحد الجديد، أي: أحد توما، وهو ظهور السيد المسيح لتلاميذه في حضور توما أحد رسله القديسين.

(١) إنجيل متى (١٩: ٨-٩).

- (٦) عيد دخول المسيح إلى أرض مصر.
- (٧) عيد التجلي، وهو عيد تجلي المسيح على الجبل لتلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا^(١).
- قال الإمام ابن القيم: «وكلها موضوعة مختلفة محدثة بآرائهم واستحسانهم»^(٢).

وقال القرطبي: «إنها التي اعادها ليست فاضلة، ولا لله فيها حكم؛ إذ لو كانت فاضلة لله فيها حكم لعلمها، ولو علمها ليئنها، فلما لم يعلم ولم يبين علم أنه ليس لله فيها شيء مما اخترعتموه، لكنكم تحكمتم باختراع ما جهلتم، وشرعتم ما لم يشرع لكم نبيكم»^(٣).

حادي عشر: درجات رجال الدين:

يوجد لدى الكنيسة سبع درجات لرجال الكهنوت، وهي كما يلي:

١- البابا: يعتبر البابا عند النصارى هو رأس الكنيسة، وهو الذي يناط به التحليل والتحرير وهو المرجع في أمور الدين، ويدين له جميع الأساقفة بالولاء التام، وله سلطة تعيين الأساقفة، وتعتبر الأوامر البابوية لها قوة المجامع الكنسية، وقد أطلق هذا الاسم أولاً على بطريك الإسكندرية، ثم انتقل إلى كراسي إفريقية، ورومية، والغرب، أما الآن فهو مخصوص للحبر الأعظم في روما، وإن كان يطلق الآن على بابا الإسكندرية^(٤).

٢- البطريرك: هو لقب على القائم بأمور دين النصرانية والمسئول الديني الأول في كل قطر بأكمله^(٥)، والبطريرك هو رئيس الأساقفة، وقد كان يختار أساقفة كل مدينة رئيساً لهم ويطلق عليه بطريرك، ومن بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريرك، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية، أنطاكية، وبيت المقدس، والإسكندرية، والقسطنطينية، وروما^(٦).

٣- المطران: هو أسقف المدينة الأم، والمتقدم على الأساقفة في المجامع باعتباره الأسقف

(١) انظر: خلاصة الأصول الإيمانية (ص: ٩٧-٩٨).

(٢) إغاثة اللفهان في مصاديد الشيطان (٢/ ١٠٦٧).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ص: ٤٢٥-٤٢٦).

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة (٢/ ٢١٣) بالهامش.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة (٢/ ٩٤).

(٦) راجع: المسيح (ص: ٥٠).

الأعلى للمدينة الأم^(١)، والمطرائية أقل رتبة من البطريركية وأرقى من الأسقفية.

٤- الأسقف: هو عبارة عن نائب البطريرك، والأسقف كاهن ذو درجة ورتبة أولى موكول إليه كما للكاهن، وله حق الرياسة على الكهنة الذين تحت إدارته وعلى رعيته وله السلطان، ويقيم الكهنة لشعبه ويمنحهم الحقوق والسلطة الروحية فهو الذي يعلم الشعب ويديره ويقيم له الرعاية المدبرين والمعلمين^(٢).

٥- القمص: وهي كلمة يونانية معناها المدبر، وهو أعلى من القس^(٣).

٦- القسيس: وهي كلمة سريانية معناها (شيخ) والقسيس وظيفته تقديس القرايين وعماد المعتمدين، وتزويج من يريد الزواج، وتأدية خدمة الأسرار وتوزيعها على الشعب وتعليمهم ووعظهم، وتعيين الشماسة وتكليفهم بالخدمات^(٤).

٧- الشماس: هي درجة من درجات الكهنوت بما يتولى صاحبها ولاية خاصة لمساعدة القسيس عند تلاوة القداش وإتمام الخدمة المنوطة بها، والشماس: لفظة سريانية معناها خادم^(٥).

وتعتبر الدرجات الكهنوتية الأساسية في الكنيسة هي الأسقفية والقسوسية والشماسة، وأضيف إليها درجة البابا والبطريرك والمطران ومساعد الأسقف ويعرف بالقمص أو الخوري، وبالرجوع إلى القرآن الكريم يتبين أنه لم يذكر إلا القسيس والراهب في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيًّا وَرَهْبَانًا﴾، ويمكن القول بأن القسيس كان يقوم بالأمور السياسية والإدارية، والراهب كان يختص بالأمور التعبدية، وهذا يدل على أن ما عدا القسيسين والرهبان لم يكن موجودًا في النصرانية، بل هي درجات وضعتها الكنيسة المعاصرة، ولا توجد صلة للمسيح عليه السلام بالكهنوت برغم ما نسبة إليه النصارى من تأسيسه للكهنوت، وهو لم ينصب أحدًا من تلاميذه على كنيسة لأنه لم يؤسسها كما يزعم النصارى^(٦).

(١) انظر: تاريخ الكنيسة (٣ / ٥١).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة السبعة (ص: ١٨٧).

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٢ / ٧٥٨).

(٤) انظر: الأسرار الكنسية السبعة (ص: ١٨٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٨٧).

(٦) انظر: دراسات في المسيحية، د. عادل درويش وآخرين (ص: ٣١٥-٣١٧).

المبحث السابع: الفرق النصرانية

افتقرت النصارى على إحدى وسبعين فرقة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «افتقرت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(١).

أقسامها:

تنقسم الفرق النصرانية إلى فرق قديمة، وفرق حديثة معاصرة، ثم إن الفرق القديمة تنقسم إلى فرق موحدة، وفرق مثلثة، فالفرق الموحدة هي التي ظهرت في عصر التوحيد والذي يتبدى من زمن المسيح إلى سنة ٣٢٥ م التي انعقد فيها مجمع نيقية الأول، وأما الفرق المثلثة فعصرها يتبدى من بعد مجمع نيقية^(٢).

الفرق القديمة الموحدة:

ومنها ما يلي:

١- فرقة الأريوسية، قالوا - كما يذكر الحسن بن أيوب العالم النصراني المهتدي -: إن عيسى كان ابناً لله على جهة الكرامة، فكما اتخذ الله إبراهيم خليلاً كذلك اتخذ عيسى ابناً^(٣)، وقالوا: إن المسيح - عليه السلام - عبد مرسل، كسائر الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه -^(٤)، وإن المسيح لم يصلب ولم يقتل^(٥)، فيجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح - عليه السلام - ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه^(٦)، ويشهد لما ذكره ما جاء في كتاب (المجمع المسكوني الأول) عند الحديث عن أفكار أريوس، من أنه «انطلق من

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها، د. عادل درويش (ص: ١٤٠).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٤ / ٨٠).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٣ / ١٩٠).

(٥) انظر: الجواب الصحيح (٤ / ٨٢).

(٦) انظر: الجواب الصحيح (٤ / ٩١).

مبدأ أن الألوهية واحدة غير مخلوقة ولا مولودة»^(١)، ويذكر النصارى أن حقيقة مقالة أريوس هي القول بأن المسيح -عليه السلام- كائن وسيط أعظم من الإنسان وأقل من الله^(٢)، لكن «يجب التنبيه إلى أمر هام، وهو أن الآريوسية قد عرفت أساساً في تاريخ الفرق المسيحية عن طريق أعدائها الذين حاربوها بعنف باعتبارها هرطقة وبدعة دينية، ومن ثمّ تعرضت لمحاولات التشويه ... ولما كانت الآريوسية تؤمن بالله الواحد الأحد، وتؤمن بالمسيح مخلوقاً مجرداً من اللاهوت فإن هذا يكفي لاعتبارها من جملة الفرق المسيحية الموحدة، رغم ما علق بتوحيدها من مآخذ وأخطاء»^(٣)، وقد تكون هذه الأخطاء والمآخذ أو غالبها مما نسبته إليها أعداؤها على سبيل التشويه، ولذلك فإن ما نقله ابن تيمية عن العالم النصراني المهتدي الحسن بن أيوب هو الأقرب إلى الصواب.

٢- أصحاب بولس الشمشاطي، وكان بطريركاً بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء -عليهم السلام- خلقه الله في بطن أمه مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه البتة، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا الروح القدس^(٤).

٣- أصحاب مقدونيوس، كان بطريركاً بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين، وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى -عليه السلام- عبد مخلوق، إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء -عليهم السلام-، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، وهذه الفرق قد بادت^(٥).

الفرق القديمة الثلاثة:

أشهر هذه الفرق القديمة التي ظهرت في عهد التثليث، والذي بدأ ظهورها بعد وضع قانون الإيمان أو الأمانة ثلاثة: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، ويذكر الشهرستاني أن «اختلافاتهم تعود إلى أمرين:

أحدهما: كيفية نزوله [إي: المسيح] واتصاله بأمه، وتجدد الكلمة.

(١) المجمع المسكوني الأول. الأب ميشال أبرص، والأب أنطوان عرب (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة. جون لويزيمر (ص: ٢٤٨).

(٣) طائفة الموحدين، أحمد عبد الوهاب (ص: ١١).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧)، الجواب الصحيح (٤/ ٨٥).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧)، الجواب الصحيح (٤/ ٨٦).

والثاني: كيفية صعوده، واتصاله بالملائكة، وتوحد الكلمة»^(١).

قال الشهرستاني: «افتترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية والنسطورية، واليعقوبية»^(٢)، ويقول ابن حزم: «وعمدتهم اليوم ثلاث فرق، فأعظمها فرقة الملكانية»، ثم ذكر النسطورية واليعقوبية^(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فرقهم الثلاثة المشهورة: النسطورية، والملكية، واليعقوبية، كل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها، بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة، فزعم كل فريق منهم أن المسيح جاء بما هم عليه، والمسيح -عليه السلام-»^(٤).

أولاً: فرقة الملكانية:

قال الشهرستاني في التعريف بهم: «أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية»^(٥)، وسموا بذلك نسبة إليه.

ويقول ابن حزم: «وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة، ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى أفريقية وصقلية والأندلس وجمهور الشام»^(٦).

لكن سماهم ابن القيم الملكية، وذكر أنه «نسبة إلى دين الملك، لا إلى رجل يدعى ملكايا، وهو صاحب مقالاتهم، كما يقوله بعض من لا علم له بذلك»^(٧).

ومن آرائهم:

- ١ - أن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس كلها لم تنزل^(٨).
- ٢ - أن عيسى -عليه السلام- إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير

(١) الملل والنحل (٢/ ٢٥).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٢٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤١٢).

(٥) الملل والنحل (٢/ ٢٧).

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٧) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٤).

(٨) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأتخما معًا شيء واحد ابن الله -تعالى الله عن كفرهم-^(١).

٣- أن الإله اتحد مع الإنسان يعني أتخما صارًا شيئًا واحدًا كاتحاد النار في الصفيحة المحماة^(٢).

٤- أطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح^(٣).

٥- يقولون بحشر الأبدان^(٤).

ويبين ذلك العالم النصراني المهتدي الحسن بن أيوب، وهو من أعلم الناس وأخبرهم بمقالة طائفته كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فيقول: «قالوا: إن الابن الأزلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسدًا كاملاً كسائر أجساد الناس، وركب في ذلك الجسد نفسًا كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانًا بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس، وإلها بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناسوت مثل إبراهيم وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل يصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة إبراهيم وداود، وقالوا: إن مريم ولدت إلها، وأن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت، مات، وقالوا: إن الله لم يموت، والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت، وهو شخص واحد لا نقول شخصان لئلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم»^(٥).

وهذا المذهب يمثل في عصرنا الحاضر الكنيسة الكاثوليكية، فهي امتداد لها^(٦).

ثانياً: فرقة النسطورية:

يقول الشهرستاني في التعريف بهم: «أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥١).

(٣) انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٧).

(٤) انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٨).

(٥) الجواب الصحيح (٤/ ٩٣).

(٦) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها (ص: ١٤٩).

المؤمن»^(١)، وهذا غير صحيح؛ لأن نسطور كما يذكر ابن حزم كان بطريكاً للقسطنطينية سنة ٤٢٨م^(٢)، ومما يثبت ذلك أن مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٣١م إنما انعقد للحكم على أفكار نسطور.

وقال ابن حزم: «وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور بطريكاً بالقسطنطينية»^(٣).

ومن آرائهم:

- ١ - قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله -تعالى الله عن كفرهم-^(٤).
- ٢ - أن الإله اتحد مع الإنسان يعني أنهما صارا شيئاً واحداً كاتحاد الماء يلقى في الزيت، فكل واحد منهما باقٍ بحسبه^(٥).
- ٣ - إن الموت والصلب إنما وقع على الناسوت خاصة^(٦).

قال الحسن بن أيوب: «قالوا: إن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، وأن طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها الكلمة التي صارت الطبيعتان بجهة واحدة وإرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصان، ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بتلك إلهاً وإنساناً، فهو إله بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان، وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته»^(٧).

قال ابن القيم: «ذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل بالزيادة والنقصان، وكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً،

(١) الملل والنحل (٢/ ٢٩).

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها (ص: ١٥٠).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥١).

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥٨).

(٧) الجواب الصحيح (٤/ ٩٣-٩٤).

فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان. وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط»^(١).

ولا يزال يوجد أتباع لهذه الفرقة إلى اليوم في إيران والهند^(٢).

ثالثاً: اليعقوبية:

قال ابن القيم: «وهم أتباع يعقوب البرادعي، ولقب بذلك؛ لأن لباسه كان من خروق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها»^(٣).

وقال ابن حزم: «وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة»^(٤).

ومن آرائهم:

- ١ - قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٥).
- ٢ - أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداها طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصارتا إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً، وهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، هو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين^(٦).
- ٣ - أن المسيح جوهر من جوهرين، وهو إله، وهو المولود، قالوا: إن مريم ولدت إلهًا، -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-^(٧).
- ٤ - إن المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله -تعالى عن عظيم كفرهم- مات وصلب وقتل، ويلزمهم على هذا -كما يقول ابن حزم- أن العالم بقي ثلاثة أيام بلا

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٦).

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها (ص: ١٥١).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٤).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨).

(٥) انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٠).

(٦) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٤). الملل والنحل (٢/ ٣١).

(٧) انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٢).

مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان وأن الله تعالى عاد محدثا وأن المحدث عاد قديما وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به (١).
 ٥ - إن الإله اتحد مع الإنسان يعني أنهما صارا شيئًا واحدًا كاتحاد الماء يلقي في الخمر فيصيران شيئًا واحدًا (٢).

يقول الحسن بن أيوب: «يقولون: إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنسانا واحدا وجوهرا واحدا وشخصا واحدا، وأن هذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين، وقالوا: إن مريم ولدت الله، تعالى الله عما يقولون، وإن الله مات وتأم وصلب متجسدا، ودفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء، فجاءوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت، أو على الأرض لانشقت، أو على الجبال لانهدت، فلم يكن لمحاكاة هؤلاء وجه، إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك، وكان غيرهم من النصارى كالمالكانية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم» (٣).

ويقول ابن القيم: «كل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبداً لله، وهو لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها، بل أعلى منازل عبودية الله، ومحمد وإبراهيم خير منه، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية بالله تعالى، ويا فوز من رضيه أن يكون له عبداً، فلم ترض المثلثة بذلك» (٤).

القسم الثاني: الفرق المعاصرة:

انقسمت النصرانية في عصرنا الحاضر إلى ثلاث فرق رئيسة هي:

أولاً: الكاثوليك:

كلمة (كاثوليك) مشتقة من الكلمة اليونانية (كاثوليكوس) ومعناها: عام أو عالمي، فمعنى الكنيسة الكاثوليكية: الكنيسة المسيحية العالمية (٥).

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨)، هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٤).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥١).

(٣) الجواب الصحيح (٤/ ٩١-٩٢).

(٤) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٣٦).

(٥) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد (ص: ٦).

والمذهب الكاثوليكي هو مذهب الكنيسة الغربية المنشقة عن الكنيسة الشرقية بعد اختلافهم في طبيعة المسيح والروح القدس، وتسمى الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية؛ نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين؛ لأن هذه الفرقة ترى نفسها وارثة لبطرس^(١).

ومن آراء الكاثوليك:

- ١- أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين متميزتين بعد الاتحاد: لاهوتية، وناسوتية.
- ٢- أن الروح القدس منبثق من الآب والابن.
- ٣- الكنيسة لها حق مغفرة الخطايا للأفراد بدون توبة؛ لأنها هي التي تملك حق الغفران لمن تشاء، وذلك عن طريق الاعتراف، وهو أن يبوح الإنسان لقسيس بما فعل من آثام، ويظهر له الندم، فيقبل القسيس منه ذلك ويصدر له صك الغفران، كما سبق.
- ٤- أن البابا معصوم من الخطايا، ويحق له أن يفعل ما يريد ويشرع لهم ما يشاء.
- ٥- يحرم الزواج على جميع رجال الدين.
- ٦- تحريم الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالة الزنا.
- ٧- اتخذت الكنيسة الكاثوليكية التماثيل المنحوتة والصور للمسيح والقديسين.
- ٨- العشاء الرباني، ويقصدون به عشاء عيسى مع تلاميذه، ويعتقدون أن الخبز والخمر اللذين يعدهما المصلون ويتناولونهما في بعض الأعياد يستحيلان إلى جسم المسيح ودمه، كما سبق.
- ٩- الاصطباغ أو التعميد أو المعمودية، وهو تعبير عن غسل أجسام المذنبين ليدفعهم إلى التوبة، كما مر.
- ١٠- تفسير الكتاب المقدس مختص بالبابا ورجال الكهنوت، وله نسخ الشريعة وإلغاء الأحكام وإصدار صكوك الغفران^(٢).

ثانياً: الأرثوذكس:

الأرثوذكس معناها: الدين القويم، وهي كلمة يونانية، ومن معانيها: الرأي الحق القويم أو

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٦٤).

(٢) انظر: الفروق العقيدية (ص: ١٥) وما بعدها، الكنيسة أسرارها وطقوسها (ص: ١٦٢)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٦٥) وما بعدها.

المذهب المستقيم^(١)، وهو مذهب الكنيسة الشرقية، وأتباعها منتشرون اليوم في الشرق واليونان وتركيا وروسيا^(٢).

ومن آراء الأرثوذكس:

- ١- أن المسيح قد اتحد لاهوته مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير؛ إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد.
- ٢- الروح القدس منبثق من الآب فقط.
- ٣- يباح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية، ويحرم الزواج بين المطلق والمطلقة.
- ٤- تقديس صور المسيح والقديسين والسجود لها.
- ٥- لا يقولون بعصمة البابا^(٣).

ثالثاً: البروتستانت:

وهم الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الديني، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية؛ لأنه عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى في الإنجليزية: (protest)، وكان ذلك سنة ١٥٢٩م، فالبروتستانت هم المحتجون والمعارضون للأكثرية المتمسكة بكل التعاليم الكاثوليكية^(٤).

وقد ظهر المذهب البروتستانتي في خلال القرن السادس عشر على يد الراهب الألماني مارتن لوثر، نتيجة لاستبداد البابا الذي جعل من النصرانية مجموعة من الرسوم والطقوس المجردة عن معانيها الروحية والخلقية، والبروتستانتية موجودة اليوم في كثير من البلاد الأوربية كإنجلترا وألمانيا والدانمارك وسويسرا وهولندا والنرويج، والولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت تغزو بعض البلدان الشرقية في جنوب السودان والصين واليابان^(٥).

(١) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية (ص: ٥).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٧٣).

(٣) انظر: الفروق العقيدية (ص: ١٤) وما بعدها، الكنيسة أسرارها وطقوسها (ص: ١٥٥)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٧٤).

(٤) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية (ص: ٨).

(٥) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٧٤).

ومن آراء البروتستانت:

- ١- لا تختلف عن غيرها في القول بالتثليث وألوهية المسيح وصلبه وقيامته وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم.
- ٢- لا يعترف البروتستانت برئاسة دينية ولا يرون في رجال الدين وعلى رأسهم البابا إلا رجالاً عاديين اختيروا لتمثيل الشعب وقيادته، لا يعترفون بالنظام البابوي ولا بالدرجات الكنسية، فكلها عندهم واحدة.
- ٣- عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، ويرون أن ذلك من مظاهر الوثنية.
- ٤- ينكرون ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، ويرون أن هذه الأمور من المحدثات.
- ٥- ليس للكنيسة في البروتستانتية سلطان على كنيسة أخرى.
- ٦- أن رجال الدين لا يملكون منح الغفران، وإنما يمنح الغفران لمن تاب وندم على خطيئته.
- ٧- الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للنصرانية.
- ٨- لكل فرد أن يفسر الكتاب المقدس بنفسه، فهو يقوم على إتاحة المناقشة والجدل فيما ورد في الكتاب المقدس.
- ٩- لا تؤمن بالرهبة وتقول: إن عدم زواج رجال الدين هو مناف للكتاب المقدس.
- ١٠- لا تؤمن بالسجود للقديسين، وينكرون اتخاذهم وسطاء.
- ١١- أنكروا أن يكون المسيح يحل في بدن كل من يأكل العشاء الرباني، وأنكروا استحالة الخبز والخمر إلى لحم المسيح ودمه، واكتفوا بأن يكون العشاء الرباني مجرد تذكير لما قام به المسيح من فداء للخليقة^(١).

(١) انظر: الفروق العقيدية (ص: ١٤) وما بعدها، الكنيسة أسرارها طقوسها (ص: ١٦٢)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٤٧٦-٤٧٨).

المبحث الثامن:

الدلائل الموجودة في التوراة والإنجيل على بعثة نبينا محمد ﷺ

الدلائل الموجودة في التوراة على بعثة نبينا محمد ﷺ:

قال ابن حزم: «إن كَفَّار بني إسرائيل بدَّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجةً عليهم»^(١).

ومما بقي في كتبهم من الحق البشارات بنوَّة نبينا محمد ﷺ، ومنها ما جاء في سفر التثنية: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل فاران»^(٢)، وفي هذا النص إشارة إلى نبوة موسى -عليه السلام- في قوله: «من سيناء»، وإلى نبوة عيسى -عليه السلام- في قوله: «من سعير»، وهي قرية قرب بيت المقدس، وإلى نبوة محمد ﷺ في قوله: «من فاران» وهي مكة، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن قتيبة قوله: «ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن (فاران) هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم»^(٣).

وجاء التأكيد على أن فاران هي مكة بنص كتابهم المقدس عندهم، جاء في سفر التكوين أن إبراهيم -عليه السلام- استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل، وأخذها وولدها وأسكنها في برية فاران^(٤).

وفي سفر التثنية أيضاً (١٨ : ١٨) يقول موسى مخاطباً بني إسرائيل: «قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»^(٥). قال الإمام ابن القيم: «قال المسلمون: البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله ﷺ لا تحتمل على غيره، لأنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال: (أقيم لهم نبياً من أنفسهم)، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٧).

(٢) سفر التثنية (٣٣ : ١-٢).

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٢٠٠).

(٤) انظر: سفر التكوين (٢١ : ٩-٢١).

(٥) سفر التثنية (١٨ : ١٨).

من أنفسهم ﴿١﴾ (إل عمران: ١٦٤)، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يقال في لغة أمة من الأمم إن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه»^(١). وعن أبي صخر العقيلي، قال: حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلا سمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر، وعمر يمشون، فتبعتهم في أقبائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «أشذك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟»، فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال: «أقيموا اليهود عن أخيكم»، ثم ولي كفته وجنَّته والصلاة عليه^(٢).

الدلائل الموجودة في الإنجيل على بعثة نبينا محمد ﷺ:

جاء في إنجيل متى قول المسيح: «أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره»^(٣). قال الإمام ابن القيم: «وتأمل قوله فيها: (إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى)، كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)»^(٤).

وجاء في إنجيل يوحنا: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي»^(٥).

وفي يوحنا أيضاً: «لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهب أرسله إليكم»^(٦)، والمعزي معناه: روح الحق الذي يفرق بين الحق والباطل^(٧).

وفي يوحنا: «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما

(١) هداية الحيارى (١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٤٧٦-٤٧٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ج ٣٢٦٩).

(٣) إنجيل متى (٢١: ٤٣).

(٤) هداية الحيارى (١/ ٣٣٨).

(٥) إنجيل يوحنا (١٥: ٢٦).

(٦) إنجيل يوحنا (١٦: ٧).

(٧) انظر: موسوعة بيان الإسلام (٥/ ٢٦).

يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية. ذاك بمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»^(١). هذه بعض البشارات الثابتة في كتبهم أبقاها الله حجة عليهم، مع أنهم حاولوا ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة إتلافها وتحريفها، يقول المستشرق مونتجمري واط عن القديس توما الأكويني: «على الرغم من قوله: إن الإنجيل تنبأ به، يؤكد التدقيق في ذلك أنه أتلف كافة الأدلة الواردة في العهدين القديم والجديد»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بمهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه، وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: «إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ﷺ وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة»، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل، هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر، ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة، والقسيسين، والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحبا بكم، وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه، وأمر بمهدية الآخرين فردت إليهما^(٣).

قال الإمام ابن القيم: «الأخبار والبشارة بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق: أحدها: ما ذكرناه^(٤)، وهو قليل من كثير وغيض من فيض.

الثاني: إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم، وأنهم وعدوا به، وأن الأنبياء بشرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا الأمر لا وجود له ألبتة، لكان مغرِبًا لهم بتكذيبه منفردًا لأتباعه محتجًا على دعواه بما يشهد ببطلانها.

(١) يوحنا (١٦: ١٢-١٤).

(٢) تأثير الإسلام في أوروبا. وليام مونتجمري واط (ص: ١٣٣). ترجمة: سارة إبراهيم الذيب.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٤٠٨-٤٠٩). وقال الألباني: «هذا إسناد جيد قوي» (صحيح السيرة النبوية ص: ١٦٦).

(٤) أي من نصوص التوراة والإنجيل، وستأتي.

الثالث: أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن، يخرج في آخر الزمان، نعتة كيت وكيت، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى، فأما المسلمون فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه، وعرفوا أنه الحق من ربهم. وأما اليهود فعلمواؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله، فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته، وقال للأتباع: إنه لم يخرج بعد.

وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح، ولا ريب أن بعضها صريح فيه، وبعضها ممتنع حمله عليه، وبعضها محتمل. وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحوارين، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم، حرفوه أو سكتوا عنه، وقالوا: لا ندري من المراد به.

الرابع: اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها بشهادة المسلمين منهم بها، مع تباين أعصارها وأمصارها وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها؟! وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات»^(١).

(١) هداية الحيارى (٢/٤١٤-٤١٥).

المبحث التاسع:

النصرانية في العصر الحديث

أولاً: مواطنها ودولها:

تنتشر النصرانية في أكثر بلاد العالم، وتتركز في أوروبا وأمريكا، وأكثر الأقليات النصرانية وجوداً في العالم الإسلامي في مصر والشام والمغرب والسودان، كما أن لها نشاطاً وانتشاراً واسعاً في أفريقيا وأستراليا وشرق آسيا.

وقد أفادت دراسة أجراها مركز بيو الأميركي للأبحاث حول الديانات أن المسيحيين هم المجموعة الدينية الأكبر في العالم ٢,٢ مليار نسمة، وهو ما يعادل نسبة ٣١٪ من سكان العالم، يليهم المسلمون، وبعدهم الهندوس والبوذيون^(١)، ويحتل الإسلام المكانة الأولى في كثرة أعداد الداخلين فيه، وفي دراسة أعدها مركز بيو الأميركي اكتشف أن عدد السكان المسلمين سينمو بنسبة ٧٣٪ بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠٥٠، بالمقارنة مع ٣٥٪ لدى المسيحيين ثاني أسرع ديانة نمواً في العالم^(٢).

ثانياً: نشاط النصرانية ضد الإسلام في العصر الحاضر:

للنصرانية في العصر الحاضر نشاط واسع النطاق، يمتاز بالتنظيم والتخطيط والدقة، بالإضافة إلى قوة الدعم المادي والبشري الذي يبذله النصارى، ويتمثل هذا النشاط في عدة وجوه نوجزها فيما يلي:

(١) انظر موقع: <http://www.france24.com>

(٢) انظر: <http://almoslim.net/news/٢٨٦٧٢٧>.

أ- النشاط التنصيري وهو ما يسمى (التبشير)^(١):

تعريفه: «التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب»^(٢).

نشأته: نشأ التنصير في القرن الثالث عشر الميلادي، بعد فشل الحروب الصليبية، يقول أحمد ديدات: «لقد تأخرت نشأة التبشير عن نشأة الاستشراق ولكنها صاحبتة وتعاونت معه، وكانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثًا في أحوال الغزاة الذين وصلوا إلى قلب أوروبا ومن قبلها الأندلس ثم الحروب الصليبية خدمة لها وتبصيرًا وتوجيهًا، ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك، ويلتقي هنا التبشير مع الاستشراق، فلقد كان ميلاد التبشير مع فشل الحروب الصليبية تنفيذًا لوصية قائد الحملة الثامنة لويس التاسع حيث نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية»^(٣).

وأول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها هو الأسباني ريموند لول (١٢٣٥-١٣١٥م)، فتعلم اللغة العربية، وجال في بلاد الإسلام، وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة^(٤).

أهداف التنصير:

يمكن تلخيص أهم أهداف التنصير فيما يلي:

١- إضعاف صلة المسلمين بدينهم، وهذا ما صرح به صموئيل زويمر في مؤتمر القدس

(١) يسميه دعاة النصرانية بهذا الاسم (التبشير)، والمتعين أن يسمى بـ(التنصير)؛ لأن الأصل أن التبشير إنما يكون بالخبر، ودعوتهم شر وكفر. وقد يستعمل لفظ (التبشير) -عند بعض العلماء- في الشر. وقال الحريري: «وعند أكثرهم أن لفظه بشرته لا تستعمل إلا في الإخبار بالخبر. وليس كذلك. بل قد تستعمل في الإخبار بالشر كما قال سبحانه: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾» (درة الغواص في أوامير الخواص. ص: ١٦٧). وقال الرازي: «التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغير بشرة الوجه. ومعلوم أن السرور كما يوجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجبه، فوجب أن يكون لفظه التبشير حقيقة في القسمين» (تفسير الرازي ٢٠ / ٢٢٥).

(٢) للتوسع في معرفة النشاط التنصيري في البلاد الإسلامية. انظر: الغارة على العالم الإسلامي. شاتليه، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، تحرير دون م. ماكوري، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢ / ٦٦٥).

(٤) حوار مع مبشر، أحمد ديدات (ص: ١١)، ترجمة: علي عثمان.

(٥) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٢٩-٣٠).

التنصيري عام ١٩٣٥م حين قال: «مهمة التبشير التي نذبّتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»^(١)، ويقول أيضاً: «أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان، إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح، فلنفرقه بالشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان حتى يصبح مسخاً لا يصلح لأي شيء»^(٢).

٢- القضاء على العالم الإسلامي وتمزيق وحدته: يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجتمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نجول بالتبشير باتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية»^(٣).

٣- نشر الأفكار والمذاهب المعادية للإسلام، يقول شاتليه: «لا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن ترحز العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا بيث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فيُنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يتحكك الإسلام بصحف أوروبا وتمهّد السبل لتقدّم إسلامي مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها»^(٤).

٤- نشر النصرانية في العالم الإسلامي: يقول المنصّر روبرت ماكس: «لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة»^(٥).

وسائل التنصير:

١- استغلال الفقر والجهل والمرض: ينشط التنصير في البلاد الإسلامية التي يسود فيها الجهل والفقر كأفريقيا، وأندونيسيا، وشرق آسيا. ويتخذ كافة الأساليب من

(١) الاستشراق والتبشير، د. محمد الجليلند (ص: ١٢٩).

(٢) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي (ص: ٩٦).

(٣) قادة الغرب يقولون، جلال العالم (ص: ٥٥).

(٤) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه (ص: ١٧-١٨).

(٥) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي (ص: ١٣).

- ١١ - بناء أكبر عدد من الكنائس في بلاد المسلمين.
- ١٢ - العلاج الطبي عن طريق الإرساليات والمستشفيات الطبية التنصيرية.
- ١٣ - استغلال الجمعيات والأعمال الاجتماعية^(١).

أساليب تأهيل المنصرين:

وضع المؤتمر التنصيري المعقود بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م مجموعة من التوصيات لهذه الوسائل الصريحة تعد قواعد ومعالم للحملات التنصيرية في المجتمع المسلم بخاصة.

أ - ففيما يتعلق بالمنصر أو المنصرة أوجبوا عليهما الآتي:

- ١ - تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.
 - ٢ - مخاطبة العوام على قدر عقولهم.
 - ٣ - إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.
 - ٤ - الجلوس أثناء إلقاء الخطب.
 - ٥ - الابتعاد عن الكلمات الأجنبية أثناء إلقاء الخطب.
 - ٦ - الاعتناء باختيار الموضوعات.
 - ٧ - العلم بآيات القرآن والإنجيل.
 - ٨ - الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية.
- ب - استخدام الوسائل المحببة إلى المسلمين من العوام كالموسيقى وعرض المناظر بالفانوس السحري، أي استخدام تقنيات التعليم.
- ج - دراسة القرآن للوقف على ما فيه.
- د - عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.
- هـ - إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.
- و - إيجاد منصرين من بين المسلمين ومن أنفسهم.
- ز - زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية

(١) انظر تفصيل ذلك وشواهد من أقوال المنصرين في: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٤٦) وما بعدها.

عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل^(١).

مؤتمرات التنصير:

كان القسيس زويمر هو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير للتفكير في نشر النصرانية بين المسلمين، ومن هذه المؤتمرات ما يلي:

مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م: افتتح المؤتمر في منزل عرابي باشا بباب اللوق، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ رجلاً وامرأة، وفي هذا المؤتمر انتخب القسيس زويمر رئيساً له، ومن أهم المسائل التي نوقشت في هذا المؤتمر: ملخص إحصائي لعدد المسلمين في العالم، وحالة الإسلام في أفريقيا والهند وفارس والملايو والصين، والنشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام، وموضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الإسلام^(٢).

مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م: عقد هذا المؤتمر في سبتمبر ١٩١٠م، وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداورات أعضائه، ونشرت أعمال هذا المؤتمر في ٩ مجلدات، وكان فيه ١٢٠٠ مندوب من مختلف الجنسيات، ومما جاء فيه ان عدد المبشرين وصل إلى ٩٨٣٨٨ مبشراً تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥٥٠٠٠٠٠ شخص، وقرروا إصدار مجلة إنجليزية خاصة بالأبحاث الإسلامية ودراسة أفكار المسلمين، والخطة التي ينبغي انتهاجها لنشر النصرانية، والتأكيد على معرفة الإسلام قبل الاحتكاك به، فالغاية من هذا المؤتمر هي البحث في مسائل العالم غير النصراني، وإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في عملهم، وفي نهاية المؤتمر قال اللورد بلفور: «إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة، ولولاها لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين»، وقد أجيّب إلى اقتراحه وتألفت لجنة لهذا الغرض^(٣).

مؤتمر لكنوعام ١٩١١م: عقد هذا المؤتمر في مدينة لكنوعام الهند يوم ٢١ يناير عام ١٩١١م،

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٥٣)، التنصير مفهومه وأنواعه، د. النملة (ص: ٣٧-٣٨).

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٤٩-٥١).

(٣) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ١٠٦) وما بعدها.

واشترك فيه ١٦٨ مندوبًا، و١١٣ مدعوا من ٥٤ جمعية تنصيرية، وكان رئيسه القسيس زويمر، وقد شمل برنامج هذا المؤتمر عدة أمور: (١) دراسة الحالة الحاضرة للإسلام. (٢) استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي (٣) إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها^(١).

مؤتمر كولورادو ١٩٧٨م: وهو يعد من أخطر المؤتمرات، وقد عقد في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركًا يمثلون أنشطة العناصر التنصيرية في العالم، واستمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل وتقديمه للمسلمين والكنائس الديناميكية في المجتمع المسلم، وتجسيد المسيح وتحييه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين، وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي، وقد انتهى المؤتمر بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وإيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى^(٢).

وسائل مواجهة التنصير:

لا بد من مواجهة النشاط التنصيري وفق خطط مدروسة، ووسائل عملية، عمادها أصلان:

الأول: الدعوة إلى الإسلام.

والثاني: كشف حقيقة التنصير وخططه وأهدافه^(٣).

ب- النشاط الاستشراقي:

تعريفه: الاستشراق: هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وأديانه، وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكتاب الغربيين، الذين يكتبون عن الإسلام

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ١٤١) وما بعدها

(٢) انظر الترجمة الكاملة لأعمال هذا المؤتمر في: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، دون ماكري.

(٣) انظر تفصيل القول في مواجهة التنصير في: حقيقة التبشير (ص: ١٩٢) وما بعدها، التنصير مفهومه وأنواعه، د. علي النملة (ص: ٧٥) وما بعدها.

وعقيدته وتاريخه وحضارته^(١).

نشأته: بدأ الاستشراق في القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان من النصارى، ثم نشط الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي بتأثير الحروب الصليبية والتي استمرت زهاء قرنين، ثم ازداد نشاط الاستشراق مع بداية الأطماع الأوربية الاستعمارية للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر^(٢).

كما كان لاتصال الأوروبيين بالحضارة الإسلامية أثر في النشاط الاستشراقي، فقد كانت أوروبا بداية من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي تعيش فترة يسمونها (العصور الوسطى) كانت أوروبا تعيش فيها حياة مظلمة بائسة، في ظل كنيسة متسلطة مستبدة، وكان أبرز حدث في تاريخ هذه الفترة: اتصال أوروبا بالحضارة الإسلامية في الأندلس، فأخذ الفرنجة يرتادون الأندلس، ينهلون من مناهل العلم، وكانت هذه الصلة أساس النهضة الأوربية المادية الحديثة، وقد ظلت ترجمات كتب المسلمين ولا سيما كتب العلوم التجريبية مصدرًا وحيثًا للتدريس في جامعات أوروبا طيلة خمسة قرون، وفي القرن السادس عشر أمر ملك فرنسا بجمع المخطوطات الشرقية في القسطنطينية للاستفادة منها، وفي عام ١٠٣٩م نشر بوستل كتابه (القواعد العربية) وهو أول كتاب في قواعد اللغة العربية الفصحى ينشر في الغرب، وقد ورد في مقدمة الكتاب شرح للأسباب التي من أجلها على الأوروبي أن يتعلم العربية وهي:

١- كتب الطب العربية هي أفضل المتوفرة من الكتب.

٢- اللغة العربية مفتاح أدب غني.

٣- تتيح اللغة العربية لمن يتكلمها أن يتصل بأكبر عدد من الشعوب.

هذا اللون من الاستشراق دافعه علمي، وهدفه سلمي، وهو اتجاه طبيعي في حياة الأمم، ولم يكن وليد الخطة الاستشراقية العدائية ضد الأمة المسلمة.

(١) انظر: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي (ص: ٥).

(٢) انظر: أضواء على الاستشراق، د. محمد عبد الفتاح عليان (ص: ٧-٨).

وكان الهدف العلمي للاستشراق سببًا لإسلام طائفة من الغربيين^(١).

أهداف المستشرقين:

وظف الاستشراق نفسه في الغالب لخدمة الاستعمار، جاء في المذكرة التي رفعها جمع من الأحرار سنة ١٩٢٩م إلى المسؤولين في جامعة كامبردج، والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية ما يلي: «يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة - إذا شاء الله - في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة»^(٢)، يقصدون المسلمين!

ولذا كان من أبرز أهداف المستشرقين ما يلي:

- ١- الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، فقد عمل المستشرقون على الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم.
- ٢- إضعاف الروح الإسلامية عند المسلمين بتشكيكهم في دينهم، وبث الفرقة بينهم، ومحاولة تنصيرهم.

٣- تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية فكريًا بتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية والنصرانية، وتشويه قيم الإسلام ومبادئه، يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: «لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وأدبهم، والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب في أن نبعثهم ضعفاء»، ويكشف الأستاذ إبراهيم خليل أحمد عن هدف الاستشراق فيقول: «فهدف التبشير والاستشراق هو تمكين الأوروبي المسيحي من البلاد الإسلامية، كما يبدو واضحًا من أقوال زعماء التبشير والاستشراق، وكما لمستته في حياتي الأولى»^(٣) يعني قبل دخوله الإسلام.

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب (ص: ١٨٠-١٨١).

(٢) المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد (ص: ١٤).

(٣) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي. إبراهيم خليل أحمد (ص: ٣٩).

ج- الاحتلال العسكري:

وقد بدأت موجة الاحتلال العسكري للعالم الإسلامي من قبل النصارى قوية وعنيفة منذ أواخر القرن الثالث للهجرة، ثم ازدادت عنفًا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (وهي ما يسمى بالحروب الصليبية).

لكن كان المسلمون في ذلك الوقت أكثر تماسكًا بدينهم، وأكثر استعدادًا للجهاد، فاستطاعوا أن يردوا هجمات النصارى الوحشية أكثر من مرة، وانتهت بالحملة التي قادها صلاح الدين الأيوبي، حين طهر أرض مصر والشام من آثار الدولة العبيدية الباطنية ثم جمع كلمة المسلمين تحت راية الجهاد فأجلى النصارى عن القدس، والله الحمد.

وبعد ذلك بعدة قرون بدأت هجمات النصارى عبر البرتغال على أطراف البلاد الإسلامية في أفريقيا، وشرق آسيا، ثم تبعتها بريطانيا وإيطاليا في احتلال الهند وأندونيسيا وبعض بلاد المغرب.

وبعد أن ضعف المسلمون، وكثرت فيهم البدع والخرافات، وتعاضم المد الرافضي الباطني، واجتالتهم الطرق الصوفية المخذلة، والتجأ بعضهم إلى التعلق بالقبور والتمسح بها والذبح لها ودعاء الموتى، واستسلم بعضهم إلى ملذات الدنيا، والبعض الآخر بدأ يتشبث بالأفكار الغربية الوافدة، وقعدوا عن الجهاد، بعد ذلك انقضت عليهم الدول النصارى من كل جانب، ولم تنته الحربان العالميتان إلا والعالم الإسلامي غالبه تحت السيطرة الغربية النصارى أو الروسية الشيوعية.

ملخص الفصل الثالث

- النصرانية لغة: نسبة إلى صفة النصر، أو إلى قرية بالشام يقال لها: نصران، أو نصر، أو ناصرة، والنصراني: من يعتقد بدين النصارى، واصطلاحًا: هي الدين المبذل بعد عيسى -عليه السلام-.
- من ألقاب النصارى: (١) المسيحيون؛ نسبة إلى المسيح -عليه السلام- حسب دعواهم، (٢) وكذا أهل الإنجيل؛ نسبة إلى كتابهم الإنجيل، (٣) ويلقبون أيضًا بأهل الكتاب مع اليهود.
- مرت النصرانية بأربعة أطوار أساسية شكلت في مجموعها الشكل النهائي للدين النصراني الذي نراه اليوم.
- أولها: طور التوحيد الخالص الذي يمتد من بعثة المسيح -عليه السلام- إلى رفعه، وما سبق ذلك من إرهابات المولد والبعثة، وكل هذا إنما يعلم من خلال القرآن الكريم أصالة.
- وثانيها: طور ما بعد رفع المسيح -عليه السلام- إلى زمن بولس؛ وقد تعرض دعاة النصرانية فيه لأبشع صنوف الاضطهاد من قبل الدولة الرومانية.
- والطور الثالث: يبدأ بدخول بولس اليهودي في النصرانية وانحرافه بالنصرانية عن أصلها الذي جاء به عيسى وإدخاله فيها ما ليس منها.
- والطور الرابع: طور المجامع النصرانية التي كان لها دور في تثبيت أو زيادة أو حذف ما يريده القسس في دين النصرانية، وكان أول هذه المجامع في نيقيا سنة ٣٢٥م.
- أشهر المجامع النصرانية أربعة:
- الأول: مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م، ومن أهم قراراته تقرير ألوهية المسيح.
- والثاني: المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م، ومن أهم قراراته تقرير ألوهية الروح القدس.
- والثالث: مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، ومن أهم قراراته إقرار طبيعتين للمسيح واحدة لاهوتية، والأخرى ناسوتية بشرية.

والرابع: مجمع خلكيديونية سنة ٤٥١م، ومن أهم قراراته أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن اللاهوت والناسوت طبيعتان التقتا في المسيح.

- مصادر النصرانية ثلاثة؛ وهي: (١) العهد القديم، وهو توراة موسى وما ألحق بها من أسفار، وهو القسم المشترك بين اليهودية والمسيحية على اختلاف بينهم في المعتمد من أسفاره. (٢) العهد الجديد، وفيه الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، ومجموع الرسائل، وسفر الرؤيا، وهي الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف، فلم يتفق النصارى على عدد محدد لأسفار العهد القديم أو الجديد. (٣) التقليد؛ ويشمل كل ما أثر عن الآباء والقسس، وما أقرته المجامع النصرانية المختلفة.

- إن براهين تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى كثيرة جداً، ومن أهمها: شهادة القرآن بتحريف النصارى لكتابهم، واعتراف النصارى أنفسهم بنسبة الأناجيل التي بين أيديهم إلى غير الله. وثبوت انقطاع أسانيدنا إلى كتابتها، وتناقض واختلاف نسخها ومتونها، إضافة إلى إسقاطهم لكثير من الأناجيل التي لا تتفق مع مبتدعات بولس، ومجهولية مؤلفي الأناجيل، كما توجد نصوص كثيرة في كتابهم تبطل دعوى الوحي والإلهام لكتابه.

من أهم عقائد النصرانية:

- **عقيدة التثليث**، وتعني عندهم أن الله -تعالى عما يقولون- عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية ومنفصلة عن بعضها وأبدية، وهي: الآب والابن والروح القدس، وقد اقتبس النصارى فكرة التثليث من الفلسفة اليونانية الممتزجة بالديانات الوثنية، ويظل هذه العقيدة إضافة إلى براهين العقل والشرع ما جاء في كتابهم المقدس من إشارات إلى وجوب توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ونصوص كثيرة تصرح ببشرية المسيح وأنه عبد رسول.

- **الصليب والفداء**: يعتقد النصارى أن عيسى -عليه السلام- صُلب ومات على الصليب، وكان صلبه لتكفير الخطيئة الأولى التي ورثها البشرية بزعمهم عن آدم -عليه السلام- حين أكل من الشجرة، وقد اختلفت أناجيلهم في حكاية تفاصيل

قصة الصلب كشأن أي رواية مختلفة، كما أنها لا تذكر بأن المسيح صُلب لكي يفندي الناس ويغفر لهم الخطايا، كما أن هناك من النصارى الأوائل من أنكر حصول الصلب، واحتقر الصليب، ووقف منه موقف العداء الشديد.

- **قيامه المسيح:** يعتقد النصارى بأن عيسى -عليه السلام- بعد أن مات على الصليب ودفن قام في اليوم الثالث من قبره والتقى ببعض تلامذته، ثم صعد إلى السماء ليكون بجوار الآب، وهم يعتقدون أن المسيح أخبر بقيامته من بين الأموات مرات عديدة قبل صلبه وموته ودفنه، ومما يبين بطلان هذه العقيدة الاضطراب الشديد والتناقضات الكثيرة بين الأناجيل في حكاية قصة قيامة المسيح بعد موته، ومخالفتها لصريح العقل.

- **التعميد:** وهو رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، أو يغمس الشخص كله في الماء، وهو عندهم فريضة مقدسة يشار فيها للغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح، ويعتمد الشخص في أي وقت من حياته، ولو على فراش الموت، ولا يقوم بالتعميد إلا أسقف أو قسيس يعاونه الشماسون.

- **العشاء الرباني:** وفيه يأكل النصارى الخبز ويشرب الخمر حيث يعتقد أن الخبز يستحيل إلى لحم المسيح، والخمر يستحيل إلى دمه، وهو عندهم فريضة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها الجسد، وقد اختلفت الكنائس في فاعلية العشاء الرباني، فالكنائس البروتستانتية ترفض مبدأ استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وأما الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية فتقول بالاستحالة.

- **الاعتراف:** التوبة لا تتحقق عند أكثر النصارى إلا بالاعتراف، والاعتراف هو الإقرار بالذنوب كلها أمام القسيس، ثم القسيس هو الذي يمنحه صك الغفران بعد ذلك.

- **مسحة المرضى:** هو سر مقدس يمسح به الكاهن المريض بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية ليشفى من أمراضه الروحية والجسدية بزعمهم.

- **محاسبة المسيح للناس يوم القيامة:** يعتقد النصارى أن عيسى -عليه السلام- هو من يتولى محاسبة الناس يوم القيامة ويجازيهم على أعمالهم.

- من شرائع الطهارة، وهي عندهم غسل الوجه واليدين فقط.
- الصلاة عندهم هي: مخاطبة الإنسان للإله تعالى بشكره وتمجيده والإقرار بربوبيته، والصلوات سبع صلوات متوجّها إلى المشرق قاصداً بها شخص المسيح، فأساسها هو الإخلاص للمسيح.
- الصوم عند النصارى هو انقطاع عن الطعام مدة معينة من النهار، في آخرها يتعاطى الصائم مأكولات خفيفة خالية من الدسم، ولا يؤكل فيه حيوان ولا ما هو من حيوان، وقامت الكنيسة بفرض صوم أيام محددة على النصارى، وأكثرها لا أصل لها في شريعة المسيح.
- الصدقة عندهم هي جود الإنسان بأمواله على المحتاجين إليها.
- النذر عندهم هو تعهد فعل شيء ما إن تحقق أمر ما، ولما كان تحقق ذلك الأمر بيد الله فالنذر تعهد أمام الله، ولم يكن النذر أمراً توجيهه الشريعة، بل كان أمراً تطوعياً.
- الزواج سر مقدس يتم بصلاة الإكليل على يد كاهن طبقاً لطقوس الكنيسة، ويعرف بسر الشركة، ولا يحل في شريعتهم للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وإن لم يوجد نص في ذلك عندهم.
- الطلاق عندهم لا يجوز ولا يقع إلا في حالتين هما: زنى أحد الزوجين، أو أن يكون أحدهما غير مسيحي.
- الأعياد التي يحتفل بها النصارى تنقسم إلى قسمين: الأول: الأعياد السيديّة الكبيرة، والثاني: الأعياد السيديّة الصغيرة، وكلها محدثة.
- توجد سبع درجات لرجال الدين عند النصارى، أعلاها: البابا، ثم البطريرك، ثم المطران، فالأسقف، فالقمص، فالقسيس، ثم الشماس.
- انقسمت النصارى قديماً إلى فرق موحّدة، كالأريوسية، وأصحاب بولس الشمشاطي، وأصحاب مقدنيوس، وهم يقولون بتوحيد الله وبشرية المسيح وأنه عبد مرسل من الله، وفرق مثلثة، وأشهرها ثلاث، هي: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، وكلها تقول بالتثليث واختلفوا في طبيعة المسيح.
- انقسم النصارى في الوقت الحاضر إلى ثلاث فرق، وهي: الكاثوليك، والأرثوذكس،

والبروتستانت، (١) فالمذهب الكاثوليكي هو مذهب الكنيسة الغربية المنشقة عن الكنيسة الشرقية بعد اختلافهم في طبيعة المسيح والروح القدس، ويعتقدون أن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد: لاهوتية، وناسوتية، (٢) والمذهب الأرثوذكسي هو مذهب الكنيسة الشرقية، ويعتقدون أن للمسيح طبيعتين بعد التجسد: إلهية وناسوتية تحدثا فيه بلا امتزاج ولا انفصال، (٣) والمذهب البروتستاني كان في الأصل تابعا للكنيسة الكاثوليكية، وقد ظهر في القرن السادس عشر على يد الراهب الألماني مارتن لوثر، نتيجة لاستبداد البابا الذي جعل من النصرانية مجموعة من الرسوم والطقوس المجردة عن معانيها الروحية والخلقية.

- يتمثل النشاط النصراني المعاصر في أمرين:

الأول: التنصير، وهو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، ويهدف إلى: إضعاف صلة المسلمين بدينهم، وإضعاف العالم الإسلامي وتمزيق وحدته، ونشر الأفكار والمذاهب المعادية للإسلام.

والثاني: الاستشراق، وهو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وأديانه، وهدفه الأساس الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، وتمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وبدأ في القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان، ثم نشط في القرن الثاني عشر الميلادي بتأثير الحروب الصليبية.

أسئلة تطبيقية

- ١- عرّف النصرانية لغة واصطلاحاً؟
- ٢- اذكر أسماء النصارى الأخرى مع بيان سبب التسمية؟
- ٣- بيّن أطوار نشأة النصرانية؟
- ٤- اذكر أهم المعتقدات التي أضافها بولس إلى المسيحية؟
- ٥- اذكر أهم المجامع النصرانية؟
- ٦- عدّد مصادر النصرانية؟
- ٧- برهن على تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى؟
- ٨- بيّن المراد بعقيدة التثليث عند النصارى؟
- ٩- ما المقصود بالصلب والفداء عند النصارى؟
- ١٠- وضح مراد النصارى بقيامة المسيح؟
- ١١- بيّن عقيدة النصارى في الحساب الأخروي؟
- ١٢- اذكر بإيجاز شريعة النصارى في الصلاة والصيام.
- ١٣- ما معنى التعميد عند النصارى؟
- ١٤- ما المراد بالعشاء الرباني عند النصارى؟
- ١٥- بيّن كيفية التوبة عند النصارى.
- ١٦- وضح شريعة الزواج والطلاق عند النصارى.
- ١٧- رتب درجات رجال الدين النصارى من الأعلى إلى الأدنى.
- ١٨- اذكر أشهر الفرق النصرانية القديمة والحديثة، مع تعريف موجز بكل فرقة.
- ١٩- عرف التنصير، واذكر أهم أهدافه ووسائله ومؤتمراته.
- ٢٠- عرف الاستشراق، واذكر تاريخ نشأته، وأهم أهدافه.

الفصل الرابع: المجوسية

المبحث الأول:

التعريف بالمجوسية وألقابها

المجوسية لغة:

قال ابن منظور: «المجوسية: نَحْلَةٌ، والمجوسي: منسوب إليها، والجمع: المجوس»^(١). وقال الأزهري: «المجوس: جمع المجوسي، وهو مُعَرَّبٌ، أصله: منج قوش»^(٢)، وكان رجلاً صغير الأذنين، كان أول من دان بدين المجوس، ودعا الناس إليه، فعرّبه العرب، فقالت: مجوس، ونزل القرآن به»^(٣).

المجوسية اصطلاحاً:

هي نَحْلَةٌ وثنية يعبد أهلها النار، ويعتقدون بالهين هما النور والظلمة، حيث يثبتون إلهًا قديمًا يسمونه: يزدان^(٤)، ومعناه: النور، يعنون به الله تعالى، وإلهًا مخلوقًا يسمونه: أهرمن، ومعناه: الظلمة، يعنون به إبليس^(٥).

(١) لسان العرب. لابن منظور (٦/٢١٣).

(٢) قوش. أو كوش؛ وكوش. بالضم: الأذن. ومنج. بمعنى: القَصِير. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. لمرتضى الزبيدي (١٦/٤٩٥).

(٣) تذيب اللغة. للأزهري (١٠/٣١٧-٣١٨). وانظر: لسان العرب (٦/٢١٤-٢١٥)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٦/٤٩٥).

(٤) ويسمى أيضًا: أهورامزدا. ومازدا، وفي الأفسنا - وهو كتابهم المقدس - «عسى أن يكون أهورامزدا الذي يحكم وفق مشيئته بمنح كل إنسان بحسب رغبته» (أفسنا، ترجمة: د. خليل عبد الرحمن ص: ٧٤). وفيه: «بكل سرور أصلي باسطاً يدي نحو مازدا» (أفسنا، ترجمة: د. خليل عبد الرحمن ص: ٥٧).

ومعنى (أهورا): الحكيم الكامل. ومعنى (مزدا): الكلي المعرفة. انظر: الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات. د. جمشيد يوسفى (ص: ١١٤-١١٥).

(٥) انظر: الملل والنحل. للشهرستاني (٢/٣٧-٣٨).

قال الإمام ابن القيم: «هم طائفة قالوا: الصانع اثنان، ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة»^(١).

وقال القرطبي: «المجوس هم عبدة النيران القائلون أن للعالم أصلين: نور وظلمة»^(٢).
وقيل في وصفهم: «إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحي من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة»^(٣).

ألقاب المجوسية:

للمجوسية ألقاب كثيرة، منها:

١- المجوسية، وهذا هو الأشهر، وقد ورد ذكره في القرآن في موضع واحد، وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وجاءت تسميتهم بذلك في السنة، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»^(٤).

٢- الزرادشتية، نسبة إلى زرادشت؛ لأنه جددها وزاد فيها، جاء في تاج العروس: «المجوسية دين قديم، وإنما زرادشت جدده وأظهره وزاد فيه»^(٥)، وقيل: لأنه هو المؤسس لها، ويزعم المجوس أنه نبيهم، قال الطبري: «وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت، الذي تزعم المجوس أنه نبيهم، وكان زرادشت -فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب- من أهل فلسطين، خادماً لبعض تلامذة إرميا النبي خاصاً به، أثيراً عنده، فخانه فكذب عليه، فدعا الله عليه، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان، فشرع بها دين المجوسية»^(٦)، وقيل: إن الزرادشتية فرقة من فرق المجوس، كما سيأتي.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٤٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٣٢٩)، والقاتل هو العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى العبدي صاحب حجر، وهي قرية بالبحرين.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٣٩٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ٦٨)، وضعفه الألباني (إرواء الغليل ح ١٢٤٨).

(٥) تاج العروس (١٦/ ٤٩٥).

(٦) تاريخ الطبري (١/ ٥٤٠).

٣- الثنوية: ويلقبون به؛ لقولهم بالهين اثنين هما: النور والظلمة^(١)، وقيل: هو لقب لفرقة منهم، كما سيأتي.

٤- عبدة النار: فقد «عرف الزرادشتيون دائما بأنهم عبدة النار، وإن كانوا يستأثرون من هذه التسمية»^(٢)، لكن كتابهم المقدس يشهد عليهم بذلك، فقد جاء فيه: «نبجلك انت أيتها النار»^(٣)، وفيه أيضًا: «من أجل استرضائك أيتها النار، يابن أهورامزدا واسترضاء كل النيران»^(٤)، كما يشهد بذلك واقعهم، وسيأتي.

(١) انظر: الملل والنحل (٢/ ٤٩).

(٢) الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء، د. أسامة عدنان (ص: ١١٥).

(٣) أفسنا، هايتي: ٢٥، فقرة: ٧ (ص: ١٦٣).

(٤) أفسنا، هايتي: ٢٢. فقرة: ٢٦ (ص: ١٥٩).

المبحث الثاني:

نشأة المجوسية وأصلها وتطورها وفرقها

نشأة المجوسية وأصلها وتطورها:

الديانة المجوسية تقوم على عبادة النار، ويرجع أصل ذلك -فيما يُذكر- إلى عهد ابني آدم قابيل وهايل، قال ابن جرير: «ذُكِرَ أن قابيل لما قتل هايل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس، فقال له: إن هايل إنما قبل قربانه وأكلته النار، لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها»^(١)، قال الإمام ابن القيم: «وسرى هذا المذهب في المجوس، فبنوا لها بيوتاً كثيرة، واتخذوا لها الوقوف والسدنة والحُجَّاب، فلا يدعوها محمد لحظة واحدة»^(٢).

ثم تطورت المجوسية فعبدت مع النار آلهة شتى، فعبدت (ميترا) إله الشمس، و(أينتا) إله الخصب والأرض، و(هوما) الثور المقدس، وغيرها، ولما ظهر زرادشت، ورأى ما لدى المجوس من تعدد للآلهة، ثار عليهم، وأعلن أن ليس في العالم إلا إله واحد هو أهورا مزدا، إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته^(٣).

ثم انتشرت المجوسية حين اعتنق الملك (دارا) دين زرادشت، وجعل الزرادشتية دين الدولة، وكتابها (الأبستا/ الأستاق) الذي جمع أقوال زرادشت وأدعيته هو كتاب الدولة المقدس^(٤).

وسادت الديانة الزرادشتية في بلاد فارس وما جاورها قروناً من الزمن حتى انتصر الإسكندر المقدوني على الفرس سنة ٣٣١ ق.م، فانحط شأنها لما يزيد على خمسة قرون، ثم تحضت من جديد في عصر الأسرة الساسانية التي ابتداء حكمها في البلاد سنة ٢٢٦م^(٥).

وقد عمل الساسانيون على نصرة ونشر الديانة الزرادشتية، وجعلوها الديانة القومية للأمة الفارسية، فأنشأوا في كل مدينة، بل في كل قرية بيوت النار، حيث يعبد الناس النار، مبعث النور الذي هو رمز الخير، وطاردة الظلمة التي هي رمز الشر، وقد أدت تلك العناية إلى رفع

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٦٥).

(٢) بغائة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٩٨٨).

(٣) انظر: قصة الحضارة. ول ديورانت. ترجمة: محمد بدران (٢/ ٤٢٥): إيران في عهد الساسانيين. آرثر كريستنسن. ترجمة: يحيى الخشاب (ص: ١٩): موسوعة تاريخ الأديان. الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الزواق العلي. ومحمود الهاشمي (ص: ٢٩).

(٤) انظر: قصة الحضارة (٢/ ٤٢٦). معالم حضارات الشرق الأدنى القديم. د. محمد عصفور (ص: ٢٨٢).

(٥) انظر: المجوسية والمجوس. علي حسني الخربوطلي (ص: ١٥٢). حولية كلية البنات. جامعة عين شمس، ٤٤- يوليو ١٩٦٤م.

شأن رجال الدين (الموبدين) على سائر رجال الدولة، وقيام طبقة كهنوتية متعصبة مستبدة لا تعرف الرفق بالناس في مسائل الدين، ولا التسامح نحو أهل الديانات الأخرى التي كان يعتنقها في فارس جماعات كبيرة^(١).

ولم تستمر عبادة (أهورا مزدا) لدى الزرادشتية باعتبارها الإله الأعلى، الذي لا كفاء له، ولا يشبه ولا يصور في تماثيل، فقد عادت عبادة آلهة الطبيعة عند الآريين التي كان قد أنكرها زرادشت وحاربها، فعادت لتعبد لدى الفرس من جديد، فكثرت مظاهر الآلهة والقوى الطبيعية المعبودة لدى الزرادشتية^(٢).

ولم يكد يتتصف القرن السابع الميلادي حتى كانت الأسرة الساسانية قد سقطت، ودخلت الإمبراطورية الفارسية في حوزة المسلمين، الذين لم يلقوا مقاومة تذكر من الشعب الفارسي الذي كان قد تعرض للاستبداد في أواخر أيام الدولة الساسانية، فوجدوا في الإسلام والمسلمين المخلّص من ذلك الظلم الذي كان واقعاً عليهم^(٣).

فرق المجوسية:

المجوسية ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: الكيومرتية: نسبة إلى كيومرت ويقال: جيومرت بالجيم بدل كاف، وهو مبدأ النسل عندهم؛ كآدم -عليه السلام- عند غيرهم، وربما قيل: إن كيومرت هو آدم عليه السلام، وهؤلاء أثبتوا إلهًا قديمًا، وسموه: يزدان؛ ومعناه: النور؛ يعنون به: الله تعالى، وإلهًا مخلوقًا سموه: أهرمن؛ ومعناه: الظلمة؛ يعنون به: إبليس.

الفرقة الثانية: الثنوية: وهم على رأي الكيومرتية في تفضيل النور والتحرز من الظلمة إلا أنهم يقولون: إن الاثنين اللذين هما النور والظلمة قديمان.

الفرقة الثالثة: الزرادشتية: الدائنون بدين المجوسية؛ وهم أتباع زرادشت الذي ادعى النبوة وقال بوحداية الله تعالى، وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند، وأنه خالق النور والظلمة، ومبدعهما، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاجهما، وأن الله تعالى هو الذي مزجهما لحكمة رآها في التركيب، وأنهما لو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، وأنه لا يزال الامتزاج حتى يغلب النور الظلمة، ثم يخلص الخير في عالمه وينحط الشر إلى عالمه، وحينئذ

(١) انظر: المجوسية والمجوس. علي حسني الخربوطلي (ص: ١٥٨-١٥٩).

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأديان. الكتاب الخامس (ص: ٤٤).

(٣) انظر: المجوسية والمجوس، علي حسني الخربوطلي (ص: ١٦٠).

تكون القيامة^(١).

وأضاف الإمام ابن القيم إلى هذه الفرق الثلاث فرقتين، وهما: المزدكية، والخزمية، فقال: «وهم

أي: المهور| فرق شتى:

منهم: المزدكية، أصحاب مزدك الموبذ، والموبذ عندهم: العالم القدوة، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها.

ومنهم: الخزمية، أصحاب بابك الخزمي، وهم شر طوائفهم، لا يقرون بصانع، ولا معاد، ولا نبوة، ولا حلال، ولا حرام»^(٢).

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ٣٨)، صبح الأعشى، للقلقشندي (١٣/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) إغاثة اللفهان في مصاديد الشيطان (٢/ ١٠٠٦).

المبحث الثالث:

كتاب المجوس المقدس

وأهم عقائد المجوسية

كتاب المجوس المقدس (الأفستا/ الأبتاق):

الأفستا هو الكتاب المقدس عند المجوس^(١)، وهو مجموعة أقوال دينية منسوبة لزرادشت، فيها تراثيل تقرأ عند تقديم الذبائح، وفيها شرائع كهنوتية، وصلوات، وطقوس عبادة، ومنها ما يتحدث عن الإله الخالق، وعن واجب الإنسان نحوه، وعن مصير الحياة، كما يتضمن تاريخًا للزرادشتية، ووصفًا لحياة زرادشت في كثير من المواقف، كما يحوي تاريخ الأبتاق نفسه، وابتهالات زرادشت لربه، وطرفًا من حياته، وعقيدته، وشريعته، وتعاليمه، وأخلاقه^(٢).

والفكرة السائدة في (الأبتاق) هي ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع يدوم اثني عشر ألف عام بين الإله أهورا مزدا والشيطان أهرمن، وأن أفضل الفضائل هما: الطهر والأمانة، وهما يؤديان إلى الحياة الخالدة، وأن الموتى يجب ألا يدفنوا أو يحرقوا، بل يجب أن تلقى أجسامهم إلى الكلاب أو الطيور الجارحة^(٣).

وقد كان معظم الأبتاق الساسانية موجودًا إلى القرن التاسع الميلادي على الأقل، إلا أن معظمه قد اختفى بعد ذلك، ولم يبقَ منه إلا أجزاء قليلة^(٤).

وقد اختلف الباحثون في عدد الأسفار التي يشتمل عليها الأبتاق، فذكر بعضهم أنها أربعة^(٥)، وقال بعضهم: خمسة^(٦)، لكن المرجح أنه يشتمل على ستة أسفار بناء على النسخة

(١) «الأفستا تلفظ باللغات الإيرانية بأشكال مختلفة، فهو: أوستا، أبستا، أفستا، وهو الأشهر، وفي الفهلوية: أفستاك، وفي السريانية: أبستاكا، والعربية: الأبتاق» (الزرادشتية الديانة والطقوس والتحولت اللاحقة بناء على نصوص الأفستا، د. جمشيد يوسف، ص: ٣٥). ومعناه: الأساس، والأصل، والحمى، والملاذ. انظر: مقدمة أفستا، د. خليل عبد الرحمن (ص: ٧) هامش: ١.

(٢) انظر: الأبتا بين سلامة المتن وصحة السند. خالد غانم. مجلة البحث العلمي في الآداب بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية - جامعة عين شمس، العدد ١٤، الجزء ٤ - ٢٠١٣ م، (ص: ٥٦٥)، وانظر: الملل والنحل (٢/ ٤٢-٤٣).

(٣) انظر: قصة الحضارة (٢/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٤) انظر: إيران في عهد الساسانيين (ص: ١٣١، ١٣٢).

(٥) انظر: معجم ديانات وأساطير العالم، د. إمام عبد الفتاح (١/ ١٥٥).

(٦) انظر: قاموس المذاهب والأديان، د. حسين حمد (ص: ١٠٨).

الفارسية، وهي^(١):

- ١- سفر الجاثات: والجاثات تعني الترانيم أو التراتيل.
 - ٢- سفر اليَسْنَا: وهو سفر يصور العقيدة الزرادشتية في مضمونها الأول، بل يعد أقدم نصوص الأُفستا.
 - ٣- سفر الفنديداد: أي: سفر العبادة والتسبيح.
 - ٤- سفر الفِسْتَرْد: وهو خاص بالمراسيم الدينية وترتيبها.
 - ٥- سفر اليششتات: وتعني الترنيمات أو المزامير، ويحتوي على ترانيم تتلى في مدح الملائكة والكائنات الروحية.
 - ٦- سفر الخردة أُفستا: ومعنى خردة: قطعة صغيرة، وهو سفر جامع لأدعية وصلوات لجميع الأوقات، في الأيام العادية والمباركة، وفي الأعياد الدينية.
- ويزعم الزرادشتيون أن هذا الكتاب من الوحي الإلهي الذي تنزل على زرادشت بواسطة الروح، وبواسطته أيضاً صعد إلى السماء حتى عرج به إلى حضرة الإله حيث منح التجلية والقرب والوصال، وصار زرادشت رسولا، فحمل الرسالة، وانطلق يدعو الناس إليها^(٢).
- ولا يمكن- في رأي الباحثين- التصديق بصحة نسبة كتاب الأُبستاق الذي بين أيدي المجوس الزرادشتيين إلى الله سبحانه وتعالى، لا سنداً ولا متناً^(٣)، ويكفي في بيان بطلانه ما جاء فيه من تقرير الشرك، وأن العالم مخلوق من أصلين: النور والظلمة، وكذلك ما جاء فيه من تعدد الآلهة، وغير ذلك مما يمتنع نسبتته إلى الوحي الإلهي.

أهم عقائد المجوسية:

١- القول بخالقين (التثنية):

يعتقد المجوس بوجود خالقين اثنين لكنهما غير متماثلين في الصفات والأفعال، بل قالوا: «النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين: أحدهما: أنها محدثة، فتكون من جملة المخلوقات له. والثاني: أنها قديمة، لكنها لم تفعل إلا الشر، فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور»^(٤)، فهم «متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو

(١) انظر: الأبستا بين سلامة المتن وصحة السند، خالد غانم، مجلة البحث العلمي في الآداب بكلية البنات للآداب والعلوم

والتربية- جامعة عين شمس. العدد ١٤٤، الجزء ٤، ٢٠١٣م (ص: ٥٦٧).

(٢) انظر: الدين في الهند والصين وإيران، أبكار السقاف (ص: ١٩٧).

(٣) انظر: الأبستا بين سلامة المتن وصحة السند، خالد غانم (ص: ٥٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى. لابن تيمية (٣/ ٩٧).

الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة»^(١)، يقول الشهرستاني: «المجوس أنبتوا أصلين ... إلا أن المجوس الأصلية زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة. ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها: أمن النور حدث؟ والنور لا يحدث شراً جزئياً، فكيف يحدث أصل الشر؟ أم من شيء آخر؟ ولا شيء يشرك النور في الإحداث والقدم؟ وبهذا يظهر خبط المجوس»^(٢).

ويظهر من نصوص كتابهم المقدس (أفستا) أنهم ينسبون خلق الأمور الطاهرة والخيرة إلى أهورامزدا، وينسبون خلق الأمور النجسة والشريرة إلى أهرمن، جاء في كتابهم المقدس: «منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما: الطيبة والشريرة، فكر طاهر، وفكر غير طاهر ... فحيث كان الشر ظهرت النجاسة، وأما القداسة فقد رافقت الروح الخيرة دائماً»^(٣).

٢- اعتقادهم في اليوم الآخر:

يعتقد المجوس بالحياة الأخروية، وتبدأ - في اعتقادهم - عقب خروج الروح مباشرة من البدن، حيث تظل الروح في مكان رأس الميت - كما يزعمون - لثلاثة أيام تستذكر ماضي الميت وأعماله، فإن كانت أعمال الميت براءً وتقوى تنعمت الروح خلال الأيام الثلاثة، وإن كانت أعمال شر عذبت وعوقبت بما يُهَبُّ عليها من روائح كريهة.

جاء في كتابهم المقدس (أفستا): «سأل زرادشت سبييتاما أهورامزدا: يا أهورامزدا، أيها الروح القدس، وخالق العوالم المادية والصالحة! عندما يموت الصالح أين تقع روحه في تلك الليلة؟ أجاب أهورامزدا: تتربع روحه عند الرأس ناطقة بـ "كات أوشتافايتي" طالبة النعيم، وفي هذا الليل تشعر الروح بقدر كبير من الاغتباط يعادل اغتباط كل العالم الحي»^(٤)، و«سأل زرادشت أهورامزدا، أيها الروح القدس الصالح وخالق العوالم المادية! عندما يموت الأثم أين تقع روحه في تلك الليلة؟ أجاب أهورامزدا: هناك أيضاً أيها الصالح زرادشت عند رأسه، حيث تتأرجح ناطقة بـ "كات كاي موي زام" إلى أي بلد سأتوجه يا أهورامزدا وألتجئ لمن؟ وفي هذا الليل تشعر روحه بالتعاسة، تعاسة تعادل كل تعاسة العالم الحي»^(٥).

(١) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٢٧).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٣٨).

(٣) أفستا، هايتي: ٣٠، فقرة: ٣-٤ (ص: ٦٢-٦٣).

(٤) أفستا، باشت: ٢٢، فقرة: ١ (ص: ٥٨١).

(٥) أفستا، باشت: ٢٢، فقرة: ١٩-٢٠ (ص: ٥٨٣-٥٨٤).

دراسات في الأديان

وفي اليوم الرابع تبدأ الروح في رحلتها نحو السماء؛ فالروح الخيرة تمضي في صعودها وسط عبير روائح، على النقيض من الروح الشريرة، وعند الحد الفاصل ما بين العالم الدنيوي والعالم الأخروي يؤذن للروح الخيرة بالعبور عنى جسر الانفصال، ويستقبلها عملها الصالح على صورة فتاة غاية في الحسن، متشحة بثياب بيضاء نقية، ثم تأخذها حيث النور اللانهائي في بيت الخلود، فتنع هناك إلى يوم البعث والنشور.

وأما الروح الخبيثة الشريرة فيستقبلها عملها على صورة عجوز شمطاء، بشعة المنظر، منتنة الرائحة، لا يكاد يستر جسدها شيء، وعندما تجتاز الروح الخبيثة جسر الانفصال بمصاحبة العجوز يضيق الجسر أمامها ويدق حتى يصبح في النهاية أدق من الشعرة، فتصاب الروح بالفرع والاضطراب، فتسقط في أعماق هاوية مظلمة إلى يوم القيامة^(١).

وإذا قامت الساعة تميد الأرض بالبقية الباقية من بني آدم وتتناثر الجبال وتخرج المعادن من باطن الأرض، وتنتشر النيران في كل مكان فتقضي على كافة الأحياء.

وفي يوم البعث ترد إلى كل إنسان روحه ومعها (كتاب الحياة) الذي سجل فيه الملائكة كل ما قاله وما فعله منذ بلوغه سن التكليف إلى مماته.

وفي هذا اليوم توزن أعمال العباد، فمن رجحت أعماله الصالحة فهو من السعداء، ومن رجحت أعماله الشريرة، فهو من الأشقياء.

وبعد ذلك يأمر الإله أهورا مزدا بالمرور فوق الصراط (الجسر) الممدود فوق جهنم، فيمر السعداء فوّه فيتسع لهم، إلى أن يصلوا إلى الجنة فيسعدون فيها سعادة لا شقاء بعدها أبداً، وأما الأشقياء فيدق عليهم الصراط، فتزل أقدامهم فيهبون في نار جهنم^(٢).

ومع اعتقادهم باستحقاق الأشقياء للنار إلا أن الزرادشتية لا تعتقد بدوام تعذيب المذنبين، فليس العذاب في النار أبدياً؛ فالعقاب على قدر الإثم، فالغاية من العقاب الإصلاح والتوبة، ثم في النهاية عندما يصفى الجميع يتم القضاء على الشيطان وكل أعماله، ولن يبقى تمييز أو فرق بين السماء والأرض؛ حيث يمكن للجميع أن يتعبدوا ويحيوا مع الله في مجد خلقه^(٣).

(١) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٤٣-٤٦)، الأستا، هانتي ٣٠، المقاطع ٨، ٩، ١٠ (ص: ٦٣-٦٤)، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (ص: ٣٩-٤٠)، بحث بعنوان: حقيقة اليوم الآخر في التشريعات السابقة للإسلام، صالح الكيلاني (ص: ٣٥٢)، مجلة البحوث والدراسات الشرعية بجامعة الزرقاء، ج ٤، ع ٣٩٤- مايو ٢٠١٥م.

(٢) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٤٧-٤٨).

(٣) انظر: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (ص: ١٧).

٣- تقديس النار:

تكاد الطقوس والتعاليم الدينية الزرادشتية تدور حول محور رئيس هو تقديس النار، فالنار عند الزرادشتيين هي رمز للإله أهورا مزدا^(١).

جاء في كتابهم المقدس عندهم: «نبجلك أيتها النار»^(٢)، وجاء فيه أيضاً: «نعبد ... النار»^(٣)، وجاء في كتاب الفنديداد: «ضحوا للنار»^(٤).

ومع أن الديانة الزرادشتية نمت عن إقامة الهياكل والأصنام؛ إلا أن معتقنيها أقاموا المعابد على سفوح التلال وفي ساحات القصور وأواسط المدن، وأشعلوا فيها النيران المقدسة قرباناً للإله أهورا مزدا، ثم بالغوا في تقديس هذه النيران؛ حتى وصلت إلى درجة العبادة، كما قدسوا الشمس باعتبارها نار السماء الخالدة^(٥).

٤- تقديس المياه:

تجبل المياه كانت سمة مشهورة للديانة الزرادشتية، جاء في كتابهم المقدس: «نقدم القرابين إلى كل ينابيع المياه وجداولها أيضاً»^(٦)، وعُدَّت المياه مقدسة لأنها - بزعمهم - أزواج الرب الحكيم أهورا مزدا^(٧).

٥- عبادة الشمس:

المجوس يعبدون الشمس ويقدمون لها القرابين، جاء في كتابهم المقدس: «نبجل ونقدم القرابين للشمس الساطعة التي هي الأعلى»^(٨).

٦- عبادة كل المخلوقات:

بل يعبدون كل المخلوقات التي خلقها أهورامزدا، جاء في كتابهم المقدس: «نعبد كل

(١) انظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء. أسامة عدنان يحيى (ص: ١١٦)، موسوعة تاريخ الأديان. الكتاب الخامس (ص: ٣٩، ١٧).

(٢) أفسنا. هايتي: ١٧. فقرة: ١ (ص: ١٥١).

(٣) أفسنا. هايتي: ١٦. فقرة: ٤ (ص: ١٤٩).

(٤) الفنديداد. الفصل: ١٩ (ص: ١٧٨).

(٥) انظر: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (ص: ٢٨١ - ٢٨٢). ويراجع أيضاً: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة. د. إبراهيم محمد إبراهيم (ص: ١٨٤-١٨٥).

(٦) أفسنا. هايتي: ٧١. فقرة: ٩ (ص: ٢٠٦).

(٧) انظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء (ص: ١٢٢-١٢٣).

(٨) أفسنا، كردد: ١٩، فقرة: ٢ (ص: ٢٢٦).

المخلوقات المقدسة التي خلقها مازدا»^(١).

٧- قولهم بنبوة زرادشت:

يعتقد المجوس بنبوة زرادشت، جاء في كتابهم المقدس الأفستا: «أنا النبي زرادشت يا مازدا، الذي يرفع صوته بالصلاة»^(٢)؛ ولهذا ارتبطت الديانة المجوسية به منذ ظهوره في القرن السادس قبل الميلاد^(٣)، وتذهب الروايات إلى أن مولد زرادشت قد اقترن بالمعجزات، وأنه نشأ محبًا للحكمة والحياة العزلة والاعتكاف، وآمن بأهورا مزدا كإله قدير للنور، وأن هذا الإله ظهر له، ووضع (الأفستا) بين يديه، وأمره بنشر تعاليمه بين الناس جميعاً^(٤).

قال عبد القاهر البغدادي: «المجوس يدعون نبوة زرادشت، ونزول الوحي عليه من الله تعالى»^(٥).

وقال ابن حزم: «المجوس ... يقرون بنبوة زرادشت، ولهم شرائع يضيفونها إليه»^(٦)، وقال أيضًا: «وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته، قال أبو محمد (عني ابن حزم): ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (انظر: ٢٤)، وقال عز وجل: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء: ١٦٤)»^(٧).

٨- اعتقادهم بالمهدي المنتظر:

قال القاضي عبد الجبار: «المجوس تدعي أن لهم منتظرًا حيًا باقيا مهديًا من ولد بشتاسف بن بهراسف، يقال له: أبشاوثن، وأنه في حصن عظيم من^(٨) خراسان والصين، ومعه كثير كلهم ثقات أمناء أختيار، لا يكذبون ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة، وأن دعوتهم مجابة، ولهم دلالات وآيات ومعجزات، وأنهم صاروا إلى ذلك المكان عند زمن

(١) أفستا، هايتي: ٧١، فقرة: ٦ (ص: ٢٠٦).

(٢) أفستا، هايتي: ٥٠، فقرة: ٦ (ص: ٩١).

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد زمن ظهور زرادشت، وتحدد كثير من الروايات التاريخية بأنه ولد سنة ٦٦٠ ق.م. انظر: قصة الحضارة (٢/ ٤٢٥)؛ الأديان الحية نشوؤها وتطورها، أديب صعب (ص: ١٠٧)، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد الفيومي (ص: ٣٣٣).

(٤) انظر: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم (ص: ٢٨٠-٢٨١).

(٥) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: ٢٧٩).

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (١/ ٣٥).

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩١). وانظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (١/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٨) كذا في الأصل، ولعلها: بين.

زرادشت الذي تدعي نبوته، وأنهم أنوار ساطعة، وأنهم من الجمال والحسن والنضارة على أمر عظيم، وأنهم لا يكون ولا يهرمون ولا يموتون، وأن أبشاورن لا يحتاج إلى أكل ولا إلى شرب، ولا يكون منه بول ولا غائط ولا شيء من الأذى»^(١).

٩- الفرافاشي:

يزعم المجوس وجود أرواح خارجية متقدمة على جميع الأرواح السابقة للوجود لكافة الأشياء الحية الأرضية والسماوية يسمونها (الفرافاشي)، ويقولون: الفرافاشي هي مولد القوة الخفية، ويتألف من المجموع الكلي للأرواح البشرية الخارجية للأموات والموجودين على قيد الحياة، والناس هم تجليات لذواتهم العلوية (الفرافاشي)، فكل شيء في العالم له فرافاشي، فهناك فرافاشي أهورا مزدا، وفرافاشي الخالدين الكرماء... وغيرها^(٢).

وهم يعتقدون «أن لكل شيء فرافاشيه أو جوهره الروحاني الخاص به، يحفظه ويحمه، وكل هذه الجواهر الروحانية على كثرتها تفيض جميعا عن الجوهر القدس الأعظم، وخالقها أهورامزدا الذي يسخرها لخدمته»^(٣).

جاء في كتابهم المقدس: «نبجل، نتضرع ونشدد الترانيم للفرافاشيين الصالحين، الطيبين، النبلاء الكرماء... نبجل الفرافاشيين القدماء، وفرافاشي أهورامزدا الأعظم»^(٤).

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٧٩).

وقد ورثت هذه العقائد من الجوسية الشيعة الاثنا عشرية في اعتقادها بالمهدي المنتظر وعصمة الأئمة، وبعض ما يذكرونه من صفات أئمتهم. للتفصيل ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٢/ ٨٠٠، ٨٣٣).

(٢) الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء، (ص: ١٥٠-١٥١).

(٣) الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات (ص: ٢٦١).

(٤) أفسنا، هايقي: ٢٦، فقرة: ١-٢ (ص: ١٦٤).

المبحث الرابع:

أهم شعائر المجوسية

١- الصلاة:

الصلاة هي محور الديانة المجوسية، جاء في كتابهم المقدس: «الصلاة هي الاستقامة الفضلى»^(١)، فالصلاة رأس العبادات عندهم، فهي واجبة وجوباً فرضياً، بحيث إن من يتهاون في أمرها أو يتكاسل عن القيام بها أو يتركها عامداً يخرج من الإيمان إلى الكفر المحض، وهي دعاء وتسبيح واستغفار وثناء على الله وتمجيد له^(٢).

وتتم من خلال تكرار بعض الكلمات والجمل الدينية، وهم يرجون بأدائهم لهذه العبادة الحصول على رغباتهم من الآلهة، وهذا يدل على أنها عبادة شركية، وسيأتي تأكيد ذلك. وهي صلاة خاصة بهم، وتتم وفق قيود وشروط وقواعد محددة^(٣)، ويرجون من خلالها إبعاد المعصية والفكر السيئ وغيره، جاء في الأفيستا: «بصلاقي وعبادتي يا مازدا، أبعاد عنك العصيان والفكر السيئ والمهرطقة»^(٤)، أبعاد الكذب ... أبعاد الأغراب عن القبيلة، وأبعاد الرعاة السيئين عن مراعي الماشية»^(٥).

وقد فرض زرادشت على أتباعه خمس صلوات في اليوم، وهي: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، ومنتصف الليل. وقيل ثلاث؛ عند بزوغ الشمس، وفي الظهر، وعند الغروب، والزرادشتيون يصلون لعدد من الآلهة، ولا يفردون الله بمجده الصلوات^(٦).

وقيل: إن عدد الصلوات في اليوم والليلة خمس صلوات في الصيف، وتخفص إلى أربع صلوات في فصل الشتاء^(٧)، ويجب أداء الصلوات في أوقاتها، كما جاء في الكتاب المقدس عندهم^(٨). وأهم الصلوات وأميزها صلاة الفجر؛ ولا بد قبل الدخول في أي صلاة من الطهارة؛ بغسل

(١) أفستا، هايتي: ٢٠، فقرة: ١ (ص: ١٥٦).

(٢) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٥٧).

(٣) انظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء (ص: ١٤).

(٤) المهرطقة: كلمة أصلها يوناني، تعني الابتداء في الدين والمروق منه.

(٥) الأفستا، هايتي: ٣٣، فقرة: ٤ (ص: ٧٠).

(٦) انظر: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (ص: ١٦)، الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء (ص: ١٥).

(٧) زرادشت والزرادشتية (ص: ٥٧).

(٨) انظر: أفستا، هايتي: ٢٢، فقرة: ٣ (ص: ١٥٨).

الوجه واليدين والرّجلين، ثم يتوجه نحو مشرق الشمس^(١). وهناك صلوات أخرى تأخذ شكلاً جماعياً وعلنياً، وهي الصلوات الخاصة بالأعياد الدينية - كالنيروز - و صلاة الحاجة والاستغانة، وغيرها^(٢).

٢- الصوم:

الصوم عندهم محرم تحريمًا قاطعًا، ومن صام فهو آثم، فإن أصر على الصوم استحق العقوبة في الآخرة^(٣).

٣- الزكاة:

الزكاة عندهم واجبة، وتؤخذ من المقتدرين بنسبة الثلث من الأموال والحيوانات والنباتات وغيرها، وتوزع على الفقراء والمحتاجين من أبناء الملة، وما يفيض منها يصرف في مصالح الناس^(٤).

٤- القرابين:

تعد القرابين من أهم واجبات الإنسان الزرادشتي تجاه الآلهة، فهي تمثل له برهاناً صادقاً على عبادته لها، والقرابين لا يقدمها البشر للآلهة فحسب، بل كانت الآلهة تقدمها لبعضها؛ إذ اعتقد الزرادشتيون بإمكانية تقديم الآلهة القرابين لأقرانها، وهذا بزعمهم من تقديس الآلهة لبعضها^(٥).

والغرض من القرابين في الديانة الزرادشتية هو إرضاء الإله^(٦). وقدمت الزرادشتية القرابين للسموات، التي توصف بالعالية القوية، كما قدمت للأرض الخيرة، كذلك قدمت القرابين للنار (آتار)، حيث حظي (آتار) بالقداسة والتبجيل. وقد قدموا القرابين للمياه بكل أنواعها؛ بحار، وأنهار، وعيون، ونباييع، وجداول... إلخ^(٧).

(١) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٥٨).

(٢) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٥٩).

(٣) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٦١).

(٤) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ٦٢).

(٥) انظر: الديانة الزرادشتية (ص: ٢٤، ٣٠).

(٦) انظر: أفستا أكثر من كيان، إبراهيم محمود (ص: ٥٩٩). ملحق بكتاب أفستا.

(٧) انظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء (ص: ١٢٢-١٢٣).

ولم يقتصر التقديس عند الزرادشتيين عند هذا الحد، بل قدسوا الطبيعة بمختلف صورها وأشكالها، وقدموا لها القرابين؛ فقدموا القرابين للأراضي والأماكن المختلفة، والحيوانات بكافة أنواعها: برية، وبحرية، وطيور، وقدموا القرابين للنبات، والجبال، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والمراعي، والطرق، والقوى المذكورة والمؤنثة... إلخ^(١).

٥- اللباس:

يرتدي الزرادشتيون بعض الرموز كجزء من لباسهم اليومي ليذكروهم بديانتهم، وأولها: الحزام المقدس (الكوشتي) مربوط به ٧٢ خيطاً ترمز إلى فصول سفر اليسنا، وقد توعدت نصوص الأبهستاك كل من تجاوز الخامسة عشرة من الرجال والنساء ومشى على الأرض بلا حزام، وكل من لم يحتفظ بالحزام مشدوداً في وسطه بالعقوبة الشديدة، وعَدَّت كل من يفعل ذلك ناقص الإيمان، ويعين الشياطين على خراب عالم الخير^(٢).

ومنها: القميص السادري؛ ويرمز إلى الدين نفسه، ويلبس الكهنة أردية بيضاء مع عمامات وأقنعة فوق أفواههم أثناء القيام بطقوس النار المقدسة، ليتجنبوا تدنيسها بنفس زفيرهم^(٣).

٦- أعياد المجوس:

للمجوس أعياد كثيرة جداً، أشهرها سبعة أعياد:

العيد الأول: النيروز:

وهو تعريب نوروز، وهو اليوم الأول من أيام السنة الفارسية، ويمتد الاحتفال به لستة أيام^(٤).

العيد الثاني: المهرجان:

ويأتي بعد النيروز بمائة وسبعة وستين يوماً، ومدته ستة أيام^(٥).

العيد الثالث: السدق، أو أبان روز:

ويعمل في ليلة الحادي عشر من شهر بهمن ماه من شهور الفرس^(١).

(١) انظر: الديانة الزرادشتية ملاحظات (ص: ١٢٥) وما بعدها.

(٢) انظر: زرادشت والزرادشتية. للشفيح الماحي (ص: ١٩).

(٣) انظر: موسوعة تاريخ الأديان. الكتاب الخامس (ص: ١٦).

(٤) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٤٥ - ٤٤٦).

(٥) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٤٨).

العيد الرابع: الشركان:

وهو في الثالث عشر من تيرماه من شهور الفرس^(١).

العيد الخامس: أيام الفروديان:

وهي خمسة أيام، أولها: السادس والعشرون من أبان ماه من شهور الفرس، ومعناه: تربية الروح؛ لأنهم كانوا يعملون فيها أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ويزعمون أنها تغتذي بها^(٢).

العيد السادس: ركوب الكوسج:

ويعمل في أول من أدرماه من شهور الفرس^(٣).

العيد السابع: عيد بهمنجة:

ويتخذونه في يوم بهمن من شهر بهمن ماه، وسُنَّتْهم فيه أنهم يأكلون فيه البهمن^(٤) الأبيض باللبن الحامض، على أنه ينفع لحفظ البدن والصحة^(٥).

(١) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٥٠).

(٢) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٥٢).

(٣) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٥٢).

(٤) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٥٢).

(٥) البهمن: نبات شبيه بأصل الفجل الغليظ فيه اعوجاج غالبا، وهو أحمر وأبيض. انظر: تاج العروس (١٨ / ٧٦).

(٦) انظر: صبح الأعشى (٢ / ٤٥٣).

المبحث الخامس:

أماكن وجود المجوسية وواقعها المعاصر

انتشرت الديانة المجوسية الزرادشتية في بلاد فارس، منذ أن أصبحت دين الملوك في إمبراطورية الفرس في القرن السادس قبل الميلاد تقريبًا، وحاول الفرس نشر هذه الديانة، فامتدت سلطة دولة المجوس الزرادشتيين في بلاد المشرق والمغرب قهراً وصلحاً، ونصبت بيوت النيران من الصين إلى الروم، كما شملت بلاد العراق، وأجزاء واسعة من بلاد العرب؛ كالبحرين وعمان، واليمن^(١)، إلا أن غزو الإسكندر الكبير لبلاد فارس - بعد وفاة زرادشت بثلاثة قرون تقريباً - وقضائه على إمبراطورية الفرس آنذاك قد حال دون انتشار الديانة الزرادشتية في بلاد الغرب القديم (اليونان وروما)، وانحسارها في موطنها القديم، فبقيت فيه محتفية يُعَلِّمُها الآباء لأبنائهم، حتى إذا تحررت فارس من الحكم الأجنبي بعد خمسة قرون من الزمان أعادوا العمل بتعاليم زرادشت ثانية، وقاموا بجمع ما بقي من كتابهم الأبتساق ونشره في جميع أنحاء فارس، كما قاموا ببناء معابد النار التي أبقىت النار فيها مشتعلة كرمز لإلههم الحكيم.

وفي القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) فتح المسلمون بلاد فارس واستطاعوا القضاء على دولتهم وآخر ملوك الدولة الساسانية، فضعف الدين الزرادشتي المجوسي هناك بالرغم من حرية التدين التي كفلها المسلمون للمجوس، ومعاملتهم معاملة أهل الكتاب، وبعد ما يقرب من قرن على الحكم الإسلامي تسربت الديانة الزرادشتية من بلاد فارس حتى وصلت إلى البر الهندي في مومباي، في مقاطعة غوجارات، فاستقرت أعداد منهم هناك حتى يومنا هذا يعرفون بالبارسيين^(٢).

وقد انتشر المجوس الزرادشتيون في عدد من بلدان العالم، ففي إيران موطن الزرادشتية الأصلي يوجد حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، وفي الهند -الموطن الثاني للديانة- يوجد حوالي ١٠٠ ألف، وقيل: ٢٠٠ ألف^(٣)، وحوالي ٥٠ ألفاً في باكستان، ومثلها -٥٠ ألفاً- في أوروبا، و٢٠ ألفاً في أمريكا، و٢٠ ألفاً في أفريقيا الجنوبية^(٤).

(١) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. لليبروني (ص: ١٥-١٦). تاريخ الفكر الديني الجماعي (ص: ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) انظر: الأديان الحية (ص: ١١٠-١١١). موسوعة عالم الأديان (٤/ ١٧٦-١٧٨).

(٣) جاء في كتاب (موسوعة تاريخ الأديان. الكتاب الخامس) أن عدد الزرادشتيين - بحسب إحصائية ١٩٧٦م- في الهند يزيد على ١٢٥ ألف نسمة، مقابل ٢٥ ألف نسمة في إيران. انظر: (ص: ٢٦).

(٤) انظر: موسوعة عالم الأديان (٤/ ١٧٨).

ولا يزال الزرادشتيون يتمسكون بطقوسهم التي ورثوها عن أسلافهم، وكذا آدابهم وسلوكهم، ولا يزالون يحافظون على نارهم متوقدة في معابدهم، ويقوم عليها طبقة من الكهنة، حيث يقيمون عباداتهم وفق قواعد صارمة^(١).

ولا يمكن تمييز معابد النار -حاليًا- في كل من إيران والهند عن أي مبنى لدى مشاهدته من الخارج، لكن المتعبدين يعرفون أن النار محفوظة في الداخل وأنه من الأفضل عدم إثارة فضول الغريب بمظهر خارجي واضح، وتتفاوت قداسة المعبد لديهم بحسب قدم النار المشتعلة فيه^(٢).

ولا يزال مجوس إيران يحتفظون بأغلب مظاهر الزرادشتية المحرفة، ويتبعون بصرامة شديدة كل ضوابط الدين وتكاليفه؛ كحرصهم على قواعد الطهارة، والانتزاع بالحزام المقدس، وتقديس النار^(٣).

كما يتواجدون وينشطون في كردستان العراق، ففي التاسع عشر من شهر مارس عام ٢٠١٥م، أعلن في أربيل رسميًا عن تشكيل المجلس الأعلى للزرادشتيين في كردستان العراق، والذي سيتولى الترويج للديانة الزرادشتية وفقًا لما أعلنه رئيس المجلس^(٤)، في مؤتمر صحافي أقيم بالمناسبة وسط أربيل، ويشير رئيس المجلس الأعلى للديانة الزرادشتية في كردستان العراق إلى أن أعدادهم في ازدياد مستمر، ما دفعهم إلى فتح أول معبد لهم نهاية أغسطس عام ٢٠١٥م في مدينة السليمانية بكردستان العراق، ويؤكد أن المجلس سيؤسس معابد أخرى في الإقليم بعد الحصول على الموافقات الرسمية من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وللمرة الأولى منذ أكثر من ١٠٠٠ سنة، قام السكان المحليون في منطقة ريفية من محافظة السليمانية بمراسم قديمة في شهر مايو من عام ٢٠١٥م؛ حيث يضع الأتباع حزامًا خاصًا يدل على أنهم مستعدون لخدمة الدين واحترام معتقداته^(٥).

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (ص: ٥٥ - ٥٦).

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (ص: ٥٨).

(٣) انظر: زرادشت والزرادشتية (ص: ١٠١ - ١٠٢).

(٤) وهو لقمان حاجي كريم.

(٥) انظر: الزرادشتية الخجسية تنتعش في كردستان، أ.د. فرست مرعي. مقال منشور على هذا الرابط:

https://www.albayan.co.uk/Article.aspx?id=٤٩٦٣ بتاريخ: ٧ / ٢ / ٢٠٢٢م.

ملخص الفصل الرابع

- المجوسية نحلة وثنية يعبد أهلها النار، ويعتقدون بإلهين هما النور والظلمة، حيث يثبتون إلهًا قديمًا يسمونه: يزدان، ومعناه: النور، يعنون به الله تعالى، وإلهًا مخلوقًا يسمونه: أهرمن، ومعناه: الظلمة، يعنون به إبليس.
- للمجوسية ألقاب كثيرة، منها: ١- المجوسية، ٢- الزرادشتية، ٣- الثنوية، ٤- عبدة النار.
- الديانة المجوسية تقوم على عبادة النار، ثم تطورت المجوسية فعبدت مع النار آلهة شتى، ولما ظهر زرادشت، ورأى ما لدى المجوس من تعدد للآلهة، ثار عليهم، وأعلن أن ليس في العالم إلا إله واحد هو أهورا مزدا، إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته، ثم انتشرت المجوسية حين اعتنق الملك (دارا) دين زرادشت، وجعل الزرادشتية دين الدولة، وسادت الديانة الزرادشتية في بلاد فارس وما جاورها قرونًا من الزمن حتى انتصر الإسكندر المقدوني على الفرس سنة ٣٣١ ق.م، فانحط شأنها لما يزيد على خمسة قرون، ثم نهضت من جديد في عصر الأسرة الساسانية التي ابتداء حكمها في البلاد سنة ٢٢٦م.
- المجوسية ثلاث فرق: ١- الكيومرثية، ٢- الثنوية، ٣- الزرادشتية، وأضاف بعضهم فرقتين، وهما: ٤- المردكية، ٥- الخرمية.
- الأستا هو الكتاب المقدس عند المجوس، وهو مجموعة أقوال دينية منسوبة لزرادشت، فيها تراويل تقرأ عند تقديم الذبائح، وفيها شرائع كهنوتية، وصلوات، وطقوس عبادة، ومنها ما يتحدث عن الإله الخالق، وعن واجب الإنسان نحوه، وعن مصير الحياة، كما يتضمن تاريخًا للزرادشتية، ووصفًا لحياة زرادشت في كثير من المواقع، كما يحوي تاريخ الأبتاق نفسه، وابتهالات زرادشت لربه، وطرفًا من حياته، وعقيدته، وشرعيته، وتعاليمه، وأخلاقه، وقد اختلف الباحثون في عدد الأسفار التي يشتمل عليها الأبتاق، لكن المرجح أنه يشتمل على ستة أسفار بناء على النسخة الفارسية، وهي: ١- سفر الجانات، ٢- سفر اليَسْنَا، ٣- سفر الفنديداد، ٤- سفر الفِسْبَرْد، ٥- سفر اليشتات، ٦- سفر الخردة أستا.
- أهم عقائد المجوسية: ١- القول بخالقين (الثنوية). ٢- يعتقد المجوس بالحياة الأخروية، ٣- تقديس النار، ٤- تقديس المياه، ٥- عبادة الشمس، ٦- عبادة كل

- المخلوقات، ٧- قولهم بنبوة زرادشت، ٨- اعتقادهم بالمهدي المنتظر، ٩-
- الفرافاشي، فيزعم المجوس وجود أرواح خارجية متقدمة على جميع الأرواح السابقة للوجود لكافة الأشياء الحية الأرضية والسماوية يسمونها (الفرافاشي).
- أهم شعائر المجوسية: ١- الصلاة، وهي محور الديانة المجوسية، وتتم من خلال تكرار بعض الكلمات والجمل الدينية، ٢- الصوم عندهم محرم تحريمًا قاطعًا، ومن صام فهو آثم، فإن أصر على الصوم استحق العقوبة في الآخرة، ٣- الزكاة، وهي عندهم واجبة، وتؤخذ من المقتدرين بنسبة الثلث من الأموال والحيوانات والنباتات وغيرها، وتوزع على الفقراء والمحتاجين من أبناء الملة، وما يفيض منها يصرف في مصالح الناس، ٤- القرابين، وهي من أهم واجبات الإنسان الزرادشتي تجاه الآلهة، فهي تمثل له برهانًا صادقًا على عبادته لها، والقرابين لا يقدمها البشر للآلهة فحسب، بل كانت الآلهة تقدمها لبعضها؛ إذ اعتقد الزرادشتيون بإمكانية تقديم الآلهة القرابين لأقرانها، وهذا بزعمهم من تقديس الآلهة لبعضها، ٥- اللباس، حيث يرتدي الزرادشتيون بعض الرموز كجزء من لباسهم اليومي ليذكرهم بديانتهم، ومن أشهرها الحزام المقدس (الكوشتي) مربوط به ٧٢ خيطًا ترمز إلى فصول سفر اليسنا.
- أعياد المجوس: العيد الأول: النيروز، العيد الثاني: المهرجان، العيد الثالث: السدق، أو أبان روز، العيد الرابع: الشركان، العيد الخامس: أيام الفروودجان، العيد السادس: ركوب الكوسج، العيد السابع: عيد بممنجة.
- انتشر المجوس الزرادشتيون في عدد من بلدان العالم، ففي إيران موطن الزرادشتية الأصلي يوجد حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، وفي الهند -الموطن الثاني للديانة- يوجد حوالي ١٠٠ ألف، وقيل: ٢٠٠ ألف، وحوالي ٥٠ ألفًا في باكستان، ومثلها - ٥٠ ألفًا- في أوروبا، و ٢٠ ألفًا في أمريكا، و ٢٠ ألفًا في أفريقيا الجنوبية، ولا يزال مجوس إيران يحتفظون بأغلب مظاهر الزرادشتية المحرفة، كما يتواجدون وينشطون حاليًا في كردستان العراق.

أسئلة تطبيقية

- السؤال الأول: عرف المجوسية اصطلاحًا، واذكر أشهر ألقابها.
- السؤال الثاني: تكلم عن نشأة المجوسية وتطورها، مع ذكر أهم فرقها.
- السؤال الثالث: تكلم بإيجاز عن الكتاب المقدس عند المجوس، مع التعريف بأسفاره.
- السؤال الرابع: اذكر أهم عقائد المجوسية من خلال ما ورد في كتابهم المقدس.
- السؤال الخامس: من أهم شعائر المجوسية الصلاة، اذكر كيفيتها، وحكمها، وعددها.
- السؤال السادس: ما هي أعياد المجوس؟

الفصل الخامس: الهندوسية

المبحث الأول:

تعريف الهندوسية

أولاً: أصل الكلمة:

أصل كلمة الهندوسية (الهند) ثم زيد عليها (وسيه) للنسبة فقيل: الهندوسية^(١)، ويقال بأن هذه التسمية أطلقت عليهم في القرن الثامن الميلادي^(٢).

والهندوس يسمون أنفسهم (هندو) و(هنداكة)، ولا يزال يطلق بعض علماء الهند على هذه الديانة ديانة (هندو)، ويقول أحد علماء الهندوس: «إن كلمة هندو لم تطلق عليهم إلا في زمن مهاجرات، ليجمع الآريين ومن تناسل منهم أو دخل في ديانتهم أو تجانس معهم»^(٣).

وأطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما، ويقال: إن معنى (براهما) القوة العظيمة^(٤).

وقيل: معنى (براهما): الله في اللغة السنسكريتية القديمة^(٥).

في حين يرى المسعودي وابن حزم أن (براهما) اسم ملك من ملوكهم القدامى^(٦)، وكذلك يرى الشهرستاني أن البراهمة إنما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: براهم، وقد مهد لهم نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول^(٧).

(١) الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، د. أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٢١).

(٢) الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، د. أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٢٤).

(٣) الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، د. أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٢٤).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (ص: ٣٩).

(٥) وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، وإنما يدرك بالعقل. خالق الكون، الذي لا حد له. انظر: تاريخ الأديان (ص: ٢٦٣).

(٦) انظر: مروج الذهب (١/ ٩٣، ٩٥). الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣).

(٧) انظر: الملل والنحل (٣/ ٩٦).

وظن بعضهم أنهم سمو بهذا الاسم لانتساجم إلى إبراهيم -عليه السلام-^(١). والأرجح هو الأول؛ لأن براهما هو اسم للإله عندهم، أما القول بأن (براهما) اسم ملك من ملوكهم فهو خطأ تتابع عليه بعض علماء المقالات؛ لأن (براهما) اسم للإله الخالق عندهم، وليس اسم شخص^(٢).

وأما القول بأنه نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- فهو خطأ أيضًا، ولذا قال الشهرستاني: «من الناس من يظن أنهم سمو براهما؛ لانتساجم إلى إبراهيم -عليه السلام- وذلك خطأ، فإن هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلًا ورأسًا، فكيف يقولون بإبراهيم -عليه السلام-؟!»،^(٣) وقد ذكر الأشعري أن البراهمة تنكر أن يكون لله رسول^(٤).

ثانيًا: الهندوسية اصطلاحًا:

اختلف الباحثون في تعريفها على أقوال:

يقول ابن حزم في تعريفها: «هم قبيلة بالهند، فيهم أشرف أهل الهند، ويقولون: إنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم، ولهم علامة ينفردون بها، وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف»^(٥)، وهذا تعريف لهم باعتبارهم قبيلة، ينسبون إلى ملكهم براهما، وقد سبق أن (براهما) اسم للإله الخالق عندهم، وليس اسم ملك.

ويقول د. عبد المنعم النمر: «الديانة الهندوسية عبارة عن تقاليد وأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم بعدما وفدوا على الهند واستعمروها، وغلبوا على سكانها الأصليين وطردهم من ميادين الحياة»^(٦)، فهذا التعريف يجعل الديانة الهندوسية مجرد تقاليد وأوضاع.

في حين يقول جفري بارندر -أستاذ مقارنة الأديان في جامعة لندن- في تعريفها: «الهندوسية هي اتباع أو عبادة الإله فِشْنُو أو شيفا أو الإلهة شاكتي^(٧) أو تجسيداتهم أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم»^(٨)، وهذا تعريف للهندوسية باعتبارها ديانة تقوم على عبادة آلهة معينة. ويكتفي بعضهم في تعريف الهندوسي بأنه هو من ولد من أبوين هندوسيين مهما كانت

(١) انظر: الملل والنحل (٣/ ٩٥).

(٢) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود حياة (ص: ٢٢٥).

(٣) الملل والنحل (٣/ ٩٥)، وانظر: الهند القديمة (ص: ٨٩).

(٤) انظر: رسالة إلى أهل النفر (ص: ٧٩).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣)، وانظر: مروج الذهب (١/ ٩٣).

(٦) تاريخ الإسلام في الهند (ص: ٤٧).

(٧) وهذه أسماء آلهة عندهم.

(٨) اعتقادات الدينية لدى الشعوب (ص: ١٣٥)، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح.

عقيدته وعبادته^(١)، فهو أشبه بتعريف اليهودي عند بعض اليهود. وبعضهم يذهب إلى القول بأن الدين الهندوسي «لا يمكن تعريفه بكلمات ولا بصفحات، حتى إن الهنادكة أنفسهم لا يستطيعون ذلك، وقد جرى بحث في الهند ذاتها في مطلع هذا القرن بين الهنادكة أنفسهم لوضع تعريف للديانة الهندوكية، فلم يجدوا إلا تعريفًا سلبياً، وهو أن كل من يسكن الهند وليس من الأديان الأربعة: الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية ويخدم البقر فهو هندوكي»^(٢).

التعريف المختار: على أنه يمكن تعريفها بتعريف جامع لأصولها وشامل لما قيل في تعريفها، فيقال بأنها: ديانة وثنية تعبد آلهة شتى يعتنقها معظم أهل الهند، ولا يعلم مؤسسها، ولا من تنسب إليه، ولهم مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، الأعظمي (ص: ٥٣٠).

(٢) مقدمة كتاب منوسمري، د. إحسان حقي (ص: ه).

المبحث الثاني:

نشأة الهندوسية

لم يسجل التاريخ اسم شخص معين يقال له: إنه مؤسس الديانة الهندوسية، كما هو الحال في أديان الهند الكبرى، فالبوذية أسسها (البوذا)، والجينية^(١) أسسها (المهابير سوامي)، والسيخية^(٢) أسسها (نانك)^(٣).

يقول الدكتور رادها كرشنا: «إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم التي أدت دورها في تكوين الفكر الهندوسي»^(٤).

وأساس الهندوسية هو عقائد الآريين بعد أن تطورت بسبب اختلاط الآريين وهم في طريقهم البطيء إلى الهند بشعوب كثيرة، وخاصة الإيرانيين، ثم تأثرت هذه العقائد بعد احتلال الآريين للهند بسبب الاتصال بأفكار السكان الأصليين وبفلسفات وأفكار نشأت في الهند في مراحل متباعدة من التاريخ، حتى أصبحت الهندوسية بعيدة عن العقائد الآرية الأصلية^(٥).

ولهذا قال الدكتور أحمد شلبي: «ليس هناك مؤسس للهندوسية يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها»^(٦).

(١) الجينية: هي طائفة دينية هندية، يدعي أفرادها قدم ديانتهم بقدم العالم، فليس لها بداية، كما أنها ليس لها نهاية بزعمهم، والجين معناه: الفاتح الذي غلب على شهبواته ورغباته، ويعتقد الجينيون بأربعة وعشرين رسولاً وأنهم جميعاً آلهة، وكان آخرهم مهابير سوامي (٥٤٠-٤٨٦ ق.م). وكان معاصراً لبوذا. وهو الذي جدد أصول الجينية ونشر عقيدتها، ولم تنتشر الجينية في خارج الهند فأنحصر وجودهم في منطقة كجرات. ولهم فيها معابد ضخمة، ويبلغ عددهم في إحصائيات ١٩٥١م (١٦١٨٤٠٥) نسمة. ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. الأعظمي (ص: ٦٦١)، وما بعدها، أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي (ص: ١١١) وما بعدها.

(٢) السيخية: هي طائفة دينية هندية أسسها رجل هندي يدعى نانك (١٤٦٩-١٥٣٨م). أراد من خلال هذه النحلة الجديدة أن يجمع الهنادك جميعهم -هندوسيين ومسلمين- على دين واحد يكون خليطاً من هذين الدينين. فالسيخية -كما يقول د. جوبال جند سنغ- يؤمنون بتوحيد الله تعالى، وأنه خالق عادل رحيم كريم لم يخلق البشر ليعذبهم على ذنوبهم، بل لغايته الحقيقية وهي العبادة لله. كما أخذوا بعض المعتقدات من الهندوسية، فمقصود الحياة مثلاً عند السيخي هو حصول الرفقانا بعد سلسلة من انتقالات للروح، كما هو عند الهندوس، والسيخية تحرم الرهبانية، وتساوي بين الرجال والنساء في العفو والمغفرة. ومن علاماتهم استرسال الشعر من الرأس وإعفاء اللحى حيث يجرمون على السيخي أن يخلق رأسه ولحيته، ويسمونه (الكيشو). ويختارون سراويل متسعة وتضيق عند الركبتين، ويسمونه (الكانشا) ويتحلى كل سيخي بنوع من السيوف (الكريال). ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٧٥) وما بعدها.

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٢٨).

(٤) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٢٨-٥٢٩).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم، د. فيصل بدير عون (ص: ٩٩). نقلا عن كتاب (الهندوسية) للويس ريتو.

(٦) أديان الهند الكبرى (ص: ٣٩).

وقد مرت الديانة الهندوسية بمراحل عديدة، ومرد هذه المراحل إلى قوة الديانة وضعفها وتكوين عقائدها، وهي أربع مراحل:

الأولى: المرحلة الفيديّة، وترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتبدأ من قدوم الآريين إلى الهند أو قبله.

الثانية: المرحلة البرهمانية الأولى، وترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت فيه الديانة في أوجها، وألفت فيها فلسفات متعددة، وفيها ظهرت الجينية والبوذية^(١).

الثالثة: المرحلة البراهمانية الثانية، وفيها بدأت تضعف الديانة بعد ظهور البوذية وتوجيه الطعون إليها، وخشي الكهنة من ضياع ديانتهم فلم يجدوا بدءاً من مجازاة عامة الشعب في عقائدهم الجديدة على أن تكون مقيدة بالكتب التي يضعها البراهمانيون أنفسهم، أما آراء الكهنة الخاصة فظلت مقصورة على المثقفين، وفي هذه المرحلة أطلق عليها (الهندوسية).

الرابعة: المرحلة الهندوسية الحديثة، وهي التي عليها الهندوس الآن حيث أصبحت الهندوسية خليطاً من الاعتقادات، وصارت فرقاً متعددة وأفكاراً متباينة^(٢).

(١) سيأتي التعريف بما إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (١/ ١٣٤-١٣٩)، دعوة الهندوس (ص: ٤٣).

المبحث الثالث:

مصادر الهندوسية

الهندوسية لها مصادر عديدة، فكل كتاب ألف في تمجيد إله من الآلهة وتقديم القرابين له صار مقدسًا عندهم^(١)، ولكن أهمها (الفيدا) و(منو سمرتي)، ويشهد لذلك ما جاء في كتاب (منو سمرتي) من «أن الأحكام الشرعية وهي الويد، والقانون المقدس هو سمرتي (Samarti) ومن هذين الاثنتين أخذت الشريعة، ولذا؛ فاحذروا المجادلة فيهما أبدًا، إن كل مولود ثانية يعتمد على علم المنطق في مناقشة أحكام الويد والقانون المقدس فهو كافر، وعلى العلماء أن يطردوه من حلقتهم»^(٢).

والفيدا^(٣) لم أقف عليه مترجمًا للعربية^(٤)، ولذلك سيتم التعريف به من خلال المصادر الناقلة التي صنفتها بعض باحثي الهند ممن يعرف العربية ويعرف لغة هذه المصادر، كما ألحق به مجموعة من الكتب المقدسة لديهم (الشروح)، وعلى هذا فكتب الفيدا تنقسم إلى قسمين:

الأول: سنّهتا، أي: المتون.

والثاني: براهمن، أي: الشروح.

ويرى العالم الهندوسي سوامي ديانند أن القسم الأول إلهامي، والثاني غير إلهامي^(٥).

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣٣).

(٢) منو سمرتي (ص: ٤٩).

(٣) يقول د. رؤوف شلبي: «أطلق المستشرقون على كتب (الويدا) لفظ (الفيدا)، وهو خطأ في اللغة الشرقية؛ لأن (W) لا تنطق واؤا، وليس في اللغة الشرقية لفظ (W) ينطق (V)، لكن المستشرقين طوعوا اللفظ (W) إلى لغتهم فنطقوها (V)، ولهذا استخدمت أنا النطق الشرقي (W) بلفظ واو، فهي ويدا وليست فيدا؛ لأن (V) في اللغة الشرقية ينطق باء» (أخة في الأسواق. دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق. ص: ٩٦). وهذه المعلومة لم يذكرها أهل اللغة الأصليين كالأعظمي وغيره وتحتاج إلى تحقيق.

(٤) وقد ذكر د. أبو بكر زكريا أن الفيدات لم تترجم حتى الآن إلى اللغة العربية (هندوسية ١ / ٣٣). وقال: «إنني بحمد الله تعالى ويعونه بحكم بيتي عرفت كثيرًا من لغة القوم وتقاليدهم وعاداتهم واعتقاداتهم الباطلة. فإني من المنطقة التي يسكن فيها كثير من الهندوس. ولغني أقرب اللغات إلى لغة مصادرهم (اللغة السنسكريتية)، وقد ترجمت أغلب هذه المصادر إلى لغتي التي أتكلم بها، والذي أمكنني الاستفادة منها بسهولة» (هندوسية ١ / ٣٦).

(٥) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣٧).

أولاً: الفيذا (المتون):

الفيذا كلمة سنسكريتية، ومعناها: العلم أو حصول العلم أو المعرفة أو القانون^(١)، وهي أربعة فيدات: الريج فيدا، وياجور فيدا، وسام فيدا، وأتور فيدا^(٢).

وتعتبر الفيديات من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس كما سبق، والفيذا مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنسك في القرون المظلمة قبل الميلاد، ويدعي الهندوس أن الفيذا أُرِي وقدم كقدم العالم، ألهمه رجل يسمونه (منو)^(٣)، وتنقسم إلى أربعة كتب كما سبق:

الأول: ريج فيدا: ومعناه الدعاء والثناء، وهو كتاب قديم ألف على مراحل ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد، وهو أم الكتب الهندوسية، والهنداكة يقدسونه ويتغنون بأناشيده ويرتلونها في الصلوات صباحاً ومساءً، ويتبركون بتلاوتها في حفلات زواجهم، ويقرؤون أبياته على موتاهم عند تحريق جثثهم^(٤)، ولا يزالون على ذلك منذ ثلاثة آلاف عام إلى اليوم^(٥).

الثاني: ياجور فيدا: وهو كتاب يتحدث عن قوانين القرابين، ويبلغ حجمه ثلثي حجم ريج فيدا، وهو مكتوب بالنثر، وفيه تعليمات لتقديم القرابين للآلهة، وكثير من العلماء الهندوس ينكرون أن يكون (ياجور فيدا) من الفيديات المقدسة لديهم.

الثالث: سام فيدا: ومعناه الأمن والراحة، وهو يشمل ١٨١٠ بيتاً، وجميع هذه الأبيات توجد في ريج فيدا ما عدا ٧٥ بيتاً، والهندوس يتغنون بهذه الأبيات في صلاتهم، ودعوة أهتمام لنجدتهم.

الرابع: أتور فيدا: ويعني رقى السحر؛ وهذا الكتاب يشتمل على مجموعة من الأبيات، وفيه مقالات في السحر والرقى لإبعاد الشياطين والأغوال، وفيه أدعية للحفاظ من الحيوانات المفترسة، وأدعية لحصول الراحة والأمن والريح في التجارة والقمار^(٦).

(١) انظر: الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (١٤٩/١-١٥٠).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣١، ٥٣٤).

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣١).

(٤) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣١).

(٥) انظر: الهندوسية البوذية السيخية، د. أسعد السحمراني (ص: ٢٥).

(٦) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٣٦-٥٣٨)، أديان الهند الكبرى (ص: ٤٢-٤٣)، الإسلام

والأديان (ص: ٧٨-٧٩).

ثانياً: ما الحق بالفيديا (الشروح):

البران:

وهو الكتاب الذي يتحدث عن أساطير الأولين، ويعتبره جمهور الهندوس الفيديا الخامس، لأن فهم الفيديا موقوف عليه.

١- الأبانشاد:

وهي أسفار تفسيرية للفيديات، وفيها علوم وتجارب الرهبان والنسك من الهنادك الذين مارسوا حياة الرهبانية، ويبلغ عدد الأبانشاد مائة وتسعة وسبعين كتاباً.

٢- مها بهارتا:

اسم الكتاب مركب من كلمتين: مها: أي العظيم، وبهارت أي: الهند. وعنوان الكتاب يتحدث عن محتواه، وهو تاريخ الحرب الكبرى التي وقعت في الهند.

٣- الكيتا:

من الكتب المهمة عند الهندوس وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي كرشنا أمام قائد الجيش أرجن.

٤- راميانا:

عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه راما وبين ملك سيلان اسمه رافان، تحارب الرجلان وانتهت القصة بفوز راما، والمقصود من القصة الحرب بين الخير والشر.

٥- الفيديانت:

ومعناه زبدة الفيديا، وهو من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس، ويشتمل على طريقة عبادة البرهما، ووحدة الوجود، وطريقة الحصول على النجاة، وجزاء المجتهد في العبادة.

٦- اليوجا فاشستا:

وهو من الكتب المهمة عند الهندوس، ويحتوي هذا الكتاب على ٦٤٠٠٠ بيت، وهو يتضمن العلوم اللاهوتية والعلوم الروحانية وعلوم المراقبة التي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني والملا الأعلى حتى يتصل ب(برهما) على حد زعمهم.

٧- دهرم شاسترا:

وهي مجموعة من الكتب الفقهية للديانة الهندوسية، وهي أصل الفيديات وفقهها، إلا أن أغلب هذه الكتب ضاعت ولم يبق منها إلا ستة عشر كتاباً، وأشهرها منو سمرتي^(١)، أي:

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٤٢-٥٦٢)، أديان الهند الكبرى (ص: ٤٢-٤٤).

شريعة منو، وقد نشر مترجماً إلى العربية، وهو خلاصة التشريع الهندوسي، ويقال: إنه كتب في المائة السادسة قبل الميلاد، وأن كاتبه هو الإله براهما وأنه علمه الإله منو، وهو بدوره علمه الحبر بركو^(١)، وهو مؤلف من اثني عشر باباً أو جزءاً يبحث كل باب في موضوع أو موضوعات متقاربة^(٢).

الأنوار التي مر بها تصنيف المصادر لدى الهندوسية:

بعد ما وصل الآريون إلى الهند وبدأوا يخوضون الحروب مع أهلها اشتغل جماعة من علمائهم بالتصنيف، واستمرت فترة تصنيف الكتب الهندوسية الأساسية أكثر من ألف سنة تقريباً.

والأدوار التي مر بها التصنيف في هذه المدة خمسة:

الدور الأول: تأليف الفيدات الأربعة، وقد سبق بيانها.

الدور الثاني: تأليف كتب (أبانشاد)، وهي تفسير ل(لفيدا)، كما سبق.

الدور الثالث: تدوين الفقه الهندوسي من أحكام الطهارة والعبادة والمعاملات والعلاقات، وأحكام الزواج والطلاق وما إلى ذلك.

الدور الرابع: تأليف كتب الحمد والثناء على الآلهة الجديدة، ذلك أنه بعد امتزاج أهل الهند بالآريين اختفت آلهة الآريين، وهم (إندرا) إله الرعد الذي يسبب الأمطار، و(أغني) إله النار، و(أرونا) إله السماء، و(أوشا) إله الصبح، وبدأت تظهر آلهة الهند وهم: (فشنو)، إله الرزق، و(سيفا) إله التدمير والإبادة، فمن هنا بدأت حركة التصنيف للحمد والثناء على الآلهة الجديدة، فألفت كتب (بران)، ومعناها: القصص والأساطير القديمة وتناولت هذه الكتب عدة مواضيع وهي قصة الخلق والقيامة، والفترة التي تستغرق بين الاثنين.

الدور الخامس: تأليف كتب الملاحم والحروب، وتتحدث هذه الكتب عن زعماء الآريين الذين خاضوا الحروب الطاحنة ضد أعدائهم إلى أن تم لهم النصر، وهذه الكتب هي: (مهابهاراتا)، و(كيتا)، و(رامايان)، وقد صارت هذه الكتب من الكتب الشعبية، وكثر الاهتمام بها في المجتمع الهندوسي^(٣).

(١) مقدمة منو سمرقي. د. إحسان حقي (ص: ه).

(٢) انظر: مقدمة منو سمرقي (ص: ز). الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (١/ ٤٨١).

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٣١-٥٣٣).

المبحث الرابع:

عقائد الهندوسية

حكى شيخ الإسلام ابن تيمية عن البراهمة أنهم لا ينكرون وجود الله تعالى، بل يقولون: العالم محدث فعنه فاعل مختار^(١)، ويقول منو: «خلق الله الكائنات وخلقني»^(٢).

ومع إيمانهم بوجود الله تعالى فإن هذا الإيمان قد ضعف عندهم أو عند بعضهم، يقول الزعيم الهندي غاندي: «أما الاعتقاد بوجود الخالق وعدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي سواء آمن أم لم يؤمن»، ويعترف غاندي أن الهندوسية خليط من جميع العقائد، فيقول: «من حسن حظ الديانة الهندوسية أنها تخلت عن كل عقيدة، ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية، والجواهر الأساسية للأديان الأخرى»^(٣).

ومن عقائدهم ما يلي:

١- الألوهية:

وقد مر اعتقاد الهندوس في الألوهية بثلاثة أدوار:

الدور الأول: دور التوحيد عند الهنود القدماء، يقول البيروني: «واعتماد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحكيم الحي المحيي المدبر المبقى الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء»^(٤)، ويقول ابن حزم: «وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا»^(٥).

وهذا ما تنص عليه الفيدات، فمن نصوصها: «هذا البشوكوما (خالق العالم) والإله الناظر إلى العالم كيف خلق الأراضي ثم مد السماء عليها؟ هو رب واحد، في كل جهة له عين ووجه ويد ورجل، هو حرك يديه وجنبيه فأنشأ بها الملكوت العليا والسفلى»، ومنها: «أمد وأمجيد ذلك الإله الذي هو خالق الخالقين، ومالك العالم، ورب العالمين، الحافظ، والمدافع

(١) انظر: بيان تلبس الجهمية (١/ ٤٣٨).

(٢) فصول في أديان الهند (ص: ١٠١).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٢٩).

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص: ٢٣).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣).

للأعداء»^(١).

الدور الثاني: دور التثليث، وهو دور الكهنة البرهمنيين، والثالوث الهندي: (براهما، فشنو، سيفا)، يقول غوستوف لوبيون: «لكل إله في الثالوث الهندوسي نصيبه في أمر العالم، فأما (برهما) فهو البارئ^(٢)، وأما (وشنو) فهو الحافظ، وأما (شيفا) فهو المبيد»^(٣). ويقول جون كولر: «وفي التصور الهندوسي للثالوث الإلهي حيث براهما يخلق وشيفا يدمر، فإن وظيفة فشنو هي الحفاظ على العالم»^(٤).

ويقول د. علي عبد الواحد وافي: «الديانة البرهمنية كانت في أصلها -على ما يبدو من نصوص أسفارها- ديانة توحيد... ولكنها تغيرت وحرقت على مر الأيام وحلّت محلها عقيدة تثليث، لأنهم زعموا أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له، فرغب أن يكون كثيرًا، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود)، وسمى نفسه الخالق، ثم انبثق منه الإله المدمر، وهو الإله (سيفا) الموكل بالخراب والفتن، فلا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالريميم، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن، ولهذا انبثق من (براهما) إله ثالث حافظ مجدد، وهو الإله (فيشنو) وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمني، واستبدل بها هذا الثالوث، ويتجه البرهمنيون الآن بمعظم عبادتهم إلى الإله (فيشنو) أما الإله (سيفا) فهو إله مدمر يتقى شره، وأما الإله (براهما) وهو أصلهم جميعا فيزعمون أنه قد أدى وظيفته وهي الخلق، وأنه ينعم الآن بالراحة المطلقة الكاملة»^(٥).

الدور الثالث: دور الشرك والوثنية، فجنحوا إلى الشرك وتعدد الآلهة، وانحدروا إلى عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات^(٦)، فقد كان عندهم لكل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم إله يعبدونه ويستنصرون به في الشدائد؛ كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذريتهم وأموالهم من المواشي والغلات والثمار وتنصرهم على أعدائهم^(٧).

(١) انظر هذه النصوص وغيرها في: الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (٢ / ٥٥٦)، دعوة الهندوس (ص: ٧٩-٨١)، وما بعدها.

(٢) يعنى الخالق.

(٣) كذا بالأصل. والمراد (سيفا). ولعله راجع إلى اختلاف الترجمات عن اللغة الهندية إلى اللغات الأخرى.

(٤) حضارات الهند (ص: ٦٠١).

(٥) الفكر الشرقي القديم. جون كولر (ص: ١٤٥).

(٦) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام (ص: ١٦٦).

(٧) انظر: الإسلام والأديان. د. مصطفى حلمي (ص: ٧٤).

(٨) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٤٧).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ومنشأ الوثنية في الديانة البرهمية أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته في زعمهم، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى، بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها»^(١).

وقد بلغ عدد الآلهة التي ورد ذكرها في كتبهم أكثر من مائة وخمسين إلهًا، ومن أشهرهم:

ارونا: إله السماء.

إندرا: إله الرعد.

أغنى: إله النار.

أوشا: إله الصبح.

فايو: إله الهواء.

كيان: إله العلم.

كام: إله الشهوات^(٢).

وربما كان هذا العدد المذكور لأشهر آلهتهم، وإلا فإن عددها عندهم يبلغ الملايين، حتى ذكر ول ديورانت أن الآلهة عند الهنود قد يصل عددها إلى «ثلاثين مليوناً»، ثم يقول: «ولو أحصينا أسماء هاتيك الآلهة لاقتضى ذلك مائة مجلد، وبعضها أقرب في طبيعته إلى الملائكة، وبعضها هو ما قد نسميه نحن بالشياطين، وطائفة منها أجرام سماوية مثل الشمس، وطائفة منها توائم مثل لاكشمي (إلهة الحظ الحسن)، وكثير منها هي حيوانات الحقل أو طيور السماء، فالهندي لا يرى فارقاً بعيداً بين الحيوان والإنسان، فالحيوان روح كما للإنسان، والأرواح تمضي دوماً متنقلة من بني الإنسان إلى بني الحيوان، ثم تعود إلى بني الإنسان مرة أخرى، وكل هذه الصنوف الإلهية قد نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لحدودها، هي كارما وتناسخ الأرواح»^(٣).

ومع هذه الكثرة الهائلة للآلهة عندهم إلا أنهم كانوا إذا دعوا إلهًا من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا إليه بقربان أقبلوا عليه بكل عواطفهم وجل ميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب، ويصير إلههم هو ذلك الإله لا غير، فيسمونه بكل اسم حسن ويصفونه بكل صفة كمالية ويخاطبونه برب الأرباب وإله الآلهة تعظيمًا وإجلالًا، لا تحقيقًا وإيقانًا، وإذا عطفوا إلى

(١) الديانات القديمة (ص: ٢٧).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٣٧).

(٣) قصة الحضارة (٣/ ٢٠٧).

إله غيره أقاموه مقام الأول وجعلوه رب الأرباب، وإله الآلهة، فهذا التعبير (رب الأرباب أو إله الآلهة) كان أولاً يدل على العظمة والجلال فلما مضت القرون على هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعنى أي أنهم اعتقدوا فعلاً أن في صف الآلهة رئيساً ومرؤوسين وأمراً ومأمورين، وأن الرئيس والأمر هو وحده رب الأرباب وإله الآلهة؛ وهذا وصف ثابت له لا ينتقل إلى سواه، والكائنات كلها تحت يده وسائر الآلهة تحت أمره^(١).

٢- النبوات:

ذكرت كتب المقالات أن الهندوسية ينكرون النبوات، يقول الشهرستاني: «حكما الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلاً»^(٢).

ويقول ابن حزم: «البراهمة ... أنكروا النبوات»^(٣).

ويذكر ابن تيمية أنهم زعموا «أن في قوة العقل كفايةً عن بعث الرسل»^(٤).

ويذكر د. محمد الندوي أن عقيدة التقمص أو التجسد حلت في الديانات الهندية محل الرسالات السماوية، ولذلك لم تفكر الهندوكية في الرسالة والنبوة إطلاقاً، فاعتقدوا في كل مصلح من أمثال: كرشنا وراما صفات الألوهية، واعتقدوا أن (فشنو) وهو رب العالمين عندهم قد تجسد في هذه الشخصيات لهداية البشرية إلى طريق الرشاد^(٥).

لكن يذكر الباقلاني أنهم افترقوا في هذه المسألة على قولين، فيقول: «وقد افترت البراهمة على قولين: فمنهم قوم جحدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز في حكمة الباري وصفته أن يبعث رسولا إلى خلقه، وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقي الرسالة عن الخالق، وقال الفريق الآخر: إن الله ما أرسل رسولا إلى خلقه سوى آدم -عليه السلام-، وكذبوا كل مدع للنبوة سواه، وقال قوم منهم: بل ما بعث الله غير إبراهيم وحده، وأنكروا نبوة من سواه. وهذا جملة قوطهم»^(٦).

ولهذا ذكر بعض الباحثين^(٧) أن نسبة إنكار النبوات إلى البراهمة من الأخطاء الشائعة في كتب

(١) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٤٧-٤٨).

(٢) الملل والنحل (٢/ ١١٨).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣).

(٤) در، تعارض العقل والنقل (٨/ ١٢٢).

(٥) انظر: الهند القديمة (ص: ١٢٠).

(٦) التمهيد. الباقلاني (ص: ١٠٤). تحقيق مكارثي.

(٧) وهو د. عمار الطالبي في: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (١/ ٢٦٩-٢٧٠) وذكر أن الذي نبهه على هذا الخطأ د.

عبد الخليم محمود، ووافقه د. محمود حمادة في: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان (ص: ٢٢٥-٢٢٧).

المقالات، واستند إلى نص نقله ابن الجوزي عن النوبختي، وهو قوله: «وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب (الآراء والديانات) أن قومًا من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسول والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملَّك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيدي واثنتا عشر رأسًا، من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات، وأنه أمرهم بتعظيم النار، ونهاهم عن القتل والذبايح، إلا ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر، ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، ثم يذهب فيسجد للبقر في هذيانات يضيع الزمان بذكرها»^(١).

لكن استفاضة نسبة إنكار النبوات إليهم في كتب الديانات والمقالات يشكك في صحة القول بأن نسبة إنكار النبوات إلى البراهمة من الأخطاء الشائعة، فلعله أن يكون رأي طائفة منهم، ويؤيد ذلك قول النوبختي: «إن قومًا من البراهمة...»، فنسب إنكار النبوة إلى قوم منهم، لا إلى جميعهم، ولذا يقول د. مصطفى حلمي: «وربما قصد الشهرستاني إحدى طوائف البراهمة، وهي ليست وحدها، بل يشاركها في نكران النبوة طوائف أخرى، كالصابئة والدهرية والسمنية»^(٢).

وربما يكون إنكار النبوات اعتقادًا لاحقًا في الهندوسية كانتقالهم من التوحيد إلى التثليث، ويؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين أنه من خلال الاطلاع على الكتب المقدسة للديانة الهندوسية (الفيدات) يظهر جليًا بأن الهندوس كانوا يعتقدون عقيدة الرسالة والنبوة في زمن الفيدات وقبله، ولكن بمرور الزمن تحولت هذه العقيدة إلى عقيدة الأفتار والتجسد، وأن كثيرًا من آلهتهم المذكورة في الفيدات ما كانوا إلا رسلاً أو أنبياء^(٣)، ثم ذكر بعض النصوص التي فيها دلالة على الإيمان بالنبوات.

ويرى د. الأعظمي أنهم لا يسمون الأنبياء بأسمائهم، وإنما يسموهم بـ(الأفتار)، فعقيدة (الأفتار) في الهندوسية محرفة عن الإيمان بالرسالة والنبوة^(٤).

ويرى بعض الباحثين من خلال بعض مناقشاته للهندوس أن منهم من يرى كون هؤلاء

(١) تلبس إبليس (ص: ٦٠).

(٢) الإسلام والأديان (ص: ٧٥)، هامش: ٣.

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢ / ١٠٥١)، دعوة الهندوس (ص: ٩٣).

(٤) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦١٩).

الأفتار من الرسل.

ومعنى كلمة أفتار في اللغة السنسكريتية: النزول، وتأتي بمعنى الظهور أيضاً، وفي الاصطلاح عند الهنادكة: نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر، أو: نزول الرب إلى الأرض بصورة بعض المخلوقات لإنجاز مهمة، وعلى هذا تتضمن كلمة (أفتار) معنيين، هما: النزول، والتجسد^(١).

كما جاء في كتاب كيتا، يقول كرشنا: «من أجل إنقاذ الأبرار وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى»، ويقول أيضاً: «حيثما يوجد انحراف في الممارسات الدينية ويزداد الإلحاد أهبط بنفسي»، ويقول أيضاً: «رغم الثبات في الطبيعة وعدم الولادة، رغم أنني إله الموجودات، فإني أقيم ذاتي في الطبيعة التي لي، وأجيء إلى الوجود بقوتي غير المرئية»^(٢).

٣- كارما:

الديانة الهندوسية لا تؤمن باليوم الآخر^(٣)، لكنهم دانوا بمعتقدات زعموا من خلالها تحقق الجزاء على الأعمال في الدنيا، من خلال ما يسمونه: الكرما، وتناسخ الأرواح، جاء في كتابهم المقدس (منو سمرتي): «لا يحمد العمل إذا لم يعمل رغبة في الجزاء»^(٤)، وفيه أيضاً: «إن كل من يعمل بالأحكام المشروعة والقانون المقدس ينال شهرة عظيمة في دنياه، وسعادة وبركة غير متناهيتين بعد موته»^(٥).

والكارما معناها: (العمل) في اللغة السنسكريتية، وفي الاصطلاح: هو قانون الجزاء على العمل^(٦)، فيقولون: إن جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيراً كانت أو شراً لا بد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقاً لناموس العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل وإن في الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء وبعد إحصائها ينال كل

(١) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢/ ١٠٢٩).

(٢) انظر هذه النصوص وغيرها في: فصول في أديان الهند (ص: ١٠٧). الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (٢/ ١٠٣٠).

(٣) انظر: الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (٢/ ١١٦٦).

(٤) منو سمرتي (ص: ٤٧).

(٥) منو سمرتي (ص: ٤٨).

(٦) انظر: دعوة الهندوس (ص: ٩٥).

شخص جزاءه على عمله ويكون الجزاء في هذه الحياة^(١). ويقول ول ديورانت: «إن الحياة لدى افسوساً لا يمكن فهمها إلا على افتراض أن كل مرحلة من مراحل وجود النفس تعاني العذاب أو تتمتع بالثواب، جزاء وفقاً لما وقع من النفس في حياة ماضية من رذيلة أو فضيلة؛ إذ يستحيل على فعل صغير أو كبير، خَيْرٍ أو شرير أن يمضى بغير أثر؛ إن كل شيء لا بد له من أثر يظهر ذات يوم، ذلك هو قانون (كارما)»^(٢). فالاعتقاد بـ(كارما) عندهم يعني أمرين:

الأول: أن لكل عمل جزاء إما في الدنيا وإما في دورة تالية للحياة وهو التناسخ عندهم.
الثاني: أن سنن الكون ثابتة لا تتغير، وذلك يعني خلود الدنيا وإنكار البعث^(٣).

٤- تناسخ الأرواح:

ويطلق عليها أيضاً (تحوال الروح)، أو (تكرار المولد)، قال الشهرستاني: «ما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ، وإنما تختلف طرقهم في تقرير ذلك، فأما تناسخية الهند فأشد اعتقاداً لذلك»^(٤)، وقال البيروني: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتلثيت علامة النصرانية، والإسبات^(٥) علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحلها لم يك منها، ولم يعد من جملتها»^(٦).

ومعنى التناسخ: رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى جسم آخر حسب الأعمال، فروح الإنسان تنتقل من جسمه إلى جسم الحيوان والحشرات، وبالعكس^(٧).

لقد لاحظ الهندوس من واقع الحياة أن الجزاء قد لا يقع، فالظالم قد يموت دون أن يقتص منه، والمحسن قد يموت دون أن يحسن إليه، ولذلك لجأوا إلى القول بتناسخ الأرواح، ليقع الجزاء في الحياة القادمة إذ لم يتم في الحياة الحاضرة^(٨)، فإن كان الإنسان صالحاً في واحدة من

(١) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٦٠).

(٢) قصة الحضارة (٣/ ٢١٥).

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢/ ١٠٥٧).

(٤) وقد سبق نقله.

(٥) الإسبات: الدخول في السبت (لسان العرب ٣/ ١٩١٢). ويوم السبت يوم مقدس عند اليهود يرمون العمل فيه. جاء في [إسفر الخروج ٣١: ١٥]: «سنة أيام يصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً».

(٦) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مردولة (ص: ٣٧).

(٧) انظر: فصول من أديان الهند (ص: ١١٣).

(٨) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ٦١-٦٢).

دورات حياته الحلولية، فإنه سيلقى جزء ذلك في الدورة الثانية، وإذا كان طالحًا فإنه سيلقى جزء ذلك في الدورة الثانية أيضًا^(١).

جاء في كتابهم المقدس (منو سمرتي) باب في التناسخ والفلاح الأخروري هو الباب الثاني عشر، وذكر في موضوع التناسخ ٨١ فقرة، بين من خلالها الجزاء على الأعمال الصالحة والطالحة، وذلك بتحول الروح إلى أجساد أخرى، فيجازى على «أعماله السيئة التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية جمادًا، والتي ارتكبها بلسانه طيرًا أو حيوانًا، وينحط إلى الفرق السفلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله ... من كانت له السيطرة على هذه الثلاثة (عقله وكلامه وجسمه) تجاه جميع المخلوقات .. ينال الفلاح التام ..»، وقال: «إن السعي وراء المسرات النفسانية علامة الظلمة، والسعي وراء المال علامة المهمة، والسعي في تحصيل الثواب علامة الصلاح»، ثم ذكر جزء ذلك، فقال: «اعلموا أن هذه الحالات التناسخية الثلاث التي تركز على الصفات الثلاث فتجعل الإنسان وضيعًا أو وسطًا أو ربيعًا إنما تكون انعكاسًا لنتائج أعمال المرء وعلومه ... إن أحط درجات الظلمة تجعل من المخلوقات جمادات وحشرات صغيرة وكبيرة وسمكًا وحياتٍ وسلاحف وحيوانات أهلية وأخرى ضارية، والدرجة المتوسطة من درجات الظلمة تجعل من المخلوقات فيلة أو خيلًا أو أناسًا من طبقة الشودر أو من طبقات الأسافل .. أو خنازير، والدرجة العالية من درجات الظلمة تجعل من المخلوقات أناسًا من فرقة جرن (فرقة من الأسافل)» وهكذا يجعل من كل درجة من الدرجات الثلاث مراتب ثلاث، فيقول عن درجة الصلاح أيضًا: «إن أحط درجات الصلاح تجعل من المخلوقات عبادًا وزاهدين وبراهمة أو إلهًا من الآلهة... والدرجة المتوسطة من درجات الصلاح تجعل من المخلوقات علماء .. وأحبارًا .. والدرجة العليا من درجات الصلاح هي التي خلق منها (برهما) والآلهة خالقو العالم»، ثم ذكر «تفصيل وترتيب الأرحام التي تدخلها هذه الأرواح الفردية في هذا العالم، مع بيان العمل الذي سبب دخولها»، فذكر مثلًا «أن قاتل البرهن يخلق في رحم كلبه أو خنزيرة ... وسارق الحبوب يخلق فأرة .. وسارق العسل يخلق حشرة لاسعة، وسارق الحليب يخلق غرابًا، وسارق التوابل يخلق كلبًا، وسارق الملح يخلق صرصارًا ... وسارق البقرة يخلق ضبًا، وسارق العطر يخلق فأرة مسك، وسارق الخضار ذات الأوراق يخلق طاووسًا»، ثم قال في آخر فقرة: «إن الإنسان لينال جزاء أعماله في الحياة الثانية بحسب النية

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٢٩)، دعوة الهندوس (ص: ٩٥).

التي ارتكبت بها عمله في هذه الحياة، ويجسم له صفات جسمه»^(١).
وهناك أسباب لهذا التناسخ:

- أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

- أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا بد من أدائها. فلا مناص إداً من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة، وهكذا يتكرر المولد، ولا يتوقف إلا إذا حدث النرفانا^(٢). ومع شيوع هذه العقيدة فإنه لا أصل لها في كتب الويدات، حتى قال أحد علماء الهندوس (شري ستيا كام وديالكار): «إن عقيدة التناسخ ليست في الويدات^(٣)، وأنا أتحدى من يقول بذلك»^(٤).

٥- الجنة والنار (النرفانا):

يؤمن الهندوس بالجنة والنار، فقد تحدث البيروني عن عقيدتهم في ذلك، فقال: «العالم أي: عد البراهما ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل ... فيسمى العالم الأعلى «سفر لوك» وهو الجنة، والعالم الأسفل «ناكلوك» أي: مجمع الحيات وهو جهنم»^(٥). وكانت هذه العقيدة في الجنة والنار موجودة في الفيدات، لكنها في الكتب المتأخرة تحرفت إلى اعتقاد أن الجنة والنار مؤقتتان، وأن المطلوب الأعلى والغاية العظمى هي الحصول على الخلاص الذي يسمونه (النرفانا)، وهو ما عليه الهندوسية الآن^(٦).

و(نرفانا) كلمة سنسكريتية مركبة من كلمتين (نر) ومعناها: الانتهاء أو الانعدام، وهو الفناء، و(فانا) أي: الشهوة، فيكون معنى (نرفانا): انتهاء الشهوة أو انعدامها، وقيل: إن معناها:

(١) منو سمرتي (ص: ٦٧٩) وما بعدها.

فانظر واعتبر حال من حاد عن الوحي الإلهي ولم يستضي بنور النبوة كيف يتخبط في معرفة الحق مع إدراكه في أصل فطرته أنه لا بد من الجزاء على الأعمال، كما يتخبط المشرك في الوصول إلى التوحيد مع إدراكه في أصل فطرته ضرورة العبادة. ولذلك بعث الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ببيان الأصول الثلاثة الكبرى: التوحيد، والشريعة، واليوم الآخر.

(٢) انظر: أدبهان الهند الكبرى (ص: ٦٣).

(٣) فإن كان يقصد أصل الويدات فهذا صحيح. وإن كان يقصد ملحقات كتب الويدا وشروحها فهو غير صحيح، كما سبق نقله من كتابهم (منو سمرتي).

(٤) دعوة الهندوس (ص: ٩٩).

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص: ٤٥).

(٦) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢/ ١١٧٣).

الخمود، أي: خمود الشهوات، وتسمى أيضًا: (موكشا) و(موكتي) أي: النجاة والخلاص، والمراد: أن من أخذ الشهوات في نفسه وأعدمها وجد الخلاص من الدورات التناسخية، وهي أسمى الغايات التي يسعى إليها كل هندوسي^(١).

يقول كرشنا: «من يعرف طبيعة ظهوري وأعماله التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي»^(٢).

والغاية من النرفانا أمران:

الأول: الخلاص من الشهوة.

الثاني: الخلاص من الحياة^(٣).

ونقل ول ديورانت عن حكيمهم بهارتري هاري قوله عن الخلاص الأول: «إن كل شيء على الأرض يرير الخوف، والطريق الوحيدة للخلاص من الخوف هي في إنكار الشهوات إنكارًا تامًا ... لقد مضى علي عهد كانت تطول فيه أيامي حين كان سؤال الحسنة من الأغنياء يثخن في قلبي أليم الجراح، ثم بدت أيامي قصيرة كل القصر حين جعلت أسعى نحو تحقيق كل رغباتي وغاياتي الدنيوية، أما الآن فقد تفلسفت وجلست على حجر صلب في كهف على سفح الجبل، وتراني لا أنفك عن الضحك كلما فكرت في حياتي الماضية»^(٤).

وينقل عن غاندي أيضًا قوله عن الخلاص الثاني: «لست أريد عودة إلى ولادة جديدة»، ثم يعلق قائلاً: «إن أسمى وآخر ما يتمناه الهندي هو أن ينجو من العودة إلى الحياة في جسد آخر، وأن تزول عنه هذه الحمى التي تلتهب بها الذات كلما عاودتها الحياة في بدن جديد وولادة جديدة، وليس طريق الخلاص إيمانًا كلاً ولا نتاجًا، إنما طريق الخلاص إنكار للذات إنكارًا متصلًا، ونفاذ بالبصيرة إلى الكل الذي يبتلع في جوفه الأجزاء، حتى ينتهي الأمر بالنفس إلى الموت الذي يفنيها ولا يبقى منها ما يولد مرة أخرى، وهكذا يتحول جنحيم الفردية إلى سكيننة الاتحاد مع سائر الوجود وفردوسه المقيم، هكذا تتحول الفردية إلى فناء تام في (براهما) الذي هو من العالم روحه أو قوته»^(٥).

(١) انظر: دعوة الهندوس (ص: ١٠٠).

(٢) فصول من أديان الهند (ص: ١٢٤-١٢٥).

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (١١٣٧/٢).

(٤) قصة الحضارة (٣/ ٢١٩-٢٢٠).

(٥) قصة الحضارة (٣/ ٢١٩-٢٢٠).

٦- وحدة الوجود:

يعتقد الهندوس بوحدة الوجود^(١)، جاء في فلسفة الهند الأخلاقية المسماة (ويدانت): «هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي»^(٢). ومن نصوصهم في ذلك أيضاً: «لا يمكن أن يكون هناك شيء متميزاً عن برهمن»، «من رأى الفرق بين العالم وبرهمن فهو يموت مراراً»، «هذا البرهمن هو العالم»، «هذا العالم نفسه برهمن»، «كل العيون عينه، كل الأفواه فمه، كل الأيدي يده، كل الأرجل رجله، هو إله واحد في السماء والأرض وما بينهما»، «إن ذاتي في كل الكائنات»، «يرى الكل ويسمع الكل، وهو موجود في الكل ... إنه في كل الكائنات ... هو واحد في الكل لا يجزأ»^(٣). وقد استمر القول بوحدة الوجود في الهندوسية حتى عصرنا الحاضر^(٤).

٧- عبادة الأبقار:

يقول د. محمد الأعظمي: «حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة وأرفع درجة وأعلى منزلة؛ لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنها تدرُّ لهم فوائد كثيرة، فوضعوا في كتابهم المقدس آياتاً لتمجيدها»^(٥)؛ ولذا فإن الهندوس يعبدونها ويقدمون روثها»^(٦).

وفي ذلك يقول الزعيم الهندي الشهير غاندي: «عندما أرى البقرة لا أعدني أرى حيواناً؛ لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ... وأمي البقرة تفضل أُمِّي الحقيقية من عدّة وجود؛ فالأُمُّ الحقيقية ترضعنا مدّة عام أو عامين، وتتطلب منّا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أُمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً، ولا تطلب منّا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي، وعندما تمرضُ الأُمُّ الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، ولكن عندما تمرض أُمنا البقرة، فلا نخسر لها شيئاً ذا بال، وعندما تموت الأُمُّ الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، أما عندما

(١) هو الاعتقاد بأن الوجود واحد، وأن وجود المخلوق هو وجود الخالق، ولا يشنون موجودين خلق أحدهما الآخر، بل يقولون: الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٤).

(٢) أديان الهند الكبرى (ص: ٦٨).

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢/ ٦٠٩-٦٢٣).

(٤) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٢/ ٦٢٥).

(٥) ذكر د. أحمد شلبي هذه الآيات، وترجمتها العربية هي: «أيتها البقرة المقدسة، لك التمجيد والدعاء، في كل مظهر تظهرين به، أنثى تدرّين اللبن في الفجر وعند الفسق، أو عجلاً صغيراً، أو ثوراً كبيراً، فلنعد لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك، وماء نقياً تشربينه، لعلك تتمعين بيننا بالسعادة» (أديان الهند الكبرى، ص: ٢٩).

(٦) فصول في أديان الهند (ص: ٩٣)، وانظر: الإسلام والأديان (ص: ٧٨).

تموت أُمَّنَا البقرة، فإنَّها تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حيَّة؛ لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون، وأنا لا أقول هذا لأقلِّل من قيمة الأَمِّ، ولكن لأُبَيِّنَ السبب الذي دعاني لعبادة البقرة، فملايينُ الهنودِ يتَّجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعدُّ نفسي واحداً من هؤلاء الملايين»^(١).

٨- طبقات الهندوس:

الهندوس أربع طبقات: الأولى: البراهمة، وهي أعلى الطبقات، والثانية: الكشترى، والثالثة: الويش، والرابعة: الشودرا، وهي أدنى الطبقات، وإليك ما قالوه في ذلك. جاء في كتاب الهندوس المقدس (ريج فيدا): «خلق الله طائفة البراهمة من فمه، والكشترى من عضده، والويش من فخذه، والشودرا من رجليه»^(٢)، وفي كتابهم المقدس (منو سمرتي): «لقد خلق برهما بفضل رياضته القاسية البراهمة من وجهه ليحفظوا العالم، وليرضوا الآلهة والأجداد»^(٣).

ويقول د. محمد الأعظمي: «يقول منو في شريعته: كانت الدنيا غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة للوصول إليها ثم ظهر برميشور الإله الأكبر بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقاً من ذاته، فخلق الماء، وألقى فيه النطفة وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منها (برهما) وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني الأرض والسماء وما بينهما، والجهات الشمالي، والبحور المتमوجة، ثم أخرج من فمه طائفة البراهمة، ومن عضده طائفة الكشترى، ومن فخذه طائفة الويشيا، ومن رجليه طائفة الشودرا، فما دام برهما مستيقظاً فالدنيا باقية، فإذا أخذ النوم تقع القيامة»^(٤).

وهذه الطبقة تحدث عنها البيروني، فقال: «هذه الطبقات في أول الأمر أربع: عليها: البراهمة، قد ذكر في كتبهم أن خلقتهم من رأس براهم، وأن هذا الاسم كناية عن القوة المسماة (طبيعة) والرأس علاوة الحيوان، فالبراهمة نقاوة الجنس، ولذلك صاروا عندهم خير الإنس، والطبقة التي تتلوهم (كشتر) خلقوا بزعمهم من مناكب براهم وبديده، ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً، ودوغم (بيش) خلقوا من رجلي براهم، وهاتان المرتبتان الأخيرتان

(١) أديان الهند الكبرى (ص: ٣٢-٣٣).

(٢) نقلاً عن: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٦٦).

(٣) منو سمرتي (ص: ٢٧).

(٤) فصول في أديان الهند (ص: ١٠٠-١٠١).

متقاربتان، وعلى تمايزهم تجمع المدن والقرى أربعتهم مختلطي المساكن والدور، ثم أصحاب المهن دون هؤلاء غير معدودين في طبقة غير الصناعة، ويسمون «أنتز»^(١).

ويقول غوستوف لوبون: «الطوائف التي ورد ذكرها في شريعة منو أربع:

طائفة البراهمة (الكهنة)، وطائفة الأكشترية (المقاتلة)، وطائفة الويشية (الزراع والمرايين والتجار)، وطائفة الشودرا، سفلة الناس الذين ليس لهم مهنة خاصة، فلم يعترف لهم بعمل غير خدمة الآخرين، وعلى الرجل أن يتزوج بامرأة من طائفته أو من طائفة أدنى منها، ولكن الرجل الذي يتزوج بواحدة من الشودرا يصبح مفضوحاً مهتوك الستر، ويطرد من طائفته، ويصبيه خزي في الدنيا والآخرة، فلا يتزوج نساء الشودرا إلا رجال من الشودرا»^(٢).

يقول د. أحمد شلبي: «وبناء على التفكير الذي يرى أن الطبقات خلقها الله على هذا الوضع يصبح هذا التقسيم أدياً فهو من صنع الله ولا طريق لإزالته، وعلى هذا لا يرتفع أي شخص من أي قسم إلى قسم أعلى»^(٣).

وهناك طبقات أخرى من الناس أقل من هذه الطبقات الأربعة، يقول د. أبو بكر زكريا: «فهذه هي الطبقات الأربعة الرئيسة التي جاء ذكرها في الكتب الهندوسية، وهناك مجموعة من الناس ليسوا بداخلين في هذه الطبقات الأربع، هم تحت الشودرا والمنبوذين، يذكرهم بعض كتب (سمرتي) باسم (بنجمر) أو (مليج)، وهم لا علاقة لهم بالآرية، ولا يدخلون تحت الطبقة»^(٤)، ثم قال: «ولم تقتصر الطبقات بعدئذ على ثلاث أو أربع، بل أصبحت تعد بالآلاف، وامتزجت العناصر إلى ما لا تحاية، وهناك أشخاص خارجون من الطبقات الأربع لا عبرة بهم، ولا ذكر لهم، وهم أضل من الحيوانات»^(٥).

(١) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٧٦-٧٧).

(٢) حضارات الهند (ص: ٢٩٥).

(٣) أديان الهند الكبرى (ص: ٥٧).

(٤) الهندوسية (٢/ ٩٩٧).

(٥) الهندوسية (٢/ ٩٩٨).

المبحث الخامس: شريعة الهندوس

١- الطهارة:

وهي عندهم قسمان:

(أ) طهارة حسية بالماء أو التراب، جاء في كتابهم المقدس (منو سمرتي): «إن كل شيء يطهر بالتراب والماء»^(١)، وفيه أيضاً: «إذا ما خرج المني من الإنسان فإنه يتطهر بالغسل»^(٢)، وكذلك يطهر بالغسل إذا ما لامس شخصاً من الأسافل أو امرأة حائضاً أو نفساء أو جثمان ميت أو لمس من قد لمس جثمان ميت^(٣).

ومن أغلظ النجاسات عندهم خرق قانون الطبقات، فلا يتطهر إلا بشرب خليط من إفرازات البقرة، يتكون من اللبن والزبد والسمن والروث والبول، ثم ينفي من الهند^(٤).

(ب) طهارة معنوية، وهي طهارة القلب والروح بالعلوم والمعارف والتأمل^(٥).

ومن أبلغ مواد التطهير عندهم يول البقر، يقول الأب دبوا (١٨٢٠م): «إنه في نظرهم أفعال وسائل التطهير من أي ضرب من ضروب النجاسة، فكثيراً ما شاهدت هنوداً ممن يؤمنون بالخرافة، وهم يتبعون البقر إلى مرعاد، ينتظرون اللحظة التي يستطيعون فيها الحصول على هذا السائل الثمين في أوعية من نحاس أصفر، ويسرعون به إلى دورهم وهو ما يزال دافئاً، وكذلك شاهدتهم يرقبون أخذه في حفات أيديهم، فيشربون بعضه، ثم يمسحون وجوههم ورجلهم وبقية»^(٦).

٢- الصلاة:

ومعناها عندهم: العبادة التي تقدم للأصنام مباشرة أمامها^(٧)، وتعتبر من أهم الشعائر عندهم، وهي على نوعين:

-
- (١) منو سمرتي (ص: ٢٩٩).
 (٢) منو سمرتي (ص: ٢٨٧).
 (٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١١٩٦).
 (٤) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١١٩٧).
 (٥) انظر: دراسات وبحوث في الأديان الوضعية (ص: ٣٤).
 (٦) قصة الحضارة (٣/ ٢٢٦).
 (٧) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١١٩٧).

الأول: يسمى (ياك) أو (نجيا)، وهو عبارة عن إشعال النار في مكان معين، وقراءة أناشيد خاصة من الفيدات لاستجلاب حب الآلهة، وطلب الكفارة للذنوب، وله أشكال ومناسبات كثيرة.

الثاني: يسمى (بوجا) وهو عبارة عن التسبيح والتمجيد للآلهة، وتقديم القرابين لهم من زهور وفواكه وماء مخلوط بالزعفران، وتؤدي في المعابد وفي البيوت والغابات وعلى ضفاف الأنهار^(١).

ويجلس الرجل أثناء صلاته متربعا، وأما المرأة فتجثو على ركبتيها، والصلاة عندهم مرتان في اليوم، صباحا ومساء^(٢).

جاء في كتابهم المقدس (منو سمرتي) في بيان كيفية صلاتهم: «على المصلي أن يقرأ في صلاة الصبح (كايتري) في قلبه وهو واقف على قدميه من انبلاج الفجر حتى مطلع الشمس، ويقرأها في صلاة المساء وهو جالس إلى ظهور النجوم، إن صلاة الصبح بهذه الطريقة تذهب كل ذنوب الليل، وصلاة المساء تذهب كل ذنوب النهار»^(٣).

٣- الصوم:

وهو من أهم العبادات الهندوسية، ويقصدون به: تحذيب النفس وكسر شهوتها، وإضعاف القوى الجسمانية، فأوجبه على رجال الدين والزهاد والنسك، وللصوم طرق كثيرة منها: ترك الطعام والشراب ليلاً ونهاراً أياماً متتالية بدون إفطار، ومنها: أن يأكلوا بعد غروب الشمس مرة واحدة فقط^(٤).

وقد توجد جماعات من الزهاد والنسك في الغابات وعلى جبال الهملايا وهم يصومون ولا يفطرون إلا بنبات خاص يعصر في حلوقهم ممارسين لليوجا، فيبقون على قيد الحياة شبه الميتين، ولا يزالون على هذه الحالة حتى يموتوا^(٥).

وفي بعض أنواع الصوم التي ذكرها البيروني يتلوث الصائم بروت البقر، ويفطر بلبنها وبولها وروثها^(٦).

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٦٠٥).

(٢) انظر: الهندوسية البوذية السيخية، د. أسعد السحمراني (ص: ٤١).

(٣) منو سمرتي (ص: ٧٨-٧٩).

(٤) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٠٧).

(٥) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٠٧).

(٦) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٤٤).

ويبلغ عدد الأيام التي تصام عند البراهمة ٢٤ يوماً في السنة، ومنهم من يصوم أربعين يوماً على التوالي^(١).

٤- الصدقة:

«الصدقة عندهم واجبة كل يوم بما أمكن، ولا يترك المال حتى يحول عليه حول أو يمر شهر؛ فإن ذلك إحالة على مجهول لا يعرف الإنسان هل يبلغه»^(٢)، ولكنهم حصروا الصدقات في طبقة خاصة وهي طبقة البراهمة وبعض طوائف النساك المعروفة^(٣). ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «استولى البراهمة وسدنة المعابد على الصدقات والندور، فلم يدعوا شيئاً لرجل الشعب الفقير الذي لا يعتز بالدم البرهمي المقدس أو بالسدانة والكهانة، فحرم في كثير من الأحيان ما يسد فاقته ويقيم صلبه، وكان فريسة إهمال الأغنياء وترف البراهمة والسدنة، وضحية الوضع الديني التشريعي في الديانة الهندية الآرية»^(٤).

٥- الحج:

وهو عندهم عبارة عن زيارة المواضع المقدسة والأشخاص المعظمين^(٥). والحج عند الهندوس من العبادات الاختيارية، وليس له وقت معين، ومع ذلك يعتبر من أهم الطقوس الهندوسية، وتوجد في الهند آلاف الأماكن المقدسة التي يحج إليها، ويقف عندها الهندوس خاشعين متعبدين، فالرحلة هي الحج الأصغر، والخلاص من الآثام هو الحج الأكبر، كما يزعمون، وهذه الأماكن تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأماكن الطبيعية، مثل الأنهار والغابات والجبال والكهوف.

الثاني: الأماكن التي تنسب إلى آلهتهم أو شخصيات مقدسة عندهم^(٦).

ومن مناسك الحج عندهم: أن يترك الحاج الأهل والأقارب ولا يتصل بهم فترة حجه أبداً ولا يفكر فيهم، وعند الميقات وهو مسافة كيلو متر من بيته يتخلى عن لباسه ويخلق شعره، ويختار ملابس الإحرام بلون أبيض أو أصفر (حسب شعار كل فرقة منهم)، ثم يأخذ عصا

(١) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢١٠).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٥).

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٠٥).

(٤) الأركان الأربعة مقارنة مع الديانات الأخرى، أبو الحسن الندوي (ص: ١٣٠-١٣١).

(٥) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٦٠٥-٦٠٦)، دراسات وبحوث في الأديان الوضعية (ص: ٣٤-٣٥).

(٦) الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢١١).

من القب الهندي، ويردد الأذكار والأدعية والتراتيل الخاصة بهم، ويجب عليه أن يمشي على قدميه، وبعد وصوله وأداء العبادات المعينة يعتبر أنه قد ولد من جديد^(١).

٦- الربا:

والربا عندهم محرم لكن رخص فيه لطائفة الشودر، يقول البيروني: «أما الربا في المال بالمال فهو محرم، وإثمه بقدر الزيادة الموضوع على رأس المال، وليس فيه رخصة إلا لشودر، على أن لا يجاوز الربح خمس عشر رأس المال»^(٢).

٧- الزواج:

ومن شرائعهم وأحكامهم في ذلك ما يلي:

- جاء في كتبهم المقدسة: «البنات التي لم يزوجها أبوها أو أخوها الأكبر للسنة العاشرة من عمرها كلهم يدخلون النار»^(٣)، وقال البيروني: «من شأن الهند أن يكون التزويج فيهم على صغر السن، ولذلك يعقده الأبوان لأبنائهم، فيقيم البrahمة فيه رسوم القرابين ويبث فيهم وفي غيرهم الصدقات، وتظهر آلات الأفراح، ولا يسمى بينهما مهر، وإنما يكون فيه للمرأة صلة بحسب الهمة ونحلة معجلة لا يجوز ارتجاعها إلا أن تحبها المرأة بطيبة من نفسها، ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت؛ إذ لا طلاق لهم»^(٤).
- وجاء في كتبهم أن المرأة لا مهر لها وليس لها حق الملك، بل كل ما تكتسبه هو ملك لوليها^(٥).
- «للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع، وما فوق الأربع محرم عليه إلا أن تموت إحدى من تحت يده منهن، فيتم العدد بغيرها ولا يتجاوز»^(٦).
- «القانون في النكاح عندهم أن الأجانب أفضل من الأقارب، وما كان أبعد في النسب من الأقارب فهو أفضل مما قرب فيه»^(٧).

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند. الأعظمي (ص: ٦٠٧). الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢١٤).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٥).

(٣) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، الأعظمي (ص: ٥٩٤)، نقل عن: براشري، قسم لاهو (٦/ ٧).

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٨).

(٥) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٥٣).

(٦) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٨).

(٧) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٩). وانظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٢٠).

- «يجوز لكل واحد من أهل الطبقات أن يتزوج في طبقته وفيما دونها، ولا يحل له أن يتزوج من طبقة فوق طبقته، ويكون الولد منسوبًا إلى طبقة الأم دون الأب، فإن كانت امرأة البرهن مثلًا برهننا، كان الولد كذلك، وإن كانت شودرا كان شودرا»^(١).
- على الزوج ألا يأكل مع زوجته، ولا ينظر إليها وهي تأكل أو تعطس أو تتمطى أو تكون في خلوة مع نفسها^(٢).
- على الزوج ألا يقترب من زوجته عند ظهور دم الحيض، وألا ينام معها في فراش واحد^(٣)، ولا يكلمها^(٤).
- لا تقبل شهادة النساء إلا على النساء^(٥).
- إذا أبت الزوجة أن تقوم بما عليها من الواجبات الزوجية مدفوعة بالغرور والفخر بأسرتها أو بجمالها، فيكون عقابها جعل الكلاب تفترسها على مشهد من جماعة من الناس^(٦).
- «على المرأة المخلصة أن تحترم زوجها كالإله، ولو كان عاريا من كل فضيلة وكان يميل إلى غيرها»^(٧).
- إذا رزق الأب بولد كان سبب السعادة والفرح، أما البنت فهي سبب التعاسة، ونصوص الفيدات ترى النساء تعيسة، ويفرس في نفوس الهندوس كراهية النساء^(٨).
- الأرملة بعد وفاة زوجها لها خياران: إما أن تحرق نفسها مع زوجها، أو أن تعيش حياة تعيسة، فلا تتزوج لكن لها أن تتمتع بالرجال الأجانب لأجل الحمل والنسل فقط، ويجب عليها حلق شعرها، ولا تلبس ملابس مزينة طول حياتها، ولا تأكل اللحم ولا السمك ولا الدهنيات بل بعض النباتات فقط، ولا تأكل أكثر من مرة في اليوم الواحد، ولا تشترك في أي حفل عام، ولا يحق لها أن تعبد إلا (شيفا)، ولا

(١) تحقيق ما للهند من مقولة (ص: ٤٢٩).

(٢) انظر: منو سمرتي (ص: ٢١٥).

(٣) انظر: منو سمرتي (ص: ٢١٤).

(٤) انظر: منو سمرتي (ص: ٢١٨).

(٥) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٥٢).

(٦) انظر: منو سمرتي (ص: ٤٨٩).

(٧) منو سمرتي (ص: ٣١٢).

(٨) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٥٥).

تستحق السلام ولا الكرامة مطلقاً^(١).

- «يجوز للمرأة بالإذن إذا عدت الأولاد أن تواقع أخا زوجها أو أحد أقاربه بالطرق المشروعة - كذا - بغية الحصول على أولاد»^(٢).

٨- إحراق الموتى:

- وتنص كتبهم المقدسة (الفيدات) على حرق الميت، تقول الفيدات: «أيها الآباء الذين حرقوا بالنار، أنتم حصلتم على مصير طيب»، لكن جاء في موضع آخر من الفيدات أن الميت يدفن في الأرض، ولذلك لا يزال يوجد بعض الطوائف الهندوسية يدفنون موتاهم، ومع ذلك فشئت عادة الإحراق أكثر من عادة الدفن، ولهم في ذلك مراسيم خاصة، وحرق الموتى عادة دخلت على أهل الهند من الآريين، فإن سكان الهند الأصليين كان السائد عندهم هو الدفن^(٣).

- وأما طريقة الإحراق فيبدأ أولاً بغسل الميت بالماء الخالص، ثم يغسل مرة أخرى بالماء المعطر، وتغلق كل المنافذ المفتوحة في الجسم، ثم يحرق الجسم بالنار المحترمة عندهم التي يقرها الكاهن، ويلقي عليها الحطب الذي يعترف بأنه محترم عندهم، والتراب المتخلف من الحريق تتلى عليه التعاويذ والتراتيل الهندوسية^(٤).

- أما سبب إحراقهم للموتى فهو اعتقادهم أن ذلك هو الوسيلة إلى التخلص من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي^(٥).

- ومن المفارقات الغربية أنهم يعدون من باب تكريم البقرة دفنها عند موتها ضمن مراسيم معينة، أما الإنسان فيحرقونه!^(٦).

ويبدو أن بعض هذه الشرائع قد تغيرت، ولذا عقب د. محمد الأعظمي على عادة إحراق الزوجة المتوفى عنها زوجها نفسها مع زوجها بقوله: «وأما الآن فالقوانين الهندية تمنع من هذه العادة البشعة، ففي عام ١٨١١م توفي أخو (راجا رام موهان) أحد مفكري الهند ومؤسس المجتمع البرهمي، وحرقت زوجته نفسها معه فتأثر (راجا رام موهان) بهذه الحادثة المؤلمة كثيراً،

(١) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٥٧-١٢٦٠).

(٢) منو سمرقي (ص: ٥١٧).

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٣٨-١٢٣٩).

(٤) انظر: آفة في الأسواق، د. رؤوف شلبي (ص: ١٣٨).

(٥) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٦٣٣).

(٦) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٢٤٢).

وبدأ يطالب الحكومة البريطانية بسن قانون يمنع (ستي برتھا) أي: حرق المرأة نفسها مع زوجها المتوفى عنها، واستجابت الحكومة، فسنت قانوناً في عام ١٨٢٩م في أيام الحاكم البريطاني لارد وليم وينك يمنع من هذه العادة^(١).

أما واقع الهندوسية اليوم في العصر الحاضر ومدى ارتباطه بهذه الشرائع فيحتاج إلى دراسة ميدانية تسير أحوالهم، ولكن يبدو لي انحسار تطبيق هذه الشرائع بين عامة الناس، ولا سيما ما يتعلق بالمرأة، وذلك لأمر، من أهمها:

أولاً: أن الحكومة علمانية لا ترتبط في قوانينها بالديانة الهندوسية ارتباطاً كلياً، وإن كان أكثر الشعب ينتمي للهندوسية.

ثانياً: أن الهندوسية بحسب التعريف المعاصر لها لا تلزم أتباعها بتطبيق شرائعها، ولذلك اكتفوا بتحقيق الانتماء إلى الهندوسية بالوراثة فقط، وأن الهندوسي هو من كان أبواه هندوسيين، وقد ذكر لي بعض طلابي الهنود في الدراسات العليا أن أكثر الهندوس غير مرتبطين بديانتهم.

(١) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند (ص: ٥٩٢-٥٩٣).

المبحث السادس: فرق الهندوسية

يذكر د. محمد الأعظمي^(١) أن الهندوسية انقسمت إلى عدة فرق^(٢)، أشهرها فرقتان:
الفرقة الأولى: فرقة فشنو: وفشنو هو اسم أحد آلهة الهندوس جاء اسمه في الفيدا، وأهل هذه الفرقة يجعلونه عالم الكل ويصفونه بجميع صفات البرهما (الخالق)، ويعتقدون فيه أنه يحفظهم في النوازل.
ول هذه الفرقة معابد كثيرة في أنحاء الهند يوضع فيها تمثال فشنو للعبادة. ومن أهم تعليمات فشنو: مشيئة الله غالبية على كل شيء، وأن من ملك نفسه ملك غيره، وهناك روح واحدة تنتقل في جميع المخلوقات.
الفرقة الثانية: فرقة شيفا: وهم أتباع إلههم (شيفا)، وهذه الفرقة كانت معروفة في السند، ومن أهم وظائفه: الإعدام والتدمير، وله قوة هائلة حتى لقب بـ(الإله الأعظم) - تعالى الله - لأنه انتصر على الآلهة الأخرى بقوته، وعلى النساك بعلمه.
ومن سلوك هذه الفرقة: أنها تؤمن بأن شيفا ليس له وجود ولا عدم وهو محيط بكل شيء، وتفضل الجوع على الشبع، وإن احتاجت إلى الأكل تأكل في الجماجم، وتستأنس بالوحشة القتالة، كما تحب البقاء ساعات في محلات تحريق الجثث.
وانتشرت هذه الفرقة في الهند أكثر من غيرها، وتوجد لها معابد خاصة في طول الهند^(٣).

(١) وكان هندوسيًا ثم هداه الله إلى الإسلام. فمعلوماته مهمة في هذا الباب.

(٢) ذكر الشهرستاني أن «البراهمة تفرقوا أصنافًا، فمنهم أصحاب البددة. ومنهم أصحاب الفكرة، ومنهم أصحاب التناسخ» (الملل والنحل ٩٧/٣). والمعروف - كما سبق - أنهم جميعًا قائلون بالتناسخ.

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (ص: ٥٩٦-٥٩٧)، الهندوسية. د. أبو بكر زكريا (٣/ ١٣٢٦) وما بعدها.

المبحث السابع:

الهندوسية في العصر الحديث

الهندوسية هي ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن^(١)، حيث يشكلون ما يزيد على ٨٠٪ من عدد سكان الهند، أي: ما يقرب من مليار نسمة تقريبًا، بحسب تعداد ٢٠١٣ م. ويتنشر الهندوس خارج الهند في كثير من الدول بنسب متفاوتة، فينتشرون في نيبال (٥٢٪)، وموريشيوس (٥٢٪)، وفيجي (٣٨٪)، وغويانا (٣٤٪)، وسريلانكا (١٥٪)، وبنجلادش (١١٪)، وماليزيا (١٥٪)، وسورينام (٢٧٪)^(٢).

ولهم وجود أيضًا في: باكستان، واندونيسيا، وسنغافورة، وكذا في أمريكا، وأوروبا، والشرق الأوسط وغيرها.

وقد بلغت نسبة الهندوس بالنسبة لسكان العالم حوالي ١٤٪، وتعتبر بذلك ثالث أكبر ديانة في العالم بعد الإسلام والمسيحية^(٣).

التطرف الهندوسي:

ظهرت في العصر الحديث جماعات هندوسية متطرفة كثيرة، يقال بأنها تربو على ٢٠ منظمة، ومنها ما يتراوح عدد أتباعها ما بين مليونين وستة ملايين^(٤).

وأخطر هذه المنظمات منظمة راشتريا سوايامسيراك سانغ (آر إس إس)، وهي أكبر المنظمات الهندوسية الأصولية المتشددة وأقواها، والتي ارتكبت بحسب التقديرات الرسمية أكثر من ثمانية آلاف مجزرة، ومن أهدافها بناء معابد هندوسية على أنقاض المساجد، وتدعو أفرادها إلى التسلح ومهاجمة المسلمين، وتعليماتًا تقول: لا ترحموا حتى الأصدقاء والمعارف^(٥)، وتشكل منظمة «فيشفا هندو باريشاد» («الفي إتش بي») ذراعها الدينية، وحزب بهاراتيا جاناناتا، الذي أسس عام ١٩٨٠ ذراعها السياسية، ثم هناك عدة فروع وجمعيات وشراذم صغيرة؛ منها جناح عنيف شبه عسكري (أي ميليشيا) يحمل اسم «باجرانغ دال»، وحزب «شيف سينا» المغالي في تطرفه اليميني في مدينة مومباي، ويعرف عن مؤسسه إعجاباه الشديد بالزعيم النازي

(١) أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي (ص: ٣٩).

(٢) انظر: دعوة الهندوس إلى الإسلام (ص: ٤٩-٥١).

(٣) انظر: <http://www.shorouknews.com>

(٤) انظر: الأصولية الهندوسية، د. تميم القاضي، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

(٥) انظر: الأصولية الهندوسية (ص: ٢١، ٢٤).

الألماني أدولف هتلر^(١)، وتنشط فروع (آر إس إس) والمنظمات التي تتجمع تحتها في عملية إرغام الأقليات على اعتناق الهندوسية، وتزعم أن ما تقوم به هو إعادة الهندوس إلى دينهم الأصلي بعد ما كان أسلافهم قد أرغموا على اعتناق الإسلام أو المسيحية، ولهذا السبب لا يصفون مراسم تغيير الدين بذلك المصطلح بل بـ(العودة إلى الدار)^(٢).

ومن الجماعات الهندوسية المتطرفة أيضًا: جماعة (آريا سماج)، وتعني طائفة النبلاء؛ وهي جماعة هندوسية متعصبة أسست عام ١٨٧٥م على يد رجل هندوسي متعصب من الطبقة البرهمية يسمى ديانند سرفاتي (١٨٢٤-١٨٨٣م) بمدينة ممباي، وكان لسرفاتي هذا تأثير كبير على الشعب الهندوسي المعاصر، وكان من أهداف هذه الجماعة الكبرى:

- منع الهندوس من دين الإسلام بشتى الوسائل.
- إعادة الهندوس الذين أسلموا إلى دياتهم، فقد كانت هذه الجماعة تعتبر دخولهم في الإسلام مؤامرة من الداخل والخارج ضد الطوائف الهندوسية^(٣).

وقد تصاعد غلو متطرفي الهندوسية عندما أطلقت منظمة الـ«في إتش بي»، حملة الاستحواذ على المسجد البابري في مدينة أيوديا، بزعم أنه شيد فوق أرض هي مسقط رأس الإله الهندوسي (رام)، وقد هيّجت المنظمة المتطرفة وحرّضت أتباعها على هدم المسجد، مما أثار أعمال عنف وأحداث شغب على امتداد الهند^(٤).

وهناك جماعات دينية وقومية هندوسية تتبع المجلس الهندوسي العالمي (فيشو هندو باريشاد)، والذي يتبع له عدد من المجموعات المسلحة ورمزها هو (تريشول)، أو الرمح الثلاثي المنسوب إلى الإله (شيفا)، ويطلق على عمليات هذه المجموعات اسم (الإرهاب الزعفراني)؛ نسبة إلى اللون الزعفراني الذي يميز لباس رجال الدين الهندوس^(٥).

جنود التطرف الهندوسي:

ربما كان لهذا التطرف من بعض الطوائف الهندوسية أصل في دياتهم، ومنها:

(١) انظر: موقع ضد الإرهاب. على هذا الرابط: <http://againsterhab.com/?p=١٢٣٢٧>. بتاريخ: ٢٩ / ٨ / ٢٠١٩م.

(٢) انظر: موقع المجتمع. على هذا الرابط: <https://mugtama.com/misc/item/٦٧٩٨١-٩٠.html>. بتاريخ: ٣٠ / ٨ / ٢٠١٩م.

(٣) انظر: الهندوسية، د. أبو بكر زكريا (٣ / ١٣٥٧-١٣٦٠).

(٤) انظر: موقع ضد الإرهاب، الرابط السابق.

(٥) انظر: مركز شرفات للدراسات والبحوث، على هذا الرابط:

<http://www.shorufatcenter.com/٣١٢٩>، بتاريخ: ٢٩ / ٨ / ٢٠١٩م.

١- ما جاء في مصادرهم المقدسة لديهم من أن العالم ملك للبراهمة، فقد جاء في كتاب الهندوسية المقدس (منو سمرتي): «إن كل ما في هذا العالم ملك للبراهمة»^(١)، وهذا قد يفسر قيامهم بهدم مسجد المسلمين التاريخي المسجد البابري في مدينة آيوديا^(٢).

٢- ما جاء في كتبهم المقدسة من تطرف عنصري بغض، جعلهم يعتقدون أنهم فوق جميع البشر، وأنهم يتميزون عن سائر البشر في الخلق والتكوين؛ لأن إلههم براهما خلقهم من وجهه، والوجه أشرف الأعضاء وأعلىها، فما خلق منه اكتسب هذه المنزلة، فقد جاء في كتابهم (منو سمرتي): «بما أن البراهمة خلقوا من أشرف وأطهر عضو وهو الوجه، وهم القائمون على الويد، وهم أصحاب الدين، فهم أفضل الجميع»^(٣)، وجاء فيه أيضاً: «إن أفضل المخلوقات هو البرهن، ودونه الإنسان»^(٤)، فالبرهن عند الهنادكة هو فوق البشر، وأحياناً هو فوق الآلهة، ولذا فقد ميزه هنا عن الإنسان، وكأنه ليس بإنسان^(٥)، بل هذا ما صرح به كتابهم المقدس (منو سمرتي) في موضع آخر، حيث قال: «يجب تعظيم البرهن على كل حال، ولو مارس كل الأعمال الدينية؛ لأن كل واحد من البراهمة إله»^(٦)، فهذه العقيدة العنصرية لدى متطرفي الهندوسية تشبه تماماً اعتقاد اليهود الصهاينة بأنهم شعب الله المختار، والعدوان الذي يمارسه أصحاب هذا الاعتقاد ضد الآخر من هؤلاء وأولئك واحد، منشؤه هذه العقائد العنصرية المتطرفة، ولذا يقول كتابهم المقدس (منو سمرتي): «إن من يعامل أحد أفراد الفرق السافلة يصبح هو نفسه بعد سنة سافلاً»^(٧).

وهو ما يفسر ويكشف عن أصول وجذور هذا العنف لدى الطبقة المتطرفة من الهندوس تجاه المسلمين، وقد ظهر هذا التوجه العنصري في أغلب قصص وروايات بعض متعصبينهم مثل: رابندرانات طاغور الذي يجعل المسلمين في رواياته في المرتبة الدينية، ويجعل الهندوس أسياً وقادة، كما يصور علماء المسلمين وقادتهم ظلمة وفجرة^(٨).

٣- كما أنهم يقدسون البقرة ويعدونّها إلهاً لهم كما سبق في عقائدهم، ومصدر الخطر في هذه

(١) منو سمرتي (ص: ٣٩).

(٢) انظر: موقع ضد الإرهاب. على هذا الرابط: <http://againsterhab.com/?p=١٢٣٢٧>، بتاريخ: ٢٩ / ٨ / ٢٠١٩ م.

(٣) منو سمرتي (ص: ٣٧).

(٤) منو سمرتي (ص: ٢٨).

(٥) انظر: منو سمرتي (ص: ٣٨). هامش: ٢.

(٦) منو سمرتي (ص: ٥٧٤).

(٧) منو سمرتي (ص: ٦٥٦).

(٨) انظر: الهندوسية (٣/ ١٣٤٩).

العقيدة عداؤهم وربما عدوانهم على من يخالفهم في ذلك، وأعدى أعدائهم من يذبح البقرة، بل مجرد المساس بها جريمة توجب العقاب، جاء في كتابهم المقدس أتورافيدا: «إن الذي يضرب البقر برجله يستحق العقاب»^(١)، وطالبوا بعدم ذبحها، جاء في ريج فيدا: «اطلب من الرجال الغيورين عدم ذبحها»^(٢)، لأنهم ربطوا إبقاء ديانتهم بالمحافظة على البقرة، حتى قال غاندي: «الديانة الهندوسية ستبقى على وجه الأرض ما دام الهندوس يحافظون على البقرة»^(٣)، ويشهد لأثر هذا الاعتقاد ما جرى من عدوان بعض متطرفيهم على بعض المسلمين بذريعة حماية أمتهم يعنون الأبقار^(٤).

ولكن من باب الإنصاف والرد على متطرفيهم من كتبهم توجد نصوص في كتابهم المقدس (منو سمرتي) ترفض العدوان على الآخرين، فقد جاء فيه: «وعليه ألا يرفع عصا في وجه أحد عند الغضب، ولا يضرب أحداً، إلا الابن والتلميذ بغية إصلاحهما»^(٥)، وجاء فيه أيضاً: «إذا ضرب أحد الناس إنساناً أو حيواناً، فعلى الملك أن يعاقب الفاعل بعقاب يتناسب مع ما أصاب المضرب من الأذى»^(٦)، وفيه أيضاً: «لا تؤذ غيرك ولو أوديت»^(٧).

(١) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، د. الأعظمي (ص: ٦٠١).

(٢) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، د. الأعظمي (ص: ٦٠١).

(٣) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، د. الأعظمي (ص: ٦٠١).

(٤) فقد تبني تطبيق ذلك جماعات هندوسية متطرفة. فمثلاً تناقلت الأنباء إطلاق الرصاص على ثلاثة مزارعين مسلمين بينما كانوا يتوجهون ومعهم ٤ بقرات إلى إحدى القرى في منطقة (باراتبور). انظر مقال: مسلمو الهند والإرهاب الهندوسي، على هذا الرابط: <http://almoslim.net/node/٢٨٣٤٧١>. بتاريخ: ٢٨ / ٨ / ٢٠١٩ م.

ومثله ما تناقلته الصحف من جريمة قتل رجل مسلم في الهند بتهمة تناوله لحم البقر. انظر تفاصيل الخبر على هذا الرابط: <https://cutt.us/BLwha>. بتاريخ: ٢٩ / ٨ / ٢٠١٩ م.

(٥) منو سمرتي (ص: ٢٤٤).

(٦) منو سمرتي (ص: ٤٧١).

(٧) منو سمرتي (ص: ٩٣).

ملخص الفصل الخامس

- الهندوسية ديانة وثنية تعبد آلهة شتى يعتنقها معظم أهل الهند، ولا يعلم مؤسسها، ولا من تنسب إليه، ولهم مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد.
- لا يوجد شخص معين يقال له: إنه مؤسس الديانة الهندوسية، وأساس نشأتها يرجع إلى تطور عقائد الآريين واختلاطهم بشعوب كثيرة، ثم تأثرت هذه العقائد بعد احتلال الآريين للهند بسبب الاتصال بأفكار السكان الأصليين وبفلسفات وأفكار نشأت في الهند في مراحل متباعدة من التاريخ، حتى أصبحت الهندوسية بعيدة عن العقائد الآرية الأصلية.
- الهندوسية لها مصادر عديدة:
- أولاً: الفيذا (المتون):** وهي أربعة: الريج فيدا، وياجور فيدا، وسام فيدا، وأتور فيدا.
- ثانياً: ما ألحق بالفيذا (الشروح):** وهي: البران، الأبانشاد، مها بهارتا، الكيتا، راميانا، الفيدانت، اليوجا فاستشتا، دهرم شاسترا، وهو يتضمن مجموعة من الكتب أهمها: منوسمرتي الذي يمثل خلاصة التشريع الهندوسي.
- مرت عقيدة الألوهية لدى الهندوس بثلاثة أدوار: الدور الأول: دور التوحيد عند الهنود القدماء، الدور الثاني: دور التثليث، وهو دور الكهنة البرهمنين، والثالث الهندي: (براهما، فشنو، سيفا)، الدور الثالث: دور الشرك والوثنية، فجنحوا إلى الشرك وتعدد الآلهة، وانحدروا إلى عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات.
- الصحيح نسبة إنكار النبوات إلى قوم منهم، لا إلى جميعهم، وربما يكون إنكار النبوات اعتقاداً لاحقاً في الهندوسية كانتقلهم من التوحيد إلى التثليث، وهم لا يسمون الأنبياء بأسمائهم، وإنما يسموهم بـ(الأفتار)، فعقيدة (الأفتار) في الهندوسية محرقة عن الإيمان بالرسالة والنبوة.
- الديانة الهندوسية لا تؤمن باليوم الآخر، لكنهم دانوا بمعتقدات زعموا من خلالها تحقق الجزاء على الأعمال، من خلال ما يسمونه: الكرما، وتناسخ الأرواح.
- الكرما هو قانون الجزاء على العمل.
- تناسخ الأرواح هو الوسيلة لوقوع الجزاء في الحياة القادمة إذا لم يتم في الحياة الحاضرة، فإن كان الإنسان صالحاً، فإنه سيلقى جزاء ذلك في الدورة الثانية، وإذا كان طالحاً

- فإنه سيلقى جزاء ذلك في الدورة الثانية أيضًا.
- يؤمن الهندوس بالجنة والنار، وكانت هذه العقيدة في الجنة والنار موجودة في الفيدات، لكنها في الكتب المتأخرة تحرفت إلى اعتقاد أن الجنة والنار مؤقتتان، وأن المطلوب الأعلى والغاية العظمى هي الحصول على الخلاص الذي يسمونه (النرفانا).
 - حقيقة عقيدة النرفانا هي النجاة والخلاص، فمن من أخذ الشهوات في نفسه وأعدمها وجد الخلاص من الدورات التناسخية، وهي أسمی الغايات التي يسعى إليها كل هندوسي.
 - يعتقد الهندوس بوحدة الوجود، وأن هذا الكون كله ليس إلا ظهورًا للوجود الحقيقي الأساسي (براهما).
 - للبقرة في الديانة الهندوسية أسمی مكانة وأرفع درجة وأعلى منزلة، حتى إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال.
 - ترسخ الهندوسية نظام الطبقة في المجتمع الهندوسي، فالهندوس أربع طبقات: الأولى: البراهمة، وهي أعلى الطبقات، والثانية: الكشترى، والثالثة: الويش، والرابعة: الشودرا، وهي أدنى الطبقات.
 - الطهارة في الهندوسية: قسمان حسية بالماء والتراب، وطهار معنوية للقلب والروح، ومن أغلظ النجاسات لديهم خرق قانون الطبقات، وأبلغ مواد الطهارة عندهم بول البقر.
 - الصلاة عندهم تعني العبادة التي تقدم للأصنام مباشرة أمامها، وتشتمل على قراءة أناشيد خاصة من الفيدات لاستجلاب حب الآلهة، والتسبيح والتمجيد للآلهة، وتقديم القرابين لهم.
 - الصوم عندهم هو تمذيب النفس وكسر شهوتها، وإضعاف القوى الجسمانية، فأوجبوه على رجال الدين والزهاد والنسك.
 - الصدقة عندهم واجبة كل يوم بما أمكن، وحصروها في طبقة البراهمة وبعض طوائف النسك.
 - الحج عندهم عبارة عن زيارة المواضع المقدسة والأشخاص المعظمين، وهو من العبادات الاختيارية، وليس لها وقت معين.
 - الربا عندهم محرم لكن رخص فيه لطائفة الشودر.
 - للهندوس شرائع خاصة بالزواج، منها: أن التزويج يكون فيهم على صغر السن، ولا

يسمى فيه مهر، وليس للرجل أن يتزوج بأكثر من أربع، ويجوز لكل واحد أن يتزوج من طبقته ومما دونها، ولا يحل له أن يتزوج من طبقة فوق طبقته، وإذا أبت الزوجة القيام بما عليها من واجبات زوجية، فيكون عقابها جعل الكلاب تفترسها، إذا رزق الأب بولد كان سبب السعادة والفرح، أما البنت فهي سبب التعاسة، وللأرملة بعد وفاة زوجها خياران: إما أن تحرق نفسها مع زوجها، أو أن تعيش حياة تعيسة، فلا تتزوج، لكن لها أن تتمتع بالرجال الأجانب، ثم بادت بعض هذه الشرائع كحرق الزوجة المتوفى زوجها نفسها.

- تنص كتبهم المقدسة على حرق الميت، لكن يوجد بعض الطوائف الهندوسية يدفنون موتاهم، ومع ذلك فشئت عادة الإحراق أكثر من عادة الدفن.
- أشهر الفرق الهندوسية المعاصرة فرقتان: فرقة فشنو، وفشنو هو اسم أحد آلهة الهندوس، وفرقة شيفا: وهم أتباع إلههم (شيفا).
- الهندوسية هي ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، حيث يشكلون ما يزيد على ٨٠٪ من عدد سكان الهند، وينتشر الهندوس خارج الهند في كثير من الدول بنسب متفاوتة.
- ظهرت في الآونة الأخيرة جماعات هندوسية متطرفة تستهدف المسلمين وغيرهم بالعدوان والاضطهاد.

أسئلة تطبيقية

- السؤال الأول: عرف الهندوسية اصطلاحًا مبيّنًا أصل هذه الكلمة.
- السؤال الثاني: «إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم التي أدت دورها في تكوين الفكر الهندوسي» وضح هذه العبارة في ضوء ما درست.
- السؤال الثالث: اذكر أهم مصادر الهندوسية في رأيك، مع بيان شيء من مضامينها بإيجاز.
- السؤال الرابع: الألوهية عند البراهمة مرت بثلاثة أدوار، ما هي؟
- السؤال الخامس: تكلم بإيجاز عن موقف البراهمة من النبوات.
- السؤال السادس: التناسخ علم الديانات الهندية، اشرح هذه العقيدة لدى الهندوس، مبيّنًا أثرها في عقيدتهم في اليوم الآخر.
- السؤال السابع: اشرح باختصار نظام الطبقات في الهندوسية، وبعض آثارها في الأحكام التشريعية عندهم.
- السؤال الثامن: ما المراد بالحج عند الهندوسية؟ وضح ذلك في ضوء ما درست.
- السؤال التاسع: بين موقف الهندوسية من المرأة من خلال أحكامهم التشريعية.
- السؤال العاشر: اذكر أهم فرق الهندوسية في العصر الحديث.

الفصل السادس: البوذية

المبحث الأول:

تعريف البوذية

أولاً: أصل الكلمة:

البوذية نسبة إلى (بوذا)، وهو ليس اسم عَلَم على شخص معين، وإنما هو لقب ديني، معناه: الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النافذة^(١)، وقيل: معناه صاحب العلم والمعرفة^(٢)، وقد أطلق هذا اللقب على مؤسس هذه النحلة.

ثانياً: البوذية اصطلاحاً:

عرفها بعضهم باعتبارها ديانة، فذكر أنها ديانة وثنية هندية تنسب إلى رجل يلقب بـ (بوذا)، ولد من أسرة ثرية وذات سلطان، لكنه نزع إلى العزلة والزهد والتنسك، لكن على غير هدى من وحي أو دين إلهي، مما جعله يتدع مبادئ وأخلاقاً وسلوكاً، ويشكل نظاماً اجتماعياً ودينياً يميل إلى الإلحاد والوثنية.

وعرفها آخرون على أنها نظام أخلاقي وليست ديانة، فذكروا بأنها نظام أخلاقي مبني على نظريات فلسفية^(٣)، ووجه ذلك أن بوذا كما ينقل عنه لم يتعرض لأصل الألوهية وهو أساس الاعتقاد، كما أنه لم يقم معابد ولم يضع طقوساً للعبادة، بل كان محور اهتمامه بالجانب الأخلاقي، وجاء في كتاب (تري بيتاكا) المقدس والمعتمد لدى البوذية ما يوضح لنا مدى اعتناء بوذا بالأخلاق، حيث تناول أكثر من ثلثي الكتاب الحديث عن القواعد السلوكية،

(١) انظر: دراسات في الأديان الوثنية، د. أحمد عجيبية (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند. د. الأعظمي (ص: ٦٣٨).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٥٨).

والتعاليم الأخلاقية، أو ما يعرف باسم (سيلادهارما) أي: الأخلاق^(١).
فأنت ترى الاختلاف في تعريفها، منهم من اعتبرها ديانةً، ومنهم من عدّها نظامًا أخلاقيًا.
والأقرب في تعريفها أن يقال: هي: نظام أخلاقي يتعلق بالسلوك من حيث البداية؛ لأن بوذا
لم يدع إلى دين وإنما إلى سلوك، وهي ديانة وثنية من حيث النهاية؛ لأن أتباعه الذين جاءوا
من بعده عبدوه وأهَّوه.

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها، د. عبد الله نومسوك (ص: ١٣٥).

المبحث الثاني:

نشأتها

نشأت الديانة البوذية في الهند بعد الديانة الهندوسية في القرن السادس قبل الميلاد، وقامت على إلغاء الطبقيّة التي تقوم عليها الديانة الهندوسية، ونادت ببند الترف، وترك الشهوات، ثم تحولت بعد وفاة مؤسسها إلى نخلة وثنية.

وقد أسسها سدهارتا جوتاما الملقب بـ(بوذا)، الذي ولد في عام (٦٢٣) قبل الميلاد على المشهور^(١) في إمارة (ساكا) التي تقع في الشمال الشرقي من الهند على حدود (تبت)^(٢)، وهي موطن قبيلة (ساكيا) من طبقة الكشتريا، وهي جماعة القواد والعساكر.

وقد نسج الخيال البوذي أسطورة خيالية حول ولادة بوذا، جاء في إنجيل بوذا: «ولما أن أجزأها المخاض، وأحست بقرب الوضع سألت الملك أن يعيها إلى بيت أبيها وكان هو قلقاً من أجل امرأته والمولود المزمع أن يشهد النور، فأجابها إلى ما طلبت، وبينما هي تجتاز بستاناً فجأها ألم الوضع فلجأت إلى ظل شجرة حرير^(٣)، وإذا تحتها طفل كامل معاني، يحكي الشمس إشراقاً، فانتشر نوره وملأ العالم، فتفتحت عيون المكفوفين وشاهدوا المجد الآتي من العلاء، وحلت عقدة ألسنة الخرس، وسمعت آذان الصم، وأخذ يكلم بعضهم بعضاً مستبشرين بولادة بوذا»^(٤)، ثم إنه فور ولادته وقف فجأة، وقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب: أنا سيد هذا العالم، وهذه الحياة هي آخر حياة لي»^(٥).

ولما ولد رآه أحد كهنة البراهمة فدمعت عينه من الفرح ثم قال لأبيه: «فأنا منذ الآن لا أعبد

(١) اختلف الباحثون في تاريخ ميلاده، فمنهم من قال: إنه وُلِد سنة ٥٦٨ ق.م، وقيل: وُلِد سنة ٥٦٣ ق. م، وقيل:

٥٦٠ ق.م. لكن آخر نتيجة توصل إليها الباحثون أنه ولد في عام ٦٢٣ ق.م. انظر: البوذية، نومسوك (ص: ٨٦)،

الديانات القديمة، محمد أبو زهرة (ص: ٤٧). البوذية. عبد الحميد قشطة، على هذا الرابط:

https://www.alukah.net/library/. /٣٧٠.٩٩/#_ftn١٢

(٢) تقع هذه المنطقة اليوم في دولة نيبال. انظر: أديان العالم، د. هوستن سميث (ص: ١٣٧).

(٣) وقد بنى أشوكا أحد ملوك الهند أسطوانة حجرية منقوشة في المكان الذي ولد فيه بوذا لتكون علامة على مولده، ولا

تزال موجودة حتى الآن في قرية (Padavia) في نيبال، والبوذيون يتوافدون إليها ويقدمون لها. انظر: البوذية. نومسوك

(ص: ٨٦).

(٤) إنجيل بوذا (ص: ١٧-١٨)، ترجمة: عيسى سابا.

(٥) الهندوسية البوذية السيخسة، د. أسعد السحمراني (ص: ٦٤).

(٦) وهذا يذكر بأساطير الرافضة الاثني عشرية في حكاية قصة مولد المهدي مما قد يكشف عن صلة الفكر البوذي بعقيدة

المهدية عند الاثني عشرية. انظر: أصول مذهب الشيعة (١/ ٨٤١) وما بعدها.

براهما ولا أسجد له، بل أعبد هذا الطفل وله أسجد»^(١). وقد توفيت والدته في الأسبوع الأول من ولادته^(٢)، وهذا الحدث كان - كما يرى بعضهم - من أهم العوامل التي جعلته ينظر إلى الحياة نظرة التشاؤم والحزن^(٣). ولما بلغ عمره ست سنوات أرسله والده إلى أحد العلماء المشهورين ليتعلم منه الفنون العسكرية، وتعلم منه أيضاً النظريات الفلسفية التي كانت شائعة في عصره^(٤). وقد نشأ نشأة الأُمراء، وعاش حياة الترف والثراء، وتحيات له مفاخر الحياة، وبلغ سن الشباب وهو يعيش حياة الترف والنعيم حتى زوجه أبوه من ابنة أحد الأُمراء. وعاش بوذا حياته يتأمل فيها ويفكر، وجذبه جانب الشر والألم أكثر مما جذبه جانب النعيم والسرور، ولما أحس والده باتجاهه حاول مقاومة هذا التفكير لديه فأبعد عنه مناظر الألم، وأسبغ عليه المزيد من ألوان الترف، لكن هذا لم يُثنه عن التفكير في الآلام^(٥). ويحكى أنه أثناء هذا التفكير والتأمل مر ببعض المواقف التي زادت من إصراره على موقفه، ومنها:

- ١- أنه رأى رجلاً عجوزاً في الطريق يتوكأ على عصاه، وقد تقوس ظهره، وجف لحمه، ووهن عظمه، فتألم له.
- ٢- وبعد أيام خرج إلى حديقته ينزه فيها مع حاشيته فرأى مريضاً يتلوى من المرض ويئن من الألم، ويشكو من العناء، وكان قد أصابه مرض الطاعون.
- ٣- ثم بعد أيام خرج فرأى أربعة أشخاص يجتازون الطريق حاملين على أكتافهم جثماناً يتبعه جمع من الناس ويكون.
- ٤- ثم خرج مرة إلى حديقته فالتقى براهب على ملامحه السكينة والهدوء، فارتاح له، فسأل عنه، فقبل: هذا راهب جافي جميع أنواع الملاذ، وابتعد عن كل أسباب السرور، فقرر سدهارتا أن يسلك طريقه.

وظل يسأل نفسه هذه الأسئلة: لم الولادة؟ ولم الهرم؟ ولم المرض؟ ولم الموت؟ ومن أين الألم؟ وكيف يكافح؟^(٦).

وقد جاء في إنجيل بوذا تصوير أتباعه لهذه الحالة النفسية التي عاشها بوذا وهو يرى هذه

(١) إنجيل بوذا (ص: ١٩).

(٢) انظر: البوذية. نومسوك (ص: ٨٨).

(٣) انظر: البوذية، عبد الحميد قشقة، بحث منشور على موقع الألوكة.

(٤) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها، د. عبد الله نومسوك (ص: ٩٠).

(٥) انظر: أدبان الهند الكبرى، أحمد شلبي (ص: ١٣٨)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٩١-٩٢).

(٦) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٩٢-٩٦).

المناظر المؤلمة: «إن بوذا ربنا كان يتألم لمرض الحياة، فوجد أن كل ما في العالم باطل، فشرع يبحث عن الخلاص في النفس التي لا تفنى ولا تضمحل، بل تبقى إلى الأبد، فإما من تطلبون الحياة الطويلة اعملوا أن الخلود وراء الفناء»^(١).

ويرى د. هوستن سميث «أن هذه القصة أسطورة، لكنها ككل أسطورة تحمل في طياتها حقيقة هامة؛ لأن تعاليم بوذا تبين بشكل جلي لا غموض فيه أن معاناة الجسد الختمية للمرض والعجز والشيخوخة والموت هي التي جعلت بوذا يائسًا تمامًا من وجدان الكمال والسعادة في عالم الجسد»^(٢).

وقد انتهى بعد تأمله وتفكيره إلى أن الولادة هي أساس الآلام، وأنه كان من الخير للإنسان ألا يولد، وفي هذا يقول: «أيها الرهبان، الحق أقول لكم: إن الولادة أم الآلام جميعًا، ومع ذلك فالولادة ماضية في طريقها، إنَّها ماضية إلى الأبد في طريقها إلى الآلام والأحزان البشرية، فلو استطعنا وقف هذه الولادة والشيخوخة والمرض والموت! لماذا لا نوقفها؟!»^(٣).

وبعدها سرعان ما انقلب على حياته وما فيها من ترف وبذخ، وأحس بمتاعب الناس وآلامهم ولا سيما طبقة البؤساء والفقراء، فترك ما فيه من نعيم وقصور، وترك كل شيء، وتوجه إلى غابة في الهملايا، وهام فيها على وجهه سنين، واتخذ مكانًا للتأمل والتفكير والاستغراق في البحث عن طريقة يهتدي بها لإذهاب آلام الناس وأحزانهم^(٤).

وخلال ستة أعوام هام في الغابة يلتقي بالمعلمين والفلاسفة والحكماء يدرس مناهجهم وطرائقهم، ويخضع نفسه لممارسات زهد عنيفة وقاسية، وكان يعيش على الحبوب والكأ، وخلع ثيابه واكتفى بقرع أو أوراق الشجر يستر بها عورته، وألقى جسمه بين الأشواك والحصى، وكان يُلطخ جسده بالتراب والقدر، ويقضي طول نهاره واقفًا تحت الشمس، وكثيرًا ما كان يرتاد مكانًا فيه جثث الموتى، وفي إحدى الليالي وهو جالس تحت شجرة عرفت فيما بعد باسم شجرة الحكمة^(٥)، وكان له من العمر خمسة وثلاثون سنة، أدركته اليقظة، ومنذئذ عرف باسم (بوذا)^(٦).

يحكي بوذا ذلك عن نفسه فيقول: «سمعت صوتًا من داخلي يقول بكل جلاء وقوة: نعم في

(١) إنجيل بوذا (ص: ١١).

(٢) أديان العالم (ص: ١٣٩).

(٣) البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٩٥).

(٤) انظر: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها. د. محمد إسماعيل الندوي (ص: ١٤٥-١٤٦).

(٥) احتلت هذه الشجرة عند البوذيين مكانة سامية مقدسة، فسميت شجرة العلم، أو الشجرة المقدسة، ويذهبون إليها للترك والزياره. انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٤٤).

(٦) انظر: تعاليم بوذا. والبولاراهولا، ترجمة: يوسف شلب الشام (ص: ١١-١٢)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٩٩).

الكون حق، أيها الناسك، هنالك حق لا ريب فيه، جاهد نفسك اليوم حتى تناله، فجلست تحت تلك الشجرة في تلك الليلة من شهر الأزهار، وقلت لعقلي وجسدي: اسمع، لا تبرح هذا المكان حتى أجد ذلك الحق، لينشف الجلد، ولتقطع العروق، ولتفصل العظام، وليقف الدم عن الجريان، لن أقوم من مكاني حتى أعرف الحق الذي أنشدته، فينجيني»^(١).

وقد أدرك بعد هذه السنوات الست التي قضاها في تعذيب البدن أنه لم يصل إلى الحقيقة فعدل عن ذلك، وعاد إلى طعامه وشرابه، وقد قص هذا على تلامذته بقوله: «إن ما قمت به من تعذيب الجسم لم يكن صوابًا، فعليّ إذن أن أعود إلى تقوية جسدي بالطعام والشراب ... وإذا كان المهم التغلب على النفس فما يهمها عندما تكون مغلوبة أن يكون الجسم هزيلًا وسمينًا»^(٢)، ثم أعلن أن الزهد وحده لا يكفي لتحقيق الخلاص والمعرفة، بل لا بد لتحقيقهما من الثقافة الروحية العميقة، وكانت هذه الفكرة غريبة عن نساك عصره، الذين كانوا يعتقدون أن الطريق الوحيد للمعرفة وكشف أسرار الكون هو التقشف وتعذيب النفس والبدن، يقول ول يورانت: «إن تعذيبه لنفسه قد ولد فيه شعور الزهو بنفسه مما يفسد أي نوع من أنواع التقديس التي كان من الجائز أن تفيض من نفسه، فأقلع عن زهده وذهب ليجلس تحت شجرة وارفة الظل، وجلس هناك جلسة مستقيمة لا حركة فيها، مصممًا ألا يبرح ذاك المكان حتى يأتيه التنوير»^(٣).

وقام بوذا بالدعوة إلى مذهبه الجديد، فكان يلقي عظاته في كثير من المدن حتى وصلت سنة الثمانين، وتوفي في مدينة كوسينارا سنة (٥٤٣) قبل الميلاد^(٤).

وقد أحرقت جثته حسب التقاليد الهندوسية، ثم جمع ما تبقى من رماده، وقسمه أتباعه إلى ثمانية أجزاء، ودفنوه في أضرحة في أجزاء مختلفة من الهند، وما زال البوذيون إلى الآن يحجون إليها ويقدمونها^(٥).

(١) أديان الهند الكبرى (ص: ١٤٢)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٠٢-١٠٣).

(٢) البوذية تاريخها وعقائدها، نومسوك (ص: ١٠٠).

(٣) قصة الحضارة، ديورانت (٣/ ٧٠).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٤٦-١٤٧)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٠٩).

(٥) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها، نومسوك (ص: ١١٠).

المبحث الثالث:

مصادر البوذية

الكتاب المقدس لدى البوذية هو كتاب (تري بيتاكا)، وهو يتضمن النصوص الدينية التي جمعتها المجامع البوذية المختلفة طيلة قرون طويلة، وغير ذلك من الأساطير والحكايات البوذية القديمة.

وهذا الكتاب لا يزال هو المعتمد والمعول عليه عند البوذيين قديماً وحديثاً، وهو ككتاب الفيدا عند الهندوس، والأناجيل عند النصارى، غير أن البوذيين لا يعدونه كتاباً منزلاً، ولا ينسبون ما فيه إلى الجانب الإلهي، بل ينسبونه إلى بوذا نفسه وإلى أتباعه^(١)، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «كتب البوذيين ليست منزلة، ولا يدعون ذلك هم، بل هم لا ينسبون ما فيها إلى جانب إلهي، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا، أو حكاية لأفعاله، أو نقل لما أقره من أعمال أتباعه، ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذيين في نحلهم»^(٢).

وقد اتفقوا على أنه لم يدون في عصر بوذا، وإنما دون بعد وفاته بقرون طويلة، فقيل: إنه دون بعد وفاته بخمسمائة سنة، وقيل: أربعمائة سنة، وقيل: إنه دون سنة (٨٠) قبل الميلاد، والمشهور أنه دون في عهد الملك أشوكا فيما بين سنة (٢٧٣-٢٣٢) قبل الميلاد.

وقيل: إن السبب في تدوين هذا الكتاب ما وقع من اختلاف بين أتباع بوذا، وما ظهر من الأكاذيب التي نسبت إليه، فقاموا بتدوين هذا الكتاب لإزالة الخلاف، وتوحيد الأتباع.

وقد تم تدوين هذا الكتاب عبر المجامع البوذية التي عقدت لتنظيم نصوصه وتدوينها من الروايات الشفوية، فكانوا يسألون أعلم الرهبان وأسئهم عن أقوال بوذا وتعاليمه، فيلقونها عليهم، فيروونها ويتناقلونها جيلاً بعد جيل، حتى قاموا بتدوينها.

وقد كتب في أول مرة باللغة البالية، وهي إحدى اللهجات المتفرعة عن السنسكريتية وكان يتكلم بها سكان الهند الشمالية، ومنها انتشرت في الأقطار الهندية الجنوبية حتى صارت مناوئة للغة الأم (السنسكريتية)، ثم ماتت هذه اللغة في الهند، وانتقلت إلى بقاع أخرى، وترجم الكتاب إلى عدة لغات.

وكلمة (تري بيتاكا) مركبة من كلمتين: (تري) ومعناها: ثلاثة، و(بيتاكا) ومعناها: سلة، أي: سلة الثلاثة، وسبب هذه التسمية أن هذا الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أسفار أو مجموعات:

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٥).

(٢) الديانات القديمة (ص: ٧٨).

المجموعة الأولى (فيينايا بيتاكا): وتعني النظام، ويحتوي على النظم الرهبانية وقوانينها ومسالكها.

المجموعة الثانية (سوترا) أو (سوتان بيتاكا): وهي مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا على تلاميذه التي تتضمن وصاياه وتوجيهاته.

المجموعة الثالثة (أبيدارما بيتاكا): وتحتوي على القضايا الفلسفية المعقدة التي قامت عليها الديانة البوذية، وتفصيل الأخلاق الهامة التي يتبعها البوذيون عامة، ولوجود الطابع الفلسفي المعقد فيها يرجح أنها ليست من النصوص القديمة، وأنها ثمرة المجتمع البوذي^(١). وهذا الكتاب لم أقف عليه مترجماً إلى العربية سوى جزء منه، وهو المسمى (داما بادا)، ويعني: الطريق إلى الدين، أو النظام الأساسي للتعبد البوذي، وهو يعد أحد أهم أجزاء كتاب (تري بيتاكا) وقد ترجمه د. رؤوف شلبي ونشره ضمن بحثه عن البوذية في كتابه (آلهة في الأسواق)^(٢).

كما وقفت على كتاب لهم ترجم إلى العربية بعنوان (إنجيل بوذا)، وقد أفدت منه في بعض المواضع، وقد سألت د. عبد الله نومسوك الباحث التايلاندي المتخصص في الديانة البوذية عبر اتصال هاتفي عن هذا الكتاب، فذكر لي أنه لا يوجد كتاب عند البوذية بهذا الاسم (إنجيل بوذا)، ومن المستبعد أن يسموا كتابهم المقدس باسم مقتبس من ديانة أخرى وهي النصرانية، وأظن أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب (قصة بوذا)، وهو كتاب كبير الحجم يشمل نواحي مختلفة من الديانة البوذية ألفه جماعة من كبار الرهبان البوذيين عام ١٨٥٧م، وهو مقرر على طلاب الشهادة العالية بالجامعات البوذية في تايلاند^(٣)، أما ما سوى ذلك فقد تم النقل عنه بواسطة من يعرف لغتهم^(٤).

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٥٢) وما بعدها. الديانات القديمة، محمد أبو زهرة (ص: ٧٨-٧٩). أديان الهند الكبرى (ص: ١٩٢-١٩٣).

(٢) انظر: آلهة في الأسواق (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: البوذية، نومسوك (ص: ٣٤).

(٤) وهو د. عبد الله نومسوك في كتابه (البوذية تاريخها وعقائدها).

المبحث الرابع:

عقائد البوذية

تجدد الإشارة في مطلع هذا المبحث إلى أن ثمت خلافاً بين الباحثين حول البوذية، هل هي دين؟ أم فلسفة؟ كما سبق.

فيرى فريق من الباحثين أن البوذية دين؛ لأنها ترسم الطريق للإنسان للتخلص من الذنوب، وفيها جانب روحي يعطي معتقيها حماسة لا توجد إلا في أصحاب الديانات، كما أن البوذيين رفعوا بوذا بعد وفاته إلى درجة الآلهة، وفسروا عدم تناوله لقضية الألوهية أو التحدث فيها، لكونه هو الإله حسب زعمهم، وعلى هذا الأساس من التبجيل والتعظيم الذي وصل إلى حد التأليه قبل أتباع بوذا كلماته على أنها حقائق لا يتطرق إليها الشك، وهم بهذا حولوا الفلسفة التي جاء بها بوذا إلى دين.

ويرى آخرون أنها ليست بدين، وإنما هي فلسفة أو مذهب أخلاقي، ومن ذهب إلى ذلك د. عبد الله نومسوك الذي يقول: «اتفقت معظم الروايات البوذية على أن بوذا لا يقرر العقائد ولا يهتم بها؛ لأنه كان يؤسس مذهبه على الأسس الأخلاقية، وعلى التجربة الروحية والطريق المؤدية إليها، وكان لا يعتمد على معونة أخرى ينتظر إلهامها أو نورها، وإنما يعتمد على المجهودين العلمي والعملية لا أكثر ولا أقل»^(١).

وكذلك أبو المكارم آزاد -الذي كان وزيراً للمعارف بالهند- والذي قال: «إن وضع بوذا في صفوف الفلاسفة أسهل من وضعه في صفوف الأنبياء؛ وذلك لأنه لم يتعرض في مباحثه لوجود الله تعالى، بل حاول حل مسألة الحياة، وانتهى منها دون أن يتعرض لمسألة وجود الإله، إنه قد قطع كل علاقة له مع الحياة الدينية في الهند التي كانت تدين بألهة لا تعد ولا تحصى، إنه بدأ ببحثه وفرغ منه دون أن يلجأ إلى الاعتقاد بالله تعالى، وإن الأساس الذي بني عليه بحثه أساس فلسفي فقال: إن هدف الجهد الإنساني يجب أن يكون الوصول إلى حل مسألة الحياة، وذلك مستطاع دون الاستعانة بوجود ما فوق العقل»^(٢).

وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة الذي قال: «ثبت أن بوذا كان عاكفاً على دراسة واحدة هي

(١) البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٥٢).

(٢) أديان الهند الكبرى (ص: ١٧١).

التي جعلها عماد نظره، وقوام بحثه، والأساس الذي بنى عليه ديانته، أو بعبارة أدق مذهبه الخلقي، وتلك الدراسة كان موضوعها تخفيف ويلات الإنسانية، والقضاء على الشقاء في هذه الحياة، واجتثاثه من أصله»^(١).

ولذا اعتمد بوذا منذ أول وعظه على العمل لتحقيق مبادئه^(٢).

القول المختار: ولعل الأقرب أنما كانت في نشأتها على يد بوذا نظامًا أخلاقيًا، ثم تحولت إلى ديانة كما سبق في التعريف، ومما يثبت ذلك ويدل عليه أن بوذا كان لا يتكلم عن الألوهية ويتحاشى الخوض في أمور الغيب والعقائد؛ لأنه كان يؤسس دعوته على الأسس الأخلاقية، والتجربة الروحية، والطريق المؤدية إليها^(٣)، ولا يدعوهم إلى دين من الأديان، فهو يرى أن قبول عقيدة يصد عن البحث وراء الحق، بل كان ينهى أصحابه عن الخوض والبحث في هذه الأمور^(٤)، ولذا يقول ول ديورانت: «إنك لن تجد في تاريخ الديانات ما هو أغرب من بوذا، يؤسس ديانة علمية، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاش عن الأبدية والخلود والله»^(٥)، وهذا ما قرره الشيخ محمد أبو زهرة حين قال: «إن الذي نعتقده أن بوذا لم يتعرض للبحث في الألوهية بسلب أو إيجاب، وأن مذهبه إصلاح اجتماعي خلقي أكثر منه ديني»^(٦)، ثم تحولت إلى ديانة وثنية يدل على ذلك تأليفهم لبوذا كما سبق

١- بوذا والإيمان بالله :

ذكر بعض الباحثين -ومنهم بوذيون- أن بوذا كان يؤمن بوجود الإله^(٧).

وذكر آخرون أنه كان شاكًا في وجود الله تعالى، واستدلوا على ذلك بقوله: «إن مشايخ البراهمة الذين يتكلمون في (براهما) الخالق وهو لم يره وجهًا لوجه، كالعاشق الذي يذوب كمدًا، ولا يعرف من هي حبيبته»^(٨)، ولكن هذا النص لا يدل على مرادهم؛ لأنه شك في إله الهندوس (براهما)، ولما سئل عن رأيه في الإله والكون، قال: «إن الآلهة أنفسهم لو كان لهم

(١) الديانات القديمة (ص: ٦٩).

(٢) انظر: الهند القديمة (ص: ١٤٨).

(٣) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٥٢).

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٦٦-١٦٧).

(٥) قصة الحضارة (٣/ ٧٨).

(٦) الديانات القديمة (ص: ٦٩).

(٧) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٥٥).

(٨) أديان الهند الكبرى (ص: ١٦٨).

وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا عن هذه المسائل»^(١)، وهذا أيضًا شك في آلهة الهندوس. والأقرب ما ذكره د. محمد إسماعيل الندوي من أنه لا يوجد نص صريح يدل على إنكاره وجود الله، بل النصوص الموجودة تدل على الصمت والسكوت والتوقف في الإثبات أو الإنكار^(٢).

٢- تأليه بوذا:

بعد وفاة بوذا ظهرت عقيدة جديدة بين البوذيين الهندوس تسمى (المهايانا) أضفت على بوذا صفات الألوهية، وزعموا أن الإله تجسد فيه، تأثرًا منهم بالهندوسية^(٣).

وأما أصحاب المذهب القديم، فقد اعتقدوا بشرية بوذا، لكنهم يقولون: إنه إنسان مقدس ارتقى إلى مرتبة أسمى من مرتبة الإنسان والملائكة والآلهة، فألوهه بهذا الاعتبار، ونحتوا تمثاله للعبادة، ويقوم البوذيون بالحج إلى الأماكن التي ولد وترى واعتكف ونشر تعاليمه فيها^(٤).

فكلهم في النهاية يؤمنون بوذا، لكن أصحاب المذهب القديم يقولون بألوهيته في صورته البشرية، وأصحاب المذهب الجديد يقولون بأن الإله حلَّ في جسده كقول النصارى في عيسى-عليه السلام-.

٣- الثالث:

عقيدة الثالث عند البوذية تتكون من العناصر التالية:

الأول: بوذا مؤسس البوذية.

الثاني: دهارما، أي: تعاليم بوذا وشرائعه.

الثالث: سانغها، أي: أصحاب بوذا والقديسون^(٥).

وهذا الثالث هو المعبود المقدس عند البوذيين عامة، لا فرق بين المذهب القديم والمذهب الجديد في ذلك، ويعتقدون أن في هذا الثالث قوة خارقة تعينهم على الخير، وتدفع عنهم

(١) البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٥٥)، وانظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٤٠-١٤٤).

(٢) انظر: الهند القديمة (ص: ١٥٠).

(٣) وقيل: إن أتباعه أفوه لما دنت وفاته. فعبده قبل موته. انظر: فصول في أديان الهند (ص: ١٤٣، هامش ١).

(٤) انظر: الهند القديمة (ص: ١٥٤)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٦٢-١٦٥).

(٥) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٧٨).

البلاء، فيدعون هذا الثالوث عند حاجاتهم، ويذكرونه في تراتيلهم وصلواتهم^(١).

وربما أنهم أخذوا عقيدة التثليث عن سبقهم، فقد ذكر مؤرخو الأديان أن البابليين هم أول من قال بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث قسموا الآلهة إلى ثلاث مجموعات، فكانت المجموعة الأولى تتكون من: إله السماء، وإله الأرض، وإله البحر، والمجموعة الثانية: إله القمر، وإله الشمس، وإله الرياح، أما المجموعة الثالثة: فإله العاصفة، وإله الرعد، وإله البرق، ثم انتقل التثليث إلى الهندوس، ثم البوذيين، ثم أخيراً إلى النصارى، على اختلاف بين هذه الديانات في تفسير الثالوث^(٢).

٤- قانون الجزاء (كارما) :

(كارما) كلمة سنسكريتية، معناها: العمل، كما سبق، ويعتقد البوذيون أنه لا بد من الجزاء على الأعمال خيراً أو شراً، لكنهم يرون ذلك إنما يحدث في الحياة الدنيا، فالخير يأتي بالخير، والشر يأتي بالشر^(٣). ومن أقوال بوذا التي حكيت عنه في ذلك ما يروى عنه أنه قال: «أيها الزهاد ... ألا إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد، وهذا هو قانون كارما»، ويروى عنه: «كارما الطيبة يجب أن تأتي بثمرة طيبة، كالزراع يحصد ما زرعه»^(٤)، ويقول صاحب كتاب (قانون كارما): «من أصول عقيدتنا البوذية أن يعتقد الإنسان أنه لا بد من الجزاء على أعمال الخير والشر، وأن جميع البشر يجازون بأعمالهم خيراً أو شراً طبقاً لقانون العدل الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس إلا أحصاها ... إن كل حركة أو عمل أو كلام أو خاطرة لا يذهب سدى، بل يسجل ويحفظ وترتب النتائج عليه في المستقبل ... نحن لا نشك في أن الأفعال التي يقوم بها الإنسان بإرادته، فتحسن إلى الآخرين أو تسيء، لا بد أن يكافأ عليها ذات يوم أو يعاقب وفقاً لقانون عادل دقيق، وهو قانون (كارما)»^(٥).

فهم لا يرون الجزاء على الأعمال إلا في هذه الدنيا، ونتيجة لذلك فهم ينكرون البعث والجزاء بعد الموت (يوم القيامة)^(٦).

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٧٩).

(٣) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٨٢).

(٤) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٨٩).

(٥) نقلاً عن: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٨٣).

(٦) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٩٩).

٥- تناسخ الأرواح:

الاعتقاد بالتناسخ مترتب على الاعتقاد ب(كارما)، ولذا يقول البوذيون: «يستحيل فهم كارما من غير الاعتقاد بالتناسخ»^(١)، فهم يعتقدون أن من مات انتقلت روحه إلى حي جديد، فإذا مات الثاني انتقلت إلى ثالث وهكذا إلى أن تتطهر الروح.

ثم هم يزعمون -بناء على قانون الجزاء- أن هذه الروح تلقى جزاءها وعقابها على ما عمله من شر أثناء تنقلها من جسم إلى جسم (التناسخ)، ومما يروى عن بوذا في ذلك قوله: «من ينقذنا من سيطرة الذات؟ من يخلص من التعاسة؟ ومن ينجينا من بحر كارما، من عالم التناسخ المليء بالبلاء والآلام»^(٢)، ويقول قديسهم واسن انتاسارا: «إن التناسخ عندنا ما هو إلا عقاب أو قصاص للنفس الشريرة التي لم تتمكن من الصعود إلى درجة (نرفانا)»^(٣).

٦- نرفانا:

كلمة (نرفانا) مأخوذة من اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) وهي مركبة من كلمتين: (نر) ومعناها: الانتهاء أو الانعدام، و(فانا) معناها: الشهوة، فمعنى (نرفانا) انتهاء الشهوة أو انعدامها^(٤)، كما سبق في الهندوسية.

وتعتبر (نرفانا) هدفاً أسمى لكل بوذي يريد التخلص من آلام الحياة المزعومة، فهي كالجنة الموعودة للبوذيين الذين جاهدوا أنفسهم، وقهروا شهواتهم، يقول بوذا حاكياً عن نفسه: «كنت تائهاً في بحر التناسخات، وعبثاً بحثت عن شاطئها .. ياله من ألم أن تناسخ أرواحنا باستمرار، أن نولد ثم نموت، ثم نولد ثم نموت، وهكذا ... أخيراً اكتشفت عندما تخلصت نفسي من البدن الفاني، والدنيا الزائفة، بلغت نهاية المطاف، وهي (نرفانا)»، ويقول قديسهم فانيا ناندا: «إن التخلص من (كارما) ومنع تكرار الرجعة إلى الحياة من أسمى ما تتطلع إليه البوذية، وهذه هي (نرفانا)، إنها نواة التعاليم البوذية وخلاصتها؛ لأنها ثمرة من جهود بوذا الطويلة وتجاربه الشاقة، وقد جعلها بوذا هدفاً أسمى لكل من تبعه، لما يترتب عليها من الثمرة العظمى، وهي التوقف عن الولادة والموت»^(٥).

(١) المبادئ الهامة في البوذية، نقلًا عن: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٨٨).

(٢) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٢٩).

(٣) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٢٩).

(٤) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٥٠).

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٥٨)، البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٥٠-٢٥٤).

ويحكي أنه كان من آخر وصاياه قوله: «الذي يؤمن بالبوذية والدين يحصل له (النرفانا)»، وقوله: «كل موجود مصيره الهلاك والفناء، فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على (النرفانا)، ثم فارق الحياة^(١)».

وجاء في إنجيل بوذا: «أيها الباحث عن الذات تعلم أن تميز بين الذات الخاطئة والذات الصالحة، فكل ذات أنانية هي ذات خاطئة تنحل وتبدد، وكل من غمس ذاته بالحقيقة تكون له حياة (النيرفانا)، وكل من دخل (النيرفانا) يصل إلى الاندغام في بوذا، وينال بركة، ويصبح خالداً غير مائت^(٢)»، فالبوذي من خلال هذا النص أمامه طريقان: طريق التبدد والانحلال من خلال تكرار الرجعة، وهذا جزء الذات الخاطئة، وطريق النرفانا والاتحاد مع بوذا ونيل بركته وتحقق الخلود، وهو جزء الذات الصالحة.

أما الطريق إلى تحقيق النرفانا فيبينه إنجيل بوذا بقوله: «إن المؤمن الحق هو الذي يعرف طريق النيرفانا، فلا يحتد ولا يغضب، بل يكون طاهر القلب، صافي النية، حسن السيرة، مبتعداً عن الشر قولاً وفعلًا، هو الزاهد السالك في سبل العالم حسناً^(٣)».

٧- اعتقادهم في اليوم الآخر:

يقرر جميع من كتب عن البوذية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، وإنما يعتقدون أن الجزاء على الأعمال إنما يكون في الدنيا من خلال قانون كارما وعقيدة التناسخ والنرفانا، لكن وقفت في كتاب البوذية المقدس (تري بيتاكا) الذي ترجم قسمًا منه د. رؤول شلي ما يشير إلى الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار، مثل: «من يفعل الشر سوف يندم في الدنيا ثم في الآخرة، وهناك يحزن مرتين لأنه فعل ولأنه يرى ما فعله، ومن يفعل الخير يتذوق حلاوة العيش في دنياه وفي آخرته، ويسعد عندما يرى أعماله في الدار الآخرة^(٤)»، كما جاء ذكر يوم القيامة في قوله: «إن الذين يفعلون الخير يشعرون بلذته في الدنيا، ويشعرون برؤيته يوم القيامة، إنهم يعيشون في جو من السعادة وهم يرون أعمالهم يوم القيامة تنير لهم المحيط الذي هم فيه^(٥)»، وجاء فيه أيضًا: «اتبع التعاليم الفاضلة، لا تتبع التعاليم الفاسدة، فإن من يفعل الخير

(١) فصول في أديان الهند (ص: ١٣٢-١٣٣).

(٢) إنجيل بوذا (ص: ١٣).

(٣) إنجيل بوذا (ص: ١٨٩-١٩٠).

(٤) آلهة في الأسواق (ص: ١٥٤).

(٥) آلهة في الأسواق (ص: ١٥٤).

والحسنة فإنه سوف يعيش سعيداً في دنياه وفي آخرته»^(١)، وجاء فيه أيضاً: «الرجل المحسن الحكيم هو الذي يعمل الخير ويحبه، وذلك له عاقبة طيبة في العالم الآخر»^(٢).

كما عقد باباً مستقلاً بعنوان (النار) جاء فيه: «كل من يتحدث بغير صدق يدخل النار، وكل من يعمل شيئاً ثم ينكره فإنه بعد الموت مع صاحبه الأول كمن فعل شراً وكلاهما يدخل النار، ولو أن الكاهن يلبس الجبة الصفراء ولكن سلوكه ليس طيباً ولم يهذب نفسه ويحاسبها فإنه كالشخص الذي يفعل الشر سيدخل النار أيضاً»^(٣).

فهذه النصوص ربما تكون محمولة على عقيدتهم في التناسخ؛ لأنه يتعذر الجمع بين الإيمان بالتناسخ والإيمان باليوم الآخر، وقد جرى حوار بيني وبين د. عبد الله نومسوك حول هذه النصوص، فذكر لي بأن مفهوم اليوم الآخر عندهم مختلف عن مفهومه في الديانات السماوية، ولا يعدو كونه عالمًا من عوالم تناسخ الأرواح بعد الموت حسب اعتقادهم.

(١) آلهة في الأسواق (ص: ١٨٠).

(٢) آلهة في الأسواق (ص: ١٨١).

(٣) آلهة في الأسواق (ص: ٢٠٤).

المبحث الخامس:

الأخلاق والشرائع عند البوذية

إلغاء نظام الطبقات:

يحارب البوذيون نظام الطبقات الذي تقوم عليه الهندوسية (البرهمية) فهم يقولون بتساوي الناس في الحقوق والواجبات، فقد دعا بوذا إلى إلغاء نظام الطبقات السائد في المجتمع الهندوسي، وأعلن أن المفاضلة بين الناس تكون حسب أعمالهم، ومما يروى عنه قوله: «ليس البرهمي برهياً بالولادة، وليس المنبوذ منبوذاً بالولادة، بل بالأعمال ... لا تقيم فروقاً بين الغني والفقير، وبين المتكبر والمتواضع، وبين الصغير والكبير، فجميعهم سواسية»، ويقول أيضاً: «الإنسان يعلو أو يدنو بعمله (كارما) لا بأصله ونسبه»^(١).

يقول د. أحمد شلبي: «لكن يؤخذ على هذا الاتجاه أنه جعل إلغاء الطبقات متوقفاً على دخول البوذية، فلم يدع للمساواة في حد ذاتها»^(٢).

كما أن بوذا نقض هذه الدعوة إلى المساواة عندما قسم الناس إلى قسمين:
الأول: العامة، وهم المدنيون الذين يسكنون المنازل.

الثاني: الخاصة، وهم الرهبان الذين ينقطعون للتبتل، وقد أطلق عليهم اسم (بيهكشو) أي: المتسول، ومن هذه الفرقة القديسون الذين وصلوا إلى نهاية الطريق (نرفانا).

وقد نتج عن هذا التقسيم تحرر المدنيين (العامة) من قيود الأخلاق البوذية، حيث اعتقدوا أن الالتزام بالأخلاق البوذية خاص بالرهبان فقط^(٣).

الرهبانية:

من تعاليم البوذية أنها توصي أتباعها بممارسة الرهبانية، والرهبانية عندهم نوعان:
الأولى: رهبنة إجبارية، وهي التي أوجبتها البوذية على كل بوذي مرة في العمر لا تقل عن ثلاثة أشهر.

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٣٩).

(٢) أديان الهند الكبرى (ص: ١٧٥).

(٣) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ١٣٦-١٣٩).

الثانية: رهبة اختيارية، وهي التي يتطوع لها البوذيون باختيارهم لممارسة الحياة الرهبانية مدى الحياة، وهذا النوع لا يقوم به غالبًا إلا كبار السن، أما الشباب فلا يوجد منهم إلا عدد قليل^(١).

وهذه الرهبانية لها مظاهر عديدة عند البوذية، منها: لبس اللباس الأصفر، الذي يعتبرونه شعارًا مقدسًا في ديانتهم، وحلق الرأس وحلق كل شعورهم حتى الحاجبين، ولا يمشون منتعلين بل حفاة، والصوم والصمت الدائمين، والانقطاع عن الزواج، والسكن في الأديرة لا المنازل، والتخلي عن أموالهم وعقاراتهم وحرفهم، ومد اليد للآخرين بالتسول والاستجداء، فهم يعيشون على البطالة والكسل، وهذه تعاليم لا تستقيم معها الحياة ولا ترتقي بها الأمم، بخلاف الإسلام فإنه دين يأمر بالعمل والنشاط والقوة وينهى عن البطالة والكسل ويعاقب عليهما أحيانًا^(٢).

وقد بلغت بهم الرهبة إلى أمر الرجل بأن «يترك منزله ولا يجد له محلاً يبيت فيه، يكون قد حُبب لنفسه طريق الزهد والتقشف»^(٣)، ولكن أين يسكن يجيب على ذلك كتابهم المقدس (دمابادا): «الغابات هي المحل الذي يسعد الإنسان القديس الطاهر، حيث لا يقابل إنساناً من البشر العادي لأنه هناك قد تحرر من أهواء النفس، ولهذا فإنه يشعر بالسعادة والراحة والطمأنينة؛ لأنهم لا يشتغلون بالبحث عن مادية تحوّلها حواسهم»^(٤).

الشرايع البوذية:

لم أقف في الديانة البوذية على شرائع عملية تفصيلية سوى ما جاء في كتبهم من النهي عن القتل والسرقة والكذب وعقوق الوالدين، لكن لم يذكر لها عقوبات محددة، وهي أقرب إلى الوصايا الأخلاقية منها إلى الأحكام التشريعية، ومن ذلك ما جاء في كتابهم (دما بادا):

- «كل الأعمال غير الصالحة تحمل في عواقبها السوء والأحزان والأسف والأسيف الذي يجعل صاحبه ينوح ويتحجب ويكي ويستغيث»^(٥).

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٢٩٧) وما بعدها.

(٣) دمابادا (ص: ١٦٦)، ضمن كتاب (ألهة في الأسواق).

(٤) دمابادا (ص: ١٦٨)، ضمن كتاب (ألهة في الأسواق).

(٥) دمابادا (ص: ١٦٤).

- «إن الذين يحترمون ويقدررون فاعلي الخير لهم أربع مثوبات: طول العمر، الحب، السعادة، القوة»^(١).
- «ينبغي للمرء الحكيم المنصف أن يتعد عن السيئات»^(٢).
- «إن الأحكام الظلمة التي تصدر على الأبرياء غير المخطئين سوف يلحق قضاؤها إثر هذه الأحكام بالعواقب العشر التالية: سوف يلحقه هم نفسي ثقيل، وتضيع أمواله، أو يجرح، أو يمرض، أو يفقد وعيه، أو يسقط عليه عذاب من الملك، أو يتهم، أو يفقد أصحابه وأقرباءه، أو تنفد نحائيا جميع ممتلكاته، أو يحرق بيته، وعندما تنتهي هذه البلايا يدخل هذا المغفل نار جهنم»^(٣).
- «الرجل البخيل سوف لا يستطيع أن يصعد إلى عالم الألوهية»^(٤).
- «من كانت له أم فهو بهيج في هذه الحياة، وكذلك من يكون له أب إنه يكون سعيدا»^(٥).
- «العين التي تصان عن الحرام فاضلة، وهكذا الأذن التي تصان والأنف الذي يصان يكون فاضلا»^(٦).
- وأمثال هذه الوصايا التي لا تمثل شرائع عملية.

(١) دمابادا (ص: ١٧٠).

(٢) دمابادا (ص: ١٧٢).

(٣) دمابادا (ص: ١٧٤).

(٤) دمابادا (ص: ١٨١).

(٥) دمابادا (ص: ٢٠٧).

(٦) دمابادا (ص: ٢١٣).

المبحث السادس: فرق البوذية

ظهرت في البوذية عدة فرق يجمعها فرقتان أو مذهبان كبيران، وهما:

الأول: المذهب القديم: ويسمى (هينايان)، كما يطلق عليه المذهب الجنوبي؛ لأنه انتشر في جنوب الهند، وجزيرة سيلان، وبورما وتايلاند، وكمبوديا ولاوس.

ويؤمن أصحاب هذا المذهب بالنصوص البوذية القديمة المكتوبة باللغة البالية، وأشهرها (تري بيتاكا)، ويتقيدون بها، ولا يخضعونها للتأويل، ويعبدون بوذا باعتباره معلماً عظيماً لا إلهاً، لكنهم يقدسونه إلى درجة الألوهية أو أسمى وهذا يناقض قولهم بأنه بشر جاء لهداية البشر، كما أنهم ينكرون الروح، بل ينكرون وجود الله.

الثاني: المذهب الجديد: ويسمى (مهايان)، ويطلق عليه المذهب الشمالي؛ لأنه انتشر في شمال الهند، والتبت، ومنغوليا، والصين، واليابان، وكوريا، وفيتنام، وقد انشق عن الفرقة القديمة السابقة.

وهو المذهب الذي اختلط بالآراء والنظريات الفلسفية، وقد نشأ هذا المذهب الجديد في القرن الأول بعد الميلاد في عهد الملك كانشكا، عندما دخل عدد كبير من الأجانب في البوذية، وهم يعتقدون بالألوهية بوذا، ويقولون بأنه كائن لاهوتي تجسد فيه الإله، وهبط إلى العالم لإنقاذه من الشرور والآلام، ويعتقد أتباع هذا المذهب أن بوذا موجود دائماً في هذا الكون، وأنه محور الكائنات كلها، وأنه يأتي إلى هذا العالم من حين لآخر متقمصاً جسد أحد بني الإنسان.

ويرون أنه بإمكان أي فرد أن يكون كبوذا، فيتجسد فيه الإله، ويرون أن هناك أشخاصاً كثيرين بعد بوذا سيظهرون في عوالم مختلفة وأوقات محدودة يمثلون بوذا، ولهذا فقد اعتقدوا الألوهية في كل راهب، كما أنهم لم يلتزموا بالنصوص القديمة التزاماً تاماً، وإنما أجازوا تأويلها وتحويلها إلى ما يوافق آراءهم الجديدة، واعتمد في الأصل على النصوص القديمة (تري بيتاكا) المكتوبة باللغة السنسكريتية^(١).

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها (ص: ٣٤٩) وما بعدها. فصول في أديان الهند (ص: ١٤٦-١٤٧)، أديان الهند الكبرى (ص: ١٨٢-١٨٣)، الهند القديمة (ص: ١٥٤).

المبحث السابع:

البوذية في العصر الحديث

البوذية من أوسع الديانات الهندية انتشارًا - بعد الهندوسية - في الهند وخارجها، فقد ذكر لفنسون أن الإحصائيات المتعلقة بعدد البوذيين في العالم ليست دقيقة ولا موثوقة، وأنها تصل في أعلى تقدير ما بين ٥٠٠ مليون و ٧٠٠ مليون ممن يعلنون بوذيتهم، مما يجعلها الديانة الرابعة من الديانات الكبرى^(١).

وقد انتقلت البوذية من الهند، وانتشرت فيما حوّلها من البلاد، فلها أتباع في كوريا والصين واليابان ونيبال^(٢) وأندونيسيا والتبت وسيلان وجاوه ومنغوليا وكمبوديا وبورما وتايلاند وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وغيرها، بل يقول د. عبد المنعم النمر^(٣): «أصبحت هذه البلاد الآن هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن اضمحل شأنها، وتقلص ظلها في الهند نفسها، وحتى يقدر معتقوها في هذه البلاد بحوالي الخمسمائة مليون»^(٤).

وكان من أهم أسباب ضعف البوذية في الهند أنها لم تكن بالكلام عن الإله، وتركت فراغًا كبيرًا في نفوس أتباعها، ومع مرور الزمن ملأ أتباعها هذا الفراغ بالتوجه إلى الديانة الهندوسية، أو عبادة بوذا واتخاذها إلهًا^(٥).

وفي العصر الحاضر وقفت البوذية وجهاً لوجه أمام الفكر الغربي الذي حمله الاستعمار إلى هذه البلاد، فقد أدخل الاستعمار الغربي اتجاهاته الفكرية في مختلف شؤون البلاد، حتى أدى ذلك إلى اتحاد طوائف وفرق البوذية لمواجهة هذا الزحف الغربي الاستعماري، والوقوف في وجه المسيحية الغربية والفلسفات الأوروبية، ونتيجة لهذا الصدام، فقد تسربت إلى البوذية كثير من العقائد المسيحية، والأفكار الغربية الأوروبية^(٦).

(١) البوذية (ص: ١٢٥).

(٢) وفي نيبال يوجد أهم المعابد البوذية وأقدمها في العاذه. انظر: الهندوسية البوذية السيخية. السحمراني (ص: ٧٦).

(٣) وهو من المتخصصين في ديانات الهند، حيث سافر إلى الهند سنة ١٩٥٦م مبعوثًا من الأزهر والمؤتمر الإسلامي، وأقام هناك مدة عامين وثلاثة أشهر متنقلًا بين ربوع الهند. ودرس خلالها تاريخ الإسلام في الهند. والديانات والثقافات الموجودة فيها. وسجلها في كتابه: تاريخ الإسلام في الهند. ونشر فيه معلومات وحقائق تنشر لأول مرة باللغة العربية.

انظر: تاريخ الإسلام في الهند (ص: ٧-٨).

(٤) تاريخ الإسلام في الهند (ص: ٧٩).

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٧٩).

(٦) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٨٦).

تطور البوذية نحو العنف:

المعروف عن البوذية أنها نخلت مسالمة تدعو إلى التسامح، بل التسامح هو من وصايا بوذا التي يدعو إليها أتباعه، حتى قال جون كولر: «العنف مناقض لتعاليم البوذية ولممارستها، ويشيع بين البوذيين في كل مكان أن الغضب والعنف لا سبيل إلى تهدئتهما والتخلص منهما إلا بالطيبة والشفقة اللتين أبادها جوتاما وهو يجوب أرجاء الريف معلماً أسباب المعاناة وكيفية وقفها قد تخللت البوذية بأسرها»^(١).

ويرى أن بوذا أراد أن يختبر أحد تلاميذه المدعو (يوربا) قبل أن يرسله للتبشير بتعاليمه فسأله: يا يوربا إذا وجه إليك أحد الناس ألفاظاً بذينة خسنة ووقحة، فماذا أنت قائل؟ فأجابه التلميذ: أشكرهم لأنهم لم يضربوني، فقال بوذا: وإن ضربوك أو رموك بالأحجار؟ فأجاب: أشكرهم؛ لأنهم لم يضربوني بالعصا أو السيف، فقال بوذا: وإن ضربوك بالعصا أو بالسيف؟ فأجاب: أشكرهم؛ لأنهم لم يجرموني الحياة نهايا، فقال بوذا: وإن حرموك الحياة؟ فأجاب: أشكرهم؛ إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء دون ألم كبير، فقال بوذا حينئذ: أحسنت يا يوربا بما أوتيت من الصبر والعزم والحزم والثبات^(٢).

ومن الوصايا العشر التي أوصى بها أتباعه: «لا تقتل أحداً، ولا تقض على حياة حي»^(٣). ومع هذا الاتجاه السلمى الرحيم لدى أوائل البوذيين فقد ظهر تيار بوذي عنيف ضد الأقليات المسلمة، ففي بورما ظهرت جماعة بوذية متطرفة يقودها رجل دين بوذي يدعى آشين ويراثو، وقد وصفته مجلة التايم بأنه «وجه الإرهاب البوذي»، و«هتلر بورما»، وقاد المذابح الرهيبة ضد مسلمي الروهينجا، وخلال خمس سنوات فقط قتلوا الآلاف من المسلمين، بل قاموا بإحراق قرى بأكملها، وترحيل أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم من قراهم، وتدمير نحو ١٦ مسجداً، وإغلاق عشرات المدارس^(٤).

فهل هذا تطور في النحلة البوذية بظهور اتجاه غال متطرف يتبنى كراهية المخالف والعدوان عليه؟ أم هو انحراف في واقعهم يرجع إلى سبب سياسي لا بُد عقدي؟

وقد نقلت وكالة أنباء الروهنجا استنكار الدلاي لاما (الزعيم الروحي للبوذيين التبت) هجمات الرهبان البوذيين على المسلمين في ميانمار قائلاً: «إن القتل باسم الدين شيء لا

(١) الفكر الشرقي القديم (ص: ٣٠٩).

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى (ص: ١٤١-١٤٢).

(٣) انظر: الديانات القديمة (ص: ٧٦).

(٤) انظر مقال: الإرهاب البوذي، للكاتب والصحفي المغربي/ علي أنوزلا، بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠١٧م، على هذا الرابط:

<https://www.alaraby.co.uk/opinion/٢٠١٧/٩/١٢>

يمكن قبوله»^(١).

وذكر أحمد محمد أبو الخير (الإعلامي الروهينجي) أن الرهبان البوذيين يقفون وراء هذه العمليات؛ اعتقادًا منهم أن المسلمين سبب حلول الشر، وخاصة بعد الحكم العسكري الذي كرس للعنصرية والطائفية ضد المسلمين^(٢)، فهو يحمل بعدًا سياسيًا من قبل الحكم العسكري، وبعدًا دينيًا في اعتقادهم أن ما حلَّ بهم من شر هو بسبب المسلمين.

وقد كتب ميخائيل جيرسون (أستاذ الدراسات الدينية بجامعة يونغستون) ومارك خوارجنسميار (أستاذ علم الاجتماع والدراسات الدولية بجامعة كاليفورنيا) كتابًا بعنوان (الحرب البوذية)، وأثبتا فيه أن هذا الجانب العدواني عند البوذية موجود لديها خلال خمسة عشر قرنًا، فعلى الرغم من اعتبار البوذية دينًا سلميًا فهي تمتلك جانبًا مظلمًا لم يسلب عليه الضوء حتى الآن، ويتفحص الكتاب العمل العسكري البوذي في التبت والصين وكوريا واليابان ومونغوليا وسيريلانكا وتايلند، وقد تقصَّى الباحثان هذه الحقائق من خلال إجراء لقاءات مع أشخاص عاشوا وساهموا في حروب العالم البوذي، ويبين الكتاب كيف شارك بعض البوذيين في سلسلة من الحروب التي تحرق مبادئهم البوذية الأخلاقية، وكيف جرى تبريرها كعنف مقدس^(٣).

(١) على هذا الرابط: <http://www.rna-press.com/ar/news/٢٢٥٧٩.html>، بتاريخ ٢٩ / ٤ /

٢٠٢٠م.

(٢) على هذا الرابط: <http://akhbarousboue.com/s.php?I=٦٠٥>، بتاريخ ٢٩ / ٤ / ٢٠٢٠م.

(٣) انظر مقال: قراءة في كتاب الحرب البوذية، منشور على شبكة الانترنت.

ملخص الفصل السادس

- البوذية نسبة إلى (بوذا)، وهو ليس اسم عَلم على شخص معين، وإنما هو لقب ديني، معناه: الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النافذة.
- البوذية نظام أخلاقي يتعلق بالسلوك من حيث البداية؛ لأن بوذا لم يدع إلى دين وإنما إلى سلوك، وهي ديانة وثنية من حيث النهاية؛ لأن أتباعه الذين جاءوا من بعده عبدوه وأهَّوه.
- نشأت الديانة البوذية في الهند بعد الديانة الهندوسية في القرن السادس قبل الميلاد، وأسَّسها سدهارتا جوتانا الملقب بـ(بوذا)، الذي ولد في عام (٦٢٣) قبل الميلاد على المشهور، وقامت على إلغاء الطبقة التي تقوم عليها الديانة الهندوسية، ونادت بنبذ الترف، وترك الشهوات، ثم تحولت بعد وفاة مؤسسها إلى نخلة وثنية.
- الكتاب المقدس لدى البوذية هو كتاب (تري بيتاكا)، وهو يتضمن النصوص الدينية التي جمعتها المجامع البوذية المختلفة طيلة قرون طويلة، وغير ذلك من الأساطير والحكايات البوذية القديمة، وهذا الكتاب لا يزال هو المعتمد والمعول عليه عند البوذيين قديماً وحديثاً، ينقسم إلى ثلاثة مجموعات: (١) فينايا بيتاكا: ويحتوي على النظم الرهبانية وقوانينها ومسالكها، (٢) سوترا أو سوتان بيتاكا: وهي مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا على تلاميذه التي تتضمن وصاياه وتوجيهاته، (٣) أبيدارما بيتاكا: وتحتوي على القضايا الفلسفية المعقدة التي قامت عليها الديانة البوذية، وتفصيل الأخلاق الهامة التي يتبعها البوذيون عامة.
- اختلف الباحثون حول إيمان بوذا بوجود الإله، بين من يقول إنه كان يؤمن بوجود الإله، ومن ينكر إيمانه بوجوده، ومن يذكر شكه في وجوده.
- يؤله البوذيون جميعاً بوذا، لكن أصحاب المذهب القديم يقولون بألوهيته في صورته البشرية، وأصحاب المذهب الجديد يقولون بأن الإله حلَّ في جسده كقول النصارى في عيسى-عليه السلام-.
- عقيدة الثالوث عند البوذية تتكون من العناصر التالية: الأول: بوذا مؤسس البوذية، والثاني: دهارما، أي: تعاليم بوذا وشرائعه، والثالث: سانغها، أي: أصحاب بوذا والقديسون، وهذا الثالوث هو المعبود المقدس عند البوذيين.
- من عقائد البوذية قانون الجزاء (كارما)، حيث يعتقد البوذيون أنه لا بد من الجزاء على الأعمال خيراً أو شراً، لكنهم يرون ذلك إنما يحدث في الحياة الدنيا، فالخير يأتي بالخير، والشر يأتي بالشر.
- من عقائد البوذية التناسخ وهو مترتب على الاعتقاد بـ(كارما)، فهم يعتقدون أن من مات انتقلت روحه إلى حي جديد، فإذا مات الثاني انتقلت إلى ثالث وهكذا إلى أن

تتطهر الروح.

- تعتبر عقيدة (نرفانا) التي معناها: انعدام الشهوة هدفًا أسمي لكل بوذي يريد التخلص من آلام الحياة المزعومة، فهي الجنة الموعودة للبوذيين الذين جاهدوا أنفسهم، وقهروا شهواتهم.
- البوذية لا يؤمنون باليوم الآخر، وإنما يعتقدون أن الجزاء على الأعمال إنما يكون في الدنيا من خلال قانون كارما وعقيدة التناسخ والنرفانا.
- يحارب البوذيون نظام الطبقات الذي تقوم عليه الهندوسية (البرهمية) فهم يقولون بتساوي الناس في الحقوق والواجبات، لكنه نقض هذه الدعوة عندما قسم الناس إلى قسمين: عامة، وهم المدنيون الذين يسكنون المنازل، وخاصة، وهم الرهبان الذين ينقطعون للتبتل.
- من تعاليم البوذية الرهبانية، وهي عندهم نوعان: الأولى: رهبنة إجبارية، وهي التي أوجبتها البوذية على كل بوذي مرة في العمر لا تقل عن ثلاثة أشهر، والثانية: رهبنة اختيارية، وهي التي يتطوع لها البوذيون باختيارهم لممارسة الحياة الرهبانية مدى الحياة.
- جاء في كتب البوذية النهي عن القتل والسرقة والكذب وعقوق الوالدين ونحوها من الآداب، لكن لم يذكر لها عقوبات محددة، فهي أقرب إلى الوصايا الأخلاقية منها إلى الأحكام التشريعية.
- ظهرت في البوذية عدة فرق يجمعها فرقتان أو مذهبان كبيران، وهما: المذهب القديم: ويسمى (هينايان)، كما يطلق عليه المذهب الجنوبي؛ ويؤمنون بالنصوص البوذية القديمة المكتوبة باللغة البالية، وأشهرها (تري بيتاكا)، ويتقيدون بها، ولا يخضعونها للتأويل، وعبدوا بوذا باعتباره معلمًا عظيمًا لا إلهًا، لكنهم يقدسونه إلى درجة الألوهية، والثاني: المذهب الجديد: ويسمى (مهايان)، ويطلق عليه المذهب الشمالي، وهو المذهب الذي اختلط بالآراء والنظريات الفلسفية، وهم يعتقدون بألوهية بوذا، ويعتبرونه كائنًا لاهوتيًا تجسد فيه الإله.
- البوذية من أوسع الديانات الهندية انتشارًا - بعد الهندوسية - في الهند وخارجها، وقد انتقلت البوذية من الهند، وانتشرت فيما حولها من البلاد، ثم تطورت في العصر الحاضر من تعاليم بوذا السلمية إلى العنف والتطرف والإرهاب خاصة ضد المسلمين.

أسئلة تطبيقية

- السؤال الأول: هل البوذية ديانة؟ أم نظام أخلاقي؟ وضح ذلك في ضوء ما درست.
- السؤال الثاني: متى نشأت الديانة البوذية؟ وما اسم مؤسسها ولقبه؟ وما الأسباب التي أدت إلى نشأتها؟
- السؤال الثالث: الكتاب المقدس لدى البوذية هو كتاب (تري بيتاكا)، فما هي حقيقته؟ ومتى كان تدوينه؟ وما هي اللغة التي دون بها؟ وما هي أقسامه؟
- السؤال الرابع: تكلم بإيجاز عن موقف البوذية من تأليه بوذا.
- السؤال الخامس: من عقائد البوذية (التثليث)، فما المراد بهذه العقيدة عندهم؟
- السؤال السادس: من عقائد البوذية (كارما، التناسخ، النرفانا) وضح وجه الارتباط بين هذه العقائد الثلاثة عندهم.
- السؤال السابع: اذكر موقف البوذية من الإيمان باليوم الآخر.
- السؤال الثامن: تكلم عن الرهبانية وأهم مظاهرها لدى البوذية.
- السؤال التاسع: اذكر فرق البوذية، مع توضيح الفروق بينها وأماكن انتشارها.
- السؤال العاشر: اذكر مواطن انتشار البوذية في العصر الحديث، وشرح كيف تطورت البوذية من السلم والتسامح إلى الإرهاب والتطرف.

الفصل السابع: الطاوية

المبحث الأول:

التعريف بالطاوية

اختلفت اتجاهات الباحثين في تعريف الطاوية بين اتجاه يعرفها بأنها ديانة، واتجاه آخر يعرفها بأنها فلسفة.

أما من عرفها بأنها ديانة، فيقول - كما جاء في المعجم الفلسفي - بأنها (ديانة صينية شعبية، تجمع بين عبادة السلف والطبيعة والأرواح، فيها قدر من تعاليم لاوتسي ومن معتقدات أخرى، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، وعارضت السيطرة والاضطهاد، وحيدت العودة إلى حياة الفطرة)^(١)، وكما جاء في الموسوعة الميسرة بأنها: (إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة، التي ما تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفا سلبيا من الحضارة والمدنية، وكان لها دور هام من خلال سيرتها في البحث عن إكسير الحياة، ومعرفة سر الخلود)^(٢).

أما من يعرفها بأنها فلسفة، فيقول - كما جاء عند جون كولر - بأنها (فلسفة تؤكد على الحاجة إلى العودة إلى نضج الطبيعة)^(٣)، وكما جاء في قاموس المذاهب والأديان بأنها (عقيدة فلسفية يدين بها عدد كبير من الصينيين، وهي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد)^(٤).

والحقيقة أنها ليست مجرد ديانة، وليست أيضا مجرد فلسفة، بل هي ديانة وفلسفة معا، فلا يصح تعريفها بأنها مجرد ديانة، كما لا يصح تعريفها بأنها مجرد فلسفة، ولذا يقول جوزيف نيدهام: (النظام الطاوي كان مزاجًا فريداً بين الفلسفة والدين)^(٥)، ويقول جفري بارندر:

(١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (ص: ١١١).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٧٣٥).

(٣) الفكر الشرقي القديم: جون كولر (ص: ٣٢١).

(٤) قاموس المذاهب والأديان. د. حسين علي حمد (ص: ١٤٧).

(٥) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، جوزيف نيدهام (ص: ١٤٨)، ترجمة: محمد غريب جودة.

(التاوية أو الطاوية: ديانة ومذهب فلسفي في وقت واحد، أسسها في القرن السادس قبل الميلاد لآو تسو، يخاطب العواطف، وينزع إلى التأمل الصوفي، حاول أنصاره فيما بعد العناية بالكيمياء بحثاً عن إكسير الحياة)^(١).

فالتعريف المختار للطاوية: أنها ديانة وفلسفة صينية ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، أسسها لاوتسي تهدف إلى الاتحاد بالطاو، ولا تزال موجودة حتى اليوم^(٢).

سبب التسمية:

اسم الطاوية لم يشتق من اسم مؤسسها كما هو الحال مع الكونفوشية، وإنما سميت بذلك نسبة إلى (الطاو) الذي يسعى أتباعها للبحث عنه والاتحاد به، والطاو هو الطريق، أي: الطريقة التي يعمل بها الكون ويسير بمقتضاها، لا طريقة الحياة في إطار المجتمع البشري^(٣). وتكتب في بعض المصادر (الداوية)^(٤)، أو التاوية^(٥)، كما ذكر بعض الباحثين أنها تسمى (الداوسية)، أو (التاوزمية)^(٦)، وربما كان هذا ناشئاً عن اختلاف الترجمة.

- (١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارنر (ص: ٤٢١). ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، وانظر: المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).
- (٢) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٩٢).
- (٣) انظر: المصدر السابق (ص: ١٤٨، ١٥٠).
- (٤) انظر: معجم الصينية العربية. وانغ شي تشن وآخرون (ص: ٣٩٠)، إصدارات معهد بحوث الحضارة العربية الإسلامية. قسم اللغة العربية والحضارة العربية. جامعة بكين، الصين، قصة الديانات. د. سليمان مظهر (ص: ٢٢٦).
- (٥) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب. جفري بارنر (ص: ٤٢١)، المدخل في تاريخ الأديان. د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).
- (٦) انظر: التاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس، إبراهيم محمد خالد بركان (ص: ٨٢)، منشور ضمن مجلة كلية الشريعة، بالجامعة الأردنية، العدد: ٤، المجلد: ٤٤.

المبحث الثاني:

نشأة الطاوية

ترجع نشأة الطاوية إلى القرن السادس قبل الميلاد^(١)، أما التسمية فقد ظهرت في وقت متأخر خلال مملكة هان الأولى في القرن الأول قبل الميلاد، وذلك مع اندماج بعض التيارات والعقائد في عقيدة واحدة^(٢)، وأصبحت ديانة رسمية في القرن الثاني الميلادي الذي شهد نشأة أول مؤسسة دينية طاوية، وهذا ما يشير إليه المؤرخ الصيني سانغ جي من أن الغالبية يعتقدون أن الطاوية تشكلت في القرن الثاني الميلادي^(٣)، ثم ازدهرت وانتشرت في القرنين الثالث والرابع بعد سقوط أسرة هان^(٤).

ومؤسس الديانة الطاوية هو لاوتسي^(٥) الذي يعده الكثيرون أعظم فلاسفة الصين، والمعنى الحرفي لاسمه: المعلم العجوز^(٦)، والاسم الحقيقي له هو: لي ييه يانغ^(٧)، وقيل: إن اسمه الشخصي أوول وو، واسمه الفخري يي يانغ، واسمه بعد وفاته شي تانغ^(٨). وقد ولد في قرية كيكو زين من دائرة لبي في مقاطعة كوك التابعة لمملكة سو، التي تقع قريبًا من مدينة بكين الآن^(٩).

وقد ولد لاوتسي قبل كونفوشيوس بأكثر من خمسين سنة^(١٠)، والكثير من المصادر تحدد تاريخ ميلاده سنة ٦٠٤ ق.م، وتاريخ وفاته سنة ٥١٧ ق.م^(١١). وقد دار حول شخصيته كثير من الجدل، هل هو شخصية حقيقية أم أنه شخصية

(١) انظر: الفلسفة في الشرق، بول ماسون (ص: ١٨٢) هامش: ١. ترجمة: محمد يوسف موسى. الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥).

(٢) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٨).

(٣) انظر: الأديان في الصين، سانغ جي (ص: ٨٠).

(٤) انظر: الطاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس (ص: ٨٣).

(٥) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني، مجموعة باحثين صينيين (ص: ١٣١). ترجمة: عبد العزيز حمدي.

(٦) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥)، هامش رقم ١.

(٧) انظر: موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات. حسن نعمة (ص: ٥١).

(٨) انظر: حكمة الصين. ه. فان براج (ص: ٣٨)، ترجمة: موفق المشنوق.

(٩) انظر: أسرار الآلهة والديانات، ميغوليفسكي (ص: ٣٠٤)، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق.

(١٠) انظر: الديانات القديمة، الشيخ محمد أبو زهرة (ص: ٨٥)، هامش: ١.

(١١) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣١٥)، هامش: ١، معتقدات آسيوية (ص: ٢٨٨).

أسطورية؟^(١)، فهو شخصية تعدُّ من الناحية التاريخية موضع شك، ولا نعرف على وجه التأكيد أكان لاوتسو نفسه شخصية حقيقية أو لم يكن^(٢).

وقد نسجت أساطير كثيرة حول لاوتسي منها: أنه ولد بغير أب بشري، وأنه بقي في رحم أمه ٢٧ سنة، ثم خرج من إبطها الأيسر، وتكلم في الحال^(٣)، وأنه حين ولد كان أشيب الشعر والحاجبين^{(٤)(٥)}.

ويقول الذين يقررون بأنه شخصية حقيقي: إنه أصبح في بواكير شبابه أميناً للمحفوظات الإمبراطورية بمدينة لو يانغ، وظل يشغل هذا المركز أعواماً عديدة، وقد أتاح له ذلك العمل فرصة الدراسة والبحث، وعندما بدأ يعبر عن آرائه في الفلسفة والدين نال إعجاب الكثيرين الذين أطلقوا عليه الاسم الذي عرف به وهو (لاوتسي)^(٦).

ثم ترك العمل في المكتبة، واعتزل وحيداً في كهف، وفرغ نفسه للتأمل والتفكير، قائلاً: (عندما تتكلم الأعمال بنجاح باهر، ويغدو اكتساب اسم طيب حقيقة واقعة، فإن الاعتزال يغدو أفضل تصرف، وهذا هو الطاو السماوي بعينه)، وخلال هذه المدة صاغ أسس الطاوية، وبعدها قرر مغادرة الصين إلى الهند^(٧).

وترجع أسباب نشأتها باختصار إلى تردّي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الصيني، ولذا كانت الطاوية استجابة للأحداث التاريخية، حيث شهد القرن السادس قبل الميلاد اضمحلال الإقطاع في الصين، وتعرض المجتمع الصيني لاضطرابات وفوضى سياسية، وانحلال خلقي^(٨).

(١) المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣٠٠)، شجرة الحضارة، د. رالف لنتون (٢/ ٢٦٦) ترجمة: د. أحمد فخري، حكمة الصين، هـ. فان براغ (ص: ٤٢)، ترجمة: موفق المشترق.

(٣) انظر: معجم ديانات وأساطير العالم، د. إمام عبد الفتاح إمام (٢/ ٢٩٩).

(٤) يذكر هذا بما ينسبه رافضة الاثني عشرية حول مهديهم المنتظر، وأنه ينمو في اليوم كما ينمو غره في السنة، ويتكلم في بطن أمه. ويعبد ربه عند الرضاع، وتطعمه الملائكة. وأنه ولد جاثياً على ركبتيه رافعا سيابته إلى السماء. وأنه تكلم فور ولادته ... إلخ. انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٤٣-٨٤٤).

(٥) انظر: حكمة الصين (ص: ٤٢).

(٦) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٣٠).

(٧) انظر: أسرار الآلهة والديانات (ص: ٣٠٥).

(٨) انظر: دراسات في الأديان الوضعية، د. علي عبد العال ربيع وآخرون (ص: ٢٧٥)، وراجع: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٨)، الفكر الشرقي القديم (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

المبحث الثالث: كتاب الطاوية المقدس وأهم عقائدها

كتاب الطاوية المقدس:

الكتاب المقدس عند الطاوية هو كتاب (تاو تي تشينغ) الذي ينسب إلى لاوتسي، ويعني: الطريق إلى الفضيلة، ويحتوي هذا الكتاب على إحدى وثمانين مقطوعة شعرية هي النصوص المقدسة للطاوية، ويتألف من قرابة خمسة آلاف كلمة، وهي تتضمن المبادئ الأخلاقية التي يجب على الطاوي اتباعها^(١)، ولهذا الكتاب -رغم صغر حجمه- تأثير كبير على الحياة الفكرية والروحية في الصين^(٢).

وأما قصة تأليف هذا الكتاب، فقد قيل: إن لاوتسي لما عزم على العزلة والهجرة بعيدًا للتأمل والتفكير، وعندما بلغ حدود الإقليم عرفه حارس الحدود ولم يسمح له بالمرور، فسأله لاوتسي: لماذا تمنعني من المرور؟ فأجابه الحارس: أنت فيلسوف عظيم، وقد عمت شهرتك الآفاق دون أن تسجل تعاليمك، فإذا أنت بارحتنا الآن، فلن يكون لدينا أي سجل لهذه التعاليم، فسأله لاوتسي: وهل إذا سجلت تعاليمي ستدعني أمر؟ أجاب الحارس: نعم يا أستاذي؟ فجلس لاوتسي لتسجيل هذه التعاليم في كتاب صغير، وأعطاه حارس الحدود، فسمح له بالخروج من الإقليم، وقد أصبح هذا الكتاب هو أهم النصوص المقدسة الخاصة بالديانة الطاوية^(٣).

وهذا الكتاب مع صغر حجمه إلا أنه في مواضع كثيرة صعب الفهم وكلماته غامضة، وفي كثير من الأحيان تبدو آراؤه وأفكاره مختلفة بل متناقضة، مما دعا بعض الباحثين إلى ترجيح أن هذا الكتاب قد تعاقب على تأليفه أكثر من شخص في أزمنة مختلفة، ويؤكد ذلك أن هذا الكتاب تضمن أفكارًا لم تكن معروفة في عصر لاوتسي ولم تكن شائعة في وقته، ولهذا ذهب بعض الباحثين إلى أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، ورجح بعضهم أنه لا يمكن أن يكون قد كتب قبل القرن الرابع قبل الميلاد^(٤)، قال جفري بارندر: (الكتاب الذي يحمل اسمه [لاوتسي]

(١) انظر: حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير (ص: ٢٤٥). ترجمة: حسين الكيلاني. مراجعة: محمود الملاح.

(٢) انظر: مقدمة المترجم لكتاب التاو تي، فراس السواح (ص: ٥).

(٣) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٣١).

(٤) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج (ص: ١٤٤-١٤٥).

يحتوي فيما يبدو على كتابات لمؤلفين مختلفين وفي فترات مختلفة^(١)، وقال جوزيف كابير: (إنه كتاب قصير ولكنه محير؛ لاحتوائه على عدد كبير من الآراء الغامضة المتناقضة في ظواهرها التي تَعَزُّ على التوضيح والتبيان... وصار هذا الكتاب الصغير - من المقطوعات الشعرية المهلهلة - فيما بعد مادةً مكتبة من الشروح والتفاسير، ومع ذلك لم يصبح أكثر وضوحًا، بل بقيت الآراء الغامضة غامضة، وظلت التناقضات مبهمة)^(٢).

أهم عقائد الطاوية:

بداية يجب التنبيه على أن بعض أفكار وعقائد الطاوية التي أسسها لاوتسي سهلة الفهم، وبعضها الآخر عسير الفهم^(٣).
ومن أهم عقائد الطاوية ما يلي:

١- تأليه ما يسمونه بالطاو أو التاو:

أصبح التاو إله الطاوية الأول والأعظم، وعبد رسميًا منذ مملكة هان (٢٠٦-٨ ق.م)^(٤). أما اسمه فغير معروف، يقول لاوتسي في كتابهم المقدس (الطاو): (أنا لا أعرف اسمه ولكني أسميه التاو، ولأني لا أجد كلمة أفضل أدعوه "ذو الجلال")^(٥).
وإذا كنا لا نعرف اسمه فكيف نعرفه، يجيب لاوتسي حينما سئل عن الطاو من هو؟ أجاب: (التاو يبقى إلى الأبد مستحيل التعريف)^(٦)، ويقول: (أما التاو فإنه يبقى إلى الأبد أعلى الأعمالي لا يكاد يعرفه الناس)^(٧). فالإله عندهم لا يعرف اسمه، ولكن يصطلح عليه بكلمة الطاو، وكنيته العظيم^(٨).
أما صفاته فيقولون بأنه:

أ- أصل الكائنات ومصدر الكون، ومدبره والمتصرف في شؤونه، وأنه عظيم جدًا جدير بالتكريم والمحبة والعبادة، وأنه واحد لا ينقسم ولا يتجزأ، منزه عن المكان والزمان والجهة،

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣٠٠).

(٢) حكمة الأديان الحية (ص: ٢٤٥).

(٣) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ٥١).

(٤) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٢).

(٥) كتاب التاو (ص: ٨١)، ترجمة: هادي العلوي.

(٦) الطريق إلى الفضيلة (ص: ٣٩).

(٧) الطريق إلى الفضيلة (ص: ٢٢).

(٨) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٦).

أبدي لا يفنى^(١).

ب- لا شكل له ولا طعم ولا صوت، وغير مرئي وغير محسوس^(٢).

ج- لا صورة له، إلا أنه كامل، قائم قبل أن توجد السماوات والأرض، لا صوت له ولا جوهر، موجود لا يتغير، يتخلل كل شيء، إنه منشأ جميع ما في الكون^(٣).

د- الروح الأزلي الأبدي المشتمل على جميع القوى الحوية، والكائن النقي والجوهر الأساسي لكل موجود، والحياة الحقّة لكل كائن، والمدبر العام للعالم كله^(٤).

هـ- يهبهم الحياة ويرعاهم، وينشئهم ويرزقهم، ويؤويهم ويطعمهم، ويعينهم ولا يقتضي عرفانا، ويدبر شؤونهم ولا يدعى سلطانا^(٥).

ومع وصفه بهذه الصفات فإنهم يعتقدون بأنه يلد كسائر المخلوقات، يقولون: إن الطاو يلد جميع الأشياء في العالم، وهو الذي أنجب المولود الأول الذي بدوره أنجب الموجود الثاني، ثم أنجب الموجود الثاني الموجود الثالث الذي أنجب بدوره جميع الموجودات في العالم^(٦).

كما يعتقدون أنه حالٌّ في جميع المخلوقات وموجود في كل مكان، فهو مصدر الموجودات، ومنع الأشياء، وهو كل شيء، وموجود في كل مكان، لا يدرك باللمس، لا يرى ولا يقاس^(٧).

ومن نصوص كتاب التاو: (من يتبع الطاو يكن واحدا مع التاو)^(٨)، (وحيث تكون إلهيا فأنت مع التاو يدا بيد، وكونك مع التاو يدا بيد هو السرمد، يزول البدن وتبقى التاو)^(٩)، (الطاو حالٌّ في كل مكان)^(١٠)، (التاو ليس من شيمته الفعل، ولكنه لا يترك شيئا بحاجة إلى إتمام)^(١١)، (التاو الجليل يجري في كل مكان إلى اليمين واليسار على السواء)^(١٢)، (التاو

(١) انظر: الديانة التاوية وعقيدتها في الألوهية (ص: ٨٥-٨٧).

(٢) تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ١٣٣).

(٣) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٦).

(٤) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب (ص: ٢٣٧).

(٥) انظر: التاو تي تشينغ (إنجيل الحكمة التاوية) (ص: ٨٦)، ترجمة: فراس السواح.

(٦) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ١٣٤).

(٧) انظر: الفلسفة في الهند، د. علي زعبور (ص: ٤٤٩).

(٨) كتاب التاو (ص: ٧٩)، ترجمة: هادي العلوي.

(٩) كتاب التاو (ص: ٧٣).

(١٠) كتاب التاو (ص: ١٤٤).

(١١) التاو تي تشينغ (إنجيل الحكمة الطاوية) (ص: ١٩٤)، ترجمة: فراس السواح.

(١٢) كتاب التاو (ص: ٩٠).

... هو عين النظام المنبث في هذا العالم المتخلل في كل جزء من أجزائه^(١).
وقال تونجكوشن تسو محدثا جوانج تسو: (أين هو ذلك الذي يدعى الطاو؟ فأجابه جوانج تسو: في كل مكان، فقال الآخر: من فضلك اضرب عليه مثلا، قال جوانج تسو: حسن، إنه هنا في هاتيك النملات ... في تلك العشببات لا إنه هنا في هذا الروث أيضًا)^(٢).
فالطاو كائن في كل مكان، وهو كل شيء^(٣).

ولذلك فهم يعتقدون أن الحرية المطلقة لا تتحقق إلا من خلال التوحد مع الطاو والامتزاج به^(٤)، وعندما يتوحد طاو الإنسانية وطاو الكون؛ فإن البشر سيدركون طبيعتهم اللامتناهية، وعندئذ سيسود السلام^(٥).

وبهذا يتبين أن هذه العقيدة قريبة الشبه من وحدة الوجود عند غلاة الصوفية، التي توحد الخالق والمخلوق؛ إذ هما شيء واحد، وهي أيضًا قريبة من مذهب الحلول، وهو اعتقاد أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات^(٦).

٢- تعدد الآلهة:

بعد موت لاوتسي تحولت الطاوية من فلسفة إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها مؤسس العقيدة، فعبد أتباعه من بعده التنين والفران وبنات آوى والثعابين، بل آمنوا بأشياء أخرى أكثر غرابة، مثل الإيمان بقوة السحر خاصة سحر بعض أنواع الحجارة^(٧).
وهناك عدد كبير من الآلهة التاوية، والكائنات البشرية المقدسة، وكل منها له شخصيته الفردية، وأطواره المختلفة^(٨).
فالطاوية مع كونها ديانة حلولية، فهي تؤله مظاهر الطبيعة، وتعبدتها مع أرواح الأسلاف^(٩).

(١) التاو في تشينغ (إنجيل الحكمة التاوية) (ص: ١٨٩).

(٢) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٧).

(٤) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٣٦٧)، الفلسفة الشرقية (ص: ٢٤٥).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي (ص: ٢٥٤).

(٦) انظر: موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ١١٣).

(٧) انظر: موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ٥٢).

(٨) انظر: الجنس في أديان العالم، جيفري بارندر (ص: ١١٣).

(٩) انظر: الدهانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٦١).

٣- تناسخ الأرواح:

الطاوية يعتقدون بتناسخ الأرواح، وأن النفس المادية تظل تائهة ضائعة تلمس الدخول في جسم آخر وتتقمص فيه^(١).

وقد ادعى أحد أنصار الطاوية أن بوذا ليس إلا لاوتسي في أحد تناسخاته؛ إذ إنه ارتحل إلى الهند بعد أن اعتزل الحياة الصينية، وهناك عاد بالتناسخ إلى الشباب من جديد، فاستأنف رسالته باسم بوذا^(٢).

وهم يزعمون أن لكل إنسان ثلاثة أنفس هي: (١) النفس العاقلة: ومقرها في الرأس، (٢) النفس الحساسة: ومقرها في الصدر، (٣) النفس المادية: ومقرها في المعدة، فإذا مات الإنسان ذهبت نفسه العاقلة إلى الأرواح الأبدية، ونزلت الثانية في القبر، بينما النفس الثالثة تظل تائهة ضائعة تلمس الدخول في جسم آخر^(٣).

وبناء على اعتقادهم بالتناسخ فليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة، وبطول العمر، بينما يجازى المسيء بالمرض وبالموت المبكر^(٤).

٤- طريق الخلاص:

تقوم فلسفة الديانة الطاوية على أن الصراع هو سمة الحياة الإنسانية، بسبب تنافس البشر من أجل تحقيق رغباتهم، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الشر والخطأ، وقد فشلت المعايير الأخلاقية في وضع نهاية لهذا الصراع، ولذلك لا يمكن التخلي عن الأفعال الصادرة عن الرغبات إلا بتبني الطريق "التاو" السهل للفعل، وهو طريق يفترض التوافق والتناغم مع الطبيعة والكون والتصرف وفقاً للتاو الكوني الشامل^(٥).

ولذا تقرر الطاوية أن خير وسيلة لإنقاذ الإنسان من عذاب الحياة وآلامها هي التأمل والعزلة اللتان تجعلان منه حكيمًا قادرًا على الاتحاد بالطاو، وترى الطاوية ضرورة التطهر من مغريات الدنيا، والعودة إلى الفطرة لبلوغ الخلاص، والاتحاد بالمبدأ الأسمى (طاو)، وهو المبدأ الكوني الشامل الذي أوجد ذاته قبل الزمان، واستمرَّ فيه، وسيبقى إلى الأبد، لا يمكن إدراكه بالعقل؛ لأنه مطلق لا شخصي^(٦).

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة (ص: ٢٢٨).

(٢) انظر: الفلسفة الشرقية. د. محمد غلاب (ص: ٣٠٠).

(٣) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة (ص: ٢٣٨).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ٧٣٨).

(٥) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٩).

(٦) انظر: قاموس المذاهب والأديان (ص: ١٤٨).

٥- عقيدتهم في الشياطين والأرواح الشريرة:

يعتقد الطاويون أن الشياطين نوعان: شياطين بيضاء، وأخرى سوداء، تصنع لها تماثيل من الخشب، ويزعمون أنهما أسباب الوباء والبلاء، وأنهما يتسلطان على الأمراض الوافدة إليهم، وهما شيطان أبيض طويل، والآخر أسود قصير، يصنعان من الخشب مجوفان، يمحث في كل منهما رجل يطوف به في الشوارع في أوقات معلومة لدفع تلك الأمراض الوافدة إليهم، ولهذا فهم يوقدون عيداناً من الطيب عند أبواب منازلهم عند موت أحدهم، حتى يمنعوا بهذه العيدان دخول نفسه أو سواها من الأرواح الشريرة إليهم^(١).

والطاويون يعتقدون أن كل شيء في الطبيعة له روح، وقسموا أرواح الطبيعة إلى مجموعتين: أرواح خيرة، تفعل الأشياء الطيبة للناس، وتسمى (شين)، وأرواح شريرة اسمها (كوى)^(٢). وبمضي الزمن زاد اعتقاد الطاويين في الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر، واعتقدوا أن أسوأ الأرواح الشريرة موجودة في الجبال، وأن لجميع الجبال أرواحاً شريرة، وكلما زاد حجم الجبل زادت قوة روح الشر فيه، وبدأ الطاويون يحكون آلاف القصص عن الشياطين في الجبال، وراحوا يقصون كيف يتمكن بعض المؤمنين من قتل مردة الشياطين في هذه الجبال^(٣).

٦- البحث عن الخلود:

الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين هي التاوية^(٤).

فطلب العمر الطويل والتماس الخلود، غايتان هامتان للطاوية، دفعا الطاويين للتنقيب عن إكسير الحياة مما قاد لارتقاء الكيمياء الصينية على أيديهم^(٥).

والخلود الذي يبحث عنه الطاويون ليس خلاص الروح فقط، بل خلود الجسد بفضل سلسلة من وصفات إطالة العمر، وممارسات عديدة منها رياضة التنفس التي تتيح التدفق الطليق للدم، وتقادي التجلطات، ومنها ما هو متعلق بنظم التغذية وأساليبها^(٦).

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقبة (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: قصة الديانات. سليمان مظهر (ص: ٢٤٥).

(٣) انظر: سياحة في ربوع النور الآسيوية، سليمان مظهر (ص: ١٩٠)، قصة الديانات (ص: ٢٣٩).

(٤) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٧٠).

(٥) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ١٢١).

(٦) انظر: تاريخ وقواعد الحضارات، فرناند بروديل (ص: ٢٢٧)، ترجمة: حسين شريف.

وتعتبر مشكلة حفظ الحياة وإطالتها أساسية في كل اعتقادات الطاوية وممارساتها^(١). وهم يعتقدون أنه بعد حياة تمتد ألف سنة يرتفع الإنسان الحقيقي إلى مرتبة الأرواح، فيصعد على سحاب أبيض، وينتقل إلى موطن السيد الأعلى، ذلك تأليه يجعل الإنسان يتجاوز الموت^(٢).

بل قيل: إن أحد الطاويين -واسمه: تشانج تاو لينج- قد اكتشف شرابًا يجعل الناس يحيون حياة الخلود، وسمي هذا الشراب "إكسير الحياة"، وكان الشراب في صورة سائل شاع بينهم وأسرفوا في استعماله إسرافًا، يقال: إنه أودى بحياة بضع عشرات من أباطرة الصين المدمنين، وبدأ الطاويون على الفور يعبدون الرجل الذي اخترع إكسير الحياة، حتى إن سلالته لا تزال تعبد حتى اليوم^(٣).

وللوصول إلى هذه الحالة لا بد من إجراء طقوس ورياضات تحمي الإنسان للخلود، ومن أهمها ما يلي:

الأول: طريق المعلم السماوي، ويركز على استخدام السحر واستدعاء الآلهة، وتقديم القرابين للموتى، واللجوء إلى السحر لطرد الأرواح الشريرة وشفاء المرضى^(٤).

الثاني: التركيز على الصحة البدنية والعقلية واستعادة الشباب من خلال تهذيب الجوهر الإنساني والقوة الحيوية في الروح بدلا من السحر^(٥)، ومن وصفاتهم لذلك:

- ١- تمارين التنفس والشهيق والزفير وحبس الأنفاس لأطول فترة ممكنة.
- ٢- العلاج الشمسي، أي: استخدام الحمام الشمسي بتعريض الجسم للشمس، وهذا خاص بالرجال، أما النساء فعليهن تعريض أنفسهن للقمر.
- ٣- تدريبات الرياضة البدنية المسمى (تاو ين) أي: مط وتقليص الجسم، ومنها تدريبات الكونج فو^(٦)، والتدليك.

٤- استخدام الطرق الجنسية، وقد اعتبرها الطاويون وسيلة هامة لتحقيق الخلود المادي^(٧).

الثالث: استخدام أدوية وأعشاب طبية، ولعل أبرز أنواع هذه الأدوية والعقاقير العشبية عشبة

(١) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة. د. محمد خليفة حسن (ص: ١٢٩).

(٢) انظر: الفلسفة في الشرق (ص: ١٨٥).

(٣) انظر: سياحة في ربوع النور الآسيوية (ص: ١٩١-١٩٢).

(٤) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٣٣).

(٦) هي: رياضة قتالية صينية مشهورة.

(٧) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٨٥-١٨٦).

الجينسنج، التي يقولون: إنها تطيل العمر^(١).

الرابع: السكنى في أماكن تطيل العمر بزعمهم، جاء في كتاب لاو تسي أن هناك جزيرة في البحر رائعة، عجيبة في روعتها إلى حد أن من يطأها بقدمه يعيش فيها إلى الأبد، وفي تلك الجزيرة نمر يعيش كل من يستحم فيه أبد الدهر^(٢).

الخامس: استخدام النار، وذلك بإلقاء الجسد في النار حتى يصعد إلى السماء في شكل لهب^(٣).

٧- عقيدتهم في الموت:

تسلم الطاوية بأن الموت أمر لا محيص عنه، وعندما يموت المرء يتلاشى هذا الشعور بالوجود، وتزول هذه الأنا، ولكن ما هو موقف المرء؟ يقول الطاويون: إن الشعور بالوجود عذاب وشر مهما يكن من أمر وضعه في الحياة، فهل يتغير وضع الكون لو لم تكن هناك هذه الأنا؟ يجيب لاوتسي بأن طول العمر الحق مناطه الحقيقة القائلة بأنه وإن كان المرء يموت لكنه لن يضيع هباء^(٤).

ولذا يقول كتابهم المقدس: (أن تموت دون أن تهلك، يعني أن تكون أبدي الحضور)^(٥).

فالحياة والموت سيان عند الطاوية، وهم يرون أنه لو نظر الإنسان إلى الأشياء من ناحية أوجه تشابههما لبدت جميعها واحدة، فإذا أمكن الإنسان إحراز هذه الوحدة والتطابق مع الكون تصبح أعضاء جسمه مجرد تراب ووسخ، ويغدو الموت والحياة والنهية والبدية كتعاقب الليل والنهار، فلا يأبه الإنسان بالموت، ولا يعكر التفكير فيه صفوه الباطن، وإذا كان الكون بلا بداية أو نهاية فالكون خالد، ويصبح الإنسان خالداً مثله، ولكن على شريطة تطابقه مع الكون^(٦).

(١) انظر: سياحة في ربوع النور الآسيوية (ص: ٦١).

(٢) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٤٣).

(٣) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خليفة حسن (ص: ١٣٣).

(٤) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ١٢١).

(٥) كتاب التاو (ص: ٨٩)، ترجمة: هادي العلوي.

(٦) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢٤٥).

المبحث الرابع: العبادات والطقوس والشعائر في الطاوية

١- التأمل في الطبيعة :

كانت الطاوية منهجًا للنسك والراغبين في اعتزال المجتمع لينصرفوا لتحصيل العلم واجتناء ثمار الحكمة، ولهذا السبب أصبحت الطاوية فلسفة الفرد الصيني المثقف وعزائه وقما يعتزل الحياة العامة، أو يصيبه الإخفاق، أو يهجر مجتمع البشر ناشدًا الاتحاد مع عالم الطبيعة^(١).

وقد دعا لاوتسي إلى التأمل في الطبيعة لأنها تعمل لمصلحة الإنسان وتبدع^(٢).

وهو يرى أن التأمل الذي يفرقنا في الطاو يحقق فينا الفراغ، لأنه يجعل قلوبنا تصوم، فالرجل الحقيقي الذي يمتزج بالطاو عن إدراك ينسى الكائنات والسماء ونفسه، وهو يجعل روحه جامعة لحواسها فيصل إلى الهدوء والطهارة، وبالتالي يعيش طويلاً؛ لأنه لا يضنى جسمه^(٣).

ويميل لاوتسي إلى السكون والهدوء والاستسلام، وهو أساس العقيدة الطاوية في إيمانها بالطبيعة، والدعوة للعودة إليها، لتكون مرشداً وهادياً للناس، إن السكينة والهدوء تعني أن يعيش الناس قانعين بما لديهم، غير متطلعين إلى ما هو فوق ما تعطيه الطبيعة^(٤).

وتؤكد الطاوية كذلك على الممارسات التأملية من أجل تهدئة الذهن، والسماح للروح بالاتحاد مع مصدرها مجددًا^(٥).

وتكمن تعاليمها الأساسية في الخمود من خلال السيطرة على العقل، وكما ذكر زعماء هذه الطائفة أن الطاو يعتبر خمود العقل جوهره، ونسيان الكلام وظيفته، وعندما يتخلص المرء من جميع الأفكار فإنه يبلغ مرحلة التنوير الكامل للعقل، وللطبيعة الإنسانية أيضاً، ويوضح ذلك

(١) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: الفلسفة في الهند (ص: ٤٤٩).

(٣) انظر: الفلسفة في الشرق (ص: ١٨٤).

(٤) انظر: المدخل في تاريخ الأديان (ص: ٢٠٥).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم (ص: ٢٧٩).

بجلاء تأثرهم بالبوذية^(١).

ولهذا قرروا أن الإمبراطور يجب أن يمتنع عن كل الأعمال الحكومية، ويتفرغ للتأمل وتطهير ذاته حتى يحقق الاتحاد مع التاو، ويحصل على التاوية ويصبح أول قديس لشعبه^(٢).

٢- طقوس المعابد:

صارت الطاوية ديانة في القرن الثالث الميلادي، وأخذت المعابد تبنى، وعرفت تلك المعابد باسم (كوان)، وكلمة (كوان) معناها: ينظر، إلا أن معنى الكلمة تغير بمرور الزمن وفيما بين عامي ٤٣٠-٢٥٠ ق.م أصبح المعنى: برج المراقبة^(٣).

وقد ورد في السجلات التاريخية أن الإمبراطور تشو من أسرة منغ قد جند ٣٠٠ ألف فرد من العمال الذين بنوا في مدة ١٢ سنة معابد ومساجن، وصل عددها الإجمالي حوالي ٨٠٠٠ غرفة^(٤).

ويدخل الطاويون إلى المعبد وهم منحنون راکعون على ركبهم، ويشعلون أعواد البخور وهم يضمون كفوفهم في صلاة قصيرة، ويغادرون المعبد بظهورهم من الباب الخارجي^(٥).

٣- تكفير الخطايا:

طورت الكنيسة الطاوية ضروباً من الطقوس والخدمات الدينية التي تقام للتكفير عن الخطيئة وكفارة المرض -الذي يعتقد أنه حدث بسبب الخطيئة-، ويقوم الكاهن بتلاوة بعض التعاويذ على الماء ثم يقدمه إلى التائب ليشربه، فإذا فشلت هذه العملية في تحقيق الشفاء يعزى الفشل إلى نقص الإيمان، وفي الكنيسة الغربية يدفع المؤمن خمس مكيالات من الأرز فدية مالية، أما الخطايا التي يكفر عنها بهذه الطريقة فهي: السكر، والفسق، والسرقة^(٦).

(١) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥٢٢).

(٢) انظر: تاريخ الأديان، د. محمد خنيفة حسن (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٦١-١٦٢).

(٤) انظر: دراسات في الأديان الوضعية (ص: ٢٨٣).

(٥) انظر: سباحة في ربوع النور الآسيوية (ص: ١٩٤).

(٦) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٣١١).

٤- طقوس المرض والموت:

من طقوس الطاوية أنه إذا مرض أحدهم أو اشتد عليه مرضه حتى تفارقه روحه، تظل هذه الروح تحوم حوله دون أن تعود إليه، فيأمرهم الكاهن بإرجاعها بواسطة ثوب المريض، فهم يعلقونه من طوقه بقصبة لها أوراق خضر يحملها أحد أقارب المريض، وقد يعلقون بطرفها ديكا أبيض، فيطوف الرجل ويقول عبارات دينية خاصة يلقنه إياها الكاهن، وذلك محاولة منه لإقناع الروح بالعودة إلى صاحبها، فإذا شاهدوا القصبة بدأت تدور على نفسها، استبشروا بالنجاح وعودة الروح، وإذا مات أحدهم يوقدون عند أبواب منازلهم عيداناً من الطيب حتى يمنعوا بها دخول الأرواح الشريرة عليهم^(١).

٥- السحر:

ارتبط السحر بالشعائر الدينية، وأصبح يشكل إحدى الطرق التي يسعى الناس بواسطتها إلى التحكم بالقوى العلوية^(٢). واستتبع السحر والرغبة في الشفاء دخول خرافات جديدة على الطاوية، وحدث طقوس خرافية جديدة^(٣).

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. فوزي محمد حميد (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: حكمة الصين دراسة تحليلية (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: الديانات والمفائد في مختلف العصور (١/ ١٧٠).

المبحث الخامس:

أماكن وجود الطاوية وواقعها المعاصر

يتواجد الطاويون حالياً في مختلف أنحاء الصين، وفي تايوان، وماليزيا، وسنغافورة، وبانكوك^(١). ويبلغ عدد الطاويين في العالم قرابة ٥٠ مليون نسمة، ينتشر معظمهم في الصين، وباقي بلدان الشرق الأقصى^(٢).

وفي الصين وحدها أكثر من ألف وخمسمائة معبد طاوي في الوقت الحاضر^(٣)، ومن بين هذه المعابد معبد شنغ هوانج أي مدينة الإله، وقد أنشأ هذا المعبد ابن الإمبراطور كوكسنجا في القرن السابع عشر، ويتعبد فيه الطاويون متبعين العقيدة الطاوية التي أسسها الأول الحكيم لاوتسي^(٤).

وفي عام ١٩٥٨م أعلن أن ثلاثين ألفاً من الكهنة الطاويين لا يزالون نشطين في مختلف أنحاء الصين^(٥).

ويوجد في الصين وحدها ٢٥ ألف راهب طاوي وراهبة طاوية، وفي عام ١٩٥٧م تأسست الجمعية الطاوية الصينية التي وطدت علاقاتها مع الباحثين والمهتمين بدراسة الطاوية في داخل الصين وخارجها^(٦)، وتقوم الجمعية بتنظيم النشاطات الدينية، وممارسة الشؤون الدينية بصورة مستقلة، وإقامة المعاهد والمدارس الدينية الطاوية، مثل: المعهد الطاوي الصيني، وفي الوقت نفسه تحافظ المنظمات الدينية الصينية على تبادلات واتصالات مع المنظمات الدينية في أكثر من سبعين دولة ومنطقة في العالم، كما يشارك بعض الشخصيات الدينية الطاوية في حياة الدولة السياسية، ومنهم من يتولى مناصب نواب في مجالس نواب الشعب، والمؤتمرات

(١) انظر: قاموس المذاهب والأديان (ص: ١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٤٢).

(٣) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٣).

(٤) انظر: سياحة في ربوع النمرور الآسيوية (ص: ١٨٧).

(٥) انظر: دراسات في الأديان الوضعية (ص: ٢٨٣).

(٦) انظر: المسلمون في الصين (ص: ٢١).

الاستشارية السياسية الصينية على مختلف المستويات^(١).

وأصبحت الطاوية في الصين اليوم نحلة مرتبطة بالتقاليد الشعبية، وينص دستور جمهورية الصين الشعبية على أن مواطني جمهورية الصين الشعبية يتمتعون بحرية الاعتقاد الديني، ولا يحق لأي من أجهزة الدولة، أو المنظمات الاجتماعية، أو الأفراد إرغام أي مواطن على اعتقاد أي دين، أو عدم الاعتقاد به، ولا يجوز التعصب ضد أي مواطن يعتقد بأي دين أو لا يعتقد، وأن الدولة تحمي النشاطات الدينية الطبيعية، وأن المنظمات الدينية والشئون الدينية لا تخضع لسيطرة نفوذ أجنبي^(٢).

(١) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٠-٨٢).

(٢) انظر: الصين حقائق وأرقام (ص: ٨٠).

ملخص الفصل السابع

- اختلفت اتجاهات الباحثين في تعريف الطاوية بين اتجاه يعرفها بأنها ديانة، واتجاه آخر يعرفها بأنها فلسفة، والحقيقة أنها ليست مجرد ديانة، وليست أيضا مجرد فلسفة، بل هي ديانة وفلسفة معا، فلا يصح تعريفها بأنها مجرد ديانة، كما لا يصح تعريفها بأنها مجرد فلسفة.
- اسم الطاوية لم يشتق من اسم مؤسسها، وإنما سميت بذلك نسبة إلى (الطاو) الذي يسعى أتباعها للبحث عنه والاتحاد به.
- ترجع نشأة الطاوية إلى القرن السادس قبل الميلاد، ومؤسسها هو لاوتسي، أما التسمية فقد ظهرت في وقت متأخر خلال مملكة هان الأولى في القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت ديانة رسمية في القرن الثاني الميلادي الذي شهد نشأة أول مؤسسة دينية طاوية، وهذا ما يشير إليه المؤرخ الصيني سانغ جي من أن الغالبية يعتقدون أن الطاوية تشكلت في القرن الثاني الميلادي، ثم ازدهرت وانتشرت في القرنين الثالث والرابع بعد سقوط أسرة هان، وترجع أسباب نشأتها باختصار إلى تردّي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الصيني، ولذا كانت الطاوية استجابة للأحداث التاريخية، حيث شهد القرن السادس قبل الميلاد اضمحلال الإقطاع في الصين، وتعرض المجتمع الصيني لاضطرابات وفوضى سياسية، وانحلال خلقي.
- الكتاب المقدس عند الطاوية هو كتاب (تاو تي تشينغ) الذي ينسب إلى لاوتسي، ويعني: الطريق إلى الفضيلة، ويحتوي هذا الكتاب على إحدى وثمانين مقطوعة شعرية هي النصوص المقدسة للطاوية، ويتألف من قرابة خمسة آلاف كلمة، وهي تتضمن المبادئ الأخلاقية التي يجب على الطاوي اتباعها.
- أهم عقائد الطاوية: ١- تأليه ما يسمونه بالطاو أو التاو، ٢- تعدد الآلهة، ٣- تناسخ الأرواح، ٤- طريق الخلاص من عذاب الحياة وآلامها التأمل والعزلة اللتان تجعلان الإنسان حكيماً قادراً على الاتحاد بالطاو، ٥- يعتقد الطاويون أن الشياطين نوعان: شياطين بيضاء، وأخرى سوداء، تصنع لها تماثيل من الخشب، ويزعمون أنهما أسباب الوباء والبلاء، وأنهما يتسلطان على الأمراض الوافدة إليهم، ٦- البحث عن الخلود، الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين، ٧- عقيدتهم في الموت، تسلم الطاوية بأن الموت أمر لا محيص عنه،

وعندما يموت المرء يتلاشى هذا الشعور بالوجود، وتزول هذه الأنا، فالحياة والموت سيان عند الطاوية.

- العبادات والطقوس والشعائر في الطاوية: ١- التأمل في الطبيعة، ٢- طقوس المعابد: يدخل الطاويون إلى المعبد وهم منحنون راکعون على ركبهم، ويشعلون أعواد البخور وهم يضمون كفوفهم في صلاة قصيرة، ويغادرون المعبد بظهورهم من الباب الخارجي، ٣- تكفير الخطايا، ٤- طقوس المرض والموت: من طقوس الطاوية أنه إذا مرض أحدهم أو اشتد عليه مرضه حتى تفارقه روحه، تظل هذه الروح تحوم حوله دون أن تعود إليه، فيأمرهم الكاهن بإرجاعها بواسطة ثوب المريض، ٥- السحر: ارتبط السحر بالشعائر الدينية، وأصبح يشكل إحدى الطرق التي يسعى الطاويون بواسطتها إلى التحكم بالقوى العلوية.
- يتواجد الطاويون حالياً في مختلف أنحاء الصين، وفي تايوان، وماليزيا، وسنغافورة، وبانكوك، ويبلغ عدد الطاويين في العالم قرابة ٥٠ مليون نسمة، ينتشر معظمهم في الصين، وباقي بلدان الشرق الأقصى.

أسئلة تطبيقية

السؤال الأول: عرف الطاوية، مبينا اتجاهات الباحثين في تعريفها، ولم سميت بذلك؟

السؤال الثاني: تكلم بإيجاز عن نشأة الطاوية، واذكر اسم مؤسسها، ومتى أصبحت ديانة رسمية؟ وما كتابها المقدس؟

السؤال الثالث: اذكر عقيدة الديانة الطاوية في الطاو، مبينا تعريفه وأوصافه في اعتقادهم.

السؤال الرابع: الطاوية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في الوسع إطالة عمر الإنسان إلى مئات السنين. وضع ذلك في ضوء ما درست.

السؤال الخامس: اذكر أهم وأشهر طقوس الطاوية المتعلقة بالمعابد.

الفصل الثامن: الديانة الكونفوشيوسية

المبحث الأول:

التعريف بالكونفوشيوسية

هي: مذهب أخلاقي معني بتنظيم المجتمع وفق تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة^(١).

فهي أقرب إلى الفلسفة منها إلى الديانة، وذلك حسب نشأتها الأولى، ولذا قال بعضهم بأنها (فلسفة إنسانية اجتماعية تدور حول البشر ومجتمعهم، وليس حول الطبيعة أو معرفة الطبيعة)^(٢).

وجوهر اهتمامها هو الأسرة، يقول د. محمد خليفة حسن: (لقد احتلت الأسرة أهمية عظيمة إلى حد دفع بأحد دارسي الكونفوشيوسية إلى تعريفها بأنها فلسفة نظام الأسرة الصيني)^(٣). ثم تحولت إلى ديانة حتى أصبحت أم الديانات الصينية وأكثرها انتشارًا؛ لأنها أصبحت تمثل العمق الديني داخل كيان الفرد الصيني، بل والأمة الصينية^(٤).

والمؤسس الحقيقي لها هو كونفوشيوس الذي يعد أول من أقام نسقًا فلسفيًا حقيقيًا عن الإنسان^(٥)، وسميت الديانة بهذا الاسم نسبة إليه.

واسمه الحقيقي: كونغ تشيو، ويلقب أيضًا بـ(كونغ فوتسه)^(٦)، ومعناه: المعلم أو الحكيم^(٧).

(١) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٥). الأديان في تاريخ شعوب العالم. ص ٢٦٩.

(٢) الفكر الشرقي القديم: جمال المرزوقي (ص: ٢٤٨).

(٣) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن (ص: ١١٥).

(٤) انظر: المدخل في تاريخ الأديان، د. سعيد مراد (ص: ١٧٧).

(٥) الفلسفة الشرقية القديمة، د. مصطفى حسن النشار (ص: ١٤٧).

(٦) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢)، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٣٥-١٣٨).

(٧) انظر: الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٨٣). الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/١٤٨).

المبحث الثاني: نشأة الكونفوشيوسية ومصادرها

نشأة الكونفوشيوسية:

ظهرت الديانة الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد^(١). وقد عاش كونفوشيوس ما بين ٥٥١-٤٧٩ ق.م^(٢)، فقد ولد في عام ٥٥١ ق.م، في مقاطعة لو شان تانج، وتوفي عام ٤٧٩ ق.م^(٣)، ومات كونفوشيوس وهو في الخامسة والسبعين أو السادسة والسبعين^(٤). وصار له مريدون وأتباع وتلاميذة، فأمضى عشر سنوات يتجول بصحبة تلامذته للتبشير دون أن يلقي تجاوبًا من حكامها^(٥). وقد اتسم العصر الذي عاش فيه كونفوشيوس بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي الواسع النطاق للأخلاق، ولهذا كان من الطبيعي في ضوء هذه الأوضاع أن يتجه كونفوشيوس إلى إصلاح حال المجتمع^(٦). وقد اهتمت فلسفة كونفوشيوس الاجتماعية بالطبقة العليا في المجتمع الصيني، بينما تأثرت الطبقات الدنيا بالديانة الصينية الشعبية المرتبطة ببعض المعتقدات حول طبيعة الكون بعامة وروح الكون أو العالم على وجه الخصوص، ولم يكن كونفوشيوس ملتزمًا بهذا الشكل الديني، إنما قَبِلَهُ كجزء من النظام الديني الموروث^(٧).

(١) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٣) انظر: قصة الحضارة. مجلد ١. ج٤. ص ٤٠. الفكر الشرقي القديم، جون كولر. ص ٣١٩. تاريخ البشرية، أرنولد توبي، ج ١، ص ١٩٠. الفلسفة في الشرق: ماسون أورسيل. ص ١٦٨. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص ٢٣٨.

(٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور. ج ١، ص ١٥٣.

(٥) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٦) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٣٣).

(٧) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١١٩).

مصادر الكونفوشيوسية:

الكتب المقدسة في الديانة الكونفوشيوسية نوعان^(١):

الأول: الأسفار الخمسة (وو جينغ)، وهي الكتب التي نقلها كونفوشيوس عن العصور السحيقة، وأضاف إليها إضافات أصلية، وتحتوي على آراء السابقين، وهي:

(١) سفر القصائد، ويسميه بعضهم الأغاني أو الأناشيد أو الشعر، وهو سفر يشتمل على ثلاثمائة وخمس من القصائد والتواشيح الدينية، وفيها تصوير للأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية في تاريخ الصين القديم.

(٢) سفر التاريخ، وهو أقدم كتاب تاريخي في الصين، وسجلت فيه الأحداث التاريخية القديمة في الألف الثالثة قبل الميلاد، وحتى سنة ٦٣٠ ق.م، أي: قبل عصر كونفوشيوس بمائة سنة تقريبا.

(٣) سفر الشريعة، وهو يتضمن الطقوس والشعائر والمراسم المتعلقة بالزواج والمعاملات والأعياد والاحتفالات والجوائز وتقديم القرابين، وقواعد السلوك والأخلاق، ويعد من أكثر الكلاسيكيات القديمة التي حفظت دون تغيير.

(٤) سفر التغيرات، وهذا السفر يرى البعض أنه عبارة عن أساليب التنبؤات ومعرفة الحوادث المستقبلية، بينما يرى البعض أنه عبارة عن قواعد السلوك والأخلاق الفاضلة، ويذهب آخرون إلى أنه يحمل أسرار الكون كله إذا فهم، وهو يتسم بالغموض والرمزية، وله أهمية خاصة عند الصينيين، فلا زالوا يستخدمونه حتى الآن في الإنباء بالغيب ومعرفة الطوالع.

(٥) سفر الربيع والخريف، وهو من تأليف كونفوشيوس، ويتضمن مجموعة من السجلات التاريخية المختلفة لإمارة (لو) التي هي مسقط رأسه من سنة ٧٢٢ حتى سنة ٤٨١ ق.م، وأثنى فيه كونفوشيوس على الأمراء والوزراء الصالحين، وشن حملة على الأمراء والوزراء الفاسدين.

الثاني: الكتب الأربعة (سي شو)، وقد ظهرت بعد وفاة كونفوشيوس، وكتبها تلامذته، وبعضها تسجيل لأقواله وحواراته، وبعضها تفسير لبعض الأسفار المقدسة، وهي: (١) كتاب المعرفة الكبرى، (٢) كتاب سنة التوسط، (٣) كتاب الحوارات أو المنتخبات، (٤) كتاب منشيوس. والكونفوشيوسية مع تقدسها لجميع هذه الكتب الأربعة إلا أنها لا تتمتع بنفس المكانة المقدسة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة.

(١) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية، ناصر الشهراني (ص: ١٧٧) وما بعدها، الكتب الخمسة لكونفوشيوس، د. حسن شحاتة سفيان (ص: ٧٨٣).

المبحث الثالث:

أهم عقائد الكونفوشيوسية

الكونفوشيوسية في أصل نشأتها ليست دينا بالمعنى المتعارف عليه للدين، فليس فيها نظام كهنوتي أو رهباني، ولهذا لم يأت كونفوشيوس بدين جديد أو شريعة^(١). ولذا يقول د. محمد خليفة: (أما الدين في الصين فلا يبحث عنه في الكونفوشيوسية، بل في كل من البوذية الصينية والتاوية)^(٢)، لكنها تحولت فيما بعد إلى ديانة. ولم يكن لكونفوشيوس اهتمام بالدين والإله، ولما سأله أحد رجال الديانة البوذية: (يا معلم كونفوشيوس ما دينك؟ قال: لا دين لي، ما كتابك؟ قال: لا كتاب، قال: ما صلواتك؟ قال: لا صلوات، ما الذي تدعو إليه إذن؟ قال: أن يكون الإنسان إنسانا لا حيوانا ولا إلهًا)^(٣).

ولما سأله أحد أصحابه: أيها السيد المحترم كيف لي أن أخدم الآلهة؟ أجاب: (أنت لا تعرف كيف تخدم الإنسان، فكيف تسأل عن خدمة الآلهة؟!)^(٤). ولهذا كان إذا وجه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية، حتى ألحقه كثير من الباحثين بطائفة اللاأدريين^(٥)، كما ظن البعض أنه كان في الحقيقة متشككًا أو حتى ملحدًا، وأنه لم يكن لديه الشجاعة ليذكر الحقيقة لطلابه^(٦)، لكنه مع هذا استمر يحافظ على الاعتقاد التقليدي في السماء باعتبارها الإله الأساسي عند الصينيين^(٧)، لكن السماء لم تكن لها في اعتقاده، وإنما دعا إلى عبادة السماء؛ لأنها إرادة الله ونظام العالم^(٨). والذي يظهر أن كونفوشيوس لم ينكر وجود عالم روحي أسمى^(٩)، ويدل على ذلك أنه أعلن أن السماء عرفته وأنها تقبلت جهاده^(١٠)، فقد كان كونفوشيوس نفسه يقول: (إن الآلهة

(١) انظر: لمحات عن أديان العالم، صادق الركابي (ص: ٢٩٥).

(٢) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١١٩-١٢٠).

(٣) ديانات أخرى. أنيس منصور (ص: ٦٠).

(٤) لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٠٢).

(٥) انظر: قصة الحضارة، مجلد ١، ج ٤، ص ٥٣.

(٦) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٧).

(٧) انظر: الفلسفة الشرقية القديمة، د. مصطفى حسن النشار (ص: ١٤٧-١٤٨).

(٨) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، ص ٦٥.

(٩) انظر: فلاسفة الشرق: أ. ف. توملين (ص: ٢٨٩).

(١٠) المستطرف الصيني (ص: ٧٤).

ليست إلا رموزًا لقوى الطبيعة وأرواح السلف^(١)، لكنه لم يبن فلسفته على أي معتقدات دينية^(٢).

ومن أهم معتقداتها ما يلي:

١- تعدد الآلهة:

تؤمن الكونفوشيوسية بتعدد الآلهة، ومن معبوداتهم قوى الكون الطبيعية؛ فالشمس والقمر والنجوم والمطر والسحاب والرياح والأرض والجبال والأنهار والسماء آلهة في اعتقادهم، وهم يعتقدون أنها تعينهم على تيسير أمور حياتهم^(٣).

لكن هذه الآلهة على الرغم من تعددها وتقديس الصينيين لها ليست بمنزلة واحدة، حيث كانت عبادة السماء في المنزلة الأولى والمكانة الأسمى، باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض، ثم عبادة أرواح الأجداد، ثم عبادة الجبال والأنهار وغيرها من قوى الكون الطبيعية^(٤).

٢- عبادة السماء:

السماء هي المعبود الرئيس لأهل الصين، ولذا أسموها في كتبهم القديمة بالإله الأعظم والملك العلي، وكانوا ويتوجهون إليها بالعبادة، ولعظيم مكانة السماء عندهم كانوا يرون أن عبادتها والتقرب إليها بالقرابين مخصوصة بالإمبراطور وحده^(٥)، ويطلق على الإله الأعظم أو الإله المتعالي في مصطلحات الآداب القديمة الصينية لقب (تيان) أو (السماء)، وهذا هو اللقب الذي شغف به كونفوشيوس نفسه، وكان يتحدث به كثيرًا^(٦).

والسماء المعبودة عندهم لا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء، بل يقصدون تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التي تسيطر عليها، وسبب عبادتهم للسماء أنهم كانوا يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم، وأن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنما هو

(١) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، ص ٦٥.

(٢) الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٥).

(٣) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور (١/ ١٤٥)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية. ناصر الشهراني (ص: ٢٠٣).

(٥) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣-٢٠٤)، أديان العالم. د. حبيب سعيد (ص: ١١٨).

(٦) انظر: أديان العالم، حبيب سعيد (ص: ١١٨)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٣).

خاضع لسلطان السماء^(١).

ويشير مصطلح السماء عند كونفوشيوس إلى قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر، تتمتع بالإرادة القاهرة والقدرة على الإبادة، ولها يخضع كل شيء في الكون، ولذا كانت السماء بالنسبة إليه المرفأ الأخير الذي يلجأ إليه عندما يصيبه اليأس والإحباط من البشر، وكان عندما يتعذر على الناس فهم تعاليمه ومبادئه يردد دائماً: (ولكن السماء تفهمني)^(٢).

٢- تأليه كونفوشيوس:

لم يدع كونفوشيوس الألوهية لنفسه في حياته، بل لم يدع النبوة، وغاية ما كان يدعيه لنفسه أنه معلم وعاشق للعلم، لكن هذا لم يمنع أتباعه من أن ينصبوه لها^(٣)، ولم يكتسب القداسة إلا حين صار مذهبه عقيدة رسمية في القرن الثاني قبل الميلاد، في عهد أسرة هان^(٤)، وتم تأليهه وأقام الإمبراطور صلوات دينية في تأيينه^(٥)، وبنوا له الهياكل في البلدان، وقدموا له القرابين^(٦)، وأقاموا له المعابد له في كل مدينة من مدن الصين^(٧)، بل أصبحت زيارة الضريح الكونفوشيوسي فريضة واجبة على أتباعه، وجزءاً من شعائرتهم^(٨).

ولا زال أتباعه يعبدونه حتى وقتنا الحاضر، قال د. ناصر الشهراني -وهو أحد الباحثين المتخصصين في دراسة الكونفوشيوسية-: (وقد شاهدت ذلك عندما ذهبت إلى الصين، يركعون ويسجدون ويقدمون المشروبات والأطعمة، ويضعون النقود، وتقدم القرابين، وتحرق الهدايا في محرقة المعبد في عيد ميلاد كونفوشيوس، ويدعون أنها تذهب لروح كونفوشيوس)^(٩).

٤- عبادة الأسلاف:

تعد عبادة الأسلاف هي المحتوى الأساسي للعبادة الكونفوشيوسية، حتى أضحت المكون الرئيسي للمعتقدات والطقوس لدى الصينيين، وصار لكل عائلة معبدها العائلي الخاص بها، تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد من السنة، وخاصة عند حدوث وقائع عائلية

(١) انظر: الأديان القديمة. أبو زهرة (ص: ٨٨-٨٩).

(٢) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٠٤).

(٣) انظر: دهبانات أخرى، أنيس منصور (ص: ٥٦)، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

(٤) انظر: المستطرف الصيني (ص: ٧٢).

(٥) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).

(٦) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوني رسلان (ص: ٦١-٦٢).

(٧) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

(٨) انظر: الدين في الهند والصين وإيران (ص: ٢٢٧).

(٩) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٥).

كالزواج، وفي الأعياد^(١).
ويبدو أن هذه العبادة بدأت أولاً في صورة التكريم للميت بعد الوفاة، ثم تحولت إلى عبادة، وانتشرت بين القبائل والأسر تغذيها روابط الأسرة في بلاد الصين، حتى أصبح كل الأسلاف موضع التقديس والعبادة من الجميع على السواء^(٢).

٥- الموت والجنة والنار:

يرى كونفوشيوس أن الموت قدرٌ كتب على الأحياء منذ الأزل، ولذا فهو يتقبل الموت بلا وجل ولا خوف، وليست للموت في نظره أي دلالة معينة أو مغزى رئيسي^(٣)، بل رفض أن يناقش موضوع الحياة بعد الموت^(٤)، ولما سأله أحد مريديه عن الموت، أجابه: (إن كنت لا تفهم الحياة، فكيف يمكنك أن تفهم الموت)^(٥)، و(لم يقف عند فكرة الحياة بعد الموت، وفي ذلك قال: إذا كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة، فكيف نعرف شيئاً عن الموت وما بعد الموت؟)^(٦).

والكونفوشيوسيون يعتقدون خلود الروح وبقاءها بعد الموت، وفي ذلك يقولون: (إذا مات المرء يعود جسده إلى التراب، إنما روحه تتحرك متألثة خارج القبر تلقي فينا الهيبة والخوف)^(٧).

أما الجنة والنار فلم يكن كونفوشيوس يعتقد بوجودهما^(٨)، فلم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار، ولا عقاب ولا ثواب، ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد، ولم يزد عليها^(٩).

ومن هنا يتضح أن الكونفوشية ليس لها اعتقاد واضح عن موضوع الحياة بعد الموت^(١٠).

(١) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) الكونفوشية دراسة تحليلية (ص: ٢٢١-٢٢٢).

(٣) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٣).

(٤) انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي (ص: ٥٤).

(٥) المستطرف الصيني (ص: ١٧٣).

(٦) موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات (ص: ١١٢).

(٧) الكونفوشية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٣).

(٨) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٣).

(٩) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢١)، الكونفوشية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٤).

(١٠) انظر: شجرة الحضارة (٣/ ٢٦٨).

٦- القدر:

يقول كونفوشيوس: (إذا ما سادت تعاليمي فهكذا أراد الله، وإذا ما فشلت فهذا هو أمر الله)^(١)، فهذا يدل على إيمانه بالقدر، ولهذا كان أتباعه يؤمنون بالقضاء والقدر، فيقولون: (إن كل الحوادث مقدره في السماء معروفة)^(٢).

لكن كونفوشيوس كان لا يرضى بالاستسلام التام للقدر؛ ويرى أنه يجب أن يتحلى الإنسان بالشجاعة في مواجهة الأحداث^(٣).

ومفهوم الأخلاق عند كونفوشيوس له ارتباط قوي برؤيته للمصير أو للقدر الإنساني، فهو يفرق بين ما يسميه قانون السماء والفعل الإنساني، فالفعل الأخلاقي يعتمد على الإنسان، أما أوضاع الإنسان فمقدرة في السماء^(٤).

٧- الملائكة:

يعتقد الكونفوشيوسيون بوجود الملائكة، ويقدمون إليها القرابين، على أساس أنها آله ذات تأثير وقدسيتها توجب عليهم أن يعبدوها^(٥).

(١) لمحات عن أديان العالم (ص: ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) الأديان القديمة. أبو زهرة (ص: ٨٩).

(٣) انظر: فلاسفة أيقظوا العالم. د. مصطفى حسن النشار (ص: ٥٧).

(٤) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٤).

(٥) انظر: الكونفوشيوسية دراسة تحليلية (ص: ٢٢٤).

المبحث الرابع:

العبادات والأخلاق والشعائر في الكونفوشيوسية

١- العبادات:

العنصران اللذان يتألف منهما دين الصين القومي هما: عبادة الأسلاف، وعبادة السماء، فلهذا صارت الكونفوشيوسية عبادة وديانة قائمة على كل من: عبادة قوى الطبيعة، وعبادة الأسلاف^(١).

ولم يأت كونفوشيوس بعبادات وطقوس جديدة^(٢)، وكان أهم ما فعله كونفوشيوس هو تشجيعه لعبادة الأسلاف الموجودة عند الصينيين^(٣).

٢- الأخلاق:

الأصل الذي قامت عليه الكونفوشيوسية هو تهذيب الناس لذواتهم بما يتيح لهم أن يحيا حياة فيها المتعة والاستقامة معا^(٤)، وكانت غاية كونفوشيوس من فلسفته العملية إصلاح الهيئة الاجتماعية في عصره، وإحداث تجديد أخلاقي وسياسي في الدولة^(٥)، ولهذا كانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول، وكان يرى أن الفوضى التي تسود عصره فوضى خلقية^(٦).

وآراؤه في الأخلاق تقوم على ثلاثة أصول:

الأول: بيان الأصل الخلقى الذي تقوم عليه الفضائل.

الثاني: إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم.

الثالث: إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة^(٧).

ومن هنا دعا كونفوشيوس إلى إصلاح النفس البشرية وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والإخاء والعدل والأخلاق^(٨).

(١) انظر: قصة الحضارة. مجلد ١ (٤/ ٢٥٨). تاريخ العلم والحضارة في الصين (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).

(٣) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٢٢).

(٤) انظر: الفلسفة الشرقية. تشاكرامارتي رام براساد (ص: ١١٥). ترجمة: وفيق فائق كريشات.

(٥) انظر: الفلسفة الشرقية. د. محمد غلاب (ص: ٢٦٢-٢٦٣).

(٦) قصة الحضارة. مجلد ١ (٤/ ٥٤).

(٧) انظر: الأديان القديمة، أبو زهرة (ص: ٩٤).

(٨) انظر: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة (ص: ١١٢).

ويرى أن السبيل الوحيد لاتقاء الشر والظلم والكرهية والعنف والقسوة إنما يكون بالعودة إلى الفضيلة الكاملة، وأن تكون الأخلاق هي الجوهر الأساسي العملي للشعب^(١)، ودعا إلى المحبة والفضيلة، والولاء العائلي، والخير والعفو، ونادى بالعدالة والسلام^(٢).

ويرى أن هناك خمسة واجبات على الابن البار تجاه والديه وأهله: (١) إبداء أقصى الاحترام على الدوام تجاه الأهل، (٢) أن يقدم لهم أفضل ما يحبونه من الطعام، (٣) الجزع واللهفة حين يمرضون، (٤) الأسف من أعماق الروح على وفاتهم، (٥) تقديم القرابين لهم بعد وفاتهم بمصاحبة حفل ديني^(٣).

ويرى كونفوشيوس أن سعادة المجتمع تقوم على صرح أساسه سعادة الفرد، وسعادة الفرد لا تتحقق إلا بالانسجام مع القانون الأخلاقي العام المسيطر على جميع الميول الأولى للكائن الحي دون استثناء، وهو الانعطاف الفطري للإنسان نحو الخير^(٤).

وكان يرى أن البشر أخلاقيون بالفطرة، وبسبب هذا الخير الفطري فإنهم يعرفون الصواب والخطأ، ويستشعرون الشفقة والتوقير والتواضع ويعرفون الشعور بالخجل، وهذا يعني أن بمقدورهم التمييز بين الصواب والخطأ، وتملك ناصية الحكم الأخلاقي والشخصية الأخلاقية^(٥).

ونلاحظ أن كونفوشيوس لم يبحث عن أساس الطيبة والأخلاق خارج البشر، فداخل الإنسانية ذاتها يوجد مصدر الطيبة والسعادة الإنسائيتين وبنيتهما^(٦).

وبهذا يمكن القول: إن الكونفوشيوسية وجهتها دنيوية، وتركز على كيفية السلوك في الدنيا، وتنظيم هذا السلوك وفق مبادئ أخلاقية، ويسمي الصينيون هذا السلوك: طرق الحكماء أو طرق القدامى^(٧)، ولهذا قرر كونفوشيوس أن آداب المجتمع أو الأخلاق السائدة هي القانون العرفي وتحمل محل القانون المكتوب، وكان يقول: (إذا كان بمقدور إنسان أن يسيطر على نفسه ليوم واحد، ... فإن كل ما تحت السماء سيعود إلى الإنسانية (جين)^(٨)، وممارسة الإنسانية

(١) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوي رسلان (ص: ١١٢).

(٢) انظر: قاموس الأديان والمذاهب. د. حسين علي حمد (ص: ١٧١).

(٣) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٢).

(٤) انظر: الدين في الهند والصين وإيران (ص: ٢٢١).

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٥٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٣١٩-٣٢٠).

(٧) انظر: تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة (ص: ١٢٠).

(٨) ترجمت كلمة (جين) بترجمات مختلفة، منها: الإنسانية، والفضيلة، والإحسان. انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر (ص: ٣٣٥).

تعتمد على المرء نفسه^(١).

٣- الشعائر:

للكونفوشيوسية شعائر وطقوس عديدة، منها:

- ١- التأمل والتفكير ليصل الفرد إلى مرحلة الإنسان الكامل.
 - ٢- تقديم النذور والقرايين حيث تقدم على مستوى الأسرة إلى الأسلاف، وعلى المستوى الرسمي إلى آله السماء والأرض والجبال والمياه والنجوم والشمس والقمر والحكام السابقين.
 - ٣- تقديم الملك أو الإمبراطور الشكر وطلب البركة من السماء والأرض وآلهة الزراعة والأسلاف، ويؤدى على قمم خمسة جبال مقدسة.
 - ٤- النذر السنوي الذي يقدم لشانغ تي رب السماء من قبل الملك، الذي يعتبرونه ابن السماء والكاهن الأعلى في العالم، ويحضر الملك وحاشيته أنفسهم قبل ثلاثة أيام بالصوم والصلوات بعد ذلك ويجو من الرهبة والخشوع ينحر ثورا ويقدم حجرا كريما ثم ينشد صلوات الشكر للكائن الأسمى^(٢).
- وللقرايين عند كونفوشيوس دلالة عظمى؛ إذ تؤكد القرايين على الروابط الروحية بين الأفراد بعضهم وبعض من ناحية، وبينهم وبين أرواح الأجداد والآباء من ناحية أخرى^(٣).
- وقد دعا كونفوشيوس إلى إدخال بعض التعديلات على شكل الطقوس حتى تتوافق مع الحقيقة الاجتماعية المتغيرة شريطة عدم المساس بجوهر الطقوس^(٤).
- وكان مضمون الطقوس فضفاضاً حيث شمل مراسم القرايين للآلهة، ومراسم الجنائز والمراسم الدبلوماسية، ومراسم الحروب ومراسم الزواج وغيرها، والمعنى الأصلي للطقوس هو عبادة الآلهة والصلوة لها طلباً للنعم الإلهية، وجسد ذلك العلاقة بين الصينيين الأوائل والآلهة، وتهدف الطقوس إلى الحفاظ على معايير الأخلاق واللياقة والشعائر الدينية داخل المجتمع الصيني القديم^(٥).

(١) الفكر الشرقي القديم، جمال المرزوقي (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: محات عن أديان العالم (ص: ٣١٥).

(٣) انظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوني رسلان (ص: ١٧٠).

(٤) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥٢).

(٥) انظر: تاريخ تطور الفكر الصيني (ص: ٥١-٥٢).

المبحث الخامس:

أماكن وجود الكونفوشيوسية وواقعها المعاصر

عندما كان كونفوشيوس في الرابعة والثلاثين من عمره كان له أكثر من ثلاثة آلاف تابع، والآن وبعد انقضاء حوالي ألفين وستمئة سنة فإن في الصين وحدها أكثر من مائتين وخمسين مليوناً من أتباع كونفوشيوس^(١).

ويوجد أتباع الكونفوشيوسية في كثير من دول العالم خارج حدود الصين، ومنتشر معظمهم في الصين واليابان وبورما وتايلاند^(٢).

وقد أحصي في الصين في بداية القرن العشرين عدد المعابد المقامة تكريسا لكونفوشيوس فبلغت حوالي ١٥٠٠ معبد^(٣)، وجعلوا يوم ميلاده ٢٧ أغسطس عيداً قومياً يحججون فيه إلى مسقط رأسه، وينوب عن الدولة موظف كبير في محفل الصلاة أمام محرابه^(٤).

وقد ظلت الكونفوشيوسية مدة ألفي سنة هي العصب الرئيسي لمنهج التربية والتعليم في الصين، حتى كان الإمام بالديانة هو أحد المتطلبات الرئيسية في امتحانات الخدمة المدنية، وتأصلت الكونفوشيوسية بوصفها الفلسفة السائدة بين الطبقات المسؤولة عن الإدارة، وفي المراسم والطقوس الرسمية، وما تقدم الدولة من قرابين إمبراطورية، وبهذه الطريقة أصبحت جزءاً من الجهاز الحكومي، بل أصبحت عقيدة الدولة^(٥).

وبعد إقامة نظام الديمقراطية الشعبية لم تعد الديانة لكونفوشيوسية في الصين ديانة رسمية للدولة، وتوقفت الطقوس والاحتفالات الدينية الرسمية^(٦)، ثم في سنة ١٩٩٠-٢٠٠٠ تم إعادة تدريس الكتب الكونفوشيوسية في المدارس، وإعادة الاحتفال بذكرى مولد كونفوشيوس وتأسيس الجمعية العالمية للكونفوشيوسيين^(٧).

(١) انظر: قصة الديانات (ص: ٢٢٤).

(٢) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٣١٧).

(٣) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٧٠).

(٤) انظر: معتقدات آسيوية. د. كامل سعيان (ص: ٢٨٦).

(٥) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب (ص: ٢٦٩-٧٠).

(٦) انظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم (ص: ٢٨١).

(٧) انظر: لمحات عن أديان العالم (ص: ٢٩٩).

ملخص الفصل الثامن

- الكونفوشيوسية مذهب أخلاقي معني بتنظيم المجتمع وفق تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة، فهي أقرب إلى الفلسفة منها إلى الديانة، وذلك حسب نشأتها الأولى، ثم تحولت إلى ديانة حتى أصبحت أم الديانات الصينية وأكثرها انتشارًا.
- المؤسس الحقيقي لها هو كونفوشيوس الذي يعد أول من أقام نسقًا فلسفيًا حقيقيًا عن الإنسان، وسميت الديانة بهذا الاسم نسبة إليه.
- ظهرت الديانة الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد، وقد اتسم العصر الذي عاش فيه كونفوشيوس بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي الواسع النطاق للأخلاق، ولهذا كان من الطبيعي في ضوء هذه الأوضاع أن يتجه كونفوشيوس إلى إصلاح حال المجتمع.
- الكتب المقدسة في الديانة الكونفوشيوسية نوعان: الأول: الأسفار الخمسة (وو جينغ)، وهي: (١) سفر القصائد، (٢) سفر التاريخ، (٣) سفر الشريعة، (٤) سفر التغيرات، (٥) سفر الربيع والخريف. الثاني: الكتب الأربعة (سي شو)، وهي: (١) كتاب المعرفة الكبرى، (٢) كتاب سنة التوسط، (٣) كتاب الحوارات أو المنتخبات، (٤) كتاب منشيوس. والكونفوشيوسية مع تقديسها لجميع هذه الكتب الأربعة إلا أنها لا تتمتع بنفس المكانة المقدسة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة.
- أهم عقائد الكونفوشيوسية: ١- تعدد الآلهة، ٢- عبادة السماء، ٣- تأليه كونفوشيوس، ٤- عبادة الأسلاف، ٥- الموت والجنة والنار، ٦- الإيمان بالقدر، ٧- الاعتقاد بوجود الملائكة.
- العنصران اللذان يتألف منهما دين الصين القومي هما: عبادة الأسلاف، وعبادة السماء، فلهذا صارت الكونفوشيوسية عبادة وديانة قائمة على كل من: عبادة قوى الطبيعة، وعبادة الأسلاف.
- الأصل الذي قامت عليه الكونفوشيوسية هو تحذيب الناس لذواتهم بما يتيح لهم أن يحيا حياة فيها المتعة والاستقامة معًا، ولهذا كانت غاية كونفوشيوس من فلسفته العملية إصلاح الهيئة الاجتماعية في عصره. وإحداث تجديد أخلاقي وسياسي في الدولة، وآراؤه في الأخلاق تقوم على ثلاثة أصول: الأول: بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل. الثاني: إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم. الثالث:

- إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة.
- للكونفوشيوسية شعائر وطقوس عديدة، منها: ١- التأمل والتفكير ليصل الفرد إلى مرحلة الإنسان الكامل. ٢- تقديم النذور والقرايين. ٣- تقديم الملك أو الإمبراطور الشكر وطلب البركة من السماء والأرض وألهة الزراعة والأسلاف، ويودى على قمم خمسة جبال مقدسة. ٤- النذر السنوي الذي يقدم لشانغ تي رب السماء من قبل الملك.
 - يوجد أتباع للكونفوشيوسية في كثير من دول العالم خارج حدود الصين، وينتشر معظمهم في الصين واليابان وبورما وتايلاند.

أسئلة تطبيقية

- السؤال الأول: عرف الديانة الكونفوشوسية، مبينا هل هي فلسفة أم ديانة؟
- السؤال الثاني: متى نشأت الكونفوشوسية؟ وما أهم أسباب نشأتها؟
- السؤال الثالث: تكلم بإيجاز عن مصادر الديانة الكونفوشوسية.
- السؤال الرابع: اذكر أهم عقائد الديانة الكونفوشوسية.
- السؤال الخامس: آراء كونفوشوس في الأخلاق تقوم على ثلاثة أصول. ما هي؟
- السؤال السادس: ما هي الدول التي تنتشر فيها الكونفوشوسية حاليا؟

فهرس المراجع والمصادر

- (١) أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، المؤلف: د. فؤاد عبد المنعم، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.
- (٢) أبحاث في اليهودية والصهيونية، المؤلف: د. أحمد سوسة، الناشر: دار الأمل، أربد، الأردن، ٢٠٠٣م.
- (٣) الأبتنا بين سلامة المتن وصحة السند، المؤلف: خالد غانم، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد ١٤، الجزء ٤، ٢٠١٣م.
- (٤) إبطال الحيل، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- (٥) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- (٦) ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهرة الموسوعي، المؤلف: د. زكريا إبراهيم، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.
- (٧) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، المؤلف: د. محمود حمادة، الناشر: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- (٨) أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين، المؤلف: محمد ناصر أبو حبيب، بدون ناشر، الضبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٩) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، المؤلف: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي شهاب الدين أبو العباس، تحقيق: د. بكر زكي عوض، الناشر: شركة سعيد رأفت للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- (١٠) أحجار على رقعة الشطرنج، تأليف: وليام غاري كار، ترجمة: مجدي كامل، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.

- ١١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٢) الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، المؤلف: الحاخام مسعود حاي بن شمعون، الطبعة الأولى، مطبعة كوهين بمصر، ١٩١٢م.
- ١٣) أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاکر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادی للنشر - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٤) الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاکر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت
- ١٥) أخبار الحلاج، المؤلف: الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، تحقيق: لويس ماسينيون وبول كراوس، الناشر: التكوين للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ١٦) الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية، المؤلف: د. فرج الله عبد الباري، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ١٧) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، المؤلف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٨) الآداب الماسونية، المؤلف: شاهين مكاربوس، الناشر: دار نظير عبود، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- ١٩) الأديان الحية نشوؤها وتطورها، المؤلف: أديب صعب، الناشر: دار النهار للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- ٢٠) أديان العالم، تأليف: د. حبيب سعيد، الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

- (٢١) أديان العالم، تأليف: د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب ٢٠٠٥م.
- (٢٢) أديان الهند الكبرى، تأليف: د. أحمد شلبي، الناشر: دار المعارف، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- (٢٣) الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، تأليف: د. إبراهيم محمد إبراهيم، الناشر: مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٤) الأديان في الصين، تأليف: سانغ جي، ترجمة تشنغ يوه رونغ، وآخرين، الناشر: دار النشر الصينية عبر القارات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- (٢٥) الأديان في تاريخ شعوب العالم: سيرغي أ. توكاريف، ترجمة: أحمد فاضل، الناشر: مكتبة الأهالي، دمشق - سوريا، ١٩٩٨م.
- (٢٦) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى، تأليف: أبو الحسن علي الندوي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.
- (٢٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٨) الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، المؤلف: أ. د. محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (٢٩) أسرار الآلهة والديانات، المؤلف: أ. س. ميغوليفسكي، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين دمشق، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.
- (٣٠) الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، المؤلف: شاهين مكاربوس، الناشر: دار مارون عبود، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- (٣١) أسرار الكنيسة السبعة، المؤلف: حبيب جرجس، الناشر: جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٠م.
- (٣٢) أسرار الماسونية، تأليف: جواد رفعت آتلخان، المحقق: نور الدين رضا الواعظ وسليمان

محمد أمين القبلي، بدون طبعة وتاريخ.

(٣٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، تأليف: د. علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٣٤) الإسلام والأديان، تأليف: د. مصطفى حلمي، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٣٥) أصل الأنواع، المؤلف: تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

(٣٦) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، تأليف: إسماعيل راجي الفاروقي، تقديم: كامل الشريف، الناشر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(٣٧) الأصول الوثنية للمسيحية، تأليف: إندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ، ترجمة: سميرة عزمي الزين، الناشر: منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

(٣٨) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، المؤلف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٣٩) الأصولية الهندوسية، المؤلف: د. تميم القاضي، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

(٤٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤١) أضواء على الاستشراق، تأليف: د. محمد عبد الفتاح عليان، الناشر: دار البحوث العلمية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

(٤٢) أضواء على المسيحية، تأليف: متولي يوسف شلبي، الناشر: الدار الكويتية للطباعة والنشر.

(٤٣) إظهار الحق، المؤلف: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الخنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

- والإرشاد - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- (٤٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٤٥) أعظم مائة شخص في التاريخ، تأليف: مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م.
- (٤٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، الناشر: دار التراث العربي - القاهرة.
- (٤٧) الإعلام بمناقب الإسلام، المؤلف: أبو الحسن محمد بن يوسف العامري (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
- (٤٨) إغاثة اللفهان في مصادب الشيطان، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزيز شمس، خرج أحيائه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ.
- (٤٩) إفحام اليهود، المؤلف: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠ هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار الجبل - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (٥٠) أفسنا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ترجمة: خليل عبد الرحمن، الناشر: روافد للثقافة والفنون، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م.
- (٥١) آلهة في الأسواق دراسة في النحل والأهواء القديمة، د. رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- (٥٢) الأموال، المؤلف: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١ هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية،

- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- (٥٣) الأموال، المؤلف: أبو عُبَيْد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٥٢٢هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- (٥٤) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، تأليف: مالك بن نبي، الناشر: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- (٥٥) إنجيل برنابا، ترجمة: د. خليل سعادة، الناشر: دار البشير للنشر والتوزيع، القاهرة.
- (٥٦) إنجيل بوذا، ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر - بيروت، ١٩٥٣ م.
- (٥٧) إنجيل تولستوي وديانته (خلاصة الأناجيل)، تأليف: لاون تولستوي، ترجمة: سليم قبعين - محمد عبد الرحمن السيد عوض، الناشر: دار البشير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.
- (٥٨) الإنسان والأديان، تأليف: د. محمد كمال جعفر، الناشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥ م.
- (٥٩) إيران في عهد الساسانيين، تأليف: آرثر كريستنسن، ترجمة: يحيى الخشاب، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٦٠) بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
- (٦١) البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- (٦٢) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٦٣) بذل الجهود في إفحام اليهود، المؤلف: السمؤال بن يحيى المغربي، المحقق: عبد الوهاب طويلة، الناشر: دار القلم - الدار الشامية، ١٤١٠ - ١٩٨٩ م.
- (٦٤) بروتوكولات حكماء صهيون، المؤلف: عجاج نويهض، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦ م.

- ٦٥) البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين، تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.
- ٦٦) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: د. إحسان حقي، الناشر: دار النقائس، الطبعة الثانية.
- ٦٧) البوذية تاريخها وعقائدها، تأليف: د. عبد الله نومسوك، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٨) بولس وتحريف المسيحية، تأليف: هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، الناشر: منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- ٦٩) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .
- ٧٠) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، المؤلف: د. محمد فتحي الزغبی، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٧١) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ٧٢) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن، الناشر: دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م.
- ٧٣) تاريخ الأديان وفلسفتها، تأليف: طه الهاشمي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.
- ٧٤) تاريخ الإسلام في الهند، المؤلف: عبد المنعم النمر، الطبعة الأولى، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٧٥) تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، تأليف: مرسيا إلباد، ترجمة: عبد الهادي عباس، ١٩٨٦م - ١٩٨٧م.

- (٧٦) تاريخ البشرية، تأليف: أرنولد تونبي، ترجمة: نقولا زياده، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م.
- (٧٧) تاريخ الديانة اليهودية، تأليف: د. محمد خليفة حسن، الناشر: دار قباء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- (٧٨) تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تأليف: هيلدا هوخام، ترجمة: أشرف كيلاني، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- (٧٩) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ.
- (٨٠) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، المؤلف: محمد إبراهيم الفيومي، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- (٨١) تاريخ الكنيسة، المؤلف: جون لوريمر، ترجمة: عزرا مرجان، الناشر: دار الثقافة، الطبعة الأولى.
- (٨٢) تاريخ اللغات السامية، تأليف: إسرائيل ولفنسون، الناشر: مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.
- (٨٣) تاريخ المدينة، المؤلف: عمر بن شبة بن عبدة بن ربيعة النميري البصري (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهميم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، ١٣٩٩هـ.
- (٨٤) التاريخ اليهودي، المؤلف: إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوادح، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع - لبنان.
- (٨٥) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المؤلف: محمد عزة دروزة، الناشر: شركة الإعلانات الشرقية، بدون تاريخ.
- (٨٦) تاريخ تطور الفكر الصيني، تأليف: مجموعة باحثين صينيين، ترجمة: عبد العزيز حمدي، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

- ٨٧) تاريخ وقواعد الحضارات، المؤلف: فرناند بروديل، ترجمة: حسين شريف، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- ٨٨) التاوتي تشينغ (إنجيل الحكمة التاوية)، المؤلف: المعلم لاوتسو، ترجمة: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.
- ٨٩) التاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس، المؤلف: د. إبراهيم محمد خالد بركان، منشور ضمن مجلة كلية الشريعة، بالجامعة الأردنية، العدد: ٤، المجلد: ٤٤.
- ٩٠) تبيد الظلام أو أصل الماسونية، المؤلف: عوض الخوري، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
- ٩١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المؤلف: طاهر بن محمد الأسفرايني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٩٢) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٩٣) تثبيت دلائل النبوة، المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)، الناشر: دار المصطفى - شبرا - القاهرة.
- ٩٤) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- ٩٥) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، المؤلف: إنسلم تورميديا، الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي، تحقيق: د. محمود حمادة، الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٩٦) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م.
- ٩٧) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، المؤلف: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (المتوفى: ٤٤٠هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- ٩٨) التطرف اليهودي تاريخه، أسبابه، علاماته، المؤلف: د. عبد الراضي محمد، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٩٩) تعاليم بوذا، المؤلف: والبولا راهولا، ترجمة: يوسف شلب الشام، الناشر: دار ورد للنشر والتوزيع.
- ١٠٠) التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠١) تعليق التعليق على صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١٠٢) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٠٣) التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: مجموعة من الباحثين، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- ١٠٤) تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحقي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

دراسات في الأديان

- ١٠٧) تفسير السمعاني = تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٨) تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠٩) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩هـ.
- ١١٠) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١١١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١١٢) تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ١١٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المؤلف: د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١٤) التقليد، المؤلف: القس إنجيلوس جرجس، الناشر: مكتبة سانت ماري، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

- (١١٥) تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (١١٦) التلمود أصله وتسلسله وآدابه، تأليف: د. شمعون مويال، ترجمة: د. رشاد الشامي، الناشر: الدار الثقافية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- (١١٧) التلمود البابلي، ترجمة: مركز دراسات الشرق الأوسط بالأردن، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- (١١٨) التلمود تاريخه وتعاليمه، المؤلف: ظفر الإسلام خان، الناشر: دار النفائس، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (١١٩) التلمود، المؤلف: آ. كوهن، جاك ماري، الناشر: شركة دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- (١٢٠) التمهيد، المؤلف: محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي، تحقيق: الأب مكارثي، الناشر: جامعة الحكمة - بغداد، ١٩٥٧م.
- (١٢١) التنصير مفهومه وأنواعه، المؤلف: د. علي النملة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- (١٢٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تأليف: عز الدولة سعد بن منصور بن كمونة، الناشر: دار الأنصار، القاهرة.
- (١٢٣) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- (١٢٤) التوراة السامرية مع مقارنة بالتوراة العبرية، ترجمة الكاهن: أبي الحسن إسحاق الصوري، نشرها: أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- (١٢٥) التوراة الهيروغليفية، دراسة في أصول العهد القديم ومصادره، المؤلف: د. فؤاد حسنين، الناشر: عين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- (١٢٦) التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، الناشر: دار النفائس - بيروت،

١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ.

(١٢٧) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، المؤلف: موريس بوكاي، ترجمة: حسن خالد، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة.

(١٢٨) التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١٢٩) الجامع الكبير = سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

(١٣٠) جذور البلاء، المؤلف: عبد الله التل، الناشر: دار الإرشاد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

(١٣١) جذور الفكر اليهودي، تأليف: داود عبد العفو سنقرط، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

(١٣٢) جبهة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

(١٣٣) الجنس في أديان العالم، المؤلف: جيفري بارندر، الناشر: دار الكلمة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(١٣٤) جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة، المؤلف: د. صلاح محمود العادلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١٣٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٣٦) الحضارات السامية القديمة، تأليف: بينو موسكاتي، ترجمة السيد يعقوب بكر، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

- (١٣٧) حضارات الهند، تأليف: غوستاف لوبون، ترجمة، تحقيق: عادل زعيتير، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٤٨ م.
- (١٣٨) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، المؤلف: آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
- (١٣٩) الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، شاهين مكاربوس، الناشر: دار نظير عبود، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م.
- (١٤٠) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، المؤلف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.
- (١٤١) حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت، المؤلف: د. روبرت كيل تسلر، ترجمة: علاء أبو بكر، دار النشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
- (١٤٢) حقيقة اليوم الآخر في التشريعات السابقة للإسلام، المؤلف: صالح الكيلاني، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، السنة الرابعة، العدد ٣٩.
- (١٤٣) حقيقة جهود الدعوة في تركيا، المؤلف: د. هدى درويش، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- (١٤٤) حكمة الأديان الحية، المؤلف: جوزيف كاير، ترجمة: حسين الكيلاني، مراجعة: محمود الملاح، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤ م.
- (١٤٥) حكمة الصين، المؤلف: هـ. فان براغ، ترجمة: موفق المشرق، الناشر: مطبعة الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- (١٤٦) حكومة العالم الخفية، المؤلف: شيريب وفيتش، ترجمة: مأمون سعيد، الناشر: دار النفائس، ١٤١١ هـ.
- (١٤٧) حوار مع مبشر، المؤلف: أحمد ديدات، ترجمة: علي عثمان، الناشر: مكتبة ديدات.
- (١٤٨) خرافة التطور، المؤلف: روبرت جيمس، ترجمة: فداء ياسر الجندي، الناشر: مركز الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- (١٤٩) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة: محمد خليفة التونسي، قدم له: عباس محمود العقاد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- ١٥٠) خطر اليهودية العالمية، المؤلف: د. عبد الله التل، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ.
- ١٥١) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية، تأليف: الشماس حبيب جرجس، الطبعة الأولى، مطبعة التوفيق بالفجالة.
- ١٥٢) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، المؤلف: إسماعيل كيلاني، الدار العربية للعلوم - ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٩٤ م.
- ١٥٣) دائرة المعارف الكاثوليكية، المؤلف: صموئيل حبيب، فايز فارس، منيس عبدالنور، جوزيف صابر، دار الثقافة.
- ١٥٤) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٥٥) دراسات في الأديان الوثنية، د. أحمد عجيبة، الناشر: دار الآفاق العربية - القاهرة الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
- ١٥٦) دراسات في الأديان الوضعية، المؤلف: د. علي عبد العال ربيع وآخرون، الناشر: مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠١٩ م.
- ١٥٧) دراسات في المسيحية، المؤلف: د. عادل درويش وآخرون، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ١٥٨) دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية)، تأليف: د. محمد الشرقاوي، الناشر: دار الفكر العربي، ١٩٩٣ م.
- ١٥٩) دعوة الهندوس إلى الإسلام، تأليف: إبراهيم بن عبدالغفور، دار إيلاف الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠١٨ م.
- ١٦٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

- (١٦١) الدولة اليهودية، تأليف: تيودور هرتزل، ترجمة: محمد فاضل، الناشر: مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- (١٦٢) ديانات أخرى، المؤلف: أنيس منصور، الناشر: مكتبات الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- (١٦٣) الديانات القديمة، تأليف: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- (١٦٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور، تأليف: أحمد عبد الغفور، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (١٦٥) الديانة التاوية وعقيدتها في الألوهية من خلال كتابها المقدس وموقف الإسلام منها: دراسة وتحليل، المؤلف: د. إبراهيم برقان، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات الجامعة، العدد ٤٧.
- (١٦٦) الديانة الزرادشتية ملاحظات وآراء، المؤلف: أسامة عدنان يحيى، الناشر: أشوربانيبال للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- (١٦٧) الدين في الهند والصين وإيران، تأليف: ألكار السقاف، الناشر: دار العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- (١٦٨) ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، بيروت، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م.
- (١٦٩) رحلة عقل، تأليف: د. عمرو شريف، تقديم: د. أحمد عكاشة، الناشر: مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- (١٧٠) الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- (١٧١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

- ١٧٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، تأليف: إسبينوزا، ترجمة: حسن خنفي، الناشر: دار التنوير، ١٩٦٨م.
- ١٧٣) الرسالة، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.
- ١٧٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ١٧٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ١٧٦) الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٧) الزحف إلى مكة، تأليف: د. عبد الودود شلي، الناشر: دار الفتح للإعلام العربي، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١٧٨) زرادشت والزرادشتية، تأليف: د. الشفيح الماحي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ١٤٢٢ هـ.
- ١٧٩) الزرادشتية الديانة والطقوس والتحول، تأليف: د. جمشيد يوسف، الناشر: دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- ١٨٠) زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
- ١٨١) سر القيامة، تأليف: الأرشمندريت سلوان موسى، الناشر: تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت.
- ١٨٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

- ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- ١٨٣) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ١٨٤) سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى.
- ١٨٥) سياحة في ربوع النور الآسيوية، المؤلف: سليمان مظهر، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٨٦) شجرة الحضارة، تأليف: د/ رالف لتون، ترجمة: د/ أحمد فخري، الناشر: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
- ١٨٧) الشخصية الإسرائيلية، تأليف: د. حسن ظاظا، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
- ١٨٨) الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.
- ١٨٩) شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٩٠) شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن الحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٩١) شريعة الحرب عند اليهود، تأليف: د. حسن ظاظا، السيد محمد عاشور، الناشر: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٦م.
- ١٩٢) الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن،

- الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٩٣) شهادات ماسونية، المؤلف: حسين عمر حمادة، الناشر: دار الوثائق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ١٩٤) صحح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .
- ١٩٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٩٦) صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٩٧) صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩٨) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، تأليف: د. محمد عثمان شبير، الناشر: مكتبة الفلاح، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- ١٩٩) الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، تأليف: محمود دياب، الناشر: مطبوعات الشعب.
- ٢٠٠) الصهيونية العالمية، تأليف: عباس العقاد، دار النشر: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٢٠١) طائفة الموحدين، تأليف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة، ١٩٨٠م.
- ٢٠٢) الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- ٢٠٣) الطريق إلى الفضيلة، تأليف: لوتسو، ترجمة: علاء الديب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- ٢٠٤) الطلاق في الديانات الثلاث، تأليف: د. صالح الكيلاني، د. أنس الخلايلة، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد العشرون، جمادى الأولى، ١٤٣٥هـ.
- ٢٠٥) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، تأليف: د. سلطان العميري، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ٢٠٦) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، تأليف: فوزي محمد حميد، الناشر: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٠٧) العبادات في الأديان السماوية، المؤلف: عبد الرزاق صلال الموحى، الناشر: صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٦م.
- ٢٠٨) عصر الجماع، تأليف: القمص كيرلس الأنطوني، الناشر: مكتبة المحبة، الطبعة الأولى.
- ٢٠٩) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، تأليف: د. سعد الدين صالح، الناشر: دار الصفا للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
- ٢١٠) علم الملل ومناهج العلماء فيه، المؤلف: أحمد بن عبد الله جود، الناشر: دار الفضيلة - الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢١١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢١٢) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، تأليف: د. أحمد الزغبى، الناشر: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢١٣) العهد القديم وعالمه وتحدياته، تأليف: القس د. عيسى دياب، الناشر: دار منهل الحياة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٢١٤) الغارة على العالم الإسلامي، المؤلف: ألفريد لوشاتليه، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية: مساعد اليافى، محب الدين الخطيب، الناشر: منشورات العصر الحديث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

- (٢١٥) غاية المرام في علم الكلام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدني (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- (٢١٦) الغفران بين الإسلام والمسيحية، المؤلف: إبراهيم خليل أحمد، الناشر: دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- (٢١٧) الفارق بين المخلوق والمخالق، تأليف: العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده، تحقيق: عبد المنعم درويش، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٢١٨) فتاوى السبكي، المؤلف: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الناشر: دار المعارف.
- (٢١٩) فتاوى اللجنة الدائمة، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.
- (٢٢٠) فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، اعتنى به: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار - أبو عبد الله محمد بن موسى الموسى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية.
- (٢٢١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٢٢٢) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
- (٢٢٣) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- (٢٢٤) فرقة القرآنيين اليهود، تأليف: د. جعفر هادي حسن، الناشر: مؤسسة العارف

- للمطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
- (٢٢٥) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، المؤلف: القس إبراهيم عبد السيد، الناشر: مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- (٢٢٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- (٢٢٧) فصوص الحكم، تأليف: محيي الدين بن عربي، تحقيق: أبو العلا عفيفي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- (٢٢٨) فضح التلمود، تأليف: آي. بي. برانائتس، ترجمة: زهدي الفاتح، الناشر: دار النفائس - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- (٢٢٩) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، تأليف: د. حسن ظاظا، الناشر: معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧١ م.
- (٢٣٠) الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، د/ جمال المرزوقي، الناشر: دار الآفاق العربية القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٢٣١) الفكر الشرقي القديم، تأليف: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د/ إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة عدد (١٩٩)، الكويت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- (٢٣٢) الفكر الشرقي القديم، تأليف: د. فيصل بدير عون، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- (٢٣٣) الفكر الصيني من كنفوشيوس إلى ماوتس تونج، تأليف: ج. ترين، ترجمة: عبد الحميد سليم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١ م.
- (٢٣٤) الفكر العقدي اليهودي، تأليف: د. سامي الإمام، الناشر: كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة.
- (٢٣٥) فلاسفة الشرق، تأليف: أ. ف. توملين، ترجمة: عبد الحميد سليم - علي أدهم، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثانية، ٢٠١٥ م.
- (٢٣٦) فلاسفة أيقظوا العالم، تأليف: د. مصطفى حسن النشار، الناشر: وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب.

- (٢٣٧) الفلسفة الشرقية القديمة، تأليف: د. مصطفى حسن النشار، الناشر: دار المسيرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.
- (٢٣٨) الفلسفة الشرقية، تأليف: د. محمد غلاب، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٣٨ م.
- (٢٣٩) الفلسفة الشرقية، تأليف: تشاكرامارتي رام براساد، ترجمة: وفيق فائق كريشات، الناشر: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق، ٢٠١٠ م.
- (٢٤٠) الفلسفة في الشرق، تأليف: ماسون أورسيل، ترجمة/ محمد يوسف موسى، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٥ م.
- (٢٤١) الفلسفة في الهند، تأليف: د/ علي زيعور، الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- (٢٤٢) الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨ هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢٤٣) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، المؤلف: جلال العالم، الناشر: دار الأرقم، ١٩٧٤ م.
- (٢٤٤) القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان دراسة وتحقيقاً، المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: دار العاصمة - الرياض، ١٤١٠ هـ.
- (٢٤٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان - عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- (٢٤٦) قاموس الأديان والمذاهب، تأليف: د/ حسين علي حمد، دار الجليل، بيروت، لبنان.
- (٢٤٧) قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة اللاهوتيين، هيئة التحرير: الدكتور بطرس عبد الملك، الدكتور جون الكساندر طمس، الأستاذ إبراهيم مطر، الناشر: مكتبة المشعل، بيروت.

- (٢٤٨) القبالة (التصوف اليهودي)، تأليف: د. نبيل أنسي الغندور، الناشر: مكتبة النافذة الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- (٢٤٩) القراؤون والإصلاحيون اليهود، تأليف: الدكتور أحمد البهنسي، طبعة مركز نماء للبحوث والدراسات.
- (٢٥٠) قصة الحضارة، تأليف: ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- (٢٥١) قصة الديانات، تأليف: د/ سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥ م.
- (٢٥٢) قصة الكنيسة القبطية، تأليف: د. إيريس حبيب المصري، الناشر: مكتبة الكتب القبطية الأرثوذكسية.
- (٢٥٣) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، تأليف: د. توفيق الطويل، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- (٢٥٤) قواعد التنظيم السياسي لمجلس السنهدريم اليهودي، تأليف: أ. عبد الكريم سباع، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، عدد: ٤٢، سنة ٢٠١٧ م.
- (٢٥٥) قوانين المجامع المسكونية، تأليف: القس أثناسيوس المقاري، الناشر: دير القديس أنبا مقار الكبير ببرية شيهيت، ٢٠١٣ م.
- (٢٥٦) قيامة المسيح، تأليف: رومانو كوارديني، تعريب الأب جرجس المارديني، الناشر: دار المشرق، ١٩٩٧ م.
- (٢٥٧) القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي، تأليف: الأب متى المسكين، الناشر: دير القديس أنبا مقار الكبير، ببرية شيهيت.
- (٢٥٨) كتاب التاوا، تأليف: لاوتسه، ترجمة: هادي العلوي، الناشر: دار الكنوز الأدبية، بيوت، لبنان، ١٩٩٥ م.
- (٢٥٩) كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- ٢٦٠) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٦١) الكتاب المقدس في الميزان، محمد عبد السلام، دار النشر. دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ٢٦٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، تأليف: د. يحيى ربيع، الناشر: دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٢٦٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١ م.
- ٢٦٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- ٢٦٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القرعبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٢٦٦) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، تقديم: مصطفى أحمد الزرقا - حسن ظاظا، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢٦٧) كنوز التلمود، المؤلف: محمد خليفة التونسي، الناشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤١١ هـ.
- ٢٦٨) الكنيسة أسرارها وطقوسها، المؤلف: د. عادل درويش، الناشر: دار بلال بن رباح، ودار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٢٦٩) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، المؤلف: صلاح بسيوني رسلان، الناشر: مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢٧٠) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، تأليف: ناصر بن

- فلاح بن ناصر الشهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٧ هـ.
- (٢٧١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس الكنيسة، تأليف: القمص يوحنا سلامة، الناشر: مكتبة مارجرجس شبرا.
- (٢٧٢) اللاهوت المقارن، تأليف: البابا شنودة الثالث، الكليّة الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس.
- (٢٧٣) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- (٢٧٤) لمحات عن أديان العالم، مؤلف مجهول، ترجمة: صادق عبد علي الزكابي، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- (٢٧٥) اللمع في التصوف، المؤلف: أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتاب الحديث بمصر.
- (٢٧٦) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ المؤلف: منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م.
- (٢٧٧) الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، تأليف: د. عفيفي إبراهيم حسن، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.
- (٢٧٨) الماسونية في أتوارها المعاصرة، تأليف: د. سعد الدين صالح، الناشر: دار الصفا للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
- (٢٧٩) الماسونية في العالم العربي، تأليف: وائل إبراهيم الدسوقي يوسف، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- (٢٨٠) الماسونية في العراق، المؤلف: محمد علي الزعبي، الناشر: معتوق إخوان؛ سنة النشر: ١٩٧٢ - ١٣٩٣م.
- (٢٨١) الماسونية مؤامرة أخرى على الإسلام، للدكتور أحمد الشرباصي، مقال بمجلة الهلال عدد جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ - يونيو ١٩٧٧م.
- (٢٨٢) الماسونية، تأليف: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، مكة

- المكرمة، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م .
- (٢٨٣) الماسونية، تأليف: محمد صفوت السقا، وسعدي أبو حبيب، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م.
- (٢٨٤) المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، تأليف: د. سلطان عبد الحميد، الناشر: مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.
- (٢٨٥) المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
- (٢٨٦) المجتمع اليهودي، تأليف: زكي شنودة، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٢٨٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- (٢٨٨) المجمع المسكوفي الأول، تأليف: الأب ميشال أبرص، والأب أنطوان عرب، الناشر: المكتبة البولسية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- (٢٨٩) المجموع الصفوي (كتاب القوانين الكنائسية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسين)، تأليف الصفي أبي الفضائل بن العسال، نشر الأستاذ جرجس فيلوتاوس عوض.
- (٢٩٠) مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٢٩١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، بدون.
- (٢٩٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣ هـ

- (٢٩٣) المجوسية والمجوس، تأليف: علي حسني الخربوطلي، حولية كلية البنات، جامعة عين شمس، عدد ٤، يوليو ١٩٦٤م.
- (٢٩٤) محاضرات في النصرانية، المؤلف: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ - ١٩٦٦م.
- (٢٩٥) محاضرات في مقارنة الأديان، تأليف: إبراهيم خليل أحمد، الناشر: دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
- (٢٩٦) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، تأليف: روجيه جارودي، ترجمة: ليلي حافظ، الناشر: دار الشروق.
- (٢٩٧) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٢٩٨) مختصر دعوة التقريب دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، تأليف: أحمد عبد الرحمن القاضي، الناشر: آفاق المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
- (٢٩٩) مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية، تأليف: إميل ماهر إسحاق، المطبعة: الأنبا رويس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- (٣٠٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٣٠١) مدخل إلى العهد الجديد، تأليف: القس فهميم عزيز، الناشر: الدار الثقافية المسيحية، القاهرة، الطبعة الأولى.
- (٣٠٢) المدخل إلى العهد القديم، تأليف: القس صموئيل يوسف، الناشر: دار الثقافة.
- (٣٠٣) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.
- (٣٠٤) مدخل إلى الجماع المسكونية، تأليف: الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، الناشر: المكتبة البولسية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- ٣٠٥) المدخل في تاريخ الأديان، تأليف: د/ سعيد مراد، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٣٠٦) المدخل لدراسة التوراة، تأليف: د. محمد البار، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع السلسلة: أباطيل التوراة والعهد القديم، الطبعة الثانية: ٢٠١١م.
- ٣٠٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٣٠٨) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م.
- ٣٠٩) المستشرقون والإسلام، تأليف: د. عرفان عبد الحميد، الناشر: مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
- ٣١٠) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، تأليف: إبراهيم خليل أحمد، الناشر: دار الوعي العربي.
- ٣١١) المستطرف الصيني من تراث الصين، تأليف: هادي العلوي، الناشر: دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- ٣١٢) المسلمون في الصين، المؤلف: فهمي هويدي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٨١م.
- ٣١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٣١٤) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بجرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

- ٣١٥) المسيح حياته وأعماله، تأليف: الأب متى المسكين، الناشر: مطبعة دير القديس الأنبا مقار، وادي النطرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٣١٦) المسيح في عقائد المسيحية، تأليف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٨م.
- ٣١٧) المسيحية نشأتها وتطورها، تأليف: شارل جنيبير، ترجمة: د. عبد الحليم محمود، الناشر: دار المعارف، الطبعة السادسة، ٢٠١٥م.
- ٣١٨) المسيحية والصليب، تأليف: الأنبا يوانس أسقف الغربية، الناشر: المكتبة القبطية، الطبعة الأولى.
- ٣١٩) المسيحية، تأليف: د. أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨م.
- ٣٢٠) المشنا، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، الناشر: مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٣٢١) مصادر النصرانية دراسة ونقدًا، تأليف: د. عبد الرزاق عبدالمجيد الأرو، الناشر: دار التوحيد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- ٣٢٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ٣٢٣) المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٢٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٢٥) المطالع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

- ٣٢٦) معارك في سبيل الإله، كارين أرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، ومحمد عناني، الناشر: دار سطور، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ٣٢٧) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، المؤلف: دكتور محمد أبو المحاسن عصفور الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٢٨) معتقدات آسيوية، تأليف: د. كامل سعفان، الناشر: دار الندى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ٣٢٩) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تأليف: جفري بارنذر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبدالغفار مكاوي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت تاريخ النشر/١٩٩٣ عالم المعرفة العدد ١٧٣.
- ٣٣٠) المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- ٣٣١) معجم الإيمان المسيحي، تأليف: صبحي حموي، ترجمة، تحقيق: حان كوربون، الناشر: دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ٣٣٢) معجم الصينية العربية، المحرر: وانغ شي تشن وآخرون، الناشر: إصدارات معهد بحوث الحضارة العربية الإسلامية، قسم اللغة العربية والحضارة العربية، جامعة بكين، الصين، ١٩٨٧م.
- ٣٣٣) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الطبعة: ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م.
- ٣٣٤) معجم اللاهوت الكتابي، تأليف: مجموعة من المؤلفين، الناشر: دار المشرق، الطبعة السابعة، ٢٠١٤م.
- ٣٣٥) معجم المصطلحات الصهيونية، تأليف: أفرام تلمي مناح، أحمد بركات العجرمي الناشر: دار الجليل للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان، الطبعة الأولى.
- ٣٣٦) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

(٣٣٧) معجم ديانات وأساطير العالم، المؤلف: د. إمام عبد الفتاح، الناشر: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٣٣٨) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

(٣٣٩) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣٤٠) المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٣٤١) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

(٣٤٢) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، تأليف: إسماعيل راجي الفاروقي، الناشر: معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

(٣٤٣) الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

(٣٤٤) من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، تأليف: د. محمد السيد الجليند، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الجزيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م

(٣٤٥) المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ.

(٣٤٦) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية

- الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٣٤٧) منهج الشهرستاني في دراسة الملل والنحل، تأليف: محمد بن ناصر السحيباني، الناشر: دار الوطن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- (٣٤٨) منو سمرقي (كتاب الهندوس المقدس)، علق عليه: إحسان حقي، الناشر: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م.
- (٣٤٩) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ .
- (٣٥٠) موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، تأليف: أ/ جوزيف نيدهام، ترجمة: محمد غريب جودة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- (٣٥١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، تأليف: ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٣٥٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المؤلف: دكتور عبد الوهاب المسيري، الناشر: دار الشروق - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- (٣٥٣) موسوعة تاريخ الأديان، ترجمة: عبد الرزاق العلي، ومحمود الهاشمي، دار النشر: دار التكوين، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- (٣٥٤) موسوعة عالم الأديان (كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم) ديانا الشرق الأقصى، تأليف: مجموعة باحثين، بيروت، ٢٠٠٤م.
- (٣٥٥) موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات، تأليف: حسن نعمة، الناشر: دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
- (٣٥٦) الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- (٣٥٧) نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، تأليف: تشارلس داروين، ترجمة: مجدي المليجي، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- (٣٥٨) النصرانية بين الحقيقة والتحريف، تأليف: د. عادل درويش، دار العلم للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- (٣٥٩) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، تأليف: د. محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
- (٣٦٠) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تأليف: نصر بن يحيى بن عيسى المتطيب، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، الناشر: دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- (٣٦١) هداية الخياري في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- (٣٦٢) هل افتدانا المسيح على الصليب؟ تأليف: د. منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- (٣٦٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ تأليف: د. منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- (٣٦٤) الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، د. محمد إسماعيل الندوي، الناشر: دار الشعب.
- (٣٦٥) الهندوسية البوذية السيخسة، د. أسعد السحمراني، الناشر: دار النفائس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- (٣٦٦) الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، تأليف: د. أبو بكر محمد زكريا، الناشر: دار الأوراق الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.
- (٣٦٧) واو القلب في اللغات السامية، تأليف: جلال عبد الله الحمادي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٤٦.
- (٣٦٨) يقظة العالم اليهودي، تأليف: إيلي ليفي أبو عسل، لويس صليبا، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٣٦٩) يهود الدونمة، تأليف: محمد علي قطب، الناشر: دار الأنصار، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٣٧٠) اليهود من كتابهم، تأليف: د. محمد علي الخولي، الناشر: دار الفلاح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٣٧١) اليهودية وتأثرها بالأديان الوثنية، تأليف: د. أحمد شلبي، الناشر: الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.

٣٧٢) يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، تأليف: د فرج الله عبد الباري، الناشر: دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

٣	المقدمة
٧	الفصل الأول: المقدمات.....
٧	المبحث الأول: تعريف الدين والملة والنحلة
١١	المبحث الثاني: حكم دراسة الأديان.....
١٧	المبحث الثالث: أهمية دراسة الأديان
٢٠	المبحث الرابع: الأصل في البشرية التوحيد.....
٢٨	المبحث الخامس: تاريخ التأليف في علم الأديان
٣٢	المبحث السادس: مناهج دراسة الأديان عند علماء المسلمين
٣٩	المبحث السابع: منهج العلماء في تقسيم الأديان
٤٣	المبحث الثامن: وسطية الإسلام بين الملل.....
٤٦	المبحث التاسع: دعوة التقريب بين الأديان
٥١	المبحث العاشر: موقف الإسلام من أهل الملل ^(١)
٥٩	ملخص الفصل الأول.....
٦١	أسئلة تطبيقية
٦٢	الفصل الثاني: اليهودية
٦٢	المبحث الأول: تعريف اليهودية.....
٦٩	المبحث الثاني: أسماء اليهود
٧٣	المبحث الثالث: تاريخ اليهود.....
٧٩	المبحث الرابع: صفات اليهود وأخلاقهم.....
٨٣	المبحث الخامس: مصادر اليهودية
١٠٩	المبحث السادس: السنهدين
١١٤	المبحث السابع: القبالات.....
١١٧	المبحث الثامن: بروتوكولات حكماء صهيون.....
١٢٣	المبحث التاسع: عقائد اليهود
١٣٦	المبحث العاشر: الشرائع اليهودية
١٦٢	المبحث الحادي عشر: فرق اليهود
١٨٣	المبحث الثاني عشر: الماسونية
١٩٦	المبحث الثالث عشر: الصهيونية.....
٢٠٣	ملخص الفصل الثاني

- ٢١٠ أسئلة تطبيقية
- ٢١١ الفصل الثالث: النصرانية
- ٢١١ المبحث الأول: تعريف النصرانية
- ٢١٤ المبحث الثاني: أسماء النصارى
- ٢١٦ المبحث الثالث: نشأة النصرانية وأطوارها
- ٢٣٥ المبحث الرابع: مصادر النصرانية
- ٢٦١ المبحث الخامس: عقائد النصرانية
- ٢٨١ المبحث السادس: الشرائع النصرانية
- ٢٩١ المبحث السابع: الفرق النصرانية
- ٣٠١ المبحث الثامن: الدلائل الموجودة في التوراة والإنجيل على بعثة نبينا محمد ﷺ
- ٣٠٥ المبحث التاسع: النصرانية في العصر الحديث
- ٣١٥ ملخص الفصل الثالث
- ٣٢٠ أسئلة تطبيقية
- ٣٢١ الفصل الرابع: المجوسية
- ٣٢١ المبحث الأول: التعريف بالمجوسية وألفاها
- ٣٢٤ المبحث الثاني: نشأة المجوسية وأصلها وتطورها وفرقها
- ٣٢٧ المبحث الثالث: كتاب المجوس المقدس وأهم عقائد المجوسية
- ٣٣٤ المبحث الرابع: أهم شعائر المجوسية
- ٣٣٨ المبحث الخامس: أماكن وجود المجوسية وواقعها المعاصر
- ٣٤٠ ملخص الفصل الرابع
- ٣٤٢ أسئلة تطبيقية
- ٣٤٣ الفصل الخامس: الهندوسية
- ٣٤٣ المبحث الأول: تعريف الهندوسية
- ٣٤٦ المبحث الثاني: نشأة الهندوسية
- ٣٤٨ المبحث الثالث: مصادر الهندوسية
- ٣٥٢ المبحث الرابع: عقائد الهندوسية
- ٣٦٥ المبحث الخامس: شريعة الهندوس
- ٣٧٢ المبحث السادس: فرق الهندوسية
- ٣٧٣ المبحث السابع: الهندوسية في العصر الحديث
- ٣٧٧ ملخص الفصل الخامس
- ٣٨٠ أسئلة تطبيقية
- ٣٨١ الفصل السادس: البوذية
- ٣٨١ المبحث الأول: تعريف البوذية

٣٨٣	المبحث الثاني: نشأتها.....
٣٨٧	المبحث الثالث: مصادر البوذية.....
٣٨٩	المبحث الرابع: عقائد البوذية.....
٣٩٦	المبحث الخامس: الأخلاق والشرائع عند البوذية.....
٣٩٩	المبحث السادس: فرق البوذية.....
٤٠٠	المبحث السابع: البوذية في العصر الحديث.....
٤٠٣	ملخص الفصل السادس.....
٤٠٥	أسئلة تطبيقية.....
٤٠٦	الفصل السابع: الطاوية.....
٤٠٦	المبحث الأول: التعريف بالطاوية.....
٤٠٨	المبحث الثاني: نشأة الطاوية.....
٤١٠	المبحث الثالث: كتاب الطاوية المقدس وأهم عقائدها.....
٤١٨	المبحث الرابع: العبادات والطقوس والشعائر في الطاوية.....
٤٢١	المبحث الخامس: أماكن وجود الطاوية وواقعها المعاصر.....
٤٢٣	ملخص الفصل السابع.....
٤٢٥	أسئلة تطبيقية.....
٤٢٦	الفصل الثامن: الديانة الكونفوشيوسية.....
٤٢٦	المبحث الأول: التعريف بالكونفوشيوسية.....
٤٢٧	المبحث الثاني: نشأة الكونفوشيوسية ومصادرها.....
٤٢٩	المبحث الثالث: أهم عقائد الكونفوشيوسية.....
٤٣٤	المبحث الرابع: العبادات والأخلاق والشعائر في الكونفوشيوسية.....
٤٣٧	المبحث الخامس: أماكن وجود الكونفوشيوسية وواقعها المعاصر.....
٤٣٨	ملخص الفصل الثامن.....
٤٤٠	أسئلة تطبيقية.....
٤٤١	فهرس المراجع والمصادر.....
٤٧٨	فهرس الموضوعات.....



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ